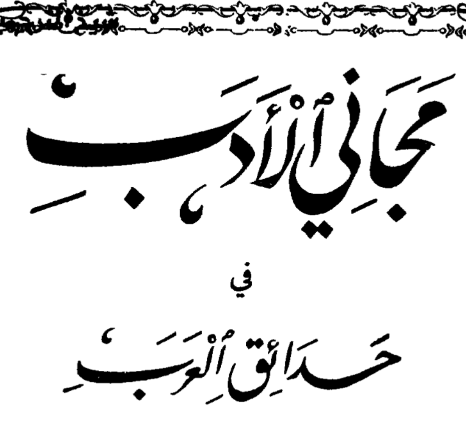


مجاني الأدب

في

حدائق العرب

عُنيَ بجمعهِ وضبطهِ وتصحيحهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء السادس



طبع ثامنة

في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ١٧٦

أَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلْخُطَبِ

نخبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

١ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَزْلَلْتَ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزْلَتَ عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلْأُولَى . وَكُنْتُ بِٱلثَّانِيَةِ أَوْلَى . لَوْلَا فَضْلٌ مِنْكَ سَابِقٌ حَمْدُ ٱلْحَامِدِ وَرَاءَهُ يَقْطِفُ . وَإِنْ أَعْنَقَ فَكَأَنَّهُ مَصْفُودٌ يَرْسُفُ . وَكَمْ بَاسِقٌ شُكْرُ ٱلشَّاكِرِ يَنُوءُ تَحْتَهُ بِجَنَاحٍ مَهِيضٍ . وَإِنْ حَلَّقَ فَكَأَنَّهُ لَاصِقٌ بِٱلْحَضِيضِ . ثُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيقَكَ مَعِي رِدْأً وَكَفَى بِهِ مِنْ رِدْءٍ . عَلَى صُنْعٍ مَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا أَتَّصَلَ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَيْسِيرِ ٱلْفِئَةِ ٱلَّتِي بِإِحْسَانِكَ ٱلْمُتَظَاهِرِ جَذَبْتَ إِلَيْهَا بِضَبْعِي . وَبِسُلْطَانِكَ ٱلْقَاهِرِ قَسَرْتَ عَلَيْهَا طَبْعِي . وَبِنَظَرِكَ ٱلصَّادِقِ خَفَّفْتَ عَلَيَّ مَجَاشِمَهَا ٱلْمُتْعِبَةَ . وَسَهَّلْتَ تَكَالِيفَهَا ٱلْمُتَصَعِّبَةَ . وَفَكَكْتَ مِنْ رِقِّ ٱلتَّبِعَاتِ عُنُقِي . وَمَنَنْتَ بِحَلِّ إِسَارِي وَعِتْقِي . وَرَقَّيْتَنِي إِلَى رُتْبَةِ ٱلْقَنَاعَةِ وَهِيَ ٱلرُّتْبَةُ ٱلْعُلْيَا . وَزَهَّدْتَنِي فِي ٱلْحِرْصِ عَلَى زُخْرُفِ ٱلدُّنْيَا . وَطَيَّبْتَ نَفْسِي بِعَوَارِزِ أَخْلَافِهَا عَنِ ٱلْغِزَارِ . وَتَرَضَّيْتَهَا بَعْدَ ٱلدِّرَّةِ بِٱلْغِرَارِ

٢ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْأُولَى) مَا يَخْفِضُ ٱلْمَرْءَ عَدَمُهُ وَيُتْمُهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

وَعِلْمُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ مَالُهُ وَأَهْلُهُ . إِذَا خَفَضَهُ فُجُورُهُ وَجَهْلُهُ . أَلْعِلْمُ هُوَ
ٱلْأَبُ . بَلْ هُوَ لِلنَّأْيِ أَرْأَبُ . وَٱلتَّقْوَى هِيَ ٱلْأُمُّ . بَلْ هِيَ إِلَى ٱللِّبَانِ
أَضَمُّ . فَأَحْرِزْ نَفْسَكَ فِي حِرْزِهِمَا . وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِغَرْزِهِمَا . يَسْقِكَ
ٱللهُ نِعْمَةً صَيِّبَةً . وَيُحْيِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً

٣ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ) يَا ٱبْنَ آدَمَ أَصْلُكَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ . وَفِيكَ
مَا لَا يَسَعُكَ مِنَ ٱلتِّيهِ وَٱلْفَخَارِ . تَارَةً بِٱلْأَبِ وَٱلْجَدِّ . وَأُخْرَى بِٱلدَّوْلَةِ
وَٱلْجَدِّ . مَا أَوْلَاكَ بِأَنْ لَا تُصَعِّرَ خَدَّيْكَ . وَلَا تَفْتَخِرَ بِجَدَّيْكَ تَبَصَّرْ
خَلِيلِي مِمَّ مُرَكَّبُكَ . وَإِلَى مَ مُنْقَلَبُكَ . فَخَفِّضْ مِنْ غُلَوَائِكَ . وَخَلِّ
بَعْضَ خُيَلَائِكَ

٤ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةُ) مَا أَسْعَدَكَ لَوْ كُنْتَ فِي سَلَامَةِ ٱلضَّمِيرِ .
كَسَلَاسَةِ ٱلْمَاءِ ٱلنَّمِيرِ . وَفِي ٱلنَّقَاءِ عَنِ ٱلرِّيبَةِ كَمِرْآةِ ٱلْغَرِيبَةِ . وَفِي
نَفَاذِ ٱلطِّيَّةِ . كَصَدْرِ ٱلْخَطِّيَّةِ . وَفِي أَخْذِ ٱلْأُهْبَةِ . كَٱلْوَاقِعِ فِي ٱلنُّهْبَةِ .
لٰكِنَّكَ ذُو تَكْدِيرٍ . كَرَجْرَجَةِ ٱلْغَدِيرِ . وَمُتَلَطِّخٌ بِٱلْخَبَائِثِ . كَٱلْكَثِيرِ
ٱلْحَانِثِ . وَذُو عَجْزٍ وَتَوَانِي . كَمِكْسَالِ ٱلْغَوَانِي . وَتَارِكٌ لِلْاسْتِعْدَادِ .
كَٱلشَّاكِّ فِي ٱلْمَعَادِ

٥ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْعَاشِرَةُ) إِسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ مُؤَاخِيكَ . مَا ٱسْتَمْسَكَ
بِأَوَاخِيكَ . وَٱصْحَبْهُ مَا أَصْحَبَ لِلْحَقِّ وَأَذْعَنَ . وَحُلَّ مَعَ أَشْيَاعِهِ وَظَعَنَ .
فَإِنْ تَنَكَّرَتْ أَنْحَاؤُهُ . وَرَشَحَ بِٱلْبَاطِلِ إِنَاؤُهُ . فَتَعَوَّضْ مِنْ صُحْبَتِهِ وَإِنْ
عُوِّضْتَ ٱلشِّسْعَ . وَٱصْطَرِفْ بِحَبْلِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَ ٱلنِّسْعَ . فَصَاحِبُ

ٱلصِّدْقِ أَنْفَعُ مِنَ ٱلتِّرْيَاقِ ٱلنَّافِعِ . وَقَرِينُ ٱلسُّوءِ أَضَرُّ مِنَ ٱلسُّمِّ ٱلنَّاقِعِ

٦ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) ٱلشَّهْمُ ٱلْحَذِرُ . بَعِيدُ مَطَارِحِ ٱلْفِكَرِ . قَرِيبُ مَسَارِحِ ٱلنَّظَرِ . لَا يَرْقُدُ وَلَا يَكْرَى . إِلَّا وَهُوَ يَقْظَانُ ٱلذِّكْرَى . يَسْتَنْبِطُ ٱلْعِظَةَ مِنَ ٱللَّمْحِ ٱلْخَفِيِّ . وَيَسْتَجْلِبُ ٱلْعِبْرَةَ مِنَ ٱلطَّرْفِ ٱلْقَصِيِّ . فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى بَنَاتِ نَعْشٍ فَٱسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِي نَعْشٍ فَٱسْتَحْلِبْ عَبْرَتَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مِنَ ٱلْجَوَائِزِ . أَنْ تَرُوحَ غَدًا عَلَى ٱلْجَنَائِزِ

٧ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ) أَلْكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى ٱلضَّيْمِ نَبَا . وَٱلسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ ٱلْخَسْفَ أَبَى . وَٱلرَّزِينُ ٱلْمُحْتَبِي بِحِمَالَةِ ٱلْحِلْمِ . يَنْفِرُ نَفْرَةَ ٱلْوَحْشِيِّ عَنِ ٱلظُّلْمِ . إِشْفَاقًا عَلَى ظُفْرِهِ أَنْ يُقَلَّمَ . وَعَلَى ظَهْرِهِ أَنْ يُكَلَّمَ . وَقَلَّمَا عُرِفَتِ ٱلْأَنَفَةُ وَٱلْإِبَاءُ . فِي غَيْرِ مَنْ شَرُفَتْ مِنْهُ ٱلْآبَاءُ . وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَطِبْ لَهُ عِرْقٌ . وَذَنَبُ ٱلْكَلْبِ مَا بِهِ طِرْقٌ

٨ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ) أَلْوَجْهُ ذُو ٱلْوَقَاحَةِ . مِنْ وُجُوهِ ٱلرَّقَاحَةِ . يُفِيءُ عَلَى صَاحِبِهِ ٱلْأَنْفَالَ . وَيَفْتَحُ لَهُ ٱلْأَقْفَالَ . وَيُلْقِطُهُ ٱلْأَرْطَابَ . وَيُلْقِمُهُ مَا ٱسْتَطَابَ . وَيُجَسِّرُهُ عَلَى قَوْلِ ٱلْمُنْطِيقِ . وَيُيَسِّرُ لَهُ فِعْلَ مَا لَا يُطِيقُ . وَكُلُّ ذِي وَجْهٍ حَيِيٍّ . ذُو لِسَانٍ عَيِيٍّ . مُعْتَقَلٌ لَا يَنْشَطُ لِمَقَالٍ . وَلَا يُنْشَطُ مِنْ عِقَالٍ . وَلَا يَزَالُ ضَيِّقَ ٱلذَّرْعِ . بَكِيءَ ٱلضَّرْعِ . يَشْبَعُ غَيْرُهُ وَهُوَ طَيَّانُ . وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رَيَّانُ . وَلَكِنْ لَا كَانَ مَنْ يَتَوَقَّحُ . لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَفَّهَ وَيَتَرَقَّحَ . فَلَعَمْرِي مَا ٱلنَّائِلُ ٱلْوَتِحُ . إِلَّا مَا

نَالَهُ ٱلْوَقِحُ. وَأَيْمُ ٱللهِ إِنَّ ٱلرَّشْحَةَ فِي ٱلْجَبِينِ. أَحْسَنُ مِنَ ٱلشَّمَمِ فِي ٱلْعِرْنِينِ. وَلَئِنْ تَفْرَعِرْضَكَ وَمَا فِي سِقَائِكَ جُرْعَةٌ. خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمْلِكَ ٱلْبَحْرَ وَمَا فِي وَجْهِكَ مُزْعَةٌ

٩ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ) عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ وَبُعْدُ ٱلْهِمَّةِ. أَلْمَوْتُ ٱلْأَحْمَرُ وَٱلْخُطُوبُ ٱلْمُدْلَهِمَّةُ. وَلٰكِنْ مَنْ عَرَفَ مَنْهَلَ ٱلذُّلِّ فَعَافَهُ. إِسْتَعْذَبَ نَقِيعَ ٱلْعِزِّ وَذُعَافَهُ. وَمَنْ لَمْ يَصْطَلِ بِجَرِّ ٱلْهَيْجَاءِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ ٱلْمَغْنَمِ. وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ أَسَدِ ٱللِّقَاءِ لَمْ يُصِبْ أَطْرَافًا كَٱلْغَنَمِ. وَتَحْتَ عَلَمِ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُطَاعِ. ذُكُرُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَنْطَاعِ. وَمَنْ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهِ عُسْرٌ يَقِذُهُ. لَمْ يَقِيضْ لَهُ يُسْرٌ يُنْقِذُهُ. وَمَا ٱلْحِكْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ إِلَّا هِيَ. وَهِيَ ٱلْقَاعِدَةُ ٱلَّتِي أُمِرَ عَلَيْهَا ٱلْعَبْدُ وَنُهِيَ. أَلْيَوْمَ عَزَاءٌ فِي كَأْفٍ وَكُرَبٍ. وَغَدًا جَزَاءٌ بِزُلْفٍ وَقُرَبٍ

١٠ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْحَادِيَةُ وَٱلْعِشْرُونَ) لَا تَنْتَفِعُ بِمَا لَا تَنِي أَنْ تَبْتَنِيَ وَتَقْتَنِيَ. وَتَعْتَنِ بِغَرْسِ مَا لَا تَجْتَنِي. هَلُمَّ إِلَى ٱسْتِشَارَةِ عَقْلِكَ فَتَبَصَّرْ. وَإِلَى ٱسْتِخَارَةِ ذِهْنِكَ فَتَدَبَّرْ. وَقُلْ لِي إِذَا شَقَّ بَصَرُكَ. وَٱشْتَدَّ حَصَرُكَ. وَعَايَنْتَ ٱلْجِدَّ فَشَغَلَكَ عَنْ دَدِكَ. وَأَوْحَشَكَ تَفْرِيطُكَ فَسُقِطَ فِي يَدِكَ. مَا يُغْنِي حِينَئِذٍ عَنْكَ بُنْيَانُكَ. وَمَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ قُنْيَانُكَ. وَهَلْ يَنْفَعُكَ نَخِيلُكَ ٱلصِّنْوَانُ وَغَيْرُ ٱلصِّنْوَانِ. أَمْ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَخْرُجُ مِنْ طَلْعِهَا مِنَ ٱلْقِنْوَانِ

١١ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ وَٱلْعِشْرُونَ) خَلِّ عَنْ يَدِكَ ٱلْبَاطِلَ وَٱللَّدَدَ.

وَاعْتَنِقِ الْجِدَّ وَالْزَمِ الْجَدَدَ . إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَكَ جِداً لَا عَبَثًا . وَفَطَرَكَ إِبْرِيزًا لَا اخَبَثًا . لَوْلَا أَنَّ نَفْسَكَ بِكَسْبِهَا الْخَبِيثِ خَبَّثَتْكَ . وَبِلَطْخِ عَمَلِهَا السَّيِّئِ لَوَّثَتْكَ . فَأَرْخَيْتَ عِنَانَكَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مَزْجُورٌ . وَتَوَلَّيْتَ بِرُكْنِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مَأْجُورٌ . إِلْقَاءَ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَإِضَاعَةَ لِحَظِّكَ فِي عَظِيمِ الْمَهْلَكَةِ

١٢ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ) مَنْ لِعَمَلٍ كَالظَّهْرِ الدَّبِرِ . وَمَنْ لِقَلْبٍ كَالْجُرْحِ الْغَبِرِ . دُووِيَ بِكُلِّ دَوَاءٍ فَلَمْ يَنْجَعْ . وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ فَلَمْ يَنْفَعْ . مَتَى رَفَوْتَ مِنْهُ جَانِبًا إِنْتَقَضَ عَلَيْهِ آخَرُ . وَإِذَا سَدَدْتَ مِنْ فَسَادِهِ مَنْخَرًا جَاشَ مَنْخَرٌ . ضَاقَتْ عَنْ تَدْبِيرِهِ فِطَنُ الْأَنَاسِيِّ . وَأَعْضَلَ عِلَاجُهُ عَلَى الطَّبِيبِ النِّطَاسِيِّ . فَيَا وَيْلَتَا مِنْ هٰذَا السَّقَامِ . وَيَا غَوْثَا مِنْ هٰذَا الدَّاءِ الْعُقَامِ . وَمَا أَحَقَّ بِمِثْلِي أَنْ يَبِيتَ بِلَيْلَةِ سَلِيمٍ . كُلَّمَا تُلِيَتْ : إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

١٣ (الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ) إِحْرِصْ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ . عَلَى أَنْ تَكُونَ لَكَ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ . فَلَنْ يَسْعَدَ إِلَّا التَّقِيُّ . وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُ فَهُوَ شَقِيٌّ . قَبْلَ أَنْ تَرَى الشَّيْبَ الْمُجَلِّلَ . وَالصُّلْبَ الْمُهَلِّلَ . وَالْجِلْدَ الْمُتَشَنِّنَ . وَالرَّأْيَ الْمُتَفَنِّنَ . وَالنَّوْءَ الْمُتَخَاذِلَ . وَالْوَطْءَ الْمُتَثَاقِلَ . وَالرَّثْيَةَ فِي الْمَفَاصِلِ نَاهِضَةً . وَالرَّعْشَةَ لِلْأَنَامِلِ نَافِضَةً . وَقَبْلَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَادِرٌ . وَلَا تَصْدُرَ عَمَّا أَنْتَ عَنْهُ صَادِرٌ

١٤ (الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ) قَلْبُكَ آمِنٌ . وَجَأْشُكَ مُتَطَامِنٌ .

وَرَأْيُكَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ بَاتِرٌ . وَشَوْقُكَ إِلَى مَا عِنْدَ ٱللهِ فَاتِرٌ . وَأَنْتَ مُتَرَفِّهٌ مُتْرَفٌ . أَطْيَبُ قِطْفٍ لَكَ مُخْتَرَفٌ . فِي أَكْنَافِ ٱلسَّعَةِ رَاتِعٌ . وَلِأَخْلَافِ ٱلدَّعَةِ رَاضِعٌ . وَفِي تِيهِ ٱلْغَفَلَاتِ هَائِمٌ . كَأَنَّكَ إِحْدَى ٱلْبَهَائِمِ مَا هٰذَا خُلُقُ ٱلْمُؤْمِنِ . وَلَا هٰكَذَا صِفَةُ ٱلْمُوقِنِ . ٱلْمُؤْمِنُ رَاهِبٌ رَاغِبٌ . سَاغِبٌ لَاغِبٌ . ذُو هَيْئَةٍ بَذَّةٍ . مُحْتَمٍ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ . إِنْ رَأَى مِنْ نَفْسِهِ جِمَاحًا أَلْجَمَ وَحَجَرَ . وَإِنْ أَحَسَّ مِنْهَا مَطْمَعًا أَلْقَمَهَا ٱلْحَجَرَ

١٥ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّالِثَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) يَا عَبْدَ ٱلدِّينَارِ وَٱلدِّرْهَمِ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا . وَيَا أَسِيرَ ٱلْحِرْصِ وَٱلطَّمَعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا . هَيْهَاتَ لَا عَتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ ٱلْمُمَزَّقِ . وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُفَادِيَ بِخَيْرِكَ ٱلْمُلَزَّقِ . يَا مَنْ يُشْبِعُهُ ٱلْقُرْصُ . مَا هٰذَا ٱلْحِرْصُ . وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ ٱلْجُرَعُ . مَا هٰذَا ٱلْجَزَعُ . سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا تَنَدَّمْتَ . أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ . وَإِذَا لَقِيتَ ٱلْمَنُونَ . لَمْ يَنْفَعْكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . مَا يَصْنَعُ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ . عَابِرُ هٰذِهِ ٱلْقَنْطَرَةِ . وَمَا يُرِيدُ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلْفَرْحَةِ . نَازِلُ ظِلِّ هٰذِهِ ٱلسَّرْحَةِ

١٦ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) لَمْ أَرَ فَرَسَيْ رِهَانٍ . مِثْلَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبُرْهَانِ . لِلّٰهِ دَرُّهُمَا مُتَخَاصِرَيْنِ . وَلَا عَدِمْتُهُمَا مِنْ مُتَنَاصِرَيْنِ . أَصْطَحَبَا غَيْرَ مُتَبَايِنَيْنِ . أَصْطِحَابَ أَبَانَيْنِ . مَنْ شَدَّ يَدَهُ بِغَرْزِهِمَا . فَقَدِ ٱعْتَزَّ بِعِزِّهِمَا . وَمَنْ زَلَّ عَنْهُمَا فَهُوَ مِنَ ٱلذِّلَّةِ أَذَلُّ . وَمِنَ ٱلْقِلَّةِ أَقَلُّ

١٧ (أَلْمَقَالَةُ ٱلتَّاسِعَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلشَّيْبُ نَاهِيكَ بِهِ نَاهِيًا .

فَمَالِي أَرَاكَ سَاهِيًا لَاهِيًا . أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْبَعْ . فَهٰذِهِ أُخْرَى ٱلْمَرَاحِلِ ٱلْأَرْبَعِ . وَمَنْ بَلَغَ رَابِعَةَ ٱلْمَرَاحِلِ . فَقَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلسَّاحِلَ . وَمَا بَعْدَهَا إِلَّا ٱلْمَوْرِدُ ٱلَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ . وَلَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو بِوُرُودِهِ أَجْدَرُ . هُوَ لَعَمْرُ ٱللّٰهِ مَشْرَعٌ . جَمِيعُ ٱلنَّاسِ فِيهِ شَرَعٌ . وَأَحَقُّهُمْ بِٱلِٱسْتِعْدَادِ لَهُ مَنْ شَارَفَهُ وَأَوْلَاهُمْ بِٱلْإِشْفَاقِ لَهُ مَنْ قَارَفَهُ

١٨ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلثَّالِثَةُ وَٱلْأَرْبَعُونَ) مَا لِعُلَمَاءِ ٱلسُّوءِ جَمَعُوا عَزَائِمَ ٱلشَّرْعِ وَدَوَّنُوهَا . ثُمَّ رَخَّصُوا فِيهَا لِآرَاءِ ٱلسُّوءِ وَهَوَّنُوهَا . لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَرْعَوْا شُرُوطَهَا لَمْ يَعُوهَا . وَإِذْ لَمْ يُسْمِعُوهَا كَمَا هِيَ لَمْ يَسْمَعُوهَا . إِنَّمَا حَفِظُوا وَعَلَّقُوا . وَصَفَّقُوا وَحَلَّقُوا . لِيَقْمُرُوا ٱلْمَالَ وَيَيْسِرُوا . وَيُفْقِرُوا ٱلْأَيْتَامَ وَيُوسِرُوا . إِذَا أَنْشَبُوا أَظْفَارَهُمْ فِي نَشَبٍ فَمَنْ يَخْلُصُ . وَإِنْ قَالُوا لَا نَفْعَلُ أَوْ يُزَادَ كَذَا فَمَنْ يَنْقُصُ . دَرَارِيعُ خَتَّالَةٌ . مِلْؤُهَا ذَرَارِيحُ قَتَّالَةٌ . وَأَكْمَامٌ وَاسِعَةٌ . فِيهَا أَصْلَالٌ لَاسِعَةٌ . وَأَقْلَامٌ . كَأَنَّهَا أَزْلَامٌ . وَفَتْوَى . يَعْمَلُ بِهَا ٱلْجَاهِلُ فَيَتْوَى . فَإِنْ وَازَنْتَ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ وَٱلشُّرَطِ . وَجَدْتَ ٱلشُّرَطَ أَبْعَدَ مِنَ ٱلشَّطَطِ . حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِٱلدِّينِ ٱلدُّنْيَا . وَلَمْ يُثِيرُوا ٱلْفِتْنَةَ بِٱلْفُتْيَا

١٩ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلْأَرْبَعُونَ) هَبْ أَنَّكَ ٱتَّقَيْتَ ٱلْكَبَائِرَ ٱلَّتِي نُصَّتْ . وَتَجَنَّبْتَ ٱلْعَظَائِمَ ٱلَّتِي قُصَّتْ . وَرُضْتَ نَفْسَكَ مَعَ ٱلرَّائِضِينَ . عَلَى أَنْ لَا تَخُوضَ مَعَ ٱلْخَائِضِينَ . فَمَا قَوْلُكَ فِي هَنَاتٍ تُوجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ . وَفِي هَفَوَاتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَإِيَّاكَ مُمَزِّقُ ٱلشِّلْوِ

مَأكُولٌ. وَإِلَى ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِاقْتِرَافِهَا مَوْكُولٌ. فَمَثَلُكَ مَثَلُ ٱلرِّئْبَالِ. فِي مُحَامَاتِهِ عَنِ ٱلْأَشْبَالِ. يَصُدُّ عَنِ ٱلتَّصَدِّي لَهَا ٱلْبَطَلَ ٱلْحَمِيسَ. بَلْ يَرُدُّ عَنْ مَرَابِضِهَا ٱلْخَمِيسَ. ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو ٱلشِّبْلِ وَٱلنَّمْلُ إِلَى ٱبْنِهِ كَٱلْحَبْلِ. وَهِيَ بِأَوْصَالِهِ مُطِيفَةٌ. كَأَنَّمَا كَسَتْهُ قَطِيفَةً. فَمَا أَغْنَى عَنْهُ ذِيَادُهُ. حَتَّى تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٢٠ (أَلْمَقَالَةُ ٱلسَّابِعَةُ وَٱلْأَرْبَعُونَ) أَلْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى جِدِّهِ. لَمْ يَزُلْ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ. وَذُو ٱلرَّأْيِ ٱلْجَزْلِ. مَنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْهَزْلِ. وَكَيْفَ يَكُونُ حَازِمًا مَنْ هُوَ مَازِحٌ. هَيْهَاتَ ٱلْبَوْنُ بَيْنَهُمَا نَازِحٌ. وَكَفَاكَ أَنَّ ٱلْمَزْحَ. مَقْلُوبُ ٱلْحَزْمِ كَمَا أَنَّ ٱلْحَزْمَ مَقْلُوبُ ٱلْمَزْحِ. رُبَّ كَلِمَةٍ غَمَسَتْكَ فِي ٱلذُّنُوبِ. وَأَفْرَغَتْ عَلَى أَخِيكَ مِلْءَ ٱلذَّنُوبِ. فَإِنْ كَانَ حُرًّا زَرَعَتِ ٱلْغِمْرَ فِي سُوَيْدَائِهِ. وَإِنْ كَانَ عَبْدًا نَزَعَتِ ٱلْمَهَابَةَ مِنْ أَحْشَائِهِ. وَتَقُولُ إِنَّهَا مُزَاحَةٌ. وَعَلَيْكَ فِي أَنْ تَقُولَهَا مُزَاحَةٌ. وَيْحَكَ يَا تِلْعَابَةُ. لَوْ عَلِمْتَ مَا فِي ٱلدُّعَابَةِ. لَأَطَعْتَ فِي ٱطِّرَاحِهَا نُهَاتَكَ. وَلَمَا غَرْغَرْتَ بِهَا لَهَاتَكَ أَسَرَّكَ أَنْ دَاعَبْتَ ٱلرَّجُلَ فَضَحِكَ. وَلَمْ تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذَلِكَ فَضَحَكَ. حَيْثُ أَعْلَمَ لَوْ فَطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ. أَنَّكَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَضْحُوكُ مِنْ كَلَامِهِ. وَذَلِكَ مَا لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ. أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ ٱلسُّخَفَاءِ

٢١ (أَلْمَقَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلسِّتُّونَ) شِبْتَ وَغَرَامُكَ مَا وَخَطَ عَارِضَيْهِ مَشِيبٌ. وَنَمَحَتْ وَغَرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ. مَالِي أَرَاكَ صَعْبَ ٱلْمِرَاسِ. جَامِحَ ٱلرَّاسِ. كَأَنَّ وَافِدَ ٱلْمَشِيبِ لَمْ يَخْطِمْكَ. وَكَأَنَّ ٱرْتِقَاءَ

ٱلسِّنِّ لَمْ يَحْطِمْكَ . أَلشَّيْخُوخَةُ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سَمْتًا . وَأَنْتَ مَا أَكْسَبَتْكَ إِلَّا أَمْتًا . لَوْ عَلِمْتَ أَيَّ وَفْدٍ حَلَّ بِفَوْدِكَ . لَتَبَرْقَعْتَ حَيَاءً مِنْ وَفْدِكَ . وَلٰكِنَّ مُحَيَّاكَ لَمْ يَتَعَلَّمِ ٱلْحَيَاءَ . وَلَمْ يَتَهَجَّ مِنْ حُرُوفِهِ ٱلْحَاءَ وَلَا ٱلْيَاءَ . تَثِبُ إِلَى ٱلشَّرِّ كَمَا تَثِبُ ٱلظِّبَاءُ . وَتَلْهَثُ إِلَى ٱللَّهْوِ كَمَا يَلْهَثُ ٱلظِّمَاءُ . إِنْ حَمْحَمَ ٱلْبَاطِلُ فَأَسْمَعُ مِنْ سِمْعٍ . وَإِنْ هَمْهَمَ ٱلْحَقُّ فَكَأَنَّكَ بِلَا سَمْعٍ . حَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى ٱلرِّيَاضَاتِ وَهِيَ رَيِّضَةٌ . وَمَنْ يَحْتَابُ ٱلْآبَاءَ مِنَ ٱللَّبُوَةِ ٱلْمُغْيِضَةِ

خطبة لبديع الزمان الهمذاني

٢٢ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى . وَإِنَّ مَعَ ٱلْيَوْمِ غَدًا . وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ . فَأَعِدُّوا لَهَا مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإِنَّ بَعْدَ ٱلْمَعَاشِ مَعَادًا . فَأَعِدُّوا لَهَا زَادًا . أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ ٱلْمَحَجَّةُ . وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةُ . مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْخَبَرِ . وَمِنَ ٱلْأَرْضِ بِٱلْعِبَرِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلَّذِي بَدَأَ ٱلْخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي ٱلْعِظَامَ رَمِيمًا . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ جِهَازٍ . وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ . مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ . وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ . أَلَا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ ٱلْفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ ٱلْحَبَّ فَمَنْ يَرْتَعْ . يَقَعْ . وَمَنْ يَلْقُطْ . يَسْقُطْ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْفَقْرَ حِلْيَةُ ٱلْعَاقِلِ فَٱكْتَسُوهَا . وَٱلْغِنَى حُلَّةُ ٱلطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا . كَذَبَتْ ظُنُونُ ٱلْمُلْحِدِينَ . ٱلَّذِينَ جَحَدُوا ٱلدِّينَ . وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُ عِضِينَ . إِنَّ بَعْدَ ٱلْحَدَثِ جَدَثًا . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا . فَحَذَارِ حَرَّ ٱلنَّارِ . وَبِدَارِ عُقْبَى ٱلدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَّاتِهِ . وَٱلْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى

ٱلَاتِهِ. وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ. إِنْ شَقِيَ بِكُمُ ٱلْعُلَمَاءُ. ٱلنَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ. فَإِنِ ٱنْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ. نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ. وَٱلنَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ يَرْعَى. وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى. وَٱلْبَاقُونَ هَامِلُ نَعَامٍ. وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ. وَيْلُ عَالِ أَمْرٍ مِنْ سَافِلِهِ. وَعَالِمِ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ. وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ ٱلْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ ٱلنَّاسَ وَيَقُولُ: يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى ٱلْحَيَاةِ رُكُونُكِ. وَإِلَى ٱلدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكِ. أَمَا ٱعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكِ. وَبِمَنْ وَارَتْهُ ٱلْأَرْضُ مِنْ آلَافِكِ. وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ. وَنُقِلَ إِلَى دَارِ ٱلْبِلَى مِنْ أَقْرَانِكِ:

فَهُمْ فِي بُطُونِ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ ... وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ ٱلْمَنَايَا ٱلْمَقَادِرُ
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا ... وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ ٱلْحَفَائِرُ

كَمِ ٱخْتَلَسَتْ أَيْدِي ٱلْمَنُونِ. مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ. وَكَمْ غَيَّرَتْ بِبِلَاهَا. وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ ٱلرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا:

وَأَنْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَى خَطَرٍ تُمْسِي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا ... أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ ٱمْرَءًا يَسْعَى لِدُنْيَاهُ جَاهِدًا ... وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ

ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْخَالِيَةِ. وَٱلْمُلُوكِ ٱلْفَانِيَةِ. كَيْفَ ٱنْتَسَفَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ. وَأَفْنَاهُمُ ٱلْحِمَامُ. فَٱنْمَحَتْ آثَارُهُمْ. وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ:

فَأَضْحَوْا رَمِيمًا فِي ٱلتُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ ... مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ

وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا ‌ ‌ ‌ وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ ‌ ‌ ‌ وَأَنَّى لِسُكَّانِ ٱلْقُبُورِ ٱلتَّزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُمُوساً ثَوَوْا بِهَا ‌ ‌ ‌ مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا ٱلْأَعَاصِرُ

كَمْ عَايَنْتَ مِنْ عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ . وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ . قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ . وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ . فَبَنَى ٱلْحُصُونَ وَٱلدَّسَاكِرَ . وَجَمَعَ ٱلْأَعْلَاقَ وَٱلْعَسَاكِرَ :

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ ٱلْمَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ ‌ ‌ ‌ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ ٱلذَّخَائِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ ٱلْحُصُونُ ٱلَّتِي بَنَى ‌ ‌ ‌ وَحُفَّتْ بِهِ أَنْهَارُهَا وَٱلدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ ٱلْمَنِيَّةَ حِيلَةٌ ‌ ‌ ‌ وَلَا طَمِعَتْ فِي ٱلذَّبِّ عَنْهُ ٱلْعَسَاكِرُ

يَا قَوْمِ ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ . وَٱلْبِدَارَ ٱلْبِدَارَ . مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا . وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصَايِدِهَا . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا . وَٱسْتَشْرَفَتْ لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا :

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتُ مِنْ فَجَعَاتِهَا ‌ ‌ ‌ إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِٱلزُّهْدِ آمِرُ
فَجُدَّ وَلَا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ ‌ ‌ ‌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ ٱلْمَنِيَّةِ صَائِرُ
وَلَا تَطْلُبِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ طِلَابَهَا ‌ ‌ ‌ وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ

وَكَيْفَ يَحْرِصُ عَلَيْهَا لَبِيبٌ . أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرِيبٌ . وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَنَائِهَا لَا تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنَامُ وَهُوَ يَخْشَى ٱلْمَوْتَ . وَلَا يَرْجُو ٱلْفَوْتَ :

أَلَا لَا وَلٰكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا ‌ ‌ ‌ وَتَشْغَلُهَا ٱللَّذَّاتُ عَمَّا تُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ‌ ‌ ‌ بِمَوْقِفِ عَدْلٍ حَيْثُ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا ‌ ‌ ‌ سُدًى مَا لَنَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مَصَائِرُ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا . فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمُوَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ . حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الِاسْتِعْبَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ الِاعْتِذَارُ :

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَاذِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَى وَالْحَنَاجِرُ

فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكَبُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ . إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ . يَارَافِعَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ . أَبِهٰذَا أَمَرَكَ الرَّحْمٰنُ . أَمْ عَلَى هٰذَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ :

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللهِ عَاذِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِي الْحَيَاةَ وَتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

نخبة من خطب الحريري

٢٣ أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلَائِهِ . الْجَامِحُ فِي

جهالاتِهِ . الجانِحُ إلى خزعبلاتِهِ . إلى مَ تستمِرُّ على غيِّك . وتستمرئُ مرعى بغيِك . وحتَّى مَ تتناهى في زهوِكَ . ولا تنتهي عن لهوِكَ . تُبارِزُ بمعصيتِكَ . مالِكَ ناصيتِكَ . وتجترئُ بقُبحِ سيرتِكَ . على عالِمِ سريرتِكَ . وتتوارى عن قريبِكَ . وأنتَ بمرأى رقيبِكَ . وتستخفي من مملوكِكَ . وما تخفى خافيةٌ على مليكِكَ . أتظنُّ أن ستنفعُكَ حالُكَ . إذا آنَ ارتحالُكَ . أو يُنقذُكَ مالُكَ . حينَ توبِقُكَ أعمالُكَ . أو يُغني عنكَ ندمُكَ . إذا زلَّت قدمُكَ . أو يعطِفُ عليكَ معشرُكَ . يومَ يضُمُّكَ محشرُكَ . هلَّا انتهجتَ محجَّةَ اهتدائِكَ . وعجَّلتَ معالجةَ دائِكَ . وفلَلتَ شباةَ اعتدائِكَ . وقدعتَ نفسَكَ فهيَ أكبرُ أعدائِكَ . أما الحِمامُ ميعادُكَ . فما إعدادُكَ . وبالمشيبِ إنذارُكَ . فما إعذارُكَ . وفي اللَّحدِ مقيلُكَ . فما قيلُكَ . وإلى اللهِ مصيرُكَ . فمن نصيرُكَ . طالما أيقظَكَ الدَّهرُ فتناعستَ . وجذبَكَ الوعظُ فتقاعستَ . وتجلَّت لكَ العِبَرُ فتعاميتَ . وحصحصَ لكَ الحقُّ فتماريتَ . وأذكرَكَ الموتُ فتناسيتَ . وأمكنكَ أن تُؤاسيَ فما آسيتَ . تُؤثِرُ فلساً توعيهِ . على ذكرٍ تعيهِ . وتختارُ قصراً تُعليهِ . على برٍّ توليهِ . وترغبُ عن هادٍ تستهديهِ . إلى زادٍ تستهديهِ . وتُغلِّبُ حُبَّ ثوبٍ تشتهيهِ . على ثوابٍ تشتريهِ . يواقيتُ الصِّلاتِ . أعلقُ بقلبِكَ من مواقيتِ الصَّلاةِ . ومغالاةُ الصَّدُقاتِ . آثرُ عندكَ من موالاةِ الصَّدقاتِ . وصِحافُ الألوانِ . أشهى إليكَ من صحائفِ الأديانِ . ودُعابةُ الأقرانِ . آنسُ لكَ

مِنْ تِلاوَةِ ٱلْقُرْآنِ. تَأْمُرُ بِٱلعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِماهُ. وَتَحْمِي عَنِ ٱلْنُكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ. وَتُزَحْزِحُ عَنِ ٱلظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ. وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا ٱنْصِبَابَهْ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهْ

٢٤ وله ايضاً من خطبة

أَيَا مَنْ يَدَّعِي ٱلْفَهْمْ إِلَى كَمْ يَا أَخَا ٱلْوَهْمْ تُعَبِّي ٱلذَّنْبَ وَٱلذَّمّْ
وَتُخْطِي ٱلْخَطَأَ ٱلْجَمّْ
أَمَا بَانَ لَكَ ٱلْعَيْبْ أَمَا أَنْذَرَكَ ٱلشَّيْبْ وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبْ
وَلَا سَمْعُكَ قَدْ صَمّْ
أَمَا نَادَى بِكَ ٱلْمَوْتْ أَمَا أَسْمَعَكَ ٱلصَّوْتْ أَمَا تَخْشَى مِنَ ٱلْفَوْتْ
فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمّْ
فَكَمْ تَسْدَرُ فِي ٱلسَّهْوْ وَتَخْتَالُ مِنَ ٱلزَّهْوْ وَتَنْصَبُّ إِلَى ٱللَّهْوْ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ مَا عَمّْ
وَحَتَّامَ تَجَافِيكْ وَإِبْطَاءُ تَلَافِيكْ طِبَاعًا جَمَّعَتْ فِيكْ
عُيُوبًا شَمْلُهَا ٱنْضَمّْ
إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلَاكْ فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكْ وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكْ
تَلَظَّيْتَ مِنَ ٱلْهَمّْ

وَإِنْ لَاحَ لَكَ ٱلنَّقْشْ مِنَ ٱلْأَصْفَرِ تَهْتَشّْ وَإِنْ مَرَّ بِكَ ٱلنَّعْشْ
تَغَامَمْتَ وَلَاغَمّْ

تُعَاصِي ٱلنَّاصِحَ ٱلْبَرّْ وَتَعْتَاصُ وَتَزْوَرّْ وَتَنْقَادُ لِمَنْ غَرّْ
وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمّْ

وَتَسْعَى فِي هَوَى ٱلنَّفْسْ وَتَحْتَالُ عَلَى ٱلْفَلْسْ وَتَنْسَى ظُلْمَةَ ٱلرَّمْسْ
وَلَا تَذْكُرُ مَا ثَمّْ

وَلَوْ لَاحَظَكَ ٱلْحَظّْ لَمَا طَاحَ بِكَ ٱللَّحْظْ وَلَا كُنْتَ إِذَا ٱلْوَعْظْ
جَلَا ٱلْأَحْزَانَ تَغْتَمّْ

سَتَذْرِي ٱلدَّمَ لَا ٱلدَّمْعْ إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعْ يَقِي فِي عَرْصَةِ ٱلْجَمْعْ
وَلَا خَالَ وَلَا عَمّْ

كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطّْ إِلَى ٱللَّحْدِ وَتَنْغَطّْ وَقَدْ أَسْلَمَكَ ٱلرَّهْطْ
إِلَى أَضْيَقَ مِنْ سَمّْ

هُنَاكَ ٱلْجِسْمُ مَمْدُودْ لِيَسْتَأْكِلَهُ ٱلدُّودْ إِلَى أَنْ يَنْخَرَ ٱلْعُودْ
وَيُمْسِي ٱلْعَظْمُ قَدْ رَمّْ

وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدّْ مِنَ ٱلْعَرْضِ إِذَا ٱعْتُدّْ صِرَاطٌ جِسْرُهُ مُدّْ
عَلَى ٱلنَّارِ لِمَنْ أَمّْ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلّْ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلّْ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلّْ
وَقَالَ ٱلْخَطْبُ قَدْ طَمّْ

فَبَادِرْ أَيُّهَا ٱلْغُمْرْ لِمَا يَحْلُو بِهِ ٱلْمُرّْ فَقَدْ كَادَ يَهِي ٱلْعُمْرْ

وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمّْ

وَلَا تَرْكَنْ إِلَى ٱلدَّهْرْ وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرّْ فَتُلْفَى كَمَنِ ٱغْتَرّْ

بِأَفْعَى تَنْفُثُ ٱلسَّمّْ

وَخَفِّضْ مِنْ تَرَاقِيكْ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَاقِيكْ وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكْ

وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمّْ

وَجَانِبْ صَعَرَ ٱلْخَدّْ إِذَا سَاعَدَكَ ٱلْجَدّْ وَزُمَّ ٱللَّفْظَ إِنْ نَدّْ

فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمّْ

وَنَفِّسْ عَنْ أَخِي ٱلْبَثّْ وَصَدِّقْهُ إِذَا نَثّْ وَرُمَّ ٱلْعَمَلَ ٱلرَّثّْ

فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمّْ

وَرِشْ مَنْ رِيشُهُ ٱنْحَصّْ بِمَا عَمَّ وَمَا خَصّْ وَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلنَّقْصْ

وَلَا تَحْرِصْ عَلَى ٱللَّمّْ

وَعَادِ ٱلْخُلُقَ ٱلرَّذْلْ وَعَوِّدْ كَفَّكَ ٱلْبَذْلْ وَلَا تَسْتَمِعِ ٱلْعَذْلْ

وَنَزِّهْهَا عَنِ ٱلْغَمّْ

وَزَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلْخَيْرْ وَدَعْ مَا يُعْقِبُ ٱلضَّيْرْ وَهَيِّئْ مَرْكَبَ ٱلسَّيْرْ

وَخَفْ مِنْ لُجَّةِ ٱلْيَمّْ

بِذَا أُوصِيتُ يَا صَاحْ وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاحْ فَطُوبَى لِفَتًى رَاحْ

بِآدَابِي يَأْتَمّْ

وله من خطبة وهي عريّة من الإعجام

٢٥ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَمْدُوحِ ٱلْأَسْمَاءِ • ٱلْمَحْمُودِ ٱلْآلَاءِ • ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَطَاءِ

المدعو لحسم اللأواء. مالك الأمم. ومصور الرمم. ومكرم أهل السماح
والكرم. ومهلك عاد وإرم. أدرك كل سر علمه. ووسع كل مصر
حلمه. وعم كل عالم طوله. وهد كل مارد حوله. أحمده حمد موحد
مسلم. وأدعوه دعاء مؤمل مسلم. وهو الله لا إله إلا هو الواحد
الأحد. العادل الصمد....ما همر ركام. وهدر حمام. وسرح سوام.
وسطا حسام. إعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء. واكدحوا لمعادكم كدح
الأصحاء. واردعوا أهواءكم ردع الأعداء. وأعدوا للرحلة إعداد
السعداء. وادرعوا حلل الورع. وداووا علل الطمع. وسووا أود
العمل. وعاصوا وساوس الأمل. وصوروا لأوهامكم حؤول الأحوال.
وحلول الأهوال. ومساورة الأعلال. ومصارمة المال والآل.
واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه. واللحد ووحدة
مودعه. والملك وروعة سؤاله ومطلعه. والمحوا الدهر ولؤم كره.
وسوء محاله ومكره. كم طمس معلما. وأمر مطعما. وطحطح عرمرما.
ودمر ملكا مكرما. همه سك المسامع. وسح المدامع. وإكداء
المطامع. وإرداء المسمع والسامع. عم حكمه الملوك والرعاع.
والمسود والمطاع. والمحسود والحساد. والأساود والآساد. ما مول
إلا مال. وعكس الآمال. وما وصل إلا وصال. وكلم الأوصال.
ولا سر إلا وساء. ولؤم وأساء. ولا أصح إلا ولد الداء. وروع الأوداء.
الله الله. رعاكم الله. إلام مداومة اللهو. ومواصلة السهو. وطول

الإصرار . وحمل الآصار . واطّراح كلام الحكماء . ومعاصاة إله السماء . أما الهرم حصادكم . والمدر مهادكم . أما الحمام مدرككم . والصراط مسلككم . أما الساعة موعدكم . والساهرة موردكم . أما أهوال الطامّة لكم مرصدة . أما دار العصاة الحطمة الموصدة . حارسهم مالك . ورواؤهم حالك . وطعامهم السموم . وهواؤهم السموم . لا مال أسعدهم ولا ولد . ولا عدد حماهم ولا عُدد . ألا رحم الله امرأ ملك هواه . وأمّ مسالك هداه . وأحكم طاعة مولاه . وكدح لروح مأواه . وعمل ما دام العمر مطاوعا . والدهر موادعا . والصحّة كاملة . والسلامة حاصلة . وإلا دهمه عدم المرام . وحصر الكلام . وإلمام الآلام . وحموم الحمام . وهدوّ الحواسّ . ومراس الأرماس . آهًا لها حسرة ألمها مؤكّد . وأمدها سرمد . وممارسها مكمد . ما لولهه حاسم . ولا لسدمه راحم . ولا له ممّا عراه عاصم . ألهمكم الله أحمد الإلهام . وردّاكم رداء الإكرام . وأحلّكم دار السلام . وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملّة الإسلام . وهو أسمح الكرام . والمسلّم والسلام

وله من خطبة أخرى

٢٦ مسكين ابن آدم وأيّ مسكين . ركن من الدنيا إلى غير ركين . واستعصم منها بغير مكين . وذبح من حبّها بغير سكّين . يكلف بها لغباوته . ويكالب عليها لشقاوته . ويعتدّ فيها لمفاخرته . ولا يتزوّد منها

لِآخِرَتِهِ. أُقْسِمُ بِمَنْ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ. وَنَوَّرَ ٱلْقَمَرَيْنِ. وَرَفَعَ قَدْرَ ٱلْحَجَرَيْنِ. لَوْ عَقَلَ ٱبْنُ آدَمَ. لَمَا نَادَمَ. وَلَوْ فَكَّرَ فِي مَا قَدَّمَ لَبَكَى ٱلدَّمَ. وَلَوْ ذَكَرَ ٱلْمُكَافَاةَ. لَٱسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ. وَلَوْ نَظَرَ فِي ٱلْمَآلِ. لَحَسَّنَ قُبْحَ ٱلْأَعْمَالِ. يَا عَجَبًا كُلَّ ٱلْعَجَبِ. لِمَنْ يَقْتَحِمُ ذَاتَ ٱللَّهَبِ. فِي ٱكْتِنَازِ ٱلذَّهَبِ. وَخَزْنِ ٱلنَّشَبِ لِذَوِي ٱلنَّسَبِ. ثُمَّ مِنَ ٱلْبِدَعِ ٱلْعَجِيبِ أَنْ يَعِظَكَ وَخْطُ ٱلْمَشِيبِ. وَتُؤْذِنَ شَمْسُكَ بِٱلْمَغِيبِ. وَلَسْتَ تَرَى أَنْ تُنِيبَ. وَتُهَذِّبَ ٱلْمَعِيبَ. ثُمَّ ٱنْدَفَعَ يُنْشِدُ. إِنْشَادَ مَنْ يُرْشِدُ:

يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ ... وَهْوَ عَلَى غَيِّ ٱلصِّبَا مُنْكَمِشْ
يَعْشُو إِلَى نَارِ ٱلْهَوَى بَعْدَمَا ... أَصْبَحَ مِنْ ضُعْفِ ٱلْقُوَى يَرْتَعِشْ
وَيَمْتَطِي ٱللَّهْوَ وَيَعْتَدُّهُ ... أَوْطَأَ مَا يَفْتَرِشُ ٱلْمُفْتَرِشْ
لَمْ يَهَبِ ٱلشَّيْبَ ٱلَّذِي مَا رَأَى ... نُجُومَهُ ذُو ٱللُّبِّ إِلَّا دُهِشْ
وَلَا ٱنْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ ٱلنُّهَى ... عَنْهُ وَلَا بَالَى بِعِرْضٍ خُدِشْ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقًا لَهُ ... وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَأَنْ لَمْ يَعِشْ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا ٱمْرِئٍ نَشْرُهُ ... كَنَشْرِ مَيْتٍ بَعْدَ عَشْرٍ نُبِشْ
وَحَبَّذَا مَنْ عِرْضُهُ طَيِّبٌ ... يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بُرْدٍ رُقِشْ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ ... هَلَكْتَ يَا مِسْكِينُ أَوْ تَنْتَقِشْ
فَأَخْلِصِ ٱلتَّوْبَةَ تَطْمِسْ بِهَا ... مِنَ ٱلْخَطَايَا ٱلسُّودِ مَا قَدْ نُقِشْ
وَعَاشِرِ ٱلنَّاسَ بِخُلْقٍ رِضًى ... وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ
وَرِشْ جَنَاحَ ٱلْحُرِّ إِنْ حَصَّهُ ... زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ

وَأَنجِدِ ٱلْمَوْتُورَ ظُلْماً فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَٱسْتَجِشْ
وَٱنْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ عَسَاكَ فِي ٱلْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ
وَهَاكَ كَأْسَ ٱلنُّصْحِ فَٱشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلَةِ ٱلْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إِخْوَانِي ٱعْلَمُوا أَنَّ مَنْ عَمِلَ فِي ٱلْأَيَّامِ خَيْرًا حُمِدَ أَمْرُهُ • وَمَنِ ٱقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عُمْرَهُ • سَيَنْدَمُ غَدًا مَنْ قَصَّرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ • وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ • وَيَبْكِي هَاجِرُ ٱلْهُدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ • إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادَرَةٍ تَذْهَبُ • وَٱغْتِنَامُ أَيَّامٍ تُنْهَبُ • فَبَادِرْ بِعُمْرِكَ قَبْلَ ٱلْفَوْتِ • وَٱغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ • يَا مَنْ يَعْصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ • وَيُبَارِزُهُ بِٱلْمَعَاصِي وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ • وَهُوَ فِي دَارِ ٱلْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ • وَلَا يَشُوقُهُ ٱلْوَعْدُ وَلَا يُخَوِّفُهُ ٱلْوَعِيدُ • أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ ٱلْعُمْرُ بِمَدِيدٍ • وَٱلْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ ٱلْقُلُوبَ فَتَجِدُهَا أَقْسَى مِنَ ٱلصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ ٱلْحَدِيدِ • تَيَقَّظْ يَا مَغْرُورُ وَٱفْهَمْ يَا بَلِيدُ • فَٱلْأَمَلُ طَوِيلٌ وَٱلْأَمْنُ عَزِيزٌ شَرِيدٌ • وَطَرِيقُ ٱلْعِقَابِ بَعِيدٌ مَدِيدٌ • كَيْفَ تَرْجُو ٱلْبَقَاءَ فِي دَارِ ٱلْفَنَاءِ وَٱلرَّحِيلِ • تَأْمُلُ ٱلرِّضَا وَٱلزَّمَانُ قَدْ مَضَى فِي غَيْرِ ٱلْجَمِيلِ • أَعْدَدْتَ ٱلْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى ٱلْكَثِيرِ وَٱلْقَلِيلِ • فَإِلَى مَتَى تُضَيِّعُ ٱلْوَقْتَ ٱلشَّرِيفَ • وَحَتَّى مَتَى تَتَقَرَّبُ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱللَّطِيفِ • وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِتَخْفِيفِ ٱلتَّكْلِيفِ • وَأَيْنَ تَأْثِيرُ ٱلْإِنْذَارِ عِنْدَكَ وَٱلتَّخْوِيفُ • يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

وَتَخَلَّفَ. وَإِذَا وَعَدَ بِتَوْبَةٍ تَمَادَى وَأَخْلَفَ. وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ تَوَانَى وَسَوَّفَ. وَإِذَا أَدَّى وَاجِبًا شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ. وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى مِنَ ٱلْمَخَازِي لَمْ يَتَأَنَّ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ. وَإِذَا بَارَزَ بِٱلْمَعَاصِي لَمْ يَتَحَذَّرْ وَلَمْ يَتَخَوَّفْ. هٰذَا مَيْدَانُ ٱلْمُجَاهَدَةِ فَأَيْنَ ٱجْتِهَادُكَ. هٰذَا ٱلرَّحِيلُ قَدْ دَنَا فَأَيْنَ زَادُكَ. هٰذَا ٱلصِّرَاطُ قَدْ مُدَّ فَأَيْنَ ٱسْتِعْدَادُكَ. هٰذَا رُكْنُ ٱلْفَنَاءِ وَثِيقٌ فَأَيْنَ ٱعْتِمَادُكَ. هٰذَا ٱلِاعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ. هٰذَا نَذِيرُ ٱلرَّحِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مُرَادُكَ. وَكَيْفَ نَسِيتَ مَآرِبَكَ فَأَثَّرْتَ عَلَى يَقِينِكَ ٱرْتِيَابَكَ. أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيخَكَ وَعِتَابَكَ حَتَّى مَلَأْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا كِتَابَكَ. لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَصَابَكَ. حَتَّى ٱخْتَرْتَ خَطَأَكَ وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ. أَنَسِيتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ. أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ جَوَابَكَ. يَا هٰذَا ٱبْكِ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ حَزِينًا وَجِلًا. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ ٱلْحَسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرِقٌ خَجِلًا. وَكُنْ عَلَى طَلَبِ ٱلْخَلَاصِ بِٱلْإِخْلَاصِ مُسْتَسْهِلًا. قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَغَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلًا. كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ ٱلْخَلَائِقُ مِنَ ٱلْقُبُورِ وَفَارَ ٱلْبَحْرُ ٱلْمَسْجُورُ. وَتَدَكْدَكَتِ ٱلْجِبَالُ وَٱلصُّخُورُ. وَتَمَزَّقَتِ ٱلسَّمَاءُ وَهِيَ تَمُورُ. وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَرْضُ وَهِيَ تَحُورُ. فَهَلْ تَرَى فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مِنْ فُتُورٍ. كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا ٱنْكَشَفَتْ غَدًا ٱلْأُمُورُ. وَٱنْهَتَكَتْ مِنَ ٱلْمُذْنِبِينَ ٱلسُّتُورُ. وَبَرَزَ ٱلْعَدْلُ ٱلَّذِي لَا يَجُورُ. وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورٍ. وَتَجَلَّى ٱلْعَزِيزُ ٱلصَّبُورُ. وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَغْرُورُ. فَنَادَيْتَ بِٱلْوَيْلِ

وَٱلْقُبُورِ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قُدِّمَتْ غَدًا ٱلنُّجُبُ لِلْمُطِيعِينَ . وَٱنْقَطَعْتَ أَنْتَ فِي جُمْلَةِ ٱلْمُنْقَطِعِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ غَدًا أَعْلَامُ ٱلتَّائِبِينَ . وَبَقِيتَ أَنْتَ مَعَ ٱلْخَائِبِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبْتَ أَنْتَ مَعَ ٱلْأَسَارَى . وَدَمْعُكَ يَسِيحُ . وَجَفْنُكَ قَرِيحٌ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى . وَكَبِدُكَ حَرَّى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبٌ . وَفُؤَادُكَ يَذُوبُ . وَظُلَمُ ٱلْمَعَاصِي قَدِ ٱنْكَشَفَتْ . وَٱلشَّدَائِدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحِيفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ . وَٱلزَّبَانِيَةُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَٱلْجَحِيمُ قَدْ أَزْفَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدِ ٱنْهَتَكَتْ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدِ ٱشْتَهَرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدِ ٱنْهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدِ ٱسْتَعْبَرَتْ . تَلْتَفِتُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ . وَقَدْ خَابَتْ مِنْكَ ٱلْآمَالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : ٱلْحَرِيقُ . كَيْفَ أَمْضِي وَأَيْنَ ٱلطَّرِيقُ . فَحِينَئِذٍ يَهْرُبُ مِنْكَ ٱلْأَخُ ٱلشَّفِيقُ . وَيَنَالُ ٱلْخِلُّ ٱلْوَدُودُ وَٱلصَّاحِبُ وَٱلرَّفِيقُ . أَللّٰهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ هَوْلِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ . وَٱجْعَلْنَا مِنْ تُبَّاعِ ٱلْفَائِزِينَ مِنَ ٱلْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواعظ لسان الدين الخطيب

٢٨ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْوَلِيِّ ٱلْحَمِيدِ . ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ . أَلْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنَ ٱلْعَبِيدِ . أَلْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ . مُحْيِي رُبُوعِ ٱلْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ ٱلتَّوْحِيدِ . وَمُغْنِي نُفُوسِ ٱلزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ ٱحْتِقَارِ

ٱلِافْتِقَارِ إِلَى ٱلْعَرَضِ ٱلزَّهِيدِ. وَمُخَلِّصِ خَوَاطِرِ ٱلْمُحَقِّقِينَ مِنْ سُجُونِ ذُجُونِ ٱلتَّقْيِيدِ إِلَى فَسِيحِ ٱلتَّجْرِيدِ. نَحْمَدُهُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ٱلْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ ٱلدَّوَامِ وَسُمُوطِ ٱلتَّأْبِيدِ. حَمْدَ مَنْ نَزَّهَ أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ عَنْ مَرَابِطِ ٱلتَّقْيِيدِ. وَمَخَابِطِ ٱلطَّبْعِ ٱلْبَلِيدِ. وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنِ ٱفْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ ٱلْمَزِيدِ. وَنَشْهَدُ أَنَّهُ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً نَتَخَطَّى بِهَا مَعَالِمَ ٱلْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ ٱلْحَقِّ عَلَى كَبِدِ ٱلتَّفْرِيدِ...آه أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ ٱللهِ تَعَالَى يَا أَحْبَابَنَا يُسْمَعُ. وَفِيمَا ذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ يُطْمَعُ. يَا مَنْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ. إِذَا لَمْ تَتِمَّ ٱلصَّنِيعَةُ فَمَاذَا تَصْنَعُ. إِجْمَعْنَا بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ. وَلَيِّنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ فَقَدِ ٱسْتَعَاذَ ٱلْحَكِيمُ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ. إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ. يَأْخُذُهَا مِنَ ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَحْوَالِ وَمِنَ ٱلْجَمَادِ وَٱلْحَيَوَانِ. وَمَا أَمْلَاهُ ٱلْمَلَوَانِ. فَإِنَّ ٱلْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ صَدَرَ مِنَ ٱلْخَامِلِ. وَلَا يَقْصُرُ بِمَحْمُولِهِ ٱحْتِقَارُ ٱلْحَامِلِ. وَأَنْتُمْ تَدْرُونَ أَنَّكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ ٱلْغَايَةِ رِحْلَةٌ. وَلَا تَتَأَتَّى مَعَهَا إِقَامَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ. مِنَ ٱلْأَصْلَابِ إِلَى ٱلْأَرْحَامِ إِلَى ٱلْوُجُودِ إِلَى ٱلْقُبُورِ إِلَى ٱلنُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارَيِ ٱلْبَقَاءِ أَفِي ٱللهِ شَكٌّ. فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا فِي ٱلْبَرِّيَّةِ يَبْنِي وَيَفْرِشُ. وَيُمَهِّدُ وَيُعَرِّشُ. أَلَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ مِنْ جَهْلِهِ. وَتَعْجَبُونَ مِنْ رَكَاكَةِ عَقْلِهِ. وَوَٱللهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَوَاغِلُكُمْ عَنِ ٱللهِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱجْتِهَادُكُمْ إِلَّا بَقَاءُ سَفْرٍ فِي قَفْرٍ. أَوْ أَعْرَاسٍ فِي لَيْلَةِ نَفْرٍ.

كَأَنَّكُم بِهَا مطرحةٌ تعبرُ فِيهَا ٱلْمَوَاشِي . وَتَنْبُو ٱلْعُيُونُ عَنْ خَبَرِهَا ٱلْمُتَلَاشِي . إِنَّمَا أَموالكُم وَلَدَاتكُمْ فِتْنَةٌ . وَٱللهُ عِنْدَهُ أَجرٌ عَظِيمٌ . مَا بَعْدَ ٱلْمَقِيلِ إِلَّا ٱلرَّحِيلُ . وَلَا بعدَ ٱلرَّحِيلِ إِلَّا ٱلْمَنْزِلُ ٱلْكَرِيمُ أَوِ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْوَبِيلُ . وَإِنَّكُمْ تَسْتَقْبِلُونَ أَهوَالًا سكَرَاتُ ٱلْمَوْتِ بَوَاكِرُ حِسَابِهَا . وَعَتَبُ أَبْوَابِهَا . فَلَوْ كُشِفَ ٱلْغِطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا لَذَهَلَتِ ٱلْعُقُولُ وَطَاشَتِ ٱلْأَلْبَابُ . وَمَا كُلُّ حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا ٱلْكَلَامُ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ فَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ أَفَلَا أَعْدَدْتُمْ لِهٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ حِيلَةً . وَأَظْهَرْتُمْ لِلِاهْتِمَامِ بِهَا مَخِيلَةً . أَتعويلًا عَلَى عَفْوِهِ مَعَ ٱلْمُقَاطَعَةِ وَهُوَ ٱلْقَائِلُ فِي مَقَامِ ٱلتَّهْدِيدِ . إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . أَأَمْنًا مِنْ مَكْرِهِ مَعَ ٱلْمُنَابَذَةِ . وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ . أَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ مَعَ ٱلْمُخَالَفَةِ كَمَا قِيلَ : فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ . أَوْ مُشَاقَّةً وَمُعَانَدَةً . وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱللهَ فَإِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ :

هٰكَذَا هٰكَذَا يَكُونُ ٱلتَّعَامِي هٰكَذَا هٰكَذَا يَكُونُ ٱلْغُرُورُ

يَا حَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . وَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا وَرَسُولُكُمُ ٱلْحَرِيصُ عَلَيْكُمُ ٱلرَّؤُوفُ ٱلرَّحِيمُ يَقُولُ لَكُمْ : ٱلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . وَٱلْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى ٱللهِ ٱلْأَمَانِيَّ . فَعَلَامَ بَعْدَ هٰذَا ٱلْمُعَوَّلُ . وَمَاذَا يُتَأَوَّلُ . ٱتَّقُوا ٱللهَ سُبْحَانَهُ فِي نُفُوسِكُمْ وَٱنْصَحُوهَا . وَٱغْتَنِمُوا فُرَصَ ٱلْحَيَاةِ وَٱرْبَحُوهَا . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

ٱللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ. وَتُنَادِي أُخْرَى: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ. تَسْتَغِيثُ أُخْرَى: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ. وَتَقُولُ أُخْرَى: رَبِّ ٱرْجِعُونِي. فَرَحِمَ ٱللهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ. قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ. وَقَدَّمَ لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ تَجُرُّ إِلَى ٱلْمَوْتِ. وَٱلْغَفْلَةَ تَقُودُ إِلَى ٱلْفَوْتِ. وَٱلصِّحَّةَ مَرْكَبُ ٱلْأَلَمِ. وَٱلشَّبِيبَةَ سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ ٱلْهَرَمِ

وله ايضاً من عظةٍ

٢٩ إِخْوَانِي صُمَّتِ ٱلْآذَانُ وَٱلنِّدَاءُ جَهِيرٌ. وَكَذَبَ ٱلْعِيَانُ وَٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ شَهِيرٌ. أَيْنَ ٱلْمَلِكُ وَأَيْنَ ٱلظَّهِيرُ. أَيْنَ ٱلْخَاصَّةُ أَيْنَ ٱلْجَمَاهِيرُ. أَيْنَ ٱلْقَبِيلُ وَٱلْعَشِيرُ. أَيْنَ ٱبْنُ أَرْدَشِيرَ. صَدَقَ وَٱللهِ ٱلنَّاعِي وَكَذَبَ ٱلْبَشِيرُ. وَغَشَّ ٱلْمُسْتَشَارُ وَٱتُّهِمَ ٱلْمُشِيرُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى ٱلتُّرَابِ ٱلْمُشِيرُ:

خُذْ عَنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ ٱلْآتِي ... وَبِدَارِ مَا دَامَ ٱلزَّمَانُ مُوَاتِي
لَا تَغْتَرِرْ فَهُوَ ٱلسَّرَابُ بِقِيعَةٍ ... قَدْ خُودِعَ ٱلْمَاضِي بِهِ وَٱلْآتِي
يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا ... يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ ٱلْغَفَلَاتِ
هَلَّا ٱعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ ... بِمَدَافِنِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّاتِ
قِفْ بِٱلْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ ... فَلَكَمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ
دَرَجُوا وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ... تَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ
وَٱللهِ مَا ٱسْتَهْلَلْتَ حَيًّا صَارِخًا ... إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي ٱلْأَمْوَاتِ
لَا فَوْتَ عَنْ دَرْكِ ٱلْحِمَامِ لِهَارِبٍ ... وَٱلنَّاسُ صَرْعَى مَعْرَكِ ٱلْآفَاتِ
كَيْفَ ٱلْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ ... سَنَةَ ٱلْكَرَى بِمَدَارِجِ ٱلْحَيَّاتِ

أَسَفًا عَلَيْنَا مَعْشَرَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا نَنْفَكُّ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ
وَيَغُرُّنَا لَمْعُ ٱلسَّرَابِ فَنَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ ٱللَّذَّاتِ

يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ وَأَلِفَ ٱلْمِرَاحَ . يَا مَنْ شَرِبَ ٱلرَّاحَ مَمْزُوجَةً بِٱلْعَذَابِ ٱلْقَرَاحِ . وَقَعَدَ لِعِيَانِ صُرُوفِ ٱلزَّمَانِ مَقْعَدَ ٱلِٱقْتِرَاحِ . كَأَنَّكَ وَٱللهِ بِٱخْتِلَافِ ٱلرِّيَاحِ . وَسَمَاعِ ٱلصِّيَاحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ ٱلِٱجْتِيَاحِ . فَأُدِيلَ ٱلْخُفُوتُ مِنَ ٱلِٱرْتِيَاحِ . وَنُسِيَتْ أَصْوَاتُ ٱلْغِنَاءِ بِرَنَّاتِ ٱلرِّيَاحِ . وَعُوِّضَتْ غُرَرُ ٱلنُّوَبِ ٱلْقِبَاحِ . مِنْ غُرَرِ ٱلْوُجُوهِ ٱلصِّبَاحِ . وَتَنَاوَلَتِ ٱلْجُسُومَ ٱلنَّاعِمَةَ أَيْدِي ٱلِٱطِّرَاحِ . وَتُنُوسِيَتِ ٱلْعُهُودُ ٱلْكَرِيمَةُ بِمَرِّ ٱلْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَٱلصَّبَاحِ . وَأَصْبَحَتْ كُمَاةُ ٱلنِّطَاحِ . مِنْ تَحْتِ ٱلْبِطَاحِ . وَحُمِلَتِ ٱلْمُهَنَّدَةُ وَٱلرِّمَاحُ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ ٱلْجِمَاحِ

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَصْرِيفِهَا حُلُمُ
صَفَاؤُهَا كَدَرٌ سَرَّاؤُهَا ضَرَرٌ أَمَانُهَا غَدَرٌ أَنْوَارُهَا ظُلَمُ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ لَذَّاتُهَا نَدَمٌ وُجْدَانُهَا عَدَمُ
فَخَلِّ عَنْهَا وَلَا تَرْكَنْ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيِّهَا نِقَمُ

يَا مُشْتَغِلًا بِدَارِهِ . وَرَمِّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَبِدَارِهِ . يَا مَنْ صَاحَ بِإِنْذَارِهِ . شَيْبُ عِذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ ٱعْتِذَارِهِ بِأَقْذَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بُعْدُ مَزَارِهِ . وَثِقَلُ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَلِقًا يَنْتَظِرُ هُجُومَ جَزَّارِهِ . يَا مَنْ أَمْعَنَ فِي خَمْرِ ٱلْهَوَى خَبَّ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ مَوْلَى رِقِّهِ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَةٍ تُرَدُّ . يَا مَفْتُونًا بِأَنْفَاسٍ تُعَدُّ .

يَا مُعَوِّلًا عَلَى ٱلْإِقَامَةِ وَٱلرِّحَالُ تُشَدُّ. كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوثِقَ ٱلشَّدُّ وَأُلْصِقَ بِٱلْوِسَادَةِ ٱلْخَدُّ. وَٱلرِّجْلُ تُقْبَضُ وَٱلْأُخْرَى تُمَدُّ. وَٱللِّسَانُ يَقُولُ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ:

إِنَّا إِلَى ٱللهِ وَإِنَّا لَهُ مَا أَشْغَلَ ٱلْإِنْسَانَ عَنْ شَانِهِ
يَرْتَاحُ لِلْأَثْوَابِ يَزْهَى بِهَا وَٱلْخَيْطُ مَغْزُولٌ لِأَكْفَانِهِ
وَيَخْزُنُ ٱلْفَلْسَ لِوُرَّاثِهِ مُسْتَنْفِدًا مَبْلَغَ أَكْوَانِهِ
قَوَّضَ عَنِ ٱلْفَانِي رِحَالَ ٱمْرِئٍ مَدَّ إِلَيْهِ عَيْنَ عِرْفَانِهِ
مَا ثَمَّ إِلَّا مَوْقِفٌ زَاهِدٌ قَدْ وُكِّلَ ٱلْعَدْلُ بِمِيزَانِهِ
مُفَرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِهِ وَمُحْسِنٌ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ

يَا هٰذَا خَفِيَ عَلَيْكَ مَرَضُ ٱعْتِقَادِكَ. فَٱلْتَبَسَ ٱلشَّحْمُ بِٱلْوَرَمِ. جَهِلْتَ قِيَمَ ٱلْمَعَادِنِ فَبِعْتَ ٱلشَّبَهَ بِٱلذَّهَبِ. فَسَدَ حُسْنُ ذَوْقِكَ فَتَفَكَّهْتَ بِحَنْظَلَةٍ. أَيْنَ حِرْصُكَ مِنْ أَجَلِكَ. أَيْنَ قَوْلُكَ مِنْ عَمَلِكَ. يُدْرِكُكَ ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلطِّفْلِ فَتَتَحَامَى حِمَى ٱلْفَاحِشَةِ فِي ٱلْبَيْتِ بِسَبَبِهِ. ثُمَّ تُوَاقِعُهَا بِعَيْنِ خَالِقِ ٱلْعَيْنِ وَمُقَدِّرِ ٱلْكَيْفِ وَٱلْأَيْنِ. تَٱللهِ مَا فَعَلَ فِعْلَكَ بِمَعْبُودِهِ. مَنْ قَطَعَ بِوُجُودِهِ. مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَى عَلِيمٍ. تَعُودُ عَلَيْكَ مَسَاعِي ٱلْجَوَارِحِ ٱلَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ فَتَبْخَلُ مِنْهَا فِي سَبِيلِهِ بِفَلْسٍ. وَأَحَدُ ٱلْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ إِمَّا ٱلتَّكْذِيبُ وَإِمَّا ٱلْحَمَاقَةُ وَجَمْعُكَ بَيْنَ ٱلْحَالَتَيْنِ عَجِيبٌ. يَرْزُقُكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْعَدِيدَةَ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ وَتُسِيءُ ٱلظَّنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ. تُوجِبُ ٱلْحَقَّ

وَتَعْتَذِرُ بِالْغَفْلَةِ . فَمَا بَالُ التَّمَادِي . تَعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ فِي الإِصْرَارِ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا . يَا مُدَّعِي النِّسْيَانِ مَاذَا فَعَلْتَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ . يَا مُعْتَذِرًا بِالْغَفْلَةِ أَيْنَ ثَمَرَةُ التَّنْبِيهِ . يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ . يَا ذُبَابَةَ الْحِرْصِ كَمْ ذَا تَلِجُّ فِي وَرْطَةِ الشَّهْدِ . يَا نَائِمًا مِلْءَ عَيْنَيْهِ حَذَارِ الْأَجَلُ قَدْ أَنْذَرَ . يَا ثَمِلَ الِاغْتِرَارِ قَرُبَ خُمَارُ النَّدَمِ . تَدَّعِي الْحِذْقَ بِالصَّنَائِعِ وَتَجْهَلُ هٰذَا الْقَدْرَ . تَبْذُلُ النُّصْحَ لِغَيْرِكَ وَتَغُشُّ نَفْسَكَ هٰذَا الْغِشَّ . إِنْدَمَلَ جُرْحُ تَوْبَتِكَ عَلَى عَظْمٍ قَامَ بِنَاءُ عَزْمَتِكَ عَلَى رَمْلٍ . نَبَتَتْ خَضْرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى دِمْنَةٍ . عَقَدَتْ كَفُّكَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ . أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا . فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . إِذَا غَامَ جَوُّ هٰذَا الْمَجْلِسِ وَابْتَدَأَ رَشُّ غَمَامِ الدُّمُوعِ قَالَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ : حَوَالَيْنَا لَا عَلَيْنَا . فَدَالَتْ رِيَاحُ الْغَفْلَةِ وَسَحَابُ الصَّيْفِ هَفَّافٌ . كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ الْعَزِيمَةِ عَلَى دِرَّةِ التَّوْبَةِ صَانَعَتْهُ ظِئْرُ الشَّهْوَةِ عَنْ ذٰلِكَ بِعُصْفُورٍ . إِذَا ضَيَّقَ الْخَوْفُ فُسْحَةَ الْمَهَلِ سَرَقَ الْأَمَلُ حُدُودَ الْجَارِ . قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : كَانُوا إِذَا فَقَدُوا قُلُوبَهُمْ تَفَقَّدُوا مَطْلُوبَهُمْ . وَلَوْ صَدَقَ الْوَعْظُ لَأَثَّرَ . اَللّٰهُمَّ لَا أَكْثَرَ طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ عَلِيلٌ . وَالْخَطْبُ جَلِيلٌ وَالْمُتَفَطِّنُ قَلِيلٌ فَهَلْ إِلَى الْخَلَاصِ سَبِيلٌ . اَللّٰهُمَّ انْظُرْ إِلَيْنَا بِعَيْنِ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ الْأَشْيَاءَ وَشَمِلَتِ الْأَمْوَاتَ وَالْأَحْيَاءَ . يَا دَلِيلَ الْحَائِرِينَ دُلَّنَا . يَا عَزِيزُ ارْحَمْ ذُلَّنَا . يَا وَلِيَّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ كُنْ لَنَا

كُلَّنَا . إِنْ أَعْرَضْتَ عَنَّا فَمَنْ لَنَا نَحْنُ ٱلْمُذْنِبُونَ وَأَنْتَ غَفَّارُ ٱلذُّنُوبِ . فَقَلِّبْ قُلُوبَنَا يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ . وَٱسْتُرْ عُيُوبَنَا يَا سَتَّارَ ٱلْعُيُوبِ . يَا أَمَلَ ٱلطَّالِبِ وَيَا غَايَةَ ٱلْمَطْلُوبِ

٣٠ وللسان الدين في المواعظ ما خاطب بهِ بعض من استدعى منهُ الموعظة ونصهُ

إِذَا لَمْ أُنْحِ يَوْمًا عَلَى نَفْسِي ٱلَّتِي ... بِجَرَّائِهَا أَحْبَبْتُ كُلَّ حَبِيبِ
وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ غَادِيَةَ ٱلرَّدَى ... تَدِبُّ لَهَا وَٱللهِ كُلَّ دَبِيبِ
فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْكِي عَلَيْهَا بِأَدْمُعِي ... إِذَا كُنْتُ مَوْصُوفًا بِرَأْيِ لَبِيبِ

كَمْ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى حَبِيبٍ تَغَارُ مِنْ إِرْسَالِ طَرْفِكَ بِكِتَابِ ٱلْهَوَى إِلَى إِنْسَانِهِ . وَقَدْ ذَبَلَتْ بِٱلسُّقْمِ نَرْجِسَةُ لَحْظِهِ وَذَوَتْ وَرْدَةُ خَدِّهِ وَٱصْفَرَّتْ لِمَغِيبِ ٱلْفِرَاقِ شَمْسُ حُسْنِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ٱلَّتِي كَانَ يَبْخَلُ مِنْهَا بِٱلنَّفَسِ . يُخَاطِبُ بِلِسَانِ حَالِهِ مُسْتَرْحِمًا . وَلَيْتَ ٱلْفُجْلَ يَهْضِمُ نَفْسَهُ وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مَنْحِهِ إِلَى دَسْتِ ٱلْحُكْمِ . وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ . وَمِنْهَا تَٱللهِ لَوْ لَمْ يَكُنِ ٱلْمُخْبِرُ صَادِقًا لَنَشِبَ بِحَلْقِ ٱلْعَيْشِ بَعْدَهُ شَوْكَةُ ٱلشَّكِّ :

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ ٱلْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ
وَلٰكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا ... وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيِّ

فَٱلْحَازِمُ مَنْ بَتَرَ ٱلْآمَالَ طَوْعًا . وَقَالَ : بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمْرٍو . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ . وَقَالَ أَمِيرُ ٱلْوُعَّاظِ : وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ ٱلْأَشْيَاءُ . يَا مَقْتُولًا

مَالَهُ طَالِبُ ثَارٍ. بَرِيدُ ٱلْمَوْتِ مُطْلَقُ ٱلْأَعِنَّةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يَحْمِيكَ حِصْنٌ. ثَوْبُ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَاقَاتِ أَنْفَاسِكَ. وَٱلْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ ذَرَّاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتُ ٱلزَّمَانِ قَوِيَّةٌ فِي ٱلنَّسْجِ ٱلضَّعِيفِ. فَيَا سُرْعَةَ ٱلتَّمْزِيقِ يَا رَابِطًا مُنَاهُ بِخَيْطِ ٱلْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ ٱلْفَتْلِ. صَيَّادُ ٱلتَّلَفِ قَدْ بَثَّ ٱلصُّقُورَ. وَأَرْسَلَ ٱلْعِقْبَانَ وَنَصَبَ ٱلْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ ٱلْمَوَادَّ فَكَيْفَ ٱلسَّلَامَةُ. تَهَيَّأْ لِسُرْعَةِ ٱلْمَوْتِ وَأَشَدُّ مِنْهَا قَلْبُ ٱلْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا يَؤُولُ أَمْرٌ. مَرْكَبُ ٱلْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ ٱلْبَدَنِ بِرُخَاءِ ٱلْأَنْفَاسِ. وَلَا بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ قَاصِفٍ بِفُلْكِهِ وَيُغْرِقُ ٱلرُّكَّابَ:

فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ

(وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبِ ٱلتَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَٱنْهَزَمَتْ بِجُنُودِ ٱلْأَمَلِ. وَإِذَا بِمَلَكِ ٱلْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ ٱلرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطَاطِيفِ ٱلشَّدَائِدِ مِنْ قِيَانِ ٱلْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ أَكْتَافَ ٱلذَّبِيحِ وَحَارَ ٱلْبَصَرُ لِشِدَّةِ ٱلْهَوْلِ. وَمَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ عَنِ ٱلْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ ٱلْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ عَنِ ٱلْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ ٱلنَّارِ. وَجَمِيعُ ٱلْمَخْلُوقَاتِ تَسْتَوْكِفُ ٱلْخَبَرَ وَٱلْكَوْنُ كُلُّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صَيْحَةٍ: سَعِدَ فُلَانٌ أَوْ شَقِيَ فُلَانٌ. فَهُنَاكَ تَنْجَلِي أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيْحَكَ تَهَيَّأْ لِتِلْكَ ٱلسَّاعَةِ حَصِّلْ زَادًا قَبْلَ ٱلْفَوْتِ:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

مَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ سُرْعَةَ ٱلْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ فِي

وَقتِ ٱلْأَسْرِ فَٱفْعَلْهُ فِي وَقْتِ ٱلْإِطْلَاقِ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

أَتَأْمُلُ فِي ٱلدُّنْيَا تَجِدُّ وَتَعْمُرُ   وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ
تُلَقِّحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا   وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرَجِّيهِ أَقْصَرُ
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِيتَهُ   وَتُقْبِلُ بِٱلْآمَالِ فِيهِ وَتُدْبِرُ
وَهٰذَا صَبَاحُ ٱلْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْءُهُ   وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وَرِزْقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِمَّا مُعَجَّلٌ   عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرُ
وَلَا حَوْلَ مُحْتَالٍ وَلَا وَجْهَ مَذْهَبٍ   وَلَا قَدَرٌ يُزْجِيهِ إِلَّا ٱلْمُقَدِّرُ
وَقَدْ قَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ مَنْ لَيْسَ عَادِلًا   عَنِ ٱلْعَدْلِ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ فِيمَا يُقَدِّرُ
فَلَا تَأْمَنِ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ   عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَغْدِرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا ٱلصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ   وَلَا ٱلرَّنْقُ إِلَّا رَيْثَمَا يَتَغَيَّرُ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقٌ   عَلَى ٱلْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ
تَطَهَّرْ وَأَلْحِقْ ذَنْبَكَ ٱلْيَوْمَ تَوْبَةً   لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطْهُرُ
وَشَمِّرْ فَقَدْ أَبْدَى لَكَ ٱلْمَوْتُ وَجْهَهُ   وَلَيْسَ يَنَالُ ٱلْفَوْزَ إِلَّا ٱلْمُشَمِّرُ
فَهٰذِي ٱللَّيَالِي مُؤْذِنَاتُكَ بِٱلْبِلَى   تَرُوحُ وَأَيَّامٌ كَذٰلِكَ تَبْكُرُ
وَأَخْلِصْ لِدِينِ ٱللهِ صَدْرًا وَنِيَّةً   فَإِنَّ ٱلَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَظْهَرُ
وَقَدْ يَسْتُرُ ٱلْإِنْسَانُ بِٱللَّفْظِ فِعْلَهُ   فَيُظْهِرُ عَنْهُ ٱلطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ
تَذَكَّرْ وَفَكِّرْ فِي ٱلَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ   إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ   بِأَثْنَائِهَا تُطْوَى إِلَى يَوْمِ تُنْشَرُ

نخبة من خُطَب الاعياد السيديّة لابن الحديثيّ المعروف بابي الحليم

لعيد الميلاد الجسدي المقدَّس

٣١ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوَصْفِ ٱلْاَحَدِيَّةِ فَلَا يُقَاسُ بِٱلْآحَادِ. وَتَمَيَّزَ بِصِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ ٱلْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَاثِلُ خَصَائِصَ ٱلْأَعْدَادِ. وَعَلَا بِعِزِّ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلِاقْتِدَارِ عَنِ ٱلنُّظَرَاءِ وَٱلْأَشْبَاهِ وَٱلْأَنْدَادِ. وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَٱلِاعْتِلَاءِ عَنْ ذَمَائِمِ أَوْصَافِ ٱلْعِبَادِ. ٱلَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعَ صُوَرِ ٱلْخَلَائِقِ ٱلْكَوْنِيَّةِ فِي قَوَالِبِ ٱلْمَوَادِّ. وَأَخْرَجَهَا إِلَى نُورِ كَمَالِ ٱلْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ ٱلْقُوَّةِ وَٱلِاسْتِعْدَادِ. وَأَرْشَدَنَا مِنْ تِيهِ ظَلَامِ ٱلْأَضَالِيلِ بِنُورِ ٱلِاهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ ٱلْجَوَادِّ. وَفَصَمَ عَنْ أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ ٱلْخَطَايَا يَوْمَ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ ٱلْمَطْلَعِ ٱلْبَتُولِيِّ بِٱلْمِيلَادِ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُبَرَّأُ مِنَ ٱلْمَعَايِبِ وَٱلتَّزْيِيفِ فِي حَدَقِ حَذَقَةِ ٱلنُّقَّادِ. وَنَشْكُرُ سَوَابِغَ نِعَمِهِ ٱلْجَسِيمَةِ شُكْرًا تَتَرَنَّحُ لِرَوْنَقِ بَثِّهِ شَوَامِخُ ٱلْأَطْوَادِ. أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ يَوْمَكُمْ هٰذَا أَشْرَفُ ٱلْأَيَّامِ. وَأَلْطَفُ ٱلْمَوَاقِيتِ ٱلْمُعَظَّمَةِ وَبِكْرُ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْكِرَامِ. يَوْمُ ٱلْفَرَحِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلسُّرُورِ ٱلْكَامِلِ. يَوْمُ ٱلِاسْتِبْشَارِ ٱلْأَكْرَمِ وَٱلْحُبُورِ ٱلشَّامِلِ. يَوْمُ ٱلْهَنَاءِ ٱلْأَوْفَرِ وَٱلْجَذَلِ ٱلْجَدِيدِ. يَوْمُ ٱلْعِيدِ ٱلْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ ٱلنَّجْلِ ٱلْوَحِيدِ. يَوْمُ ٱبْتِهَاجِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَذْهَانِ. يَوْمُ إِزَالَةِ ٱلذُّنُوبِ بِٱلْغُفْرَانِ. يَوْمٌ أَنْذَرَتْ بِهِ ٱلْبَشَائِرُ ٱلنَّبَوِيَّةُ. يَوْمٌ جَلَّ عَنِ ٱلنَّظَائِرِ وَٱلْأَشْبَاهِ ٱلْمِثَالِيَّةِ. يَوْمٌ تَفَتَّحَتْ فِيهِ أَبْوَابُ ٱلسَّعَادَاتِ أَمَامَ ٱلْبَشَرِ. وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ ٱلْإِفَادَاتِ

بميلادِ ٱلمسيحِ ٱلمنتظَر. هذا ٱليومُ ٱلَّذي ٱفترَّت فيهِ نواجذُ ٱلحقائق. وتبسَّمت ثغورُ ٱلجودِ وٱلإنعامِ في وجوهِ ٱلخلائق. هذا ٱليومُ ٱلَّذي كُتبت فيهِ صكوكُ ٱلخلاصِ ٱلمطلَق. وأسفرَ ليلُ ٱلشكوكِ عن غرَّةِ ٱلصباحِ ٱلأشرق. هذا ٱليومُ ٱلَّذي تألَّق فيهِ كوكبُ ٱلحياةِ من أفرثا. وحقَّق لنا في ٱلعالمِ ٱلملكوتيّ حصَّةً في ٱلنورِ وإرثا. هذا ٱليومُ ٱلَّذي أشرقت فيهِ للأتقياء شمسُ ٱلبرارة. وذرَّت من ٱلفلكِ ٱلمريميّ في آفاقِ ٱلمغارة. هذا ٱليومُ ٱلَّذي ٱهتزَّت لفرحتهِ أعطافُ ٱلوجود. وٱنشقَّت بمدى ٱلحقائقِ أصدافُ ٱلوعود. وتلألأت أضواءُ درَّةِ ٱلحياةِ في أكنافِ قريةِ داود. هذا ٱليومُ ٱلَّذي ظهر فيهِ ٱلسيّدُ ٱلمسيحُ من ٱلمقصورةِ ٱلبتوليَّة. محتجباً بٱلناسوتِ على نورِ ٱلأزليَّة. وبُشّرت فيهِ بصالحِ ٱلرجاء أصقاعُ ٱلبريَّة. وتيمَّن بمولدهِ ٱلجسديّ أبناءُ ٱلجبلَّةِ ٱلبشريَّة. أليومَ قرَّت شقاشقُ أشعيا ٱلنبيّ ٱلممجَّدِ في ٱلأنبياء أنَّ ٱلبتولَ ٱلطاهرةَ تحبلُ وتلدُ أشرفَ ٱلأبناء. أليومَ ٱنقضَّ ٱلكوكبُ ٱلصبحيُّ في فلكِ آلِ يعقوب. وفضَّ بنورهِ أغساقَ ٱلضلالِ من آفاقِ ٱلقلوب. أليومَ نصلَ خضابُ ٱلأضاليل. أصحرت هضابُ ٱلأباطيل. تناثرت أوراقُ ٱلرذائل. بدا ٱلإيراقُ في أغصانِ ٱلفضائل. أليومَ تبلَّجت أقمارُ ٱلحقائق. فتحت ٱلذخائرُ وٱلكنوز. نضيت ستورُ ٱلأسرارِ عن وجوهِ ٱلأمثالِ وٱلرموز. أليومَ تدكدكت أعرانُ ٱلضلال. تبرَّكتِ ٱلأذهانُ بميلادِ مفيدِ ٱلكمال. تنفَّس صباحُ

ٱلسَّعادَةِ وَٱلْإِقْبالِ . تَسَرْبَلَتْ جِبْلَةُ آدَمَ مِنْ فَخْرِ ٱلْوِلَادَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ أَسْنَى حُلَّةٍ وَأَبْهَى سِرْبَالٍ . أَلْيَوْمَ انْجَمَ سَحَابُ ٱلْعَطَايَا . أَنْجَمَ ضَبَابُ ٱلْخَطَايَا . فُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلْمَوَاهِبِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ ٱلْأَذْخَارِ لِكُلِّ آتٍ وَذَاهِبٍ . أَلْيَوْمَ سَقَطَتْ أَجِنَّةُ ٱلطُّغْيَانِ . لُبِسَتْ جُنَّةُ ٱلْغُفْرَانِ . طَهُرَتْ سُنَّةُ ٱلْإِيمَانِ . تَقَهْقَرَتِ ٱلْأَكِنَّةُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَذْهَانِ . أَلْيَوْمَ أَصْبَحَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنَ ٱلْأَدْرَانِ مَخْمُومَةً . وَأَغْصَانُ ٱلذُّنُوبِ عَنِ ٱلْأَذْهَانِ مَجْمُومَةً . وَٱلْأُمَّةُ ٱلْيَهُودِيَّةُ عِنْدَ ٱلْأَنَامِ مَذْمُومَةً . وَبِحِجَارِ ٱلْهِجَاءِ وَٱلْمَذَامِّ مَحْصُوبَةً مَرْجُومَةً . فَيَنْبَغِي لَنَا مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَجْتَلِيَ مَحَاسِنَ ٱلْأَعْيَادِ بِأَبْصَارِ ٱلْبَصَائِرِ . وَنَسْتَشِفَّ بِعَيْنِ ٱلِٱعْتِبَارِ هٰذِهِ ٱلنِّعَمَ ٱلْغَزَائِرَ . فَإِنَّنَا نَرَى حَبَلًا تَنَزَّهَ عَنْ مَسَافِطِ ٱلنُّطَفِ ٱلزَّرْعِيَّةِ . مِيلَادًا لَمْ تَنْفَضَّ بِهِ ٱلْخُتُومُ ٱلطَّبِيعِيَّةُ . أُمًّا قَدْ شَاخَ مَعَهَا ٱسْمُ ٱلْبَتُولِيَّةِ . خَطِيبًا يُفْصِحُ بِٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْقُدْرَةِ ٱلْعَالِيَةِ . مِعْلَفًا أَزْرَى بِرَوْنَقِهِ عَلَى ٱلسُّدَدِ ٱلنُّورِيَّةِ . مَغَارَةً أَرْبَتْ شَرَفًا عَلَى ٱلْأَوَاوِينِ ٱلسَّرِيَّةِ . رُعَاةً شَبُّوا مِنْ شَظَايَا ٱلْعِصِيِّ نَارًا مُضِيَّةً . مَجُوسًا تُقَرِّبُ ٱلْقَرَابِينَ وَتُدْنِي ٱلْهَدِيَّةَ . مَلَائِكَةً تُنَادِي بِٱلسَّلَامِ وَٱلرَّجَاءِ فِي أَرْجَاءِ ٱلْبَرِيَّةِ . كَوْكَبًا يَهْدِي مَوْكِبًا مِنْ أَقْيَالِ ٱلْمَجُوسِ إِلَى وَصِيدِ ٱلْمَغَارَةِ ٱلْبَيْتَ لَحْمِيَّةِ . قُطْبًا تَشَرَّفَتْ بِهَا ٱلْأَعْلَامُ وَٱلْبُنُودُ ٱلْمَلَكِيَّةُ . طِفْلًا تَرْتَجُّ لِهَيْبَتِهِ أَقْطَابُ ٱلْكُرَاتِ ٱلْفَلَكِيَّةِ . فَهَلُمُّوا ٱلْآنَ يَا أَصْفِيَاءَ سَيِّدِنَا ٱلْمَسِيحِ . نَنْثُرُ مِنْ صَدَفِ ٱلْأَفْوَاهِ لَآلِئَ ٱلتَّسْبِيحِ . نُكْثِرُ مِنَ ٱلتَّمْجِيدِ لِهٰذِهِ ٱلرَّأْفَةِ . وَنَقِفُ أَمَامَ ٱللهِ بِٱلرِّعْدَةِ

وَٱلْمَخَافَةِ . نَتَوَاهَبِ ٱلضَّغَائِنَ وَخَسَائِسَ ٱلْأَحْقَادِ . وَنُحَلِّ أَجْيَادَ ٱلْعَقَائِدِ بِنَفَائِسِ عُقُودِ ٱلِاعْتِقَادِ . نَغْسِلُ مِنْ دَسَاتِيرِ ٱلْقُلُوبِ أَسَاطِيرَ ٱلشُّكُوكِ . وَنَخِرُّ لَهُ سُجَّدًا بِقَرَابِينِ ٱلْأَعْمَالِ مَعَ ٱلْمُلُوكِ . نُخْلِصُ ٱلنِّيَّاتِ وَٱلسَّرَائِرَ . وَنُعِدُّ لَنَا فِي ظُلَلِ ٱلنُّورِ أَخَايِرَ ٱلذَّخَائِرِ . نَتَطَهَّرُ مِنْ أَوْضَارِ ٱلْجُسُومِ وَخَطَايَا ٱلنُّفُوسِ . وَنُقَدِّمُ لَهُ ٱلطَّاعَةَ ٱلْقَلْبِيَّةَ مَعَ هَدَايَا ٱلْمَجُوسِ . نَطْرَبُ لِمَوْلِدِهِ مَعَ رُعَاةِ ٱلْأَغْنَامِ . وَنُسَرُّ بِٱلْفَرْحَةِ ٱلَّتِي عَمَّتِ ٱلْيَوْمَ كُلَّ ٱلْأَنَامِ . نَسْتَشْرِ هٰذِهِ ٱلْمَفَاخِرَ وَٱلْمَنَاقِبَ . وَنَسْتَشِفُّ مَآثِرَ ٱلْعِيدِ ٱلسَّعِيدِ بِٱلْآرَاءِ ٱلثَّوَاقِبِ . وَنَقِفُ فِي هٰذَا ٱلسِّرِّ ٱلشَّرِيفِ وُقُوفَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْأَطْهَارِ . وَنَتَأَمَّلُ ٱلْأَسْرَارَ ٱلْإِلٰهِيَّةَ بِعُيُونِ ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْكَارِ . وَنَضْرَعُ إِلَى ٱلَّذِي هَدَانَا مِنْ مَتَايِهِ ٱلْأَضَالِيلِ . وَقَادَنَا إِلَى مَدَارِجِ ٱلْهُدَى بِخَزَائِمِ أَوَامِرِ ٱلْإِنْجِيلِ . أَنْ يُشَرِّفَ جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِهِ . وَيُضَاعِفَ مَرَابِحَنَا بِرَأْفَتِهِ . وَيَسْدُلَ عَلَى أَبْوَابِ حَوَاسِّنَا سُتُورَ عِصْمَتِهِ . وَيَجْعَلَ هٰذَا ٱلْعِيدَ ٱلسَّعِيدَ مُبَارَكًا عَلَى أُمَّتِهِ . مَيْمُونَ ٱلنَّقَائِبِ عَلَى شَعْبِهِ ٱلْمُقَدَّسِ وَرَعِيَّتِهِ . وَيَزْرَعَ ٱلْأُلْفَةَ وَٱلْمَحَبَّةَ فِي بِيعَتِهِ . وَيُخْمِدَ نَوَائِرَ ٱلْفِتَنِ ٱلثَّوَائِرِ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ بِرَحْمَتِهِ . وَيُعِيدَ كُلَّ خَلِيلٍ حَائِدٍ عَنْ جَدَدِ ٱلِاسْتِوَاءِ إِلَى زُمْرَتِهِ . وَيُقْصِيَ كُلَّ مُرِيدٍ خَلَعَ رِبْقَةَ ٱلطَّاعَةِ عَنْ أَظْلَالِ عِنَايَتِهِ . وَيَجْعَلَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فُلَانًا فِي أَكْنَافِ ٱلْحَرَمِ ٱلْحَرِيزِ ٱلْأَمْنَعِ وَأَلْطَافِ ٱلظِّلِّ ٱلْمَدِيدِ ٱلْأَوْسَعِ . وَأَعْرَافِ ٱلْحِمَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْأَشْرَسِ . وَأَعْلَى ذُرْوَاتِ ٱلْعِزِّ ٱلشَّدِيدِ ٱلْأَقْعَسِ . وَأَنْ يُسْبِغَ ظِلَّهُ

الظَّلِيلَ ٱلنَّاصِرِيَّ • عَلَى شَعْبِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ ٱلنَّاصِرِيِّ لِيَحْمِيَ سِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَذَاءِ بِصَارِمِ عَدْلِهِ • وَيَحْرُسَ شِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَقْذَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ وَعَزِيزِ فَضْلِهِ • بِشَفَاعَةِ ٱلْأَطْهَارِ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ ٱلْمُؤَيَّدِينَ • وَصَلَاةِ ٱلْأَخْيَارِ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ ٱلْمُتَزَهِّدِينَ • آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُتَفَرِّدِ بِٱلْكَمَالِ فِي عِزَّةِ ٱقْتِدَارِهِ • وَٱلْمُتَوَحِّدِ بِٱلْجَلَالِ فِي سُرَادِقِ مَجْدِهِ وَوَقَارِهِ • أَلْمُحْتَجِبِ عَنْ لَفَتَاتِ ٱلْأَبْصَارِ بِسُتُورِ أَنْوَارِهِ • أَلْمُنْتَقِبِ عَنْ لَمَحَاتِ ٱلْأَفْكَارِ بِنُورِ أَسْتَارِهِ • ٱلَّذِي أَعْجَزَتِ ٱلْأَفْهَامَ مَوَانِعُ مَعْرِفَتِهِ • وَعَجِزَتِ ٱلْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ • وَذَهِلَتِ ٱلْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ • وَدَهِشَتْ بَصَائِرُ ٱلنُّظَّارِ فِي صَنَائِعِ حِكْمَتِهِ • ٱلَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوُجُوهُ ٱلْإِيمَانِ مُلَفَّعَةٌ بِرِدَاءِ ٱلضَّلَالِ • وَمَلَابِسُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُهْتَانِ سَاحِبَةٌ ٱلذَّلَاذِلِ وَٱلْأَذْيَالِ • وَمَرَابِعُ ٱلْفَضَائِلِ دَارِسَةُ ٱلْمَعَالِمِ وَٱلْأَطْلَالِ • وَمَرَاتِعُ ٱلرَّذَائِلِ مُخْصِبَةُ ٱلْأَخْلَاءِ مُمْتَدَّةُ ٱلْأَظْلَالِ • فَسَدَّدَ بِلَفْظِهِ ٱلْأَقْدَامَ ٱلْعَاثِرَةَ • وَشَيَّدَ بِوَعْظِهِ ٱلْأَعْلَامَ ٱلدَّاثِرَةَ • وَرَدَّ ٱلْخَلْقَ مِنْ فِجَاجِ ٱلرَّدَى بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلْقَاهِرَةِ • وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ ٱلْهُدَى بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ • حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ ٱلْإِيمَانِ مِنْ أَكْدَارِ رَنَقِهِ • وَأَشْرَقَ ٱلْحَقُّ كَٱلشَّمْسِ ٱلْمُنِيرَةِ فِي دَائِرَةِ فَلَكِهِ • وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ ٱلْهُدَى فِي جَوِّهِ وَمَشْرِقِهِ • وَتَجَلَّى ٱلدِّينُ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي أَفْخَرِ أَثْوَابِهِ وَبَهَاءِ رَوْنَقِهِ • نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ حَسَرَ فِي أَدَاءِ

فَرَائِضِ ٱلطَّاعَاتِ عَنْ سَاقِهِ وَمِرْفَقِهِ • وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا تَتَبَلَّجُ أَهِلَّةُ ٱلْإِخْلَاصِ عَلَى جَبِينِهِ وَمَفْرِقِهِ • أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ذَا يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ وَبِدَايَةِ ٱلْجُلُوسِ عَنِ ٱلْيَمِينِ • فَلْنَفْرَحْ بِهٰذَا ٱلْعِيدِ وَلْيُعَانِقْ بَعْضُنَا بَعْضًا • أَلْيَوْمُ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ وَمَبْدَأُ ٱلتَّجْدِيدِ • وَأَشْرَفُ ٱلْمَبَادِي ٱلْيَمِينِيَّةِ وَأَوَّلُ ٱلْعَالَمِ ٱلْعَتِيدِ • يَوْمٌ أَبْدَرَتْ فِي سَمَائِهِ أَهِلَّةُ ٱلْإِنْعَامِ • وَأُلْبِسَتِ ٱلْجِبِلَّةُ ٱلْبَشَرِيَّةُ فِي أَثْنَائِهِ حُلَّةَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْإِكْرَامِ • يَوْمٌ لَاحَتْ عَلَى مَفَارِقِهِ طُرَرُ ٱلْكَمَالِ • وَٱمْتَدَّتْ عَلَى جَبْهَتِهِ غُرَرُ ٱلسَّعَادَةِ وَٱلْإِقْبَالِ • يَوْمٌ تَحَلَّتْ بِعُقُودِ مَنَاقِبِهِ ٱلْمَعَاصِمُ وَٱلْأَجْيَادُ • وَتَطَوَّقَتْ بِقَلَائِدِ فَخْرِهِ نُحُورُ ٱلْمَوَاقِيتِ وَٱلْأَعْيَادِ • يَوْمٌ عَطَّرَ أَثْوَابَ ٱلزَّمَانِ تَأَرُّجُ نَشْرِهِ • وَأَقْمَرَ لَيْلُ ٱلْأَذْهَانِ بِتَبَلُّجِ فَجْرِهِ • يَوْمٌ لَاحَ عَلَى جَبِينِ ٱلْمَجْدِ إِشْرَاقُ نَجَاحِهِ • وَبَاحَ بِأَسْرَارِ ٱلسَّعْدِ إِسْفَارُ صَبَاحِهِ • وَتَهَلَّلَتْ وُجُوهُ ٱلْإِقْبَالِ بِفَوْزِ قِدَاحِهِ • وَٱهْتَزَّتْ مَعَاطِفُ ٱلْقُلُوبِ بِحُمَيَّا رِيحِهِ وَنَشْوَةِ رَاحِهِ • يَوْمٌ أَضَاءَتْ فِي حَنَادِسِ ٱلْكَآبَةِ مَطَالِعُ جَلَالِهِ • وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ ٱلْقُلُوبِ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ وَطَوَالِعُ إِقْبَالِهِ • يَوْمٌ ظَهَرَتْ عَلَائِمُ ٱلْبَرَكَاتِ عَلَى صَفَحَاتِهِ • وَهَبَّتْ نَسَائِمُ ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ نَفَحَاتِهِ • وَقُدِحَتْ أَنْوَارُ ٱلسَّعَادَةِ مِنْ زُنُودِهِ • وَعَرَّسَتْ رَكَائِبُ ٱلْجُودِ عَلَى مَنَاهِلِهِ وَوُرُودِهِ • وَحُلَّتْ مَعَاقِدُ ٱلْأَحْزَانِ لِفَرْحَتِهِ • وَقَامَ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ عَلَى قَدَمِ ٱلِٱبْتِهَاجِ فِي صُبْحَتِهِ • يَوْمٌ بَشَّرَنَا بِٱلْفَلَاحِ أَدِيمُهُ • وَنَشَرَ عَلَيْنَا رَايَةَ ٱلْأَفْرَاحِ نَسِيمُهُ • وَزَالَتْ عَنِ ٱلْخَلَائِقِ ضَرَّاؤُهُ • وَٱنْحَسَرَتْ عَنْ مَعْرِفَةِ ٱلْحَقِّ نَكْرَاؤُهُ • وَتَجَلَّتْ فِي

مَلَابِسِ ٱلْإِشْرَاقِ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَفَرَّتْ أَغْسَاقُ ٱلضَّلَالِ عَنِ ٱلْقُلُوبِ بِطَوَالِعِ نُورِهِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ ٱلْكَمَالِ . وَأَضْحَكَتْ بَدَائِعُ أَسْرَارِهِ مَبَاسِمَ ٱلْآمَالِ . وَبَسَطَتْ فَرْحَتُهُ قَوَابِضَ ٱلْأَسِرَّةِ . وَٱنْتَقَلَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْأَحْزَانِ إِلَى أُنْسِ ٱلْمَسَرَّةِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَذْهَلَتِ ٱلْأَلْبَابَ غَرَائِبُهُ . وَأَخْرَقَتِ ٱلْعُقُولَ عَجَائِبُهُ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ ٱلْمَجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ ٱلْأَعْيَادِ مَنَاقِبُهُ . أَلْيَوْمَ تَكَسَّفَتْ بُدُورُ ٱلْأَضَالِيلِ . تَكَشَّفَتْ سُتُورُ ٱلْأَبَاطِيلِ . تَشَقَّقَتْ رُمُوسُ ٱلْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نُفُوسُ ٱلْأَخْيَارِ . خَرَجَ هِلَالُ ٱلنَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظُلَمِ ٱلسِّرَارِ . ظَهَرَ مُخَلِّصُ ٱلْكُلِّ مِنَ ٱلْمَطْلَعِ ٱلْقَبْرِيِّ مُبَرْقَعًا بِرِدَاءِ ٱلْأَنْوَارِ . أَلْيَوْمَ عَطَسَتْ أُنُوفُ ٱلْجُودِ . تَفَوَّقَتْ شُنُوفُ ٱلْوُجُودِ . فُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلنِّعْمَةِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ ٱلْحِكْمَةِ . تَبَلَّجَتْ أَقْمَارُ ٱلْمَعَارِفِ . تَجَلَّلَتِ ٱلْأَبْدَانُ بِأَبْهَى ٱلْمَطَارِفِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَضْحَتْ فِيهِ غُرَرُ ٱلْآمَالِ مُبْيَضَّةً . وَلَطَائِمُ ٱلْإِقْبَالِ مُنْفَضَّةً . وَمَوَاكِبُ ٱلشَّيْطَانِ مُرْفَضَّةً . وَكَوَاكِبُ ٱلْبُهْتَانِ مُنْقَضَّةً . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَبَلَّجَتِ ٱلْحَقَائِقُ فِي سَدْفَتِهِ . وَٱبْتَهَجَتِ ٱلْخَلَائِقُ فِي صُبْحَتِهِ . صُبَّتِ ٱلْبَرَكَاتُ فِي بُكْرَتِهِ . وَعَمَّتِ ٱلْخَيْرَاتُ بِيُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ . فَإِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي صَنَعَهُ ٱلرَّبُّ هَلُمُّوا نَبْتَهِجْ وَنَفْرَحْ فِيهِ (مزمور ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَتَتْكُمْ بُشْرَى ٱلْقِيَامَةِ فِي أَبْرَاكِ ٱلْبُكَرِ وَآيِنِ ٱلْأَصْبَاحِ . وَقَدِمَتْ عَلَيْكُمْ رَكَائِبُ ٱلْبَهْجَةِ بَادِيَةَ ٱلْغُرَرِ وَٱلْأَوْضَاحِ . وَذَرَّتْ عَلَيْكُمْ مِنْ

أَشْرَفِ ٱلْمَطَالِعِ شُمُوسُ ٱلْمَسَرَّةِ وَٱلْأَفْرَاحِ. فَٱلْهَنَاءُ بِٱلْقِيَامَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ لِسَائِرِ ٱلْجُسُومِ وَٱلْأَرْوَاحِ. فَهَلُمُّوا ٱلْآنَ نَؤُمَّ ٱلْمَدِينَةَ ٱلْقُدْسِيَّةَ بِأَقْدَامِ ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْكَارِ. وَنَلْمَحِ ٱلسَّيِّدَ ٱلْمَسِيحَ بِعُيُونِ ٱلْبَصَائِرِ وَٱلِٱعْتِبَارِ. نَرَهُ مُتَأَلِّقًا مِنَ ٱلْمَطْلِعِ ٱلْقَبْرِيِّ. مُمَزِّقًا مَلَابِسَ ٱلْمَوْتِ عَنْ طَبْعِهِ ٱلْبَشَرِيِّ. نَنْظُرْ مَلَائِكَةَ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْحُلَلِ ٱلنُّورِيَّةِ. جَاثِمَةً عَلَى صَهْوَةِ ٱلسُّدَّةِ ٱلْقَبْرِيَّةِ. نَبْتَهِجْ مَعَ مَرْيَمَ ٱلْمَجْدَلِيَّةِ وَيُوحَنَّا. نُسَرَّ بِٱلْقِيَامَةِ ٱلْبِكْرِيَّةِ مَعَ شَمْعُونَ ٱلصَّفَا وَيُوحَنَّا. نَسْعَ بِأَقْدَامِ ٱلْهِمَمِ إِلَى جَلِيلِ ٱلْجَلَالِ. نَتَلَقَّ مُخَلِّصَ ٱلْكُلِّ بِٱلْإِكْرَامِ وَٱلْإِجْلَالِ. نَتَهَادَ بِٱلسَّلَامِ وَحُسْنِ ٱلتَّحِيَّةِ. وَنَهُزَّ أَعْطَافَ ٱلْقُلُوبِ بِنَشْوَةٍ أَرْيَحِيَّةٍ. نَسْتَسِلَّ ٱلسَّخَائِمَ وَٱلْأَحْقَادَ بِٱلْقُبْلَةِ. وَنَسْتَبْشِرْ بِهٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْعَظِيمِ مَعَ ٱلزُّمْرَةِ ٱلسَّائِحَةِ. نَبْعَثِ ٱلْهِمَمَ مِنْ قُبُورِ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْإِهْمَالِ. وَنُشَمِّرْ عَنْ سُوقِ ٱلْعَزَائِمِ تَشْمِيرَ ٱلرِّجَالِ. وَنُعِدَّ لَنَا فِي خَزَائِنِ ٱلْمَلَكُوتِ صَوَالِحَ ٱلْأَعْمَالِ. وَنَسْتَعِدَّ بِٱلْمَصَابِيحِ وَٱلْأَضْوَاءِ لِيَوْمِ ٱلْمَآلِ. فَلْنَقْتَرِبِ ٱلْآنَ عَلَانِيَةً إِلَى كُرْسِيِّ نِعْمَتِهِ. لِنَظْفَرَ بِٱلْمَرَاحِمِ وَنَجِدَ ٱلنِّعْمَةَ لِلْعَوْنِ فِي زَمَانِ ٱلضِّيقِ (عبرانيين ٤ : ١٦). وَنَطْلُبُ مِنَ ٱللهِ أَنْ يَجْعَلَ هٰذَا ٱلْعِيدَ ٱلسَّعِيدَ. وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَشْرَفَ ٱلْمَجِيدَ. مُبَارَكًا عَلَيْكُمْ مَيْمُونَ ٱلنَّقَائِبِ. مُؤْذِنًا بِٱلسَّعَادَاتِ ٱلْخَافِقَةِ ٱلْأَعْلَامِ ٱلْمُمْتَدَّةِ ٱلذَّوَائِبِ. وَيَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ مَا أَسْلَفْتُمُوهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّوَالِحِ. وَذَخَرْتُمُوهُ فِي خَزَائِنِ ٱلْمَلَكُوتِ مِنَ ٱلْمَتَاجِرِ وَٱلْمَرَابِحِ. وَلَا بَرِحْتُمْ مَكْنُوفِينَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَارِفَةِ ٱلْأَظْلَالِ. وَمِنْحَةٍ ضَافِيَةِ

ٱلْأَهْدَابِ وَٱلْأَذْيَالِ . يَتَأَرَّجُ فِي ٱلْآفَاقِ نَشْرُ رَيَّاهَا . وَيَتَبَلَّجُ فِي سَمَاءِ ٱلْإِشْرَاقِ بِشْرُ مُحَيَّاهَا . رَاتِعِينَ فِي أَخْلَاءِ سَعَادَاتٍ مُتَبَلِّجَةِ ٱلْبُدُورِ . وَادِعِينَ فِي أَثْنَاءِ مَوَاهِبَ مُبْتَهِجَةِ ٱلْوُجُوهِ بَاسِمَةِ ٱلثُّغُورِ . وَلَا بَرِحَتْ شَوَارِدُ ٱلنِّعَمِ لَدَيْكُمْ ثَاوِيَةً . وَمَوَارِدُ ٱلْحِكَمِ لِقُلُوبِكُمْ رَاوِيَةً . وَزُنُودُ ٱلْفَضَائِلِ فِي أَلْبَابِكُمْ وَارِيَةً . وَجُنُودُ ٱلرَّذَائِلِ عَنْكُمْ مُتَوَارِيَةً . حَتَّى تَتَلَقَّوْا مَوْرِدَ مُخَلِّصِكُمْ يَوْمَ ٱلنَّشْأَةِ ٱلْأُخْرَى . وَٱلْقِيَامَةِ ٱلْكُبْرَى . بِوُجُوهٍ مُتَبَلِّجَةِ ٱلْوَضَاءِ . وَقُلُوبٍ لَهِجَةٍ بِٱلثَّنَاءِ . تَرْفُلُونَ فِي أَثْوَابِ ٱلنَّعِيمِ ٱلْأَبَدِيِّ فِي ٱلْعِرَاصِ ٱلْمَلَكُوتِيَّةِ . وَتَقْتَعِدُونَ سُرُرَ ٱلْعِزِّ وَٱلْإِكْرَامِ مَعَ ٱلْأَوْلِيَاءِ ٱلْخَوَاصِّ وَٱلزُّمَرِ ٱلْمَلَائِكِيَّةِ . بِشَفَاعَةِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْقِدِّيسِينَ . وَسَائِرِ ٱلشُّهَدَاءِ وَٱلْمُنْتَخَبِينَ . آمِينَ

لعيد الرُّسُل الاطهار

٣٣ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَنَارَ بِسُبُحَاتِ نُورِهِ بَصَائِرَ ٱلْخُلَصَاءِ . وَطَبَعَ سِرَّ ظُهُورِهِ فِي صَفَحَاتِ سَرَائِرِ ٱلْأَخِصَّاءِ . وَوَضَعَ أَكَالِيلَ ٱلْمَوَاهِبِ ٱلْمَلَكُوتِيَّةِ عَلَى مَفَارِقِ رُؤُوسِ ٱلْأَصْفِيَاءِ . وَأَيَّدَ بِنُورِ ٱلْحِكَمِ ٱللَّاهُوتِيَّةِ عُقُولَ ٱلْأَنْصَارِ وَٱلسَّلِيحِينَ ٱلْأَوْصِيَاءِ . نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ حُلَلِ ٱلْمَجْدِ وَمَلَابِسِ ٱلسَّنَاءِ . وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزَائِلِ نَعْمَائِهِ شُكْرًا يَمْلَأُ أَقْطَارَ ٱلْأَرْضِ وَأَكْنَافَ ٱلسَّمَاءِ . أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ٱلثَّنَاءَ عَلَى مَنَاقِبِ ٱلرُّسُلِ ٱلْفُضَلَاءِ زَكَاةُ ٱلْفَصَاحَةِ . وَنَشْرَ مَحَاسِنِ ٱلرُّسُلِ ٱلْأَوْلِيَاءِ يُهْدِي إِلَى ٱلْأَرْوَاحِ رَوْحَ ٱلرَّاحَةِ . فَإِنَّ نَسَائِمَ نَشْرِ مَفَاخِرِهِمْ إِذَا تَأَرَّجَتْ وَضَاعَتْ . أَوْجَدَتْ فِي ٱلْقُلُوبِ مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ مَا كَانَتْ أَضَاعَتْ . أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱخْتَارَهُمُ

ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ مِنْ أَحْقَرِ ٱلْمَنَاسِبِ . وَأَصَارَهُمْ مِنْ دَرَجِ ٱلْإِمَامَةِ ٱلْكَهْنُوتِيَّةِ فِي أَوْفَى ٱلرُّتَبِ وَأَعْلَى ٱلْمَنَاصِبِ . وَٱصْطَفَاهُمْ خَدَمًا لِشَرِيفِ سُدَّتِهِ . وَدُعَاةً يُرْسِلُهُمْ إِلَى آفَاقِ ٱلْأَرْضِ لِنَشْرِ اوَامِرِ نَامُوسِهِ وَدَعْوَتِهِ . وَجَعَلَهُمْ بُرُوجًا ٱثْنَيْ عَشَرِيَّةً لِشَمْسِ سُلْطَانِهِ وَاشِعَّتِهِ . وَسَاعَاتٍ نَاطِقَةً لِنَهَارِ شَرْعِهِ ٱلْفَضْلِيِّ وَبِشَارَتِهِ . وَٱخْتَصَّهُمْ مَلَائِكَةً لِعَرْشِ عِزَّتِهِ ٱلَّذِي لَا يَطُورُ بِهِ ثَلٌّ . وَجُنُودًا مُحْتَفَّةً بِلِوَاءِ سُلْطَانِهِ ٱلْقُدْسِيِّ ٱلَّذِي لَا يُلِمُّ بِعَقْدِهِ حَلٌّ . وَرَتَّبَهُمْ أَئِمَّةً لِلْخَلْقِ وَأَعْلَامًا لِلدَّلَالَةِ . وَشَرَّفَهُمْ بِتَاجِ ٱلْكَهْنُوتِ وَأَكَالِيلِ ٱلرِّسَالَةِ . وَمَثَّلَهُمْ بِٱلْمِلْحِ ٱلْمُصْلِحَةِ لِلطُّعُومِ ٱلتَّفِهَةِ . وَٱلْأَنْوَارِ ٱلزَّوَاهِرِ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱلْبِيعِيِّ ٱلَّذِي تُضِيءُ بِأَنْوَارِهِ كُلُّ جِهَةٍ . وَبَذَرَ زُرُوعَ ٱلْقُدْسِ وَٱلْإِيمَانِ فِي فَرَادِيسِ أَذْهَانِهِمْ . وَأَنْبَتَ غُرُوسَ سَرَائِرِ ٱلْمَلَكُوتِ فِي جِنَانِ جَنَانِهِمْ . وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَصَابِيحَ ٱلدُّجَى . وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ أَقَالِيدَ ٱلْمَلَكُوتِ وَمَفَاتِيحَ ٱلرَّجَا . وَأَمَرَهُمْ بِصَفْحِ ٱلذُّنُوبِ وَغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا . وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى ٱسْتِنْزَالِ ٱلْمَوَاهِبِ وَٱسْتِغْزَارِ ٱلْعَطَايَا . وَأَثْبَتَ أَسْمَاءَهُمْ فِي بِيعَةِ ٱلْأَبْكَارِ وَجَرَائِدِ ٱلْأَسْمَاءِ . وَأَنْفَذَ حُكْمَهُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ وَأَكْنَافِ ٱلسَّمَاءِ . وَقَالَ لَهُمْ مَا تَحُلُّونَهُ فِي ٱلْأَرْضِ فَهُوَ مَحْلُولُ ٱلْمَبَانِي وَٱلْقَوَاعِدِ . وَمَا تَرْبِطُونَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ فَهُوَ مَزْمُومُ ٱلنَّوَاحِي مَرْبُوطُ ٱلْمَعَاقِدِ . وَأَمَرَهُمْ بِٱلسَّعْيِ فِي ٱلْمَتَايِهِ وَٱلْمَجَاهِلِ بِقُلُوبٍ قَوِيَّةٍ . وَأَنْ يَغْشَوْا غَمَرَاتِ ٱلْكَرَائِهِ بِنُفُوسٍ عَازِفَةٍ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ أَبِيَّةٍ . يَنْتَقِلُونَ فِي ٱلْأَغْوَارِ وَٱلْأَنْجَادِ . بِغَيْرِ سِلَاحٍ يَحْمِي سِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَذَاءِ وَلَا زَادٍ . يَرِدُونَ عَلَى ٱلْمَمَالِكِ وَٱلْأَمْصَارِ

وَيَذُودُونَ الأُمَمَ العَاصِيَةَ مِنْ حِنْدِسِ المَسَاءِ إِلَى ضِيَاءِ النَّهَارِ . يُجَنِّبُونَ الجُنُوبَ فِي الطَّاعَاتِ المَسِيحِيَّةِ وَثِيرَ المَرَاقِدِ . وَيَسْتَوطِئُونَ النَّوْمَ عَلَى مَضَاجِعِ السَّيَالِ وَخَشِنِ الغَرَاقِدِ . يَقْطَعُونَ المَسَافَاتِ الشَّاسِعَةَ بِشُسُوعٍ مُقَطَّعَةٍ . وَيَخُوضُونَ البُحُورَ الزَّوَاخِرَ بِقُلُوبٍ مُحْتَفَّةٍ بِالتَّأْيِيدِ وَأَذْهَانٍ مُشَجَّعَةٍ . يُرْفِلُونَ إِلَى سَائِرِ الآفَاقِ بِنَجَائِبِ الهِمَمِ العَلِيَّةِ . وَيَتَوَقَّلُونَ أَعْنَاقَ اللُّجَجِ العَمِيقَةِ بِأَقْدَامِ العَزَائِمِ القُدْسِيَّةِ . صَابِرِينَ عَلَى مُعَانَاةِ البَلَايَا وَالمَصَاعِبِ . مُثَابِرِينَ عَلَى مُكَافَحَةِ الأَهْوَالِ فِي الشُّقَقِ البَعِيدَةِ وَالمَتَاعِبِ . يَنْتَقِلُونَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ . وَيَنْقُلُونَ عَنِ القُلُوبِ غُمَّةً بَعْدَ غُمَّةٍ . لَا تُزْعِجُهُمْ نَارُ الأَهْوَالِ إِذَا تَأَجَّجَتْ وَشُبَّتْ . وَلَا تُذْهِلُهُمْ عَقَارِبُ الأَقْدَارِ إِذَا ازْبَأَرَّتْ وَدَبَّتْ . وَلَا تَتَقَلْقَلُ عَزَائِمُهُمْ عَنْ عَوَاصِفِ رِيَاحِ الوَعِيدِ إِذَا هَبَّتْ . وَلَا تَتَزَلْزَلُ هِمَمُهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ غَمَائِمُ التَّهْدِيدِ وَصَبَّتْ . يَخْلُبُونَ بِالآيَاتِ البَاهِرَةِ قُلُوبَ رَبَّاتِ المَوَادِجِ . يُزْعِجُونَ سُدَدَ المَمَالِكِ العِظَامِ بِالكَلِمَاتِ السَّوَاذِجِ . فَهُمْ كَأُنَاسٍ نُضِيَتْ عَنْ أَشْبَاحِ أَبْدَانِهِمْ جَلَابِيبُ البَشَرِيَّةِ . أَوْ كَأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ تَأَرَّضُوا فَانْقَضُّوا مِنْ صَفِيحِ السَّمَاءِ الأَثِيرِيَّةِ . شُعْثُ اللِّمَمِ وَالنَّوَاصِي صَوَافِي الأَذْهَانِ . سُهُمُ الوُجُوهِ ضَوَامِرُ الأَبْدَانِ . ضِئَالُ الجُسُومِ مِنْ تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ العِبَادَةِ . غُبْرُ الوُجُوهِ مِنْ تَعْفِيرِ الخُدُودِ عَلَى هَبَوَاتِ الثَّرَى وَقَشَفِ الزَّهَادَةِ . نِحَافُ الأَبْدَانِ مِنَ التَّهَجُّدِ فِي ظُلُمَاتِ الدَّيَاجِرِ . شُحَّابُ الأَلْوَانِ مِنْ نَفَحَاتِ السَّمَائِمِ وَحَرِّ الهَوَاجِرِ . قَدْ لَبِسُوا مَلَابِسَ الفَقْرِ عَلَى فَقَرَاتٍ بَالِيَةٍ . وَنَزَعُوا عَنْ

ٱلْقُلُوبِ حَنَادِسَ ٱلْكُفْرِ بِخَطَرَاتٍ عَالِيَةٍ... مَسَاكِينُ تَرْجُفُ مِنْ سَطْوَتِهِمْ أَسِرَّةُ ٱلْمَمَالِكِ. جُبْنٌ قَدْ قَهَرُوا ذَوِي ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ. لُكْنٌ أَرْبَوْا بِٱلْحُجَجِ ٱلدَّوَامِغِ عَلَى أَرْبَابِ ٱلْفَصَاحَةِ... لَيْسَ لَهُمْ فِي خَزَائِنِ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْعَقَائِلِ غَيْرُ حُبِّ حُبِّ ٱلْمَسِيحِ. وَلَا لَهُمْ فِي جُيُوبِ ٱلْجُنُوبِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ ٱلْجَزَائِلِ غَيْرُ ٱلْإِيمَانِ ٱلصَّحِيحِ. لَا يَثْنِي ثَنِيَّةَ عَزَائِمِهِمْ عَنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَى سَيِّدِهِمْ ثَانٍ. وَلَا فِي صَدَفَاتِ قُلُوبِهِمْ غَيْرُ دُرَّةِ ٱلتَّوْحِيدِ شَيْءٌ ثَانٍ. مِنْ شُذُورِ كَلَامِهِمْ تُنْظَمُ عُقُودُ ٱلْعَقَائِدِ. وَبِنُورِ أَفْهَامِهِمْ تُسْتَلُّ ٱلسَّخَائِمُ وَتُحَلُّ عُقُودُ ٱلْحَقَائِدِ. هَجَمُوا عَلَى مُلُوكِ ٱلرُّومِ وَفَلَاسِفَةِ ٱلْيُونَانِ. وَهُمْ مُنْهَمِكُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْغَيِّ وَعِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ. قَدْ أَذْهَلَتْهُمْ شُبَهُ ٱلشُّكُوكِ فَلَمْ تُغَادِرْ لَهُمْ لُبًّا. حَتَّى ٱتَّخَذُوا لَهُمُ ٱلصَّنَمَ ٱلْمَسْبُوكَ إِلٰهًا وَرَبًّا. قَدْ عَسْعَسَتْ دَيَاجِيرُ ٱلْكُفْرِ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ. وَعَشْعَشَ ٱلْبُهْتَانُ وَٱلضَّلَالُ فِي أَوْعَارِ سَرَائِرِهِمْ. فَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ عَدِمَ بَهَاءَ ٱلْعَقْلِ ٱلشَّرِيفِ فَبَهِمَ. وَضَرِيَ عَلَى شَهَوَاتِ ٱلْجَسَدِ ٱلسَّخِيفِ حَتَّى نَهِمَ. قَدْ عَاثَتْ ذِئَابُ ٱلْخَطَايَا فِي أَجْسَادِهِمْ. وَفَاحَتْ رَائِحَةُ ٱلذُّنُوبِ وَزَفْرَةُ ٱلْأَجْرَامِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ. فَمَا زَالُوا يَصْدَعُونَ قُلُوبَهُمْ بِصَوَادِقِ ٱلْبَرَاهِينِ وَٱلْبَيِّنَاتِ. وَيَقْطَعُونَ أَعْذَارَ ٱلْحُكَمَاءِ بِمُدَى ٱلْأَدِلَّةِ وَصَوَارِمِ ٱلْآيَاتِ. حَتَّى ٱنْفَلَقَتْ بَيْضَةُ ٱلْأَذْهَانِ عَنْ فَرْخِ ٱلْحَقَائِقِ. وَٱفْتَرَّتْ مَضَاحِكُ ٱلْإِيمَانِ فِي وُجُوهِ ٱلْخَلَائِقِ. وَحَازَ ٱلْحَقُّ قَصَبَاتِ ٱلسَّبْقِ يَوْمَ رِهَانِهِ. وَتَنَكَّسَتْ أَعْلَامُ ٱلضَّلَالِ بِظَاهِرِ مُعْجِزِهِ وَبُرْهَانِهِ. فَٱنْتَقَلَ ٱلنَّاسُ إِلَى نَهَارِ ٱلْبِشَارَةِ

ٱلْمَسِيحِيَّةِ مِنْ لَيْلِ ٱلظَّلَامِ ٱلدَّامِسِ . وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى جَدَدِ ٱلْهُدَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى ٱلطُّرُقِ ٱلطَّوَامِسِ . وَقَادُوهُمْ عَنْ تِيهِ ٱلْأَضَالِيلِ وَفِجَاجِ ٱلرَّدَى . وَأَعَادُوهُمْ بِشَرْعِ ٱلْمَسِيحِ إِلَى سَدِيدِ ٱلْمَقَاصِدِ وَمِنْهَاجِ ٱلْهُدَى . بِآيَاتٍ قَطَّتْ قَوَاضِبُهَا عُرَى ٱلْأَبَاطِيلِ مِنْ قُلُوبِ ٱلْحُكَمَاءِ . وَقَطَعَتْ مَضَارِبُهَا عَلَائِقَ ٱلشُّبُهَاتِ مِنْ أَذْهَانِ ٱلْفُضَلَاءِ . فَكَمْ مِنْ مَيْتٍ طَوَاهُ ٱلْفَنَاءُ فِي مَدَارِجِ أَكْفَانِهِ فَنَشَرُوهُ وَأَنْشَرُوهُ . وَأَعْمَى أَزَالُوا غَشَاوَةَ ٱلْعَمَاءِ عَنْ بَصَرِهِ فَبَصَّرُوهُ وَنَصَّرُوهُ . وَكَمْ مُكْتَتِمٍ فِي مَخَادِعِ ٱلْحَيَاءِ مِنْ وَحْشَةِ بَرَصِهِ فَأَظْهَرُوهُ وَطَهَّرُوهُ . وَذِي لَمَمٍ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْحِجَى بِٱلْبُرْءِ وَٱلشِّفَاءِ بَشَّرُوهُ . وَكَمْ مِنْ مُقْعَدٍ حَلُّوا قَيْدَ ٱلزَّمَانَةِ مِنْ رِجْلِهِ فَأَنْهَضُوهُ ... وَكَلَامٌ عَلَيْهِ مَسْحَةُ ٱلْبَشَاعَةِ بَيَّنُوهُ بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَوَاهِرِ وَحَقَّقُوهُ . حَتَّى ٱنْتَشَرَتْ أَعْلَامُ رَايَاتِهِ ٱلْخَافِقَةِ . وَتَأَلَّقَتْ عَلَى ٱلْآفَاقِ ذَوَائِبُ شَمْسِهِ ٱلشَّارِقَةِ . وَزَهَرَتْ كَوَاكِبُ ٱلْإِيمَانِ فِي سَمَاءِ ٱلْبِيعَةِ . وَتَقَرَّرَ فِي قُلُوبِ ٱلْخَلْقِ شَرَفُ ٱلسُّنَّةِ ٱلْإِفْضَالِيَّةِ وَمَفَاخِرُ ٱلشَّرِيعَةِ ... فَلَمَّا أَزِفَ وَقْتُ ٱرْتِحَالِهِمْ . وَخَسَفَتْ عُقْدَةُ ٱلْمَوْتِ أَقْمَارَ آجَالِهِمْ . فَفِيهِمْ مَنْ عُمِّرَ طَوِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ مَاتَ قَتِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ قُتِلَ مَصْلُوبًا . وَصُابَ مَكْبُوبًا . وَقُبِرَ مَحْصُوبًا . وَقُتِلَ مَضْرُوبًا . فَمَنْ عُمِّرَ مِنْهُمْ عَاشَ بِٱللهِ سَعِيدًا . وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ مَاتَ فِي ٱللهِ شَهِيدًا . شَقُوا فِي عَالَمِ ٱلْفَنَاءِ قَلِيلًا . وَسَعِدُوا فِي عَالَمِ ٱلْبَقَاءِ طَوِيلًا . وَٱسْتَخْلَفُوا عَلَى رَعَايَا ٱلْمَسِيحِ أَئِمَّةً يَهْدُونَ إِلَى مَقَارِّ ٱلْمَلَكُوتِ . مُؤَيَّدِينَ بِٱلْمَوَاهِبِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ وَوَقَارِ ٱلْكَهَنُوتِ ....

ألباب الثاني
في الخطب الحماسية

تحريض خالد على القتال في اجنادين

٣٤ يا معاشر الناس انصروا الله ينصركم . وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا انفسكم في سبيل الله واصبروا على قتال اعدائكم. وقاتلوا عن حريمكم واولادكم ودينكم . وليس لكم ملجأ تلجأون إليه ومكمن تكمنون فيه. فاقرنوا المناكب وقدموا المضارب. ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة . ولتكن السهام مجتمعة إذا خرجت من اكباد القسي كأنها تخرج من كبد قوس واحد. فإنه إذا تلاحقت السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب. واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . واعلموا أنكم لا تلقون عدوا مثل هذه الفئة حماتهم وأبطالهم وملوكهم

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ ولما حان القتال خرج معاذ محرضا الناس يقول : يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق اعلموا أن رحمة الله تعالى لا تنال إلا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني وبغير عمل مرضي . ولا يؤتي الله مغفرته الواسعة إلا الصالحين والصادقين . فإنه قد قسم أن ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . واستحيوا رحمكم

ٱللهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ يَرَاكُمُ ٱللهُ مُنهَزِمِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ مِنْ دُونِهِ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَطَافَ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ وَهُوَ شَاكٌّ فِي سِلَاحِهِ رَاكِبٌ فَرَسَهُ وَهُوَ يَقُولُ : مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ أَنْتُمُ ٱلْعَرَبُ ٱلْكِرَامُ ٱلسَّادَةُ ٱلْعِظَامُ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِ ٱلْأَعْلَاجِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْوَطَنِ . وَٱللهِ لَا يُنَجِّيكُمْ مِنْهُمُ ٱلْيَوْمَ إِلَّا ٱلطَّعْنُ وَٱلضَّرْبُ تَبْلُغُونَ بِذٰلِكَ أَرَبَكُمْ وَتَنَالُونَ ٱلْفَوْزَ مِنْ رَبِّكُمْ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ ٱلْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ ٱللهُ بِهِ ٱلْهَمَّ وَيُنَجِّي بِهِ مِنَ ٱلْغَمِّ . فَٱصْدُقُوهُمُ ٱلْقِتَالَ فَإِنَّ ٱلنَّصْرَ يَنْزِلُ مَعَ ٱلصَّبْرِ . فَإِنْ صَبَرْتُمْ مَلَكْتُمْ أَمْصَارَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَٱسْتَعْبَدْتُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . وَإِنْ وَلَّيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مَفَاوِزُ لَا تُقْطَعُ إِلَّا بِٱلزَّادِ ٱلْكَثِيرِ وَٱلْمَاءِ ٱلْغَزِيرِ وَهٰؤُلَاءِ يَرْجِعُونَ إِلَى دَارٍ وَقُصُورٍ . فَٱمْتَنِعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

٣٦ لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّ رُذْرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ حَثَّ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ . ٱلْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَٱلْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَٱللهِ إِلَّا ٱلصِّدْقُ وَٱلصَّبْرُ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ ٱلْأَيْتَامِ . فِي مَأْدُبَةِ ٱللِّئَامِ . وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ . وَأَسْلِحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ

وَأَنْتُمْ لا وَزَرَ لَكُمْ إِلاَّ سُيُوفُكُمْ وَلاَ أَقْوَاتَ إِلاَّ مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ
أَيْدِي عَدُوِّكُمْ . وَإِنِ امْتَدَّتْ بِكُمُ الأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ
أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا عَنْكُمُ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ .
فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلاَنَ هٰذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هٰذَا
الطَّاغِيَةِ . فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ الْحَصِينَةُ وَإِنَّ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ فِيهِ
لَمُمْكِنٌ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ . وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ
بِنَجْوَةٍ وَلاَ حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النُّفُوسُ . أَبْدَأُ بِنَفْسِي .
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الأَشَقِّ قَلِيلاً اسْتَمْتَعْتُمْ بِالأَرْفَهِ الأَلَذِّ
طَوِيلاً . فَلاَ تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرَ مِنْ حَظِّي .
وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هٰذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ . وَقَدِ
انْتَخَبَكُمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الأَبْطَالِ عُرْبَانًا .
وَرَضِيَكُمْ لِمُلُوكِ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا . ثِقَةً مِنْهُ بِارْتِيَاحِكُمْ
لِلطِّعَانِ . وَاسْتِمَاحِكُمْ بِمُجَالَدَةِ الأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ . لِيَكُونَ حَظُّهُ
مِنْكُمْ ثَوَابَ اللهِ عَلَى إِعْلاَءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهٰذِهِ الْجَزِيرَةِ . وَلِيَكُونَ
مَغْنَمُهَا خَالِصَةً لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ . وَاللهُ
تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ . وَاعْلَمُوا أَنِّي
أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي
عَلَى طَاغِيَةِ الْقَوْمِ لُذْرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . فَاحْمِلُوا مَعِي فَإِنْ
هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفِيتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوِزْكُمْ بَطَلٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ

أُمورَكُمْ إِلَيْهِ . وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَاخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي هٰذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاكْتَفُوا الْهَمَّ مِنْ فَتْحِ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَتْلِهِ

حطبة ابي حمزة بالمدينة

٣٧ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : خَطَبَنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّ فِيهَا الْمُسْتَبْصِرُ وَرَدَّتِ الْمُرْتَابَ . قَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَتَعْظِيمِ مَا صَغَّرَتِ الْجَبَابِرَةُ فِي حَقِّ اللهِ . وَتَصْغِيرِ مَا عَظَّمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِمَاتَةِ مَا أَحْيَوْا مِنَ الْجَوْرِ . وَإِحْيَاءِ مَا أَمَاتُوا مِنَ الْحُقُوقِ . وَأَنْ يُطَاعَ اللهُ وَيَعْصِيَ الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ فَالطَّاعَةُ لِلْعِبَادِ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللهِ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ نَدْعُو إِلَى سُنَّةِ اللهِ وَالْقَسْمِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَوَضْعِ الْأَخْمَاسِ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا . إِنَّا وَاللهِ مَا خَرَجْنَا أَشَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا لَهْوًا وَلَا لَعِبًا . وَلَا لِدَوْلَةِ مُلْكٍ نُرِيدُ أَنْ نَخُوضَ فِيهَا وَلَا لِثَأْرٍ قَدْ نِيلَ مِنَّا . وَلٰكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ أَظْلَمَتْ وَمَعَالِمَ الْجَوْرِ قَدْ ظَهَرَتْ وَكَثُرَ الْإِدِّعَاءُ فِي الدِّينِ وَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَقُتِلَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ وَعُنِّفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . فَأَجَبْنَا دَاعِيَ اللهِ (الْآيَة) فَأَقْبَلْنَا مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى قَلِيلِينَ مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . فَآوَانَا اللهُ وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ فَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَعَلَى الدِّينِ أَعْوَانًا . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوَّلُكُمْ خَيْرُ أَوَّلٍ وَآخِرُكُمْ شَرُّ آخِرٍ . إِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ قُرَّاءَكُمْ وَفُقَهَاءَكُمْ فَاخْتَانُوكُمْ عَنْ كِتَابٍ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ

بِتَأْوِيلِ ٱلْجَاهِلِينَ وَٱنْتِحَالِ ٱلْمُبْطِلِينَ. فَأَصْبَحْتُمْ عَنِ ٱلْحَقِّ نَاكِبِينَ أَمْوَاتًا غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا تَشْعُرُونَ. يَا أَهْلَ ٱلْمَدِينَةِ يَا أَبْنَاءَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ وَأَسْقَمَ فَرْعَكُمْ. كَانَ آبَاؤُكُمْ أَهْلَ ٱلْيَقِينِ وَأَهْلَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱلدِّينِ وَٱلْبَصَائِرِ ٱلنَّافِذَةِ وَٱلْقُلُوبِ ٱلْوَاعِيَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ ٱلضَّلَالَةِ وَٱلْجَهَالَةِ. ٱسْتَعْبَدَتْكُمُ ٱلدُّنْيَا فَأَذَلَّتْكُمْ وَٱلْأَمَانِيُّ فَأَضَلَّتْكُمْ. فَتَحَ ٱللَّهُ لَكُمْ بَابَ ٱلدِّينِ فَأَفْسَدْتُمُوهُ. وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ بَابَ ٱلدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ. سِرَاعٌ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ بِطَاءٌ عَنِ ٱلسُّنَّةِ. عُمْيٌ عَنِ ٱلْبُرْهَانِ. صُمٌّ عَنِ ٱلْعِرْفَانِ. عَبِيدُ ٱلطَّمَعِ حُلَفَاءُ ٱلْجَزَعِ. نِعْمَ مَا وَرَّثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ وَبِئْسَ مَا تُوَرِّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ. نَصَرَ ٱللَّهُ آبَاءَكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ وَخَذَلَكُمْ عَلَى ٱلْبَاطِلِ. كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَبِيثٌ. ٱتَّبَعْتُمُ ٱلْهَوَى فَأَرْدَاكُمْ. وَٱللَّهْوَ فَأَسْهَاكُمْ. وَمَوَاعِظُ ٱلْقُرْآنِ تَزْجُرُكُمْ فَلَا تَزْدَجِرُونَ. وَتُعَبِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ. سَأَلْتُمُونَا عَنْ وُلَاتِكُمْ هٰؤُلَاءِ فَقُلْتُمْ وَٱللَّهِ مَا فِيهِمُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ. أَخَذُوا ٱلْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَجَارُوا فِي ٱلْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ. وَٱسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَا فَجَعَلُوهُ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ: تَعَالَوْا إِلَى هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي ٱلْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ. فَقُلْتُمْ: لَا نَقْوَى عَلَى ذٰلِكَ وَوَدِدْنَا أَنَّا أَصَبْنَا مَنْ يَكْفِينَا فَقُلْنَا: نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنْ ظَفِرْنَا لَنُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَجِئْنَا فَٱتَّقَيْنَا ٱلرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا وَٱلسُّيُوفَ

بِوُجُوهِنَا فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ فَمَا تَأْتُونَا فَا بعدكُمُ اللهُ . فَوَاللهِ لَوْ قُلْتُمْ : لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَعْذَرَ مَعَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ . وَلَكِنْ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)

تقليد السلطان الى الملك الظاهر

(لمّا بُويع بالخلافة للمستنصر بالله صعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكُتّاب منبرًا فقرأ على الملك الظاهر تقليد السلطان وكان التقليد من إنشائهِ . وصورتهُ :)

٣٨ أَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَضْفَى عَلَى الْإِسْلَامِ مَلَابِسَ الشَّرَفِ . وَأَظْهَرَ بَهْجَةَ دُرَرِهِ وَكَانَتْ خَافِيَةً بِمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهَا مِنَ الصَّدَفِ . وَشَيَّدَ مَا وَهَى مِنْ عَلَائِهِ حَتَّى أَنْسَى بِهِ ذِكْرَ مَنْ سَلَفَ . وَقَيَّضَ لِنَصْرِهِ مُلُوكًا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ مَنِ اخْتَلَفَ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي وَقَعَتِ الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرَّوْضِ الْأُنُفِ . وَأَلْطَافِهِ الَّتِي وَقَفَ الشَّاكِرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهُ عَنْهَا مُنْصَرَفٌ . وَبَعْدُ فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ . وَأَحَقَّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَمُ رَاكِعًا وَسَاجِدًا لِتَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ . مَنْ سَعَى فَأَضْحَى سَعْيُهُ الْحَمْدَ مُتَقَدِّمًا . وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِدًا وَمُتْهِمًا . وَمَا بَدَتْ يَدٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِعْصَمًا وَلَا اسْتَبَاحَ بِسَيْفِهِ حِمَى وَغًى إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَى مِنْهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ الْمَنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ مُخْتَصَّةً بِالْمَقَامِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلَكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرُّكْنِيِّ شَرَّفَهُ اللهُ وَأَعْلَاهُ . ذَكَرَهُ الدِّيوَانُ الْعَزِيزُ الْمُسْتَنْصِرِيُّ أَعَزَّ اللهُ

سُلْطَانَهُ تَنْوِيهًا بِشَرِيفِ قَدْرِهِ . وَاعْتِرَافًا بِصَنِيعِهِ الَّذِي تَنْفَدُ الْعِبَارَةُ الْمُسْهَبَةُ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ . وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مَحَاسِنَ وَإِحْسَانٍ . وَعَتِبَ دَهْرُهَا الْمُسِيءُ لَهَا فَأَعْتَبَ . وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنَهَا وَقَدْ كَانَ صَالَ عَلَيْهَا صَوْلَةَ مُغْضَبٍ . فَأَعَادَ لَهَا سِلْمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا حَرْبًا . وَصَرَفَ إِلَيْهَا اهْتِمَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَايِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعًا رَحْبًا . وَمَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُنُوًّا وَعَطْفًا . وَأَظْهَرَ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللهِ مَا لَا يَخْفَى . وَأَبْدَى مِنَ الِاهْتِمَامِ بِأَمْرِ الشَّرِيعَةِ وَالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَامْتَنَعَ عَلَيْهِ . وَلَوْ تَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ مُتَمَسِّكٌ لَانْقَطَعَ بِهِ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهِ . وَلٰكِنَّ اللهَ ادَّخَرَ هٰذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُثَقِّلَ بِهَا مِيزَانَ ثَوَابِهِ . وَيُخَفِّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَالسَّعِيدُ مَنْ خُفِّفَ مِنْ حِسَابِهِ . فَهٰذِهِ مَنْقَبَةٌ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُخَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةِ صُنْعِهِ . وَمَكْرُمَةٌ تَضَمَّنَتْ لِهٰذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ . بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَاسُ مِنْ جَمْعِهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُ لَكَ هٰذِهِ الصَّنَائِعَ . وَيَعْتَرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا اهْتِمَامُكَ لَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ . وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ . وَالدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ وَالْفُرَاتِيَّةَ . وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْفُتُوحَاتِ غَوْرًا وَنَجْدًا . وَفَوَّضَ أَمْرَ جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِالْمَكَارِمِ فَرْدًا . وَلَا جَعَلَ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحُصُونِ يُسْتَثْنَى . وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ

تُعَدُّ فِي ٱلْأَعْلَى وَلَا فِي ٱلْأَدْنَى . فَلَاحِظْ أُمُورَ ٱلْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحْتَ لَهَا حَامِلًا . وَخَلِّصْ نَفْسَكَ مِنَ ٱلتَّبِعَاتِ ٱلْيَوْمَ فَفِي غَدٍ تَكُونُ مَسْؤُولًا لَا سَائِلًا . وَدَعِ ٱلِاغْتِرَارَ بِأَمْرِ ٱلدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا . وَمَا رَآهَا أَحَدٌ بِعَيْنِ ٱلْحَقِّ إِلَّا رَآهَا حَائِلًا زَائِلًا . فَٱلسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ مِنْهَا آمَالَهُ ٱلْمَوْصُولَةَ . وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ ٱلتَّقْوَى فَتَقْدِمَةُ غَيْرِ ٱلتَّقْوَى مَرْدُودَةٌ لَا مَقْبُولَةٌ . وَٱبْسُطْ يَدَكَ بِٱلْإِحْسَانِ وَٱلْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ ٱللهُ بِٱلْعَدْلِ وَحَثَّ عَلَى ٱلْإِحْسَانِ . وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ ٱلْمَرْءِ ذُنُوبًا كُتِبَتْ عَلَيْهِ وَآثَامًا . وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْهَا كَعِبَادَةِ ٱلْعَابِدِ سِتِّينَ عَامًا . وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ ٱلْعَدْلِ إِلَّا وَٱجْتَنَى ثِمَارَهُ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ وَرَجَعَ ٱلْأَمْرُ بَعْدَ بُعْدِ تَدَاعِي أَرْكَانِهِ وَهُوَ مُشَيَّدُ ٱلْأَرْكَانِ . وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ زَمَانِهِ . وَٱلسَّعِيدُ مَنْ تَحَصَّنَ مِنْ حَوَادِثِ ٱلزَّمَانِ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ فِي ٱلْأَيَّامِ أَبْهَى مِنَ ٱلْأَعْيَادِ . وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعُقُودِ إِذَا حُلِّيَ بِهَا عَاطِلُ ٱلْأَجْيَادِ . وَهٰذِهِ ٱلْأَقَالِيمُ ٱلْمَنُوطَةُ بِكَ تَحْتَاجُ إِلَى نُوَّابٍ وَحُكَّامٍ . وَأَصْحَابِ رَأْيٍ مِنْ أَصْحَابِ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَقْلَامِ . فَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ فَنَقِّبْ عَلَيْهِ تَنْقِيبًا . وَٱجْعَلْ عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيبًا . وَٱسْأَلْ عَنْ أَحْوَالِهِ فَفِي يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْؤُولًا وَبِمَا ٱجْتَرَمَ مَطْلُوبًا . وَلَا تُوَلِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا . وَأْمُرْهُمْ بِٱلْأَنَاةِ فِي ٱلْأُمُورِ وَٱلرِّفْقِ . وَمُخَالَفَةِ ٱلْهَوَى إِذَا ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ ٱلْحَقِّ . وَأَنْ يُقَابِلُوا ٱلضُّعَفَاءَ فِي حَوَائِجِهِمْ بِٱلثَّغْرِ ٱلْبَاسِمِ وَٱلْوَجْهِ ٱلطَّلْقِ . وَأَنْ لَا

يُعامِلُوا أَحدًا عَلَى ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْإِسَاءَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلرَّعَايَا إِخْوَانًا. وَأَنْ يُوسِعُوهُمْ بِرًّا وَإِحْسَانًا. وَأَنْ لَا يَسْتَحِلُّوا حُرُمَاتِهِمْ إِذَا ٱسْتَحَلَّ ٱلزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا. فَٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ وَسُلْطَانًا. وَٱلسَّعِيدُ مَنْ نَسَجَ وُلَاتُهُ فِي ٱلْخَيْرِ عَلَى مِنْوَالِهِ. وَٱسْتَسَنُّوا بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ. وَتَحَمَّلُوا عَنْهُ مَا تَعْجِزُ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ. وَمِمَّا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُمْحَى مَا أُحْدِثَ مِنْ سَيِّءِ ٱلسُّنَنِ. وَجُدِّدَ مِنَ ٱلْمَظَالِمِ ٱلَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمِحَنِ. وَأَنْ يَشْتَرِيَ بِإِبْطَالِهَا ٱلْمَحَامِدَ فَإِنَّ ٱلْمَحَامِدَ رَخِيصَةٌ بِأَغْلَى ثَمَنٍ. وَمَهْمَا جُبِيَ بِهَا مِنَ ٱلْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي ٱلذِّمَّةِ حَاصِلَةٌ. وَأَجْيَادُ ٱلْخَزَائِنِ وَإِنْ أَضْحَتْ بِهَا حَالِيَةً فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ. وَهَلْ أَشْقَى مِمَّنِ ٱحْتَقَبَ إِثْمًا. وَٱكْتَسَبَ بِالْمَسَاعِي ٱلذَّمِيمَةِ ذَمًّا. وَجَعَلَ ٱلسَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ خَصْمًا. وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ ٱلنَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا. وَحَقِيقٌ بِٱلْمَقَامِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمَوْلَوِيِّ ٱلسُّلْطَانِيِّ ٱلْمَلَكِيِّ ٱلظَّاهِرِيِّ ٱلرُّكْنِيِّ أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ ٱلْأَنَامِ مَرْدُودَةً بِعَدْلِهِ. وَعَزَائِمُهُ تُخَفِّفُ ثِقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِحَمْلِهِ. فَقَدْ أَضْحَى عَلَى ٱلْإِحْسَانِ قَائِدًا. وَصَنَعَتْ لَهُ ٱلْأَيَّامُ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَإِنْ جَاءَ آخِرًا. فَٱحْمَدِ ٱللهَ عَلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِكَ إِمَامُ هُدًى أَوْجَبَ لَكَ مَزِيَّةَ ٱلتَّعْظِيمِ. وَنَبَّهَ ٱلْخَلَائِقَ عَلَى مَا أَفْضَلَ ٱللهُ بِهِ مِنْ هٰذَا ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ. وَهٰذِهِ أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تُلَاحَظَ وَتُرْعَى. وَأَنْ يُوَالَى عَلَيْهَا حَمْدُ

ٱللهِ فَإِنَّ ٱلْحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَقْلًا وَشَرْعًا . وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي ٱلْأُمُورِ أَصْلًا وَصَارَ غَيْرُكَ فَرْعًا . وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ ٱلْجِهَادِ ٱلَّذِي أَضْحَى عَلَى ٱلْأُمَّةِ فَرْضًا . وَهُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلَّذِي يَرْجِعُ بِهِ مُسْوَدُّ ٱلصَّحَائِفِ مُبْيَضًّا . وَقَدْ وَعَدَ ٱللهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِٱلْأَجْرِ ٱلْعَظِيمِ . وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ ٱلْمَقَامَ ٱلْكَرِيمَ . وَبِكَ صَانَ ٱللهُ حِمَى ٱلْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ يُبْتَذَلَ . وَبِعَزْمِكَ حَفِظَ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ نِظَامَ هٰذِهِ ٱلدُّوَلِ . وَسَيْفُكَ أَثَّرَ فِي قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ قُرُوحًا لَا تَنْدَمِلُ . وَبِكَ يُرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنَ ٱلْخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْأُوَلِ . فَأَيْقِظْ لِنُصْرَةِ ٱلْإِسْلَامِ جَفْنًا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِعًا . وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ ٱللهِ إِمَامًا مَتْبُوعًا لَا تَابِعًا . هَدَاكَ ٱللهُ إِلَى مَنَاهِجِ ٱلْحَقِّ وَمَا زِلْتَ مُهْتَدِيًا إِلَيْهَا . وَأَلْزَمَكَ ٱلْمَرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهٍ عَلَيْهَا . وَٱللهُ يُمِدُّكَ بِأَسْبَابِ نَصْرِهِ وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ ٱلنِّعْمَةَ تَسْتَتِمُّ بِشُكْرِهِ (للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يغري الاسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا اخاً له

مَا كُلَّ يَوْمٍ يَنَالُ ٱلْمَرْءُ مَا طَلَبَا ... وَلَا يُسَوِّغُهُ ٱلْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا
وَأَحْزَمُ ٱلنَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ ... لَمْ يَجْعَلِ ٱلسَّبَبَ ٱلْمَوْصُولَ مُنْقَضِبَا
وَأَنْصَفُ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ ٱلْمَوَاطِنِ مَنْ ... سَقَى ٱلْمُعَادِينَ بِٱلْكَاسِ ٱلَّتِي شَرِبَا
وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ ... بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ضُرِبَا
وَٱلْعَفْوُ إِلَّا عَنِ ٱلْأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ ... مَنْ قَالَ غَيْرَ ٱلَّذِي قَدْ قُلْتُهُ كَذَبَا
قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي لِزَيْدٍ لَقَدْ ... رَأَيْتَ رَأْيًا يَجُرُّ ٱلْوَيْلَ وَٱلْحَرَبَا

لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ ٱلْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا ... إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا ٱلذَّنَبَا
هُمْ جَرَّدُوا ٱلسَّيْفَ فَٱجْعَلْهُمْ لَهُ جَزَرًا ... وَأَوْقَدُوا ٱلنَّارَ فَٱجْعَلْهُمْ لَهَا حَطَبَا
إِنْ تَعْفُ عَنْهُمْ يَقُولُ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ ... لَمْ يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهَبَا
هُمْ أَهِلَّةُ غَسَّانٍ وَمَجْدُهُمُ ... عَالٍ فَإِنْ حَاوَلُوا مُلْكًا فَلَا عَجَبَا
وَعَرَّضُوا بِفِدَاءٍ وَاصِفِينَ لَنَا ... خَيْلًا وَإِبْلًا تَرُوقُ ٱلْعُجْمَ وَٱلْعَرَبَا
أَيَحْلُبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلُبُهُمْ ... رِسْلًا لَقَدْ شَرَّفُونَا فِي ٱلْوَرَى حَلَبَا
عَلَامَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمُ ... لَا فِضَّةً قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبَا

٤٠ قال صفيّ الدين الحلي يحرّض السلطان الملك الصالح على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم ويهنيه بعيد النحر

لَا يَمْتَطِي ٱلْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْخَطَرَا ... وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ قَدَّمَ ٱلْحَذَرَا
وَمَنْ أَرَادَ ٱلْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ ... قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا
لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلٍ يُمَنِّعُهُ ... لَا يَجْتَنِي ٱلنَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ ٱلضَّرَرَا
لَا يُبْلَغُ ٱلسُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤْلِمَةٍ ... وَلَا يَتِمُّ ٱلْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
وَأَحْزَمُ ٱلنَّاسِ مَنْ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ ... لَا يَقْرَبُ ٱلْوِرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ ٱلصَّدَرَا
وَأَغْزَرُ ٱلنَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ ... عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَا بِٱلْغَيْرِ مُعْتَبِرَا
فَقَدْ يُقَالُ عِثَارُ ٱلرِّجْلِ إِنْ عَثَرَتْ ... وَلَا يُقَالُ عِثَارُ ٱلرَّأْيِ إِنْ عَثَرَا
مَنْ دَبَّرَ ٱلْعَيْشَ بِٱلْآرَاءِ دَامَ لَهُ ... صَفْوًا وَجَاءَ إِلَيْهِ ٱلْخَطْبُ مُعْتَذِرَا
يَهُونُ بِٱلرَّأْيِ مَا يَجْرِي ٱلْقَضَاءُ بِهِ ... مَنْ أَخْطَأَ ٱلرَّأْيَ لَا يَسْتَذْنِبُ ٱلْقَدَرَا
مَنْ فَاتَهُ ٱلْعِزُّ بِٱلْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ ... بِٱلْبِيضِ يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا ٱلشَّرَرَا

بِكُلِّ أَبيضَ قد أَجرى الفِرِندَ بهِ   ماءَ الرَّدَى فَلَوِ استَقطَرتَهُ قَطَرا
خاضَ العَجاجةَ عُرياناً فما انقشعت   حتى أتى بدمِ الأبطالِ مُؤتزِرا
لا يحسنُ الحِلمُ إلّا في مواطنِهِ   ولا يليقُ الوفا إلّا لِمَن شكرا
ولا ينالُ العلى إلّا فتى شرفت   خِلالُهُ فأطاعَ الدهرُ ما أمرا
كالصالحِ الملكِ المرهوبِ سطوتُهُ   فلو توعّد قلبَ الدهرِ لانفطرا
لما رأى الشرَّ قد أبدى نواجذَهُ   والغدرَ عن نابِهِ للحربِ قد كشرا
رأى القسيَّ إناثاً في حقيقتها   فعافها واستشارَ الصارمَ الذكرا
فجرَّدَ العزمَ من قبلِ الصفاحِ لها   ملكٌ عن البيضِ يستغني بما شهرا
يكادُ يُقرأُ من عنوانِ همّتِهِ   ما في صحائفِ ظهرِ الغيبِ قد سُطِرا
كالبحرِ والدهرِ في يومَي ندًى وردًى   والليثِ والغيثِ في يومَي وغًى وقِرى
ما جادَ للناسِ إلّا قبلَ ما سألوا   ولا عفا قطُّ إلّا بعدَ ما قدرا
لاموهُ في بذلهِ الأموالَ قلتُ لهم   هل تقدرُ السحبُ ألّا ترسلَ المطرا
إذا غدا الغصنُ غضّاً من منابتِهِ   من شاءَ فليجنِ من أفنانِهِ الثمرا
من آلِ أرتقَ المشهورِ ذكرُهُمُ   إذ كانَ كالمسكِ إن أخفيتَهُ ظهرا
الحاملينَ منَ الخطّيِّ أطولَهُ   والناقلينَ منَ الأسيافِ ما قصرا
لم يرحلوا عن حمى أرضٍ إذا نزلوا   إلّا وأبقوا بها من جودهم أثرا
تبقى صنائعُهم في الأرضِ بعدهمُ   والغيثُ إن سارَ أبقى بعدَهُ الزهرا
للهِ درُّ سما الشهباءِ من فلكٍ   وكلّما غابَ نجمٌ أطلعت قمرا
يا أيّها الملكُ الباني لدولتِهِ   ذكراً طوى ذكرَ أهلِ الأرضِ وانتشرا

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتٌ فَقَدْ صَدَعَتْ ... حَصَاةُ جَدِّكَ ذَاكَ ٱلدَّسْتَ فَٱنْكَسَرَا
فَأَوْقِعْ إِذَا غَدَرُوا سَوْطَ ٱلْعَذَابِ بِهِمْ ... يَظَلُّ يَخْشَاكَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ إِنْ غَدَرَا
وَأَرْعِبْ قُلُوبَ ٱلْعِدَى تُنْصَرْ بِخَذْلِهِمِ ... إِنَّ ٱلنَّبِيَّ بِفَضْلِ ٱلرُّعْبِ قَدْ نُصِرَا
وَلَا تُكَدِّرْ بِهِمْ نَفْسًا مُطَهَّرَةً ... فَٱلْبَحْرُ مِنْ يَوْمِهِ لَا يَعْرِفُ ٱلْكَدَرَا
ظَنُّوا تَأَنِّيكَ عَجْزًا وَمَا عَلِمُوا ... أَنَّ ٱلتَّأَنِّي فِيهِمْ يُعْقِبُ ٱلظَّفَرَا
أَحْسَنْتُمُ فَبَغَوْا جَهْلًا وَمَا ٱعْتَرَفُوا ... لَكُمْ وَمَنْ كَفَرَ ٱلنُّعْمَى فَقَدْ كَفَرَا
وَأَسْعَدْ بِعِيدِكَ ذَا ٱلْأَضْحَى وَضَحِّ بِهِ ... وَصِلْ وَصَلِّ لِرَبِّ ٱلْعَرْشِ مُؤْتَمِرَا
وَٱنْحَرْ عِدَاكَ فَبِٱلْإِنْعَامِ مَا ٱنْصَلَحُوا ... إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِلْأَنْعَامِ قَدْ نَحَرَا

٤١ ولصفيّ الدين الحلّي يحرّض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي ابن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعمائة :

أَبْدِ سَنَا وَجْهِكَ مِنْ حِجَابِهِ ... فَٱلسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ
وَٱللَّيْثُ لَا يُرْهَبُ مِنْ زَئِيرِهِ ... إِذَا ٱغْتَدَى مُحْتَجِبًا بِغَابِهِ
وَٱلنَّجْمُ لَا يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ سَارِيًا ... إِلَّا إِذَا أَسْفَرَ مِنْ حِجَابِهِ
وَٱلشَّهْدُ لَوْلَا أَنْ يُذَاقَ طَعْمُهُ ... لَمَا غَدَا مُمَيَّزًا عَنْ صَابِهِ
إِذَا بَدَا نُورُكَ لَا يَصُدُّهُ ... تَزَاحُمُ ٱلْمَوْكِبِ فِي ٱرْتِكَابِهِ
وَلَا يَضُرُّ ٱلْبَدْرَ وَهْوَ مُشْرِقٌ ... أَنَّ رَفِيقَ ٱلْغَيْمِ مِنْ نِقَابِهِ
قُمْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَلٰكِنْ مِثْلَمَا ... هُزَّ ٱلْحُسَامُ سَاعَةَ ٱجْتِذَابِهِ
كَمْ مُدْرِكٍ فِي يَوْمِهِ بِعَزْمِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ بِٱلْأَمْسِ فِي حِسَابِهِ
مَنْ كَانَتِ ٱلسُّمْرُ ٱللِّدَانُ رُسْلَهُ ... كَانَ بُلُوغُ ٱلنَّصْرِ مِنْ جَوَابِهِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ ٱلصَّغِيرَ عَاجِزٌ هَلْ يَجْرَحُ ٱللَّيْثَ سِوَى ذُبَابِهِ
فَارْمِ ذُرَى قَلْعَتِهِمْ بِقَلْعَةٍ تَقْلَعُ أُسَّ ٱلطَّوْدِ مِنْ تُرَابِهِ
فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْكَ مُقْبِلًا مَادَتْ وَخَرَّ ٱلسُّورُ لِٱضْطِرَابِهِ
إِنْ لَمْ تُحَاكِ ٱلدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي ٱنْقِلَابِهِ
وَٱجْلُ لَهُمْ عَزْمًا إِذَا جَلَوْتَهُ فِي ٱللَّيْلِ أَغْنَى ٱللَّيْلَ عَنْ شِهَابِهِ
عَزْمَ مَلِيكٍ يَخْضَعُ ٱلدَّهْرُ لَهُ وَتَسْجُدُ ٱلْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
تُحَاذِرُ ٱلْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ وَتَجْزَعُ ٱلْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ
قَدْ صَرَفَ ٱلْحُجَّابَ عَنْ حَضْرَتِهِ وَصَيَّرَ ٱلْهَيْبَةَ مِنْ حُجَّابِهِ
إِذَا رَأَى ٱلْأَمْرَ بِعَيْنِ فِكْرِهِ رَأَى خَطَاءَ ٱلرَّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
وَإِنْ أَجَالَ رَأْيَهُ فِي مُشْكِلٍ أَعَانَهُ ٱلْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ
تَنْقَادُ مَعْ آرَائِهِ أَيَّامُهُ مِثْلَ ٱنْقِيَادِ ٱللَّفْظِ مَعْ إِعْرَابِهِ
لَا يَزْجُرُ ٱلْبَارِحَ فِي ٱعْتِرَاضِهِ وَلَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ فِي تَنْعَابِهِ
يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرِّ رَأْيِهِ مَا سَطَّرَ ٱلْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ أَيَّامُهُ كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ أَحْسَابِهِ
يَكَادُ أَنْ تُلْهِيَهُ عَنْ طَعَامِهِ مَطَالِبُ ٱلْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ
مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءٌ سَائِرٌ إِلَّا وَحَطَّ رَحْلَهُ بِبَابِهِ
إِذَا ٱسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ أَعَانَهُ ٱلْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ
وَإِنْ كَسَا ٱلدَّهْرُ ٱلْأَنَامَ مَفْخَرًا ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ
يَا مَلِكًا يَرَى ٱلْعَدُوُّ قُرْبَهُ كَٱلْأَجَلِ ٱلْمَحْتُومِ فِي ٱقْتِرَابِهِ

لَا تَبْذُلِ الْحِلْمَ لِغَيْرِ شَاكِرٍ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى إِعْجَابِهِ
فَاغْزُ الْعِدَى بِعَزْمَةٍ مِنْ شَأْنِهَا إِتْيَانُ حَزْمِ الرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
تُسْلِمُ أَرْوَاحَ الْعِدَى إِلَى الرَّدَى وَتُرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَى أَرْبَابِهِ
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبِّ رُتْبَةٍ قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ
قَدْ رَفَعَ اللّٰهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ فَشَمَّرُوا السَّاعِدَ فِي طِلَابِهِ
دَنَوْا إِلَى الْمُلْكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ أَطْمَعَهُ حِلْمُكَ فِي اقْتِضَابِهِ
إِنْ لَمْ تُقَطِّعْ بِالظُّبَى أَوْصَالَهُمْ لَمْ تُقْطَعِ الْآمَالُ مِنْ أَسْبَابِهِ
لَا تَقْبَلِ الْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ قَدْ أَضْمَرَ التَّصْحِيفَ فِي كِتَابِهِ
فَتَوْبَةُ الْمُقْلِعِ إِثْرَ ذَنْبِهِ وَتَوْبَةُ الْغَادِرِ مَعْ عِقَابِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ لَمْ يُقْدِمُوا يَوْمًا عَلَى ارْتِكَابِهِ
فَاصْرِمْ حِبَالَ عَزْمِهِمْ بِصَارِمٍ قَدْ بَالَغَ الْقَيْنُونُ فِي انْتِخَابِهِ
يَعْتَذِرُ الْمَوْتُ إِلَى شَفْرَتِهِ وَتَقْصُرُ الْآجَالُ عَنْ عِتَابِهِ
يُذِيقُهُمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا أَذَاقَهُ الْقَيْنُونُ فِي شَبَابِهِ
يَا مَلِكًا يَعْتَذِرُ الدَّهْرُ لَهُ وَتَخْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
لَمْ يَكُ تَحْرِيضِي لَكُمْ إِسَاءَةً وَلَمْ أُحِلْ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
وَلَا يَعِيبُ السَّيْفَ وَهْوَ صَارِمٌ هَزُّ يَدِ الْجَاذِبِ فِي انْتِدَابِهِ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ كِلَاهُمَا أَمْعَنَ فِي اغْتِرَابِهِ
ذِكْرٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّ نَظْمَهُ يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ اصْطِحَابِهِ
كَالدُّرِّ لَا يُظْهِرُ حُسْنَ عِقْدِهِ إِلَّا جَوَازُ السِّلْكِ فِي أَثْقَابِهِ

أَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ
فِي ٱلْمُنَاظَرَاتِ

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب بهِ أَديب الأَندلس أَبو بحر صفوان بن إدريس الاميرَ عبد الرحمان ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ :

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمَتْ فِيكَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْأَمْصَارُ . وَطَالَ بِهَا ٱلْوُقُوفُ عَلَى حُبِّكَ وَٱلِٱقْتِصَارُ . كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا وَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى . وَيُصِيخُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْغِي . وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ : ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي . تَنَمَّرَتْ (حِمْصُ) غَيْظًا . وَكَادَتْ تَفِيظُ فَيْظًا . وَقَالَتْ : مَا لَهُمْ يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَحْرِصُونَ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . أَلِيَ ٱلسَّهْمُ ٱلْأَسَدُّ . وَٱلسَّاعِدُ ٱلْأَشَدُّ . وَٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ ٱلْجَزْرُ وَٱلْمَدُّ . أَنَا مِصْرُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلنِّيلُ نَهْرِي . وَسَمَائِي ٱلتَّأَنُّسُ وَٱلنُّجُومُ زَهْرِي . إِنْ تَبَارَيْتُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ . فَحَسْبِي أَنْ أُفِيضَ فِي ذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ . وَإِنْ تَحَجَّبْتُمْ بِأَشْرَفِ ٱللَّبُوسِ . فَأَيُّ إِزَارٍ ٱشْتَمَلْتُمُوهُ كَشَنْتَبُوسَ . إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ أَبْنِيَةٍ رِحَابٍ . وَرَوْضٍ يَسْتَغْنِي بِنَضْرَتِهِ عَنِ ٱلسَّحَابِ . قَدْ مَلَأَتْ زَهَرَاتِي وِهَادًا وَأَنْجَادًا . وَتَوَشَّحَ سَيْفُ نَهْرِي بِجَدَاوِلِي نِجَادًا . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا ٱلْهُمَامِ وَأَحَقُّ . ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ . فَنَظَرَتْهَا (قُرْطُبَةُ) شَزْرًا وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثَّرْتِ نَزْرًا . وَبَذَرْتِ فِي ٱلصَّخْرِ ٱلْأَصَمِّ بَزْرًا . كَلَامُ ٱلْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ

ٱلْهَذَيَانِ . وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَٱلْبَيَانِ . مَتَى ٱسْتَحَالَ ٱلْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا . وَمَنْ أَوْدَعَ أَجْفَانَ ٱلْمَهْجُورِ وَسَنًا . أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا . يَا عَجَبًا لِلْمَرَاكِزِ تُقَدَّمُ عَلَى ٱلْأَسِنَّةِ . وَلِلْأَثْفَارِ تُفَضَّلُ عَلَى ٱلْأَعِنَّةِ . إِنِ ٱدَّعَيْتُمْ سَبْقًا . فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . لِيَ ٱلْبَيْتُ ٱلْمُطَهَّرُ ٱلشَّرِيفُ . وَٱلِٱسْمُ ٱلَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رِوَاقَهُ ٱلتَّعْرِيفُ . فِي بَقِيعِي مَحَلُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَفَاضِلِ . فَلْيُرْغَمْ أَنْفُ ٱلْمُنَاضِلِ . وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . فَحَسْبِي مِنْ نَبَاهَةِ ٱلْقَدْرِ . فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيَّ بِهٰذَا ٱلسَّيِّدِ ٱلْأَعْلَى . وَلَا أَرْضَى لَهُ أَنْ يُوطِئَ غَيْرَ تُرَابِي نَعْلًا . فَأَقِرُّوا لِي بِٱلْأُبُوَّةِ . وَٱنْقَادُوا لِي عَلَى حُكْمِ ٱلْبُنُوَّةِ . وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ . وَكُفُّوا عَنْ تَبَارِيكُمْ . ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ . (فَقَالَتْ غَرْنَاطَةُ): لِيَ ٱلْمَعْقِلُ ٱلَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنَ ٱلنُّجُومِ . وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ ٱلْغَيْثِ ٱلسَّجُومِ . فَلَا يَلْحَقُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ . وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خَيَالٌ طَارِقٌ وَلَا طَيْفٌ . فَٱسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا . فَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى . لِي بِطَاحٌ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا . وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرِهَا فَعَادَتْ أَفْلَاكًا . فَحُسْنِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُحْتَالُ . فَدَعُونِي فَكُلُّ ذَاتِ ذَيْلٍ تَخْتَالُ . فَأَنَا أَوْلَى بِهٰذَا ٱلسَّيِّدِ ٱلْأَعْدَلِ . وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ وَلَا بَدَلٍ . وَلِمَ لَا يَعْطِفُ عَلَيَّ عِنَانَ مَجْدِهِ وَيَثْنِي . وَإِنْ أَنْشَدَ يَوْمًا فَإِيَّايَ يَعْنِي:

بِلَادٌ بِهَا عَقَّ ٱلشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

فَمَا لَكُمْ تَعْتَزُونَ لِفَخْرِي وَتَنْتَمُونَ . وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مَيْدَانِي وَتَتَقَدَّمُونَ . تَبَرَّؤُوا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ . ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . (فَقَالَتْ مَالِقَةُ) : أَتَتْرُكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلاً . وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلاً . وَلِمَ وَلِيَ ٱلْبَحْرُ ٱلْعَجَّاجُ . وَٱلسَّيْلُ ٱلثَّجَّاجُ . وَٱلْجَنَّاتُ ٱلْأَثِيرَةُ . وَٱلْفَوَاكِهُ ٱلْكَثِيرَةُ . لَدَيَّ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ ٱلْحَمَامُ عَنِ ٱلْهَدِيلِ . وَلَا تَجْنَحُ ٱلْأَنْفُسُ ٱلرِّقَاقُ ٱلْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِيضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ . فَمَالِي لَا أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا . وَلَا أُنْشَرُ فِي جَيْشِ فَخَارِكُمْ أَعْلَامًا . فَكَأَنَّ ٱلْأَمْصَارَ نَظَرَتْهَا ٱزْدِرَاءً . فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مَيْدَانِ ٱلذِّكْرِ إِجْرَاءً . لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَنَظُنُّ ٱلْبِلَادَ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلَ ٱلْقَائِلِ:

إِذَا نَطَقَ ٱلسَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ ٱلسُّكُوتُ

(فَقَالَتْ مُرْسِيَةُ) : أَأَمَامِي تَتَعَاطَوْنَ ٱلْفَخْرَ . وَبِحَضْرَةِ ٱلدُّرِّ تُنْفِقُونَ ٱلصَّخْرَ . إِنْ عُدَّتِ ٱلْمَفَاخِرُ فَلِي مِنْهَا ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ . أَيْنَ أَوْشَالُكُمْ مِنْ بَحْرِي . وَخَرَزُكُمْ مِنْ لُؤْلُؤِ نَحْرِي . فَلِيَ ٱلرَّوْضُ ٱلنَّضِيرُ . وَٱلْمَرْأَى ٱلَّذِي مَا لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . فَمِنْ دَوْحَاتٍ . كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ وَرَوْحَاتٍ . وَمِنْ أَرْجَاءٍ . إِلَيْهَا تُمَدُّ أَيْدِي ٱلرَّجَاءِ . فَأَبْنَائِي فِيهِ فِي ٱلْجَنَّةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ . يَتَنَعَّمُونَ فِيمَا يَأْخُذُونَ وَيَدَعُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدَّعُونَ . فَٱنْقَادُوا لِأَمْرِي . وَحَاذِرُوا ٱصْطِلَاءَ جَمْرِي . وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِي زَيْدٍ . وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ ضَرْبَ زَيْدٍ . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهٰذَا ٱلْمَلِكِ ٱلْمُسْتَأْثِرِ بِٱلتَّعْظِيمِ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . (فَقَالَتْ بَلَنْسِيَةُ) : فِيمَ الْجِدَالُ وَالْقِرَاعُ . وَعَلَامَ الْإِسْتِهَامُ وَالْإِقْتِرَاعُ . وَإِلَامَ التَّعْرِيضُ وَالتَّصْرِيحُ . وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ . أَنَا أَحُوزُهُ مِنْ دُونِكُمْ . فَأَخْمِدُوا نَارِي تَحَرُّكِكُمْ وَهُدُونِكُمْ . فَلِي الْمَحَاسِنُ الشَّامِخَةُ الْأَعْلَامِ . وَالْجَنَّاتُ الَّتِي تُلْقِي إِلَيْهَا الْآفَاقُ يَدَ الْإِسْتِسْلَامِ . وَبِرُصَافَتِي وَجِسْرِي أُعَارِضُ مَدِينَةَ السَّلَامِ . فَأَجْمِعُوا عَلَى الْإِنْقِيَادِ لِي وَالسَّلَامُ . وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَانًا . وَاقْرَعُوا أَسْنَانًا . فَأَنَا حَيْثُ لَا تُدْرِكُونَ وَإِنِّي وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا . (فَعِنْدَ ذَلِكَ ارْتَمَتْ جَمْرَةُ تَدْمِيرَ بِالشَّرَارِ) وَاسْتَدَّتْ أَسْهُمُهَا لِنُحُورِ الشِّرَارِ وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا . تَرَ عَجَبًا . أَبَعْدَ الْعِصْيَانِ وَالْعُقُوقِ . تَتَهَيَّأْنَ لِرُتَبِ ذَوِي الْحُقُوقِ . مُذْ سَمَاءُ الْفَخْرِ فَمِنْ ضَمِّكِ أَنْ تَعْرُجِي . لَيْسَ بِعُشِّكِ فَادْرُجِي . لَكِ الْوَصَبُ وَالْخَبَلُ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ قَبْلُ . أَيَّتُهَا الصَّانِعَةُ الْفَاعِلَةُ . مَنْ أَدْرَاكِ أَنْ تَضْرِبِي وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ . مَا الَّذِي يُجْدِيكِ الرَّوْضُ وَالزَّهْرُ . أَمْ يُفِيدُكِ الْجَدْوَلُ وَالنَّهْرُ . وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ . هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحَطُّ رَحْلِ النِّفَاقِ . وَمَنْزِلٌ مَا لِسُوقِ الْخِصْبِ فِيهِ مِنْ نَفَاقٍ . ذَرَاكِ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ بِهُجُوعٍ . وَقِرَاكِ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . فَإِلَامَ تَبْرُزُ الْإِمَاءُ فِي مِنَصَّةِ الْعَقَائِلِ . وَلَكِنِ اذْكُرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بَلَنْسِيَةٌ بِينِي عَنِ الْقَلْبِ سَلْوَةً ... فَإِنَّكِ رَوْضٌ لَا أَحِنُّ لِزَهْرِكِ
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ ... عَلَى صَارِمَيْ جُوعٍ وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

بَيْدَ أَنِّي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا خَمَدَ. وَيُسِيلَ مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدَ. وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكَ فِي الْجَهَالَةِ الْأَمَدَ. وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ. وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ أَعْدَائِهِ مِنْ فَوَائِدِهِ. وَيُمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشَغِّبِينَ. وَيُبْقِيَهُ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيَصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْبِيدًا. وَيُمَهِّدَ لَهُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعَبِيدِ عَبِيدِهِ عَبِيدًا. وَيَمُدَّ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطَ سَعْدِهِ وَيَهَبَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ:

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ ... حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا

ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ عَبَقًا وَنَشْرًا. وَيَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا وَبِشْرًا. عَلَى حَضْرَتِهِمِ الْعَلِيَّةِ. وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمِ السَّنِيَّةِ الْجَلِيلَةِ. وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ (نفح الطيب للمقري)

نخبة من مغايرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين ابن نباتة

٤٣ (قَالَ): بَرَزَ الْقَلَمُ بِإِفْصَاحِهِ. وَنَشِطَ لِارْتِيَاحِهِ. وَرَقِيَ مِنَ الْأَنَامِلِ عَلَى أَعْوَادِهِ. وَقَامَ خَطِيبًا بِمَحَاسِنِهِ فِي حُلَّةِ مِدَادِهِ. وَالْتَفَتَ إِلَى السَّيْفِ وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ وَشَرَّفَهُ بِالْقَسَمِ. وَخَطَّ بِهِ مَا قَدَّرَ وَقَسَمَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَلَمَ مَنَارُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَنِظَامُ الشَّرَفِ وَالْعُلْيَا. وَمَجَادِيحُ سُحُبِ الْخَيْرِ إِذَا احْتَاجَتِ الْهِمَمُ إِلَى السُّقْيَا. وَمِفْتَاحُ بَابِ الْيُمْنِ الْمُجَرَّبُ إِذَا أَعْيَا. وَسَفِيرُ الْمُلْكِ الْمُحَجَّبِ.

وَعُذَيقُ ٱلْمُلكِ ٱلْمُرَجَّبِ . وَزِمَامُ أُمُورِهِ ٱلسَّائِرَةِ . وَقَادِمَةُ أَجْنِحَتِـهِ ٱلطَّائِرَةِ . وَمُطلِقُ أَرْزَاقِ عُفَاتِهِ ٱلْمُتَوَاتِرَةِ . وَأَنْمُلَةُ ٱلْهُدَى ٱلْمُشِيرَةُ إِلَى ذَخَائِرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . بِهِ رُقِمَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي لَا يَأْتِيـهِ ٱلْبَاطِلُ . وَسُنَنُهُ ٱلَّتِي تُهَذِّبُ ٱلْخَوَاطِرَ ٱلْخَوَاطِلَ . فَهُوَ فِي مَرَاضِي ٱلدُّوَلِ عَوْنَةٌ لِلشَّائِدِينَ . وَبِعَيْنِ ٱللهِ فِي لَيَالِي ٱلنِّقْسِ تَقَلُّبُ وَجْهِهِ فِي ٱلسَّاجِدِينَ . إِنْ نُظِمَتْ فَرَائِدُ ٱلْعُلُومِ فَإِنَّمَا هُوَ سِلْكُهَا . وَإِنْ عَاتَتْ أَسِرَّةُ ٱلْكُتُبِ فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكُهَا . أَوْ رُقِمَتْ بُرُودُ ٱلْبَيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ جَلَالُهَا . وَإِنْ تَشَعَّبَتْ فُنُونُ ٱلْحِكَمِ فَإِنَّمَا هُوَ أَمَانُهَا وَمَآلُهَا . وَإِذَا ٱنْقَسَمَتْ أُمُورُ ٱلْمَمَالِكِ فَإِنَّمَا هُوَ عِصْمَتُهَا وَثِمَالُهَا . وَإِنِ ٱجْتَمَعَتْ رَعَايَا ٱلصَّنَائِعِ فَإِنَّمَا هُوَ إِمَامُهَا ٱلْمُتَلَفِّعُ بِسَوَادِهِ . وَإِنْ زَخَرَتْ بِحَارُ ٱلْأَفْكَارِ فَإِنَّمَا هُوَ ٱلْمُسْتَخْرِجُ دُرَرَهَا مِنْ ظُلُمَاتِ مِدَادِهِ . وَإِنْ وَعَدَ وَفَى بِجَابِ ٱلنَّفْعِ . وَإِنْ أَوْعَدَ أَخَافَ كَأَنَّمَا يَسْتَمِدُّ مِنَ ٱلنَّقْعِ . هٰذَا وَهُوَ لِسَانُ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمُخَاطِبُ . وَرَسِيلُهَا إِلَى أَبْكَارِ ٱلْفُتُوحِ وَٱلْخَاطِبِ . وَٱلْمُنْفِقُ فِي تَعْمِيرِ دُوَلِهَا مَحْصُولَ أَنْفَاسِـهِ . وَٱلْمُتَحَمِّلُ أُمُورَهَا ٱلشَّاقَّةَ عَلَى عَيْنِهِ وَرَاسِهِ . وَٱلْمُتَيَقِّظُ لِجِهَادِ أَعْدَائِهَا وَٱلسَّيْفُ فِي جَفْنِهِ نَائِمٌ . وَٱلْمُجَهِّزُ لِبَأْسِهَا وَكَرَمِهَا جَيْشَيِ ٱلْحُرُوبِ وَٱلْمَكَارِمِ . وَٱلْجَارِي بِمَا أَمَرَ ٱللهُ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ . وَٱلْأَسْوَدُ ٱلنَّاصِرُ فَكَأَنَّمَا هُوَ لِعَيْنِ ٱلدَّهْرِ إِنْسَانٌ . طَالَمَا ذَبَّ عَنْ حَرَمِهَا . فَشَدَّ ٱللهُ أَزْرَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ . وَقَامَ فِي ٱلْمُحَامَاةِ عَنْ دِينِهَا أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللهِ لَأَبَرَّهُ . وَقَاتَلَ عَلَى ٱلْبُعْدِ وَٱلصَّوَارِمُ فِي ٱلْقُرْبِ . وَأَرْتَقِي

مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوءَةِ نَوْعًا مِنَ النَّصْرِ بِالرُّعْبِ . وَبَعَثَ جَحَافِلَ السُّطُورِ فَالْقِسِيُّ دَالَاتٌ وَالرِّمَاحُ أَلِفَاتٌ وَاللَّامَاتُ لَامَاتٌ . وَالْهَمَزَاتُ كَوَاسِرُ الطَّيْرِ الَّتِي تَتْبَعُ الْجَحَافِلَ . وَالْأَتْرِبَةُ عَجَاجُهَا الْمُحْمَرُّ مِنْ دَمِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلِ . فَهُوَ صَاحِبُ فَضِيلَتَيِ الْعَلَمِ وَالْعِلْمِ . وَسَاحِبُ ذَيْلَيِ الْفَخَارِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ . لَا يُعَادِيهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ . وَلَبِسَ لُبْسَهُ . وَطُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ . وَفَلَّ الْجِدَالُ مِنْ غَرْبِهِ . وَخَرَجَ فِي وَزْنِ الْمُعَارَضَةِ عَنْ ضَرْبِهِ . وَكَيْفَ يُعَادَى مَنْ إِذَا كَرَعَ فِي نِقْسِهِ . قِيلَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . وَإِذَا ذَكَرَ شَانِئُهُ السَّيْفُ قِيلَ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنَ الشَّرَفِ وَخُيَلَائِهِ . وَالْفَخَارِ وَكِبْرِيَائِهِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللّٰهِ فِيمَا حَكَمَ . وَأَسْأَلُهُ التَّدْبِيرَ فِيمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ . ثُمَّ اكْتَفَى بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَدَوَاتِهِ . وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَوَاتِهِ . مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

قَلَمٌ يَفُلُّ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرَمْرَمٌ ... وَالْبِيضُ مَا سُلَّتْ مِنَ الْأَغْمَادِ
وَهَبَتْ لَهُ الْآجَامُ حِينَ نَشَا بِهَا ... كَرَمَ السُّيُولِ وَصَوْلَةَ الْآسَادِ

فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَهَضَ السَّيْفُ قَائِمًا عَجِلًا . وَتَلَمَّظَ لِسَانُهُ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلًا . وَقَالَ : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . وَشَرَعَ حَدَّهَا فِي ذَوِي الْعِصْيَانِ فَأَغَصَّتْهُمْ بِمَاءِ الْحُتُوفِ . وَشَيَّدَ مَرَاتِبَ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وَعِقْدٌ مَرْصُوفٌ . وَأَجْنَاهُمْ مِنْ وَرَقِ حَدِيدِهَا ٱلْأَخْضَرِ ثِمَارَ نَعِيمِهَا ٱلدَّانِيَةَ ٱلْقُطُوفِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ زَنْدُ ٱلْحَقِّ ٱلْوَرِيُّ وَزَنْدُهُ ٱلْقَوِيُّ . وَحَدُّهُ ٱلْفَارِقُ بَيْنَ ٱلرَّشِيدِ وَٱلْغَوِيِّ . وَٱلنَّجْمُ ٱلْهَادِي إِلَى ٱلْعِزِّ وَسَبِيلِهِ . وَٱلثَّغْرُ ٱلْبَاسِمُ عَنْ تَبَاشِيرِ فُلُولِهِ . وَخَصَّهُ ٱللّٰهُ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ بِأَنَّ بِهِ لِلْحَقِّ مِنْهَاجًا . وَأَطْلَعَهُ فِي لَيَالِي ٱلنَّقْعِ وَٱلشَّكِّ سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَفَتَحَ بَابَ ٱلدِّينِ بِمِصْبَاحِهِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ ٱلنَّاسُ أَفْوَاجًا . فَهُوَ ذُو ٱلرَّأْيِ ٱلصَّائِبِ . وَشِهَابُ ٱلْعَزْمِ ٱلثَّاقِبِ . وَسَمَاءُ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي زُيِّنَتْ مِنْ آثَارِهِ بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ . وَٱلْحَدُّ ٱلَّذِي كَأَنَّهُ مَاءٌ دَافِقٌ يَخْرُجُ عِنْدَ قَطْعِ ٱلْأَجْسَادِ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ . لَا تُجْحَدُ آثَارُهُ وَلَا يُنْكَرُ قَرَارُهُ . إِذَا ٱشْتَبَّتْ فِي ٱلدُّجَى وَٱلنَّقْعِ نَارُهُ . يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْحَالَتَيْنِ ٱلْبَأْسِ وَٱلْكَرَمِ . وَيُصَاغُ فِي طَوْقِ ٱلْحَالَتَيْنِ فَهُوَ إِمَّا طَوْقٌ فِي نُحُورِ ٱلْأَعْدَاءِ وَإِمَّا خَلْخَالٌ فِي عَرَاقِيبِ أَهْلِ ٱلنِّقَمِ . وَتُحْسَمُ بِهِ أَهْوَاءُ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُضِلَّةِ . وَتُحْذَفُ بِهِمَّتِهِ ٱلْجَازِمَةِ حُرُوفُ ٱلْعِلَّةِ . وَإِذَا ٱنْحَنَى فِي سَمَاءِ ٱلْقَتَامِ بِٱلضَّرْبِ فَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْاسْتِطَاعَةِ ٱلطَّوِيلُ ٱلْمُعَمَّرُ . إِذَا قُصِفَ سِوَاهُ فِي سَاعَةٍ فَمَا أَوْلَاهُ بِطُولِ ٱلْإِحْسَانِ . وَمَا أَجْمَلَ ذِكْرَهُ فِي أَخْبَارِ ٱلْمُعَمَّرِينَ وَمَقَاتِلِ ٱلْفُرْسَانِ . كَأَنَّ ٱلْغَيْثَ فِي غِمْدِهِ لِلطَّالِبِ ٱلْمُنْتَجِعِ . وَكَأَنَّهُ زِنَادٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ إِلَّا أَنَّ دَفْعَ ٱلدِّمَاءِ شَرَرُهُ ٱلْمُلْتَمِعُ . كَمْ قَدْ مَدَّ فَأَدْرَكَ ٱلطُّلَّابَ . وَدَعَا ٱلنَّصْرَ بِلِسَانِهِ ٱلْمُحْمَرِّ مِنْ أَثَرِ ٱلدِّمَاءِ فَأَجَابَ . وَتَشَعَّبَتْ

ٱلدُّوَلُ لِقَائِمِ نَصْرِهِ ٱلْمُنْتَظَرِ. وَحَازَتْ أَبْكَارُ ٱلْفُتُوحِ بِجَدِّهِ ٱلظَّفَرَ. وَغَدَتْ أَيَّامُهَا بِهِ ذَاتَ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغُرَرٍ. وَشَدَّتْ بِهِ ٱلظُّهُورَ. وَحَمِدَتْ عَلَائِقَهُ فِي ٱلْأُمُورِ. وَٱتَّخَذَتْهُ ٱلْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِهَا. وَحِصْنًا عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطَّانِهَا. وَجَرَّدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ ٱلْأَقْدَارِ فِي شَانِهَا. وَنُدِبَ فَمَا أَعْيَتْ عَلَيْهِ ٱلْمَصَالِحُ. وَبَاشَرَ ٱللِّمَمَ فَهُوَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ بَيْنَ ٱلْهُدَى وَٱلضَّلَالِ فَرْقٌ وَاضِحٌ. وَأَغَاثَ فِي كُلِّ فَصْلٍ فَهُوَ إِمَّا لِغِمْدِهِ سَعْدُ ٱلْأَخْبِيَةِ وَإِمَّا لِحَامِلِهِ سَعْدُ ٱلسُّعُودِ. وَإِمَّا لِضِدِّهِ سَعْدُ ٱلذَّابِحِ. يَجْلِسُ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَعْدَاءِ قَهْرًا. وَيَشْرَحُ أَنْبَاءَ ٱلشَّجَاعَةِ قَائِلًا لِلْقَلَمِ: ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ ٱلْمَوْتُ عَلَى بَابِهِ. وَعَضَّ ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ بِنَابِهِ. وَقُذِفَتْ شَيَاطِينُ ٱلْقِرَاعِ بِشُهُبِهِ. وَمُنِحَ آيَاتٍ شَرِيفَةً مِنْهَا طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ. وَمِنْهَا: أَنَّ ٱللّٰهَ أَنْشَأَ بَرْقَهُ فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَصْرَعًا. وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا. أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ ٱلْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَحُ. وَرَأْيٍ إِلَى ٱلْخِصَامِ يَجْنَحُ. وَلِسَانٍ يُحْوِجُهُ ٱللَّدَدُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ فَيَجْرَحَ. وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ ٱلْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ. وَأَسْأَلُهُ ٱلْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ. ثُمَّ ٱخْتَفَى فِي بَعْضِ ٱلْخَمَائِلِ. وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ:

سَلِ ٱلسَّيْفَ عَنْ أَصْلِ ٱلْفَخَارِ وَفَرْعِهِ ... فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلسَّيْفَ أَفْصَحَ مِقْوَلَا

(فَلَمَّا وَعَى ٱلْقَلَمُ) خُطْبَتَهُ ٱلطَّوِيلَةَ ٱلطَّائِلَةَ. وَنَشْطَتَهُ ٱلْجَلِيلَةَ ٱلْجَائِلَةَ. وَفَهِمَ كِنَايَتَهُ وَتَلْوِيحَهُ. وَتَعْرِيضَهُ بِٱلذَّمِّ وَتَصْرِيحَهُ. وَتَعْدِيلَهُ فِي

ٱلْحَدِيثِ وَتَجْرِيحَهُ . ٱسْتَغَاثَ بِاللَّفْظِ ٱلنَّصِيرِ . وَٱحْتَدَّ وَمَا أَدْرَاكَ مَا حِدَّةُ ٱلْقَصِيرِ . وَقَامَ فِي دَوَاتِهِ وَقَعَدَ . وَٱضْطَرَبَ عَلَى وَجْهِ ٱلْقِرْطَاسِ وَٱرْتَعَدَ . وَعَدَلَ إِلَى ٱلسَّبِّ ٱلصُّرَاحِ . وَرَأَى أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ تَكَلَّمَ وَلٰكِنْ بِأَفْوَاهِ ٱلْجِرَاحِ . فَٱنْحَرَفَ إِلَى ٱلسَّيْفِ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمُعْتَزُّ بِطَبْعِهِ . ٱلْمُغْتَرُّ بِلَمعِهِ . ٱلنَّاقِضُ حَبْلَ ٱلْأُنْسِ بِقَطْعِهِ . ٱلنَّاسِخُ بِهَجِيرِهِ مِنْ ظِلَالِ ٱلْعَيْشِ فَيْئًا . ٱلسَّرَابُ ٱلَّذِي يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا . ٱلْحَبِيسُ ٱلَّذِي طَالَمَا عَادَتْ عَلَيْهِ عَوَائِدُ شَرِّهِ . أَتَعَرَّضُ بِسَبِّي . وَتَتَعَرَّضُ لِمَكَايِدِ حَرْبِي . أَلَسْتُ ذَا ٱلْخُدَعِ ٱلْبَالِغَةِ وَٱلْحَرْبُ خُدْعَةٌ . وَٱلْمِنَنِ ٱلنَّافِعَةِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا تَبْغِي ٱلْأَنَامُ نَفْعَهُ . أَلَسْتُ ٱلْمُسَوَّدَ ٱلْأَحَقَّ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ... وَعَلَّمَتْهُ ٱلْجُودَ وَٱلْإِقْدَامَا

أَتُفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وَأَنْتَ لِلْقَطْعِ . وَأَنَا لِلْعَطَاءِ وَأَنْتَ لِلْمَنْعِ . وَأَنَا لِلصُّلْحِ وَأَنْتَ لِلضِّرَابِ . وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلْخَرَابِ . وَأَنَا ٱلْمُعَمِّرُ . وَأَنْتَ ٱلْمُدَمِّرُ . وَأَنْتَ ٱلْمُقَلَّدُ وَأَنَا صَاحِبُ ٱلتَّقْلِيدِ . وَأَنْتَ ٱلْعَابِثُ وَأَنَا ٱلْمُجَوِّدُ وَمَنْ أَوْلَى مِنَ ٱلْقَلَمِ بِٱلتَّجْوِيدِ . فَمَا أَقْبَحَ شِبْهَكَ . وَمَا أَشْنَعَ يَوْمًا تَرَى فِيهِ ٱلْعُيُونُ وَجْهَكَ . أَعَلَى مِثْلِي يُشَقُّ ٱلْقَوْلُ . وَيُرْفَعُ ٱلصَّوْتُ وَٱلصَّوْلُ . وَأَنَا ذُو ٱللَّفْظِ ٱلْمَكِينِ . وَأَنْتَ مِمَّنْ دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِ ٱلْقُرْآنِ : أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . فَقَدْ تَعَدَّيْتَ حَدَّكَ . وَطَلَبْتَ مَا لَمْ تَبْلُغْ بِهِ جَهْدَكَ . هَيْهَاتَ أَنَا ٱلْمُنْتَصِبُ

لِمَصَالِحِ ٱلدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي ٱلْغِمْدِ طَرِيحٌ . وَٱلْمُتْعَبُ فِي تَمْهِيدِهَا وَأَنْتَ غَافِلٌ مُسْتَرِيحٌ . وَٱلسَّاهِرُ وَقَدْ مُهِّدَ لَكَ فِي ٱلْغِمْدِ مَضْجَعٌ . وَٱلْجَالِسُ عَنْ يَمِينِ ٱلْمَلِكِ وَأَنْتَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَيُّ ٱلْحَالَتَيْنِ أَرْفَعُ . وَٱلسَّاعِي فِي تَدْبِيرِ حَالِ ٱلْقَوْمِ . وَٱلْمُفْنِي لِنَفْعِهِمِ ٱلْعُمْرَ إِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . فَٱقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ ٱلْمُفَاخَرَةِ . وَٱسْتُرْ أَنْيَابَكَ عِنْدَ ٱلْمُكَاشَرَةِ . فَمَا يَحْسُنُ بِٱلصَّامِتِ مُحَاوَرَةُ ٱلْمُفْصِحِ . وَٱللهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ . عَلَى أَنَّهُ لَا يُنْكَرُ لِمِثْلِكَ ٱلتَّصَدِّي . وَلَا يُسْتَغْرَبُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِي ٱلتَّعَدِّي . مَا أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ ٱلْبَارِئَ وَتَجَرَّأْتَ عَلَيْهِ . وَمَدَدْتَ يَدَ ٱلْعُدْوَانِ إِلَيْهِ . أَوَلَسْتَ ٱلَّذِي قِيلَ فِيهِ :

شَيْخٌ يَرَى ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ ٱلْحُجَّاجِ فِي ٱلْحَرَمِ

قَدْ سُلِبْتَ ٱلرَّحْمَةَ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ ٱللهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلرُّحَمَاءَ . وَجُلِبْتَ ٱلْقَسْوَةَ فَكَمْ هَيَّجْتَ سُبَّةً حَمْرَاءَ . وَأَثَرْتَ دَهْمَاءَ . وَخَمَشْتَ ٱلْوُجُوهَ وَكَيْفَ لَا وَأَنْتَ كَٱلظُّفْرِ كَوْنًا . وَقَطَعْتَ ٱللَّذَّاتِ وَلِمَ لَا وَأَنْتَ كَٱلصُّبْحِ لَوْنًا . أَيْنَ بَطْشُكَ مِنْ حِلْمِي . وَجَهْلُكَ مِنْ عِلْمِي . وَجِسْمُكَ مِنْ جِسْمِي :

شَتَّانَ مَا بَيْنَ جِسْمٍ صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ وَذَاكَ جِسْمِي وَجِسْمٍ صِيغَ مِنْ بَهَقِ

أَيْنَ عَيْنُكَ ٱلزَّرْقَاءُ مِنْ عَيْنِيَ ٱلْكَحِيلَةِ . وَرُؤْيَتُكَ ٱلشَّنْعَاءُ مِنْ رُؤْيَتِيَ ٱلْجَمِيلَةِ . أَيْنَ لَوْنُ ٱلشَّيْبِ مِنْ لَوْنِ ٱلشَّبَابِ . وَأَيْنَ نَذِيرُ ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ رَسُولِ ٱلْأَحْبَابِ . هٰذَا وَكَمْ أَكَلْتَ ٱلْأَكْبَادَ غَيْظًا .

وَحَمَيْتَ ٱلْأَضْغَانَ قَيْظًا . وَشَكَوْتَ ٱلصَّدَى فَسُقِيتَ وَلَكِنْ بِشُوَاظٍ مِن نَارٍ . وَأَخْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّى ٱنْتَعَلَ بِأَبْعَاضِكَ ٱلْحِمَارُ . وَلَوْلَا تَعَرُّضُكَ إِلَيَّ لَمَا وَقَعْتَ فِي ٱلْمَقْتِ . وَلَوْلَا إِسَاءَتُكَ لَمَا كُنْتَ تُصْقَلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ . فَدَعْ عَنْكَ هٰذَا ٱلْفَخْرَ ٱلْمَدِيدَ . وَتَأَمَّلْ وَصْفِي إِذَا كُشِفَ عَنْكَ ٱلْغِطَاءُ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَٱفْهَمْ قَوْلَ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ :

بِذَا قَضَى ٱللّٰهُ فِي ٱلْأَقْلَامِ إِذْ بُرِيَتْ أَنَّ ٱلسُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

(فَعِنْدَ ذٰلِكَ وَثَبَ ٱلسَّيْفُ) عَلَى قَدِّهِ . وَكَادَ ٱلْغَضَبُ يُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمُتَطَاوِلُ عَلَى قِصَرِهِ . وَٱلْمَاشِي عَلَى طَرِيقِ غَرَرِهِ . وَٱلْمُتَعَرِّضُ مِنِّي إِلَى ٱلدَّمَارِ . وَٱلْمُتَحَرِّشُ بِي فَهُوَ كَمَا تَقُولُ ٱلْعَامَّةُ : ذَنَبُهُ قَشٌّ وَيَتَحَرَّشُ بِٱلنَّارِ . لَقَدْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقِكَ حَتَّى أَغْرَقَتْكَ ٱلْغَمَرَاتُ . وَأَتْعَبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُدْرِكُ إِلَى أَنْ أَذْهَبَهَا ٱلتَّعَبُ حَسَرَاتٍ . أَوَلَسْتَ ٱلَّذِي طَالَمَا أَرْعَشَ ٱلسَّيْفُ لِلْهَيْبَةِ عِطْفَكَ . وَنَكَّسَ لِلْخِدْمَةِ رَأْسَكَ وَطَرْفَكَ . وَأَمَرَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ ٱلسِّكِّينُ فَقَطَعَ قَفَاكَ وَشَقَّ أَنْفَكَ . وَرَفَعَكَ فِي مُهِمَّاتٍ خَامِلَةٍ وَحَطَّكَ . وَجَذَبَكَ ٱلِاسْتِعْمَالُ وَقَطَّكَ . فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ جَسَرْتَ . وَعَبَسْتَ عَلَى مِثْلِي وَبَسَرْتَ . وَأَنْتَ ٱلسُّوقَةُ وَأَنَا ٱلْمَلِكُ . وَأَنَا ٱلصَّادِقُ وَأَنْتَ ٱلْمُؤْتَفِكُ . وَأَنْتَ لِصَوْنِ ٱلْحُطَامِ وَأَنَا لِصَوْنِ ٱلْمَمَالِكِ . وَأَنْتَ لِحِفْظِ ٱلْمَزَارِعِ وَأَنَا لِحِفْظِ ٱلْمَسَالِكِ . وَأَنْتَ لِلْفَلَاحَةِ وَأَنَا لِلْفَلَاحِ . وَأَنْتَ حَاطِبُ ٱللَّيْلِ مِنْ نِقْسِهِ وَأَنَا سَارِي ٱلصَّبَاحِ . وَأَنَا ٱلْبَاصِرُ وَأَنْتَ ٱلْأَرْمَدُ . وَأَنَا

ٱلْمَخْدُومُ ٱلْأَبْيَضُ وَأَنتَ ٱلْخَادِمُ ٱلْأَسْوَدُ . وَأُقْسِمُ بِمَنْ صَيَّرَ فِي قَبْضَتِي أَنْوَاعَ ٱلْيُمْنِ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لَأَذَلُّ رُتْبَةً . وَعَنْ بَرْيِ كَفِّي لَأَخْيَبُ طِلْبَةً . فَإِنِّي لَا أُنْكِرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا :

أُفٍّ لِرِزْقِ ٱلْكَتَبَهْ أُفٍّ لَهُ مَا أَصْعَبَهْ
يُرْتَشَفُ ٱلرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ ٱلْقَصَبَهْ
يَا قَلَماً يَرْفَعُ فِي ٱلطِّرْسِ لِوَجْهِي ذَنَبَهْ
مَا أَعْرِفُ ٱلْمِسْكِينَ إِلَّا كَاتِباً ذَا مَتْرَبَهْ

إِنْ عَايَنْتَ ٱلدِّيوَانَ وَقَعْتَ فِي ٱلْحِسَابِ وَٱلْعَذَابِ . أَوِ ٱلْبَلَاغَةَ سَحَرْتَ وَبَالَغْتَ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَوْ فَخَرْتَ بِتَقْيِيدِ ٱلْعُلُومِ فَمَا لَكَ مِنْهَا سِوَى لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ . أَوْ بِرَقْمِ ٱلْمَصَاحِفِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ ٱللهَ عَلَى حَرْفٍ . أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمْعُكَ لِلتَّكْسِيرِ . أَوْ رَفَعْتَ إِلَيَّ طَرْفَكَ رَجَعَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ . وَهَلْ أَنْتَ فِي ٱلدُّوَلِ إِلَّا خَيَالٌ تَكْتَفِي ٱلْهِمَمُ بِطَيْفِهِ . أَوْ إِصْبَعٌ تَلْعَقُ بِهَا ٱلرِّزْقَ إِذَا أَكَلَ ٱلضَّارِبُ بِقَائِمِ سَيْفِهِ . وَسَاعٍ عَلَى رَأْسِهِ قَلَّ مَا أَجْدَى . وَسَارٍ رُبَّمَا أَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى . ثُمَّ وَقَفَ وَأَكْدَى . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّيَ ٱلْأَسْنَى وَكَفِّيَ ٱلْأَغْنَى . وَمَا خُصِصْتُ بِهِ مِنَ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ ٱلْعَرَضِ ٱلْأَدْنَى . كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مُهِمَّةٍ . وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَاتِكَ لِتَسْطِيرِ سَيِّئَةٍ . فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ . وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا قُلْتَ مَفْتُوقُ ٱللِّسَانِ . جَرِيءُ ٱلْجَنَانِ . مُدَاخِلٌ بِخَالِكَ بَيْنَ ذَوِي ٱلِٱقْتِنَاصِ .

مَعْدُودٌ مِنْ شَيَاطِينِ ٱلدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي ٱلطِّرْسِ وَٱلنِّقْسِ بَيْنَ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَحْفَى. وَصِحْتَ بِصَرِيرِكَ إِلَى أَنْ تَخْفُتَ وَتَخْفَى. لَمَا كُنْتَ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرَةِ مِنَ ٱلسِّمَاكِ ٱلرَّامِحِ. وَٱلْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ ٱلْخِضَمِّ ٱلطَّافِحِ. فَلَا تَعُدْ نَفْسَكَ بِمُعْجِزِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ يَمِينُ. وَلَا تَخَافُ لَمَّا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايَ فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينٌ. وَمِنْ صَلَاحِ تَجَمُّلِكَ أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي ٱلْأَكْبَرِ. وَتُؤْمِنَ بِمُعْجِزَتِي ٱلَّتِي بَعَثَتْ مِنْكَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ وَٱلْأَحْمَرِ. لِتَسْتَوْجِبَ حَقًّا. وَتَسْلَمَ مِنْ نَارِ حَرٍّ تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى. وَإِنْ لَمْ يَتَّضِحْ لِرَأْيِكَ إِلَّا ٱلْإِصْرَارُ. وَأَبَتْ حَصَائِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي ٱلنَّارِ. فَلَا رَعَى ٱللهُ عَزَائِمَكَ ٱلْقَاصِرَةَ. وَلَا جَمَعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ ٱلَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ ٱلسُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ. ثُمَّ قَطَعَ ٱلْكَلَامَ. وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ ٱلْقَلَمِ حَرَجَهُ. وَفَهِمَ مِقْدَارَ ٱلْغَيْظِ ٱلَّذِي أَخْرَجَهُ. وَسَمِعَ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ ٱلَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ٱلدَّمُ. وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ ٱلْبَادِي بِهٰذِهِ ٱلْمُنَاقَشَةِ وَٱلْبَادِي أَظْلَمُ. رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ. وَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِ قِرَاعِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ دَهْرُهُ. وَأَقْدَرَ عَلَى حُكْمِ ٱلْوَقْتِ قَدْرُهُ. وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

لَحْنُهَا مُعْرَبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا ... أَنَّ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مَلْحُونُ

فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمُتَهِبُ فِي قَدْحِهِ. وَٱلْخَارِجُ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ صَفْحِهِ. مَا هٰذِهِ ٱلزِّيَادَةُ فِي ٱلسِّبَابِ. وَٱلتَّطْفِيفُ فِي كَيْلِ ٱلْجَوَابِ. وَأَيْنَ عِلْمُ ٱلشُّيُوخِ عِنْدَ جَهْلِ ٱلشَّبَابِ. أَمَا كَانَ ٱلْأَحْسَنُ بِكَ أَنْ تَتْرُكَ هٰذَا ٱلرَّفَثَ. وَتَلُمَّ أَخَاكَ عَلَى ٱلشَّعَثِ. وَتَحْلُمَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ. وَتَرْكُوَ عَلَى ٱلْغَيْظِ كَمَا يَزْكُو عَلَى ٱلنَّارِ ٱلْجَيِّدُ. أَمَا تَعْلَمُ أَنِّي مُعِينُكَ فِي تَشْيِيدِ ٱلْمَمَالِكِ. وَرَفِيقُكَ فِيمَا تَسْلُكُهُ لِنَفْعِهَا مِنَ ٱلْمَسَالِكِ. أَمَا أَنَا وَأَنْتَ لِلْمُلْكِ كَالْيَدَيْنِ. وَفِي تَشْيِيدِهِ كَالرُّكْنَيْنِ. وَمَا أَرَاكَ عِبْتَنِي فِي ٱلْأَكْثَرِ إِلَّا بِنُحُولِ ٱلْجَسَدِ ٱلَّذِي لَيْسَ خَلْقُهُ عَلَيَّ. وَضَعْفِهِ ٱلَّذِي لَيْسَ أَمْرُهُ إِلَيَّ. عَلَى أَنَّ أَذْكَى ٱلنَّسِيمَاتِ أَعَلُّهَا وَأَدْنَفُهَا. وَهٰذِهِ سَادَاتُ ٱلْعَرَبِ تَعُدُّ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِهَا ٱلْأَظْهَرِ. وَحُسْنِهَا ٱلْأَشْهَرِ. وَلَوْ أَنَّكَ تَقُولُ بِٱلْفَصَاحَةِ. وَتَقِفُ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاحَةِ. لَأَسْمَعْتُكَ فِي ذٰلِكَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ. وَأَتْحَفْتُكَ بِمَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنْ آثَارِهِمْ. فَيَا لَلّٰهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحُجَّةِ ٱلْبَائِرَةِ. وَٱلْكَرَّةِ ٱلْخَاسِرَةِ. وَعَلَى هٰذِهِ ٱلنِّسْبَةِ مَا عِبْتَنِي بِهِ مِنْ فَقْرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ. وَذُلِّ ٱلْحُكَمَاءِ. عَلَى أَنَّ إِطْلَاقَاتِ مَعْرُوفِي مَعْرُوفَةٌ. وَسَطَوَاتِ أَمْرِي فِي وُجُوهِ ٱلْأَعْدَاءِ ٱلْمَكْسُوفَةِ مَكْشُوفَةٌ. فَٱسْتَغْفِرِ ٱللّٰهَ مِمَّا فَرَطَ فِي مَقَالِكَ. وَٱلتَّفْوِيضُ مِنْ عَوَائِدِ ٱحْتِمَالِكَ. فَلَا تُشْمِتْ بِنَا ٱلْأَضْدَادَ وَلَا تُسَلِّطْ بِفُرْقَتِنَا ٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ. إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ. وَٱغْضُضِ ٱلْآنَ مِنْ خُيَلَائِكَ بَعْضَ هٰذَا ٱلْغَضِّ. وَلَا تَشُكَّ أَنِّي قَسِيمُكَ وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُهَدِّدَ. وَتُجَرِّدَ

الشَّغبَ وتُحدّدَ . فاذكُرْ محلّنا في اليدِ الشريفةِ السُّلطانيّةِ المالكيّةِ المُؤيّدةِ . أيّدَ اللهُ نِعمَها . وجازَى بالإحسانِ شِيَمَها . وأيقظَ في الآجالِ والآمالِ سيفَها وقلمَها . ولا عطّلَ مشاهِدَ المدحِ من أُنسِها . ولا أخلى فرائضَ البأسِ والكرمِ من قيامِ خَمسِها . فأُقسِمُ من بأسِهِ بالليلِ وما وسقَ . ومن بِشرِ طلعتِهِ بالقمرِ إذا اتّسقَ . لو تجاورَ الأُسْدُ والظِّباءُ بتلكَ اليدِ لوردَا بالأمنِ في منهلٍ . ورتعَا في روضٍ لا يُجهَلُ . فما ينبغي لنا بينَ تلكَ الأناملِ غيرُ سلوكِ الأدبِ . والمعاضدةِ على محوِ الأزماتِ والنُّوبِ . والاستقامةِ على الحقِّ ولا عِوجَ . والحديثِ من تلكَ الراحةِ عن البحرِ ولا حرجَ . هذهِ نصيحتي إليكَ والدينُ النصيحةُ . واللهُ تعالى يُطلِعُكَ على معاني الرُّشدِ الصريحةِ . ويجعلُ بينكَ وبينَ الغيِّ حِجابًا مستورًا . ويُنسيكَ ما تقدّمَ من القولِ وكانَ ذلكَ في الكتابِ مسطورًا . فعندَ ذلكَ نكّسَ السيفُ طرفَهُ وقبِلَ خديعةَ القلمِ قائلًا لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ : وأمسكَ عن المشاغبةِ خيفةَ الزَّللِ . فإنَّ السيوفَ معروفةٌ بالمَلَلِ . ثُمَّ قالَ : أيُّها الضعيفُ الجبّارُ . البازغُ في ليلِ المدادِ نجمًا وكم في النجومِ غَرّارْ . لقد تظلّمتَ من أمرٍ أنتَ البادي بظُلمِهِ . وتسوّرتَ إلى فتحِ بابٍ أنتَ السابقُ إلى فتحِ ختمِهِ . وقد فهمتُ الآنَ ما ذكرتَ من أمرِ اليدِ الشريفةِ ونِعمَ ما ذكرتَ . وأحسنَ بما أشرتَ . وما أنسانيهِ إلّا الشيطانُ أن أذكُرَهُ وقد تغافلتُ عن قولكَ الأحسنِ . ورددتُكَ

إلَى أُمّكَ ٱلدَّوَاةِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْـزَنَ . وَسَأَلْتُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ مَحَاسِنَ تِلْكَ ٱلْيَدِ ٱلْعَالِيَةِ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ فَإِنَّهَا ٱلْيَدُ ٱلَّتِي :

لَوْ أَثَّرَ ٱلتَّقْبِيلُ فِي يَدِ مُنْعِمٍ   لَمَحَا بَرَاجِمَ كَفِّهَا ٱلتَّقْبِيــلُ

وَٱلرَّاحَةُ ٱلَّتِي :

تَسْعَى ٱلْقُلُوبُ لِغَوْثِهَا وَلِغَيْثِهَا   فَيُجِيبُــهُ ٱلتَّأْمِـينُ وَٱلتَّأْمِيلُ

وَٱلْأَنَامِلُ ٱلَّتِي عَلَّمَهَا ٱللهُ بِٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَـمِ . وَمَكَّنَهَا مِنْ رُتْبَتَيِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَلَمِ . وَدَارَكَ بِكَرَمِهَا آمَالَ ٱلْعُفَاةِ بَعْدَ إِنْ وَلَا وَلَمْ . وَلَوْلَا أَنَّ هٰذَا ٱلْمِضْمَارَ يَضِيقُ عَنْ وَصْفِهِ ٱلسَّابِقِ إِلَى غَايَةِ ٱلْخَصْلِ . وَمَجْدِهِ ٱلَّذِي إِذَا جَرَّ ذَيْلَهُ وَدَّ ٱلْفَضْلُ لَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُ بِٱلْفَضْلِ . لَأَطَلْتُ ٱلْآنَ فِي ذِكْرِ مَجْدِهَا ٱلْأَوْضَحِ . وَأَفْصَحْتُ فِي مَدْحِهَا وَلَا يُنْكَرُ لِمِثْلِهَا أَنْ أَنْطَقَتِ ٱلصَّامِتَ فَأَفْصَحَ . ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ٱلْمَزِيدِ . وَٱلْمُجَادَلَةِ ٱلَّتِي عَزَّ أَمْرُهَا عَلَى ٱلْحَدِيدِ . أَقْرَرْتَ أَنْتَ أَنَّنَا لِلْمُلْكِ كَٱلْيَدَيْنِ . وَلَمْ تُقِرَّ أَيُّنَا ٱلْيَمِينُ . وَفِي آفَاقِهِ كَٱلْقَمَرَيْنِ . وَلَمْ تَذْكُرْ أَيُّنَا ٱلْوَاضِحَـةُ ٱلْجَبِينِ . وَمَا يَشْفِي ضَنَايَ وَيُرْوِي صَدَايَ إِلَّا أَنْ يَحْكُـمَ بَيْنَنَا مَنْ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ . وَلَا يُتَّهَمُ فَهْمُهُ . فَيَظْهَرُ أَيُّنَا ٱلْمَفْضُولُ مِنَ ٱلْفَاضِلِ . وَٱلْمَخْذُولُ مِنَ ٱلْخَاذِلِ . وَيُقَصِّرُ عَنِ ٱلْقَوْلِ ٱلْمُنَاظِرُ . وَيَسْـتَرِيحُ ٱلْمُنَاضِلُ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا ٱلْمَقَامُ ٱلْأَعْظَمُ ٱلَّذِي أَشَرْتَ إِلَى يَدِهِ ٱلشَّرِيفَةِ . وَتَوَسَّلْتَ بِمَحَاسِنِهَا ٱللَّطِيفَـةِ . فَإِنَّهُ مَالِكُ زِمَامِنَا . وَمُنْشِئُ غَمَامِنَا . وَمُصَرِّفُ كَلَامِنَا . وَحَامِلُ أَعْبَائِنَا . ٱلَّذِي مَا هَوَى لِلْهَـوَى وَصَاحِبُ

أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا وَتَٱللهِ مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى . لِيَفْصُلَ ٱلْأَمْرَ بِحُكْمِهِ . وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْلِسِهِ ٱلشَّرِيفِ فَيَحْكُمَ بَيْنَنَا بِعِلْمِهِ . فَقَدِّمْ خِيرَةَ ٱللهِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلِاشْتِرَاطِ . وَقُلْ بَعْدَ تَقْبِيلِنَا ٱلْأَرْضَ لَهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْبِسَاطِ : خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ . وَٱهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ . فَنَشِطَ ٱلْقَلَمُ فَرَحًا . وَمَشَى فِي أَرْضِ ٱلطِّرْسِ مَرَحًا . وَطَرِبَ لِهٰذَا ٱلْجَوَابِ . وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . وَقَالَ : سَمْعًا وَطَاعَةً . وَشَكَرَ ٱللهَ عَلَى هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ

يَا بَرْدَ ذَاكَ ٱلَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبِدِي

أَلْآنَ ظَهَرَ مَا تَبْغِيَانِ . وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . وَحَكَمَ بَيْنَنَا ٱلرَّأْيُ ٱلْمُنِيرُ . وَنَبَّأَنَا بِحَقِيقَةِ ٱلْأَمْرِ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . ثُمَّ تَفَاصَلَا عَلَى ذٰلِكَ . وَتَرَاضَيَا عَلَى مَا يَحْكُمُ بِهِ ٱلْمَالِكُ . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَٱنْتَبَهَ ٱلْمَمْلُوكُ مِنْ سِنَةِ فِكْرِهِ . وَطَالِعٌ بِمَا ٱخْتَلَجَ سَوَادَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ فِي سِرِّهِ . وَٱللهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلَّتِي هِيَ نِظَامُ ٱلْمَفَاخِرِ . وَمَقَامُ ٱلْمَآثِرِ . وَغَوْثُ ٱلشَّاكِي وَغَيْثُ ٱلشَّاكِرِ . وَيُمَتِّعُ بِظِلَالِ مَقَامِهِ ٱلَّذِي لَا تَكْسِرُ ٱلْأَيَّامُ مِقْدَارَ مَا هُوَ جَابِرٌ . وَلَا تَجْبُرُ مَا هُوَ كَاسِرٌ . إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى (خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الوردي في السيف والقلم

٤٤ لَمَّا كَانَ ٱلسَّيْفُ وَٱلْقَلَمُ عُدَّتَيِ ٱلْعَمَلِ وَٱلْقَوْلِ . وَعُمْدَتَيِ ٱلدُّوَلِ . فَإِنْ عَدِمَتْهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُكْنَيْ إِسْنَادِ ٱلْمُلْكِ ٱلْعَزِيزِ عَنِ

ٱلْمَخْفُوضِ وَٱلْمَرْفُوعِ . وَمُقَدَّمَتَيْ نَتِيجَةِ ٱلْجَدَلِ ٱلصَّادِرِ عَنْهُمَا ٱلْمَحْمُولُ وَٱلْمَوْضُوعُ . فَكَرَّتْ أَيُّهُمَا أَعْظَمُ فَخْرًا . وَأَعْلَى قَدْرًا . فَجَلَسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ ٱلْحُكْمِ وَٱلْفَتْوَى . وَمَثَّلْتُهُمَا فِي ٱلْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى . وَسَوَّيْتُ بَيْنَ ٱلْخَصْمَيْنِ فِي ٱلْإِكْرَامِ . وَٱسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا لِلْكَلَامِ (فَقَالَ ٱلْقَلَمُ) : بِسْمِ ٱللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ بَارِئِ ٱلْقَلَمِ . وَمُشَرِّفِهِ بِٱلْقَسَمِ . وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ . وَجَمَّلَ ٱلْوَرَقَ بِغُصْنِهِ كَمَا جَمَّلَ ٱلْغُصْنَ بِٱلْوَرَقِ . وَٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلْقَائِلِ : جَفَّتِ ٱلْأَقْلَامُ . فَإِنَّ ٱلْقَلَمَ قَصَبُ ٱلسِّبَاقِ . وَٱلْكَاتِبُ بِسَبْعَةِ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ ٱلْكُتَّابِ فِي ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ . جَرَى بِٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ . وَنَابَ عَنِ ٱللِّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ . طَالَمَا أَرْبَى عَلَى ٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْرِ فِي ضِرَابِهَا وَطِعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي ٱلْبُعْدِ وَٱلصَّوَارِمُ فِي ٱلْقُرْبِ مِلْءُ أَجْفَانِهَا . وَمَاذَا يُشْبِهُ ٱلْقَلَمَ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ . وَمَشْيِهِ لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَاسِهِ . (فَقَالَ ٱلسَّيْفُ) : بِسْمِ ٱللهِ ٱلْخَافِضِ ٱلرَّافِعِ . وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ آيَةَ ٱلسَّيْفِ . فَعَظَّمَ بِهَا حُرْمَةَ ٱلْجُرْحِ وَآمَنَ خِيفَةَ ٱلْحَيْفِ وَٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلَّذِي نَفَّذَ بِٱلسَّيْفِ سُطُورَ ٱلطُّرُوسِ . وَخَدَمَتْهُ ٱلْأَقْلَامُ مَاشِيَةً عَلَى ٱلرُّؤُوسِ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ٱلَّذِينَ أَرْهَفَتْ سُيُوفُهُمْ . وَبُنِيَتْ بِهَا عَلَى كَسْرِ ٱلْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ . فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ عَظِيمُ ٱلدَّوْلَةِ . شَدِيدُ ٱلصَّوْلَةِ . مَحَا أَسْطَارَ ٱلْبَلَاغَةِ . وَأَسَاغَ مَمْنُوعَ ٱلْإِسَاغَةِ . مَنِ ٱعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِهِ

فِي قَهْرِ ٱلْأَعْدَاءِ تَعَب . وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ . فَإِنْ كَانَ ٱلْقَلَمُ شَاهِدًا فَٱلسَّيْفُ قَاضِي . وَإِنِ ٱقْتَرَبَتْ مُجَادَلَتُهُ بِأَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ قَطَعَهُ ٱلسَّيْفُ بِفِعْلٍ مَاضِي . بِهِ ظَهَرَ ٱلدِّينُ . وَهُوَ ٱلْعُدَّةُ لِقَمْعِ ٱلْمُعْتَمِدِينَ . حَمَلَتْهُ دُونَ ٱلْقَلَمِ يَدُ نَبِيِّنَا . فَشَرُفَ بِذٰلِكَ فِي ٱلْأُمَمِ شَرَفًا بَيِّنًا . ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ . وَلَاسِيَّمَا حِينَ يُسَلُّ فَتَرَى وَدْقَ ٱلدَّمِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ . زُيِّنَتْ بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غِمْدِهِ . وَصَدَقَ ٱلْقَائِلُ: ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنْ ضِدِّهِ . لَا يَعْبَثُ بِهِ ٱلْخَامِلُ . وَلَا يَتَنَاوَلُهُ كَٱلْقَلَمِ بِأَطْرَافِ ٱلْأَنَامِلِ . مَا هُوَ كَٱلْقَلَمِ ٱلْمُشَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُّوا عَنْ لُبُوسِهِمْ . ثُمَّ نُكِّسُوا كَمَا قِيلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ . فَكَأَنَّ ٱلسَّيْفَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . أَوْ كَوْكَبٍ رَاشِقٍ . مُقَدَّرًا فِي ٱلسَّرْدِ . فَهُوَ ٱلْجَوْهَرُ ٱلْفَرْدُ . لَا يُشْرَى كَٱلْقَلَمِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ . وَلَا يَبْلَى كَمَا يَبْلَى ٱلْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطَمْسٍ . كَمْ لِقَائِمِهِ ٱلْمُنْتَظَرِ . مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ . فَهُوَ فِي حِرَابِ ٱلْقَوْمِ قِوَامُ ٱلْحَرْبِ . وَلِهٰذَا جَاءَ مَطْبُوعَ ٱلشَّكْلِ دَاخِلَ ٱلضَّرْبِ . (قَالَ ٱلْقَلَمُ) : أَوَ مَنْ يَنْشَأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . يُفَاخِرُ وَهُوَ ٱلْقَائِمُ عَنِ ٱلشِّمَالِ ٱلْجَالِسَ عَلَى ٱلْيَمِينِ . أَنَا ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلرِّيِّ وَأَنْتَ ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلصَّدَى . أَنَا آلَةُ ٱلْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ ٱلرَّدَى . مَا لِنْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ ٱلسَّعِيرِ . وَمَا حُدِدْتَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ . أَنْتَ تَنْفَعُ فِي ٱلْعُمْرِ سَاعَةً . وَأَنَا أُفْنِي ٱلْعُمْرَ فِي ٱلطَّاعَةِ . أَنْتَ لِلرَّهَبِ . وَأَنَا لِلرَّغَبِ . وَإِذَا كَانَ بَصَرُكَ حَدِيدًا فَبَصَرِي مَا ذَهَبَ . أَيْنَ

تَقْلِيدُكَ مِنِ اجْتِهَادِي . وَأَيْنَ نَجَاسَةُ دَمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مِدَادِي . (قَالَ السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعَيِّرُ مِثْلِي بِالدِّمَاءِ . فَطَالَمَا أُمِرْتُ بَعْضَ فِرَاخِي وَهِيَ السِّكِّينُ . فَأَصْبَحَتْ مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي عُقَدِكَ يَا مِسْكِينُ . فَأَخْلَتْ مِنَ الْحَيَاةِ جُثْمَانَكَ . وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانَكَ . وَيْكَ إِنْ كُنْتَ لِلدِّيوَانِ فَمُحَاسِبٌ مَهْمُومٌ . أَوْ لِلْإِنْشَاءِ فَخَادِمٌ لِمَخْدُومٍ . أَوْ لِلتَّبْلِيغِ فَسَاحِرٌ مَذْمُومٌ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَنَاقِصٌ فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ مَحْرُومٌ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسْمُومٌ . أَوْ لِلْمُعَلِّمِ فَلِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . وَأَمَّا أَنَا فَلِيَ الْوَجْهُ الْأَزْهَرُ . وَالْحِلْيَةُ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْبَةُ إِذَا أُشْهِرُ . وَالصُّعُودُ عَلَى الْمِنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلِيٌّ . وَلِمَ لَا حَمَلَكَ الْخَطِيبُ بَدَلِي . ثُمَّ إِنِّي مَمْلُوكٌ كَمَالِكٍ . فَإِنَّكَ كَنَاسِكٍ . أَسْلُكُ الطَّرَائِقَ . وَأَقْطَعُ الْعَلَائِقَ . (قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْغَدِيرِ وَحَلِيفُ الْهَوَاءِ . وَأَمَّا أَنْتَ فَابْنُ النَّارِ وَالدُّخَانِ . وَبَاتِرُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْإِخْوَانِ . تَفْصِلُ مَا لَا يُفْصَلُ . وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شُمِّرَ السَّيْفُ وَصُقِلَ قَفَاهُ . سُقِيَ مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ مِعَاهُ . يَا غُرَابَ الْبَيْنِ . وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ . وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا الْوَجْهَيْنِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ . وَأَرْمَلْتَ وَأَيْتَمْتَ . (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ الطِّينِ . أَلَسْتُ ضَامِرًا وَأَنْتَ بَطِينٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ . وَزَوَّرْتَ وَحَرَّفْتَ . وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ . وَسَطَّرْتَ هَجْوًا وَشَتْمًا . وَخَلَّدْتَ عَارًا وَذَمًّا . أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعَتِكَ . وَشِدَّةِ خِيفَتِكَ . إِذَا قِسْتَ بَيَاضَ

صَفيحتي بِسَوادِ صَحيفَتِكَ. فَأَلِنْ خِطابَكَ فَأَنتَ قَصيرُ المُدَّةِ. وَأَحسِنْ جَوابَكَ فَعِندي حِدَّةٌ. وَأَقلِلْ مِنْ غَلَطَاتِكَ وَجَهلِكَ. وَاشتَغِلْ عَن دَمٍ فِي وَجهِي بِمدَّةٍ فِي وَجهِكَ. وَإِلَّا فَأَدنَى ضَربَةٍ مِنِّي تَرُومُ أَرُومَتَكَ. فَتَستَأصِلُ أَصلَكَ وَتَجتَثُّ جُرثُومَتَكَ. فَسَقيًا لِمَن غَابَ بِكَ عَن غَابِكَ. وَرَعيًا لِمَن أَهابَ بِكَ اسلَخ إِهابِكَ. (فَلَمَّا رَأَى القَلَمُ) السَّيفَ قَدِ احتَدَّ. أَلانَ لَهُ مِن خِطابِهِ مَا اشتَدَّ. وَقالَ: أَمَّا الأَدَبُ فَيُؤخَذُ عَنِّي. وَأَمَّا اللُّطفُ فَيُكتَسَبُ مِنِّي. فَإِن لِنتُ لِنتَ. وَإِن أَحسَنتُ أَحسَنتَ. نَحنُ أَهلُ السَّمعِ وَالطَّاعَةِ. وَلِهذا تُجمَعُ فِي الدَّوَاةِ الوَاحِدَةِ مِنَّا جَماعَةٌ. وَأَمَّا أَنتُمْ فَأَهلُ الحِدَّةِ وَالخِلافِ. وَلِهذا لَم يَجمَعوا بَينَ سَيفَينِ فِي غِلافٍ. (قالَ السَّيفُ): أَمَكرًا وَدَعوَى عِفَّةٍ. لِأَمرٍ مَا جَدَعَ قَصيرٌ أَنفَهُ لَو كُنتَ كَما زَعَمتَ ذا أَدَبٍ. لَما قابَلتَ رَأسَ الكاتِبِ بِعُقدَةِ الذَّنَبِ. أَنا ذُو الصِّيتِ وَالصَّوتِ. وَغِراراي لِسانا مَشرَفِيٍّ يَرتَجِلُ غَرائِبَ المَوتِ. أَنا مِن مارِجٍ مِن نارٍ. وَالقَلَمُ مِن صَلصالٍ كَالفَخّارِ. وَإِذا زَعَمَ القَلَمُ أَنَّهُ مِثلِي أَمَرتُ مَن يَدُقُّ رَأسَهُ بِنَعلِي. (قالَ القَلَمُ): صَهْ فَصاحِبُ السَّيفِ بِلا سَعادَةٍ كَالأَعزَلِ. (قالَ السَّيفُ): مَهْ فَقَلَمُ البَليغِ بِغَيرِ حَظٍّ مِغزَلٌ. (قالَ القَلَمُ): أَنا أَزكَى وَأَطهَرُ. (قالَ السَّيفُ): أَنا أَبهَى وَأَبهَرُ. فَتَلا (ذُو القَلَمِ) لِقَلَمِهِ: إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ. فَتَلا (صاحِبُ السَّيفِ) لِسَيفِهِ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ. فَتَلا (ذُو القَلَمِ) لِقَلَمِهِ: إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ. (قالَ): أَما وَكِتابي

ٱلْمَسْطُورِ. وَبَيْتِي ٱلْمَعْمُورِ. وَٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ. وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلتَّبْجِيلِ. إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنِّي غَرْبَكَ. وَتُبْعِدْ مِنِّي قُرْبَكَ. لَأَكْتُبَنَّكَ مِنَ ٱلصُّمِّ ٱلْبُكْمِ. وَلَأُسَطِّرَنَّ عَلَيْكَ بِعِلْمِي سِجِلًّا بِهٰذَا ٱلْحُكْمِ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): أَمَا وَمَتْنِيَ ٱلْمَتِينِ. وَفَتْحِي ٱلْمُبِينِ. وَلِسَانِيَ ٱلرَّطْبِينِ. وَوَجْهِيَ ٱلصُّلْبِينِ. إِنْ لَمْ تَعُبْ عَنْ بَيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَأُسَخِّمَنَّ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَقَدْ كَسَبْتَ مِنَ ٱلْأَسَدِ فِي ٱلْغَابَةِ. تَوْقِيحَ ٱلْعَيْنِ وَٱلصَّلَابَةَ. مَعَ أَنِّي مَا أَلَوْتُكَ نُصْحًا. أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): سَلِّمْ إِلَيَّ مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): كَيْفَ لَا أُفَضِّلُكَ وَٱلْمَقَرُّ ٱلْفُلَانِيُّ شَادُّ أَزْرِي. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أُفَضِّلُكَ وَهُوَ عَزَّ نَصْرُهُ وَلِيُّ أَمْرِي

(قَالَ ٱلْحَاكِمُ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْحُجَّتَيْنِ نَاهِضَتَيْنِ. وَٱلْبَيِّنَتَيْنِ بَيِّنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هٰذَا ٱلْمَقَرِّ ٱلْكَرِيمِ. وَرِوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ ٱلْقَدِيمِ. لَطَّفْتُ ٱلْوَسِيلَةَ. وَدَقَّقْتُ ٱلْحِيلَةَ. حَتَّى رَدَدْتُ ٱلْقَلَمَ إِلَى كِنِّهِ. وَأَغْمَدْتُ ٱلسَّيْفَ فَنَامَ مِلْءَ جَفْنِهِ. وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا ٱلتَّرْجِيحَ. وَسَكَتُّ عَمَّا هُوَ عِنْدِيَ ٱلصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ ٱلْمَقَرُّ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيُسَكِّنَ

سَوْرَةَ غَضَبِهِمَا ٱلْوَافِرِ وَلَجَاجِهِمَا ٱلْمَدِيدِ بِبَسِيطِ حِلْمِهِ . وَيُعَامِلُهُمَا بِمَا وَقَرَ فِي صَدْرِهِ مِنَ ٱلْوَقَارِ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ ٱلسَّكِينَةِ . وَإِذَا كَانَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ مَالِكُنَا فَلَا يُفْتَى وَمَالِكٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ

مشاورة المهدي لأهل بيتهِ في حرب خراسان

٢٥ هذا ما تراجع فيه المهديّ ووزراؤهُ وما دار بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان أيّام تحـاملت عليهم العمّال واعتفت . فحملتهم الدالّة وما تقدّم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمّال والتووا بما عليهم من الخراج . وحمل المهديّ ما يُحِبّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم واغتفر زلّتهم . واحتمل دالّتهم تطوّلًا بالفضل واتساعًا بالعفو وأخذًا بالحجّة ورفقًا بالسياسة . ولذلك لم يزل مذ حمّلهُ الله أعباء الخلافة وقلّدهُ أمور الرعيّة رفيقًا بمدار سلطانه بصيرًا باهل زمانهِ باسطًا للمعدلة في رعيّتهِ تسكن الى كنفهِ وتأنس بعفوهِ وتثق بحلمهِ . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عندهُ هوادةٌ ولا إغضاءٌ ولا مداهنةٌ اثرةً للحقّ وقيامًا بالعدل وأخذًا بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمهِ والثقة بعفوهِ أن كسروا الخراج وطردوا العمّال وسألوا ما ليس لهم من الحقّ . ثمّ خلطوا احتجاجًا باعتذارٍ وخصومةً باقرارٍ وتنصُّلًا باعتلالٍ . فلما انتهى ذلك الى المهديّ خرج الى مجلس خلائهِ وبعث الى نفرٍ من لحمتهِ ووزرائهِ فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعيّة . ثمّ أمر الموالي بالابتداء وقال للعبّاس بن محمدٍ : أي عمّ تعقّب قولنا وكن حكمًا بيننا . وأرسل الى ولديهِ موسى وهارون فاحضرهما الأمر وشاركهما في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم في كتابٍ

(فَقَالَ سَلَّامٌ صَاحِبُ ٱلْمَظَالِمِ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً ٱسْتَفْرَغَتْ رَأْيَهُمْ وَٱسْتَغْرَقَتْ أَشْغَالَهُمْ وَٱسْتَنْفَدَتْ أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ . وَلِهٰذِهِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْحَرْبِ وَسَاسَةِ ٱلْأُمُورِ وَقَادَةِ ٱلْجُنُودِ وَفُرْسَانِ ٱلْهَزَاهِزِ وَإِخْوَانِ ٱلتَّجَارِبِ وَأَطْفَالِ ٱلْوَقَائِعِ ٱلَّذِينَ وَشَحَتْهُمْ سِجَالُهَا . وَفَيَّأَتْهُمْ ظِلَالُهَا .

وَعَفَتْهُمْ شَدَائِدُهَا . وَقَرَمَتْهُمْ نَوَاجِذُهَا . فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قِبَلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا عِنْدَهُمْ لَوَجَدْتَ نَظَائِرَ تُؤَيِّدُ أَمْرَكَ . وَتَجَارِبَ تُوَافِقُ نَظَرَكَ . وَأَحَادِيثَ تُقَوِّي قَلْبَكَ . فَأَمَّا نَحْنُ مَعَاشِرَ عُمَّالِكَ وَأَصْحَابِ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنٌ بِنَا وَكَثِيرٌ مِنَّا أَنْ نَقُومَ بِثِقَلِ مَا حَمَّلْتَنَا مِنْ عَمَلِكَ وَاسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ . وَشَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَاذِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ . (فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ :) إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً وَفِي كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرًا يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ سُلْطَانِنَا . (قَالَ) : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ أَنْتَ مُتَّسِعُ الرَّأْيِ وَثِيقُ الْعُقْدَةِ . قَوِيُّ الْمُنَّةِ بَلِيغُ الْفِطْنَةِ . مَعْصُومُ النِّيَّةِ مَحْضُورُ الرَّوِيَّةِ . مُؤَيَّدُ الْبَدِيهَةِ مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ . مُعَانٌ بِالظَّفَرِ مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ . إِنْ هَمَمْتَ فَفِي عَزْمِكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ . وَإِنِ اجْتَمَعْتَ صَدَعَ فِعْلُكَ مُلْتَبِسَ الشَّكِّ . فَاعْزِمْ يَهْدِ اللهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ . وَقُلْ يُنْطِقِ اللهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ . فَإِنَّ جُنُودَكَ جَمَّةٌ وَخَزَائِنَكَ عَامِرَةٌ وَنَفْسَكَ سَخِيَّةٌ وَأَمْرَكَ نَافِذٌ . (فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ) : إِنَّ الْمُشَاوَرَةَ وَالْمُنَاظَرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِمَا رَأْيٌ وَلَا يَتَفَيَّلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ . فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ وَتَوْفِيقُ اللهِ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ . (قَالَ الرَّبِيعُ) : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ تَصَارِيفَ وُجُوهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ . وَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِبَعْضِ مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ . وَلٰكِنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ بَعِيدَةُ الْمَسَافَةِ مُتَرَاخِيَةُ الشُّقَّةِ مُتَفَاوِتَةُ السَّبِيلِ . فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْبِيرِ وَمُبْرَمِ

ٱلتَّقْدِيرِ وَلُبَابِ ٱلصَّوَابِ رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظَرُكَ وَقَلَّبَهُ تَدْبِيرُكَ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٍ وَلَا دُونَهُ مَعْلَقٌ لِخُصُومَةِ عَائِبٍ. ثُمَّ أَجْبَتَ ٱلْبُرُدُ بِهِ وَأَنْطَوَتِ ٱلرُّسُلُ عَلَيْهِ كَانَ بِٱلْحَرِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ. وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ. فَٱلسِّرُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ ٱلرُّسُلُ وَتَرِدَ عَلَيْكَ ٱلْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ. فَتُحْدِثُ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِعُ تَدْبِيرًا سِوَاهُ. قَدِ ٱنْفَرَجَتِ ٱلْحَلَقُ وَتَحَلَّلَتِ ٱلْعُقَدُ وَٱسْتَرْخَى ٱلْخِنَاقُ وَٱمْتَدَّ ٱلزَّمَانُ. ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعُ ٱلْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ ٱلْأُولَى. وَلَكِنِ ٱلرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَكَ ٱللهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَةَ ٱلنَّظَرِ وَتَقْلِيبَ ٱلْفِكَرِ فِيمَا جَمَعْتَنَا لَهُ وَٱسْتَشَرْتَنَا فِيهِ. مِنَ ٱلتَّدْبِيرِ لِحَرْبِهِمْ وَٱلْحِيَلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى ٱلطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ. وَعَقْلٍ كَامِلٍ. وَوَرَعٍ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوًى فِي سِوَاكَ. وَلَا مُتَّهَمًا فِي أَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ. وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بِدْعَةٍ مَحْذُورَةٍ. فَيَقْدَحَ فِي مُلْكِكَ وَيُرِيضَ ٱلْأُمُورَ لِغَيْرِكَ. ثُمَّ تُسْنِدُ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ وَتُفَوِّضُ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ بِلُزُومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ ٱلْحَزْمُ وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ ٱلرَّأْيُ عِنْ ٱسْتِحَالَةِ ٱلْأُمُورِ وَٱشْتِدَادِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلَّتِي يَنْقُضُ أَمْرُ ٱلْغَائِبِ عَنْهَا وَيُثْبِتُ رَأْيُ ٱلشَّاهِدِ لَهَا. فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَوَاتَبَ أَمْرَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ تَمَّتِ ٱلْحِيلَةُ وَقَوِيَتِ ٱلْمَكِيدَةُ وَنَفَذَ ٱلْعَمَلُ وَأُحِدَّ ٱلنَّظَرُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. (قَالَ ٱلْفَضْلُ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ): أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ

وَلِيِّ الْأُمُورِ وَسَائِسَ الْحُرُوبِ رُبَّمَا نَحَّى جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ مَا ضَيَّقَ أَمْرُ حَرْبِهِ وَلَا ضَغْطَةَ حَالٍ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعُدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَبَعْدَ التَّفَرُّقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقِدًا لَهَا لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا يَصُولُ بِعُدَّةٍ وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ . فَالرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ تُعْفِيَ خَزَائِنَكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودَكَ مِنْ مُكَابَدَةِ الْأَسْفَارِ وَمُقَارَعَةِ الْخِطَارِ وَتَغْرِيرِ الْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعْ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى مَا يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيُفْسِدَ عَلَيْكَ أَدَبُهُمْ وَتُجَرِّئَ مِنْ رَعِيَّتِكَ غَيْرَهُمْ . وَلَكِنِ اغْزُهُمْ بِالْحِيلَةِ وَقَاتِلْهُمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعْهُمْ بِاللِّينِ وَخَاتِلْهُمْ بِالرِّفْقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمْ بِالْفِعْلِ . وَابْعَثِ الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكَتِّبِ الْكَتَائِبَ وَاعْقِدِ الْأَلْوِيَةَ وَانْصِبِ الرَّايَاتِ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوَجِّهٌ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشَ مَعَ أَحْنَقِ قُوَّادِكَ عَلَيْهِمْ وَأَسْوَئِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ ادْسُسِ الرُّسُلَ وَابْثُثِ الْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ نِيرَانَ التَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَاغْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى تَمْلَأَ الْقُلُوبُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِيَ الصُّدُورُ عَلَى الْبِغْضَةِ وَيَدْخُلَ كُلًّا مِنْ كُلٍّ الْحَذَرُ وَالْهَيْبَةُ . فَإِنَّ مَرَامَ الظَّفَرِ بِالْغِيلَةِ . وَالْقِتَالَ بِالْحِيلَةِ . وَالْمُنَاهَبَةَ بِالْكُتُبِ وَالْمُكَايَدَةَ بِالرُّسُلِ وَالْمُقَارَعَةَ بِالْكَلَامِ اللَّطِيفِ الْمَدْخَلِ فِي الْقُلُوبِ الْقَوِيِّ الْمَوْقِعِ مِنَ النُّفُوسِ الْمَعْقُودِ بِالْحُجَجِ الْمَوْصُولِ بِالْحِيَلِ الْمَبْنِيِّ عَلَى اللِّينِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرِقُّ

ٱلْعُقُولَ وَٱلْآرَاءَ. وَيَسْتَمِيلُ ٱلْأَهْوَاءَ. وَيَسْتَدْعِي ٱلْمُوَاتَاةَ أَنْفَذُ مِنَ ٱلْقِتَالِ بِظُبَاتِ ٱلسُّيُوفِ وَأَسِنَّةِ ٱلرِّمَاحِ. كَمَا أَنَّ ٱلْوَالِيَ ٱلَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةَ رَعِيَّتِهِ بِٱلْحِيَلِ وَيُفَرِّقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِٱلْمُكَايَدَةِ أَحْكَمُ عَمَلًا وَأَلْطَفُ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً مِنَ ٱلَّذِي لَا يَنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْقِتَالِ وَٱلْإِتْلَافِ لِلْأَمْوَالِ وَٱلتَّغْرِيرِ وَٱلْخِطَارِ. وَلْيَعْلَمِ ٱلْمَهْدِيُّ أَنَّهُ إِنْ وَجَّهَ لِقِتَالِهِمْ رَجُلًا لَمْ يَسِرْ لِقِتَالِهِمْ إِلَّا بِجُنُودٍ كَثِيفَةٍ تَخْرُجُ عَنْ حَالٍ شَدِيدَةٍ وَتُقْدِمُ عَلَى أَسْفَارٍ ضَيِّقَةٍ وَأَمْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُوَّادٍ غَشَشَةٍ إِنِ ٱئْتَمَنَهُمُ ٱسْتَنْفَدُوا مَالَهُ وَإِنِ ٱسْتَنْصَحَهُمْ كَانُوا عَلَيْهِ لَا لَهُ. (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): هٰذَا رَأْيٌ قَدْ أَسْفَرَ نُورُهُ وَأَبْرَقَ ضَوْءُهُ وَتَمَثَّلَ صَوَابُهُ لِلْعُيُونِ وَمُجِّدَ حَقُّهُ فِي ٱلْقُلُوبِ. وَلٰكِنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ٱبْنِهِ عَلِيٍّ. فَقَالَ: مَا تَقُولُ. (قَالَ عَلِيٌّ): أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ لَمْ يَقْلَعُوا عَنْ طَاعَتِكَ وَلَمْ يَنْصِبُوا مِنْ دُونِكَ أَحَدًا يَقْدَحُ فِي تَغْيِيرِ مُلْكِكَ وَيُرِيضُ ٱلْأُمُورَ لِفَسَادِ دَوْلَتِكَ. وَلَوْ فَعَلُوا لَكَانَ ٱلْخَطْبُ أَيْسَرَ وَٱلشَّأْنُ أَصْغَرَ. وَٱلْحَالُ أَذَلَّ لِأَنَّ ٱللهَ مَعَ حَقِّهِ ٱلَّذِي لَا يَخْذُلُهُ وَعِنْدَ مَوْعِدِهِ ٱلَّذِي لَا يُخْلِفُهُ. وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَطَائِفَةٌ مِنْ شِيعَتِكَ ٱلَّذِينَ جَعَلَكَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَالِيًا. وَجَعَلَ ٱلْعَدْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا. طَلَبُوا حَقًّا وَسَأَلُوا إِنْصَافًا. فَإِنْ أَجَبْتَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَنَفَّسْتَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَلَاحَمَ مِنْهُمْ حَالٌ أَوْ يَحْدُثَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَتْقٌ أَطَعْتَ أَمْرَ ٱلرَّبِّ. وَأَطْفَأْتَ نَائِرَةَ ٱلْحَرْبِ. وَوَفَّرْتَ خَزَائِنَ ٱلْمَالِ. وَطَرَحْتَ تَغْرِيرَ ٱلْقِتَالِ. وَحَمَلَ

ٱلنَّاسُ مُحْتَمِلٌ ذٰلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حِلْمِكَ وَإِسْجَاحِ خَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ . فَأَمِنْتَ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضُعْفٍ وَأَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ فِيمَا بَقِيَ دُرْبَةً . وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا أَعْتَدَلَتْ بِكَ وَبِهِمِ ٱلْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مَيْدَانِ ٱلْخِطَابِ فَمَا أَرَبُ ٱلْمَهْدِيِّ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقِرِّينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْعِنِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ فَيُمَلِّكَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَيَخْلَعَ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفَ عَلَى ٱلْحِيلِ مَعَهُمْ . ثُمَّ يُجَازِيَهُمُ ٱلسُّوءَ فِي حَدِّ ٱلْمُقَارَعَةِ وَمِضْمَارِ ٱلْمُخَاطَرَةِ . أَيُرِيدُ ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ ٱللهُ ٱلْأَمْوَالَ فَلَعَمْرِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَظْفَرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقِ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يُطَالَبُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافِ مَا يَدَّعِي قِبَلَهُمْ . وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخَرَائِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ وَبِهِ يُعْرَفُ مِنَ ٱلْجُودِ ٱلَّذِي طَبَعَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ . فَإِنْ قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ : هٰذَا رَأْيٌ مُسْتَقِيمٌ سَدِيدٌ فِي أَهْلِ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِينَ شَكَوْا ظُلْمَ عُمَّالِنَا وَتَحَامُلَ وُلَاتِنَا . فَأَمَّا ٱلْجُنُودُ ٱلَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاثِيقَ ٱلْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ ٱلْإِرْجَافِ وَفَتَحُوا بَابَ ٱلْمَعْصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ ٱلْفِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ نَكَالًا لِغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِسِوَاهُمْ . فَلْيَعْلَمِ ٱلْمَهْدِيُّ أَنَّهُ لَوْ أُتِيَ بِهِمْ مَغْلُولِينَ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ . ثُمَّ ٱتَّسَعَ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ . وَلِإِقَالَةِ عَثْرَتِهِمْ صَفْحُهُ . وَٱسْتَبْقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ حَرْبِهِ أَوْ لِمَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِ لَمَا كَانَ بِدْعًا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ . لَقَدْ عَادَتِ

ٱلْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدُّهُمْ وَقْعًا وَأَصْدَقُهُمْ صَوْلَةً . وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاءَدُهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ ٱلذَّنْبُ وَجَلَّ ٱلْخَطْبُ . فَٱلرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ ٱللهُ أَنْ يُحَلِّلَ عُقَدَهُمُ ٱلْغَيْظَ بِٱلرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِ ٱللهِ فِي ٱلْعَفْوِ عَنْهُمْ . وَأَنْ يَذْكُرَ أَوْلَى حَالَاتِهِمْ وَضَيْعَةَ عِيَالَاتِهِمْ بِرًّا بِهِمْ وَتَوَسُّعًا لَهُمْ . فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ ٱلَّذِينَ بِعِزَّتِهِمْ يَصُولُ وَبِحُجَّتِهِمْ يَقُولُ . وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ مَسَاخِطِهِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَٱنْطَوَوْا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ . وَمَثَلُهُ فِي قِلَّةِ مَا غَيَّرَ ذٰلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نُقِلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ بِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ عَارِضٌ وَلَهْوٌ حَادِثٌ فَنَهَضَ إِلَى أَخِيهِ بِٱلْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِٱلْمَكْرُوهِ . فَلَمْ يَزْدَدْ أَخُوهُ إِلَّا رِقَّةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَٱحْتِيَالًا لِمُدَاوَاةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةِ حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَبِرًّا بِهِ وَمَرْحَمَةً لَهُ . (فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ :) أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ كَوَى سِمَتَ ٱللَّيَانِ . وَفَضَّ ٱلْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ . وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ . فَقَالَ : مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى ٱبْنَهُ) . (فَقَالَ مُوسَى :) أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ ٱلْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْتَ تَرَى ٱلدِّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ . ٱلْحَالُ مِنَ ٱلْقَوْمِ يُنَادِي بِمُضْمَرَةِ شَرٍّ وَخُفْيَةِ حِقْدٍ . قَدْ جَعَلُوا ٱلْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِلَلَ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا . رَجَاءَ أَنْ يُدَافِعُوا ٱلْأَيَّامَ بِٱلتَّأْخِيرِ وَٱلْأُمُورَ بِٱلتَّطْوِيلِ فَيَكْسِرُوا حِيَلَ ٱلْمَهْدِيِّ فِيهِمْ وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ . حَتَّى يَتَلَاحَمَ أَمْرُهُمْ

وَتَتَلاحَق مادَّتهم وتَسْتَفْحِل حربُهم وتستمرَّ الأُمور بهم. وَالْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غِرَّةٍ وَلِبَاسِ أَمَنَةٍ قَدْ فَتَرَ لَهَا وَأَنِس بِهَا وَسَكَن إِلَيْهَا. وَلَوْلا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلوبهم وبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ وَالْإِضْمَارِ لِلْقِرَاعِ عَنْ دَاعِيَةِ ضَلالٍ أَوْ شَيْطَانِ فَسَادٍ لَرَهِبُوا عَوَاقِبَ أَخْبَارِ الْوُلاةِ وَغِبَّ سُكُونِ الْأُمورِ. فَلْيَشْدُدِ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ أَزْرَهُ لَهُمْ وَيُكَتِّبْ كَتَائِبَهُ نَحْوَهُمْ وَلْيَضَعِ الْأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فِيهِمْ. وَلْيُوقِنْ أَنَّهُ لا يُعْطِيهِمْ خُطَّةً يُرِيدُ بِهَا صَلاحَهُمْ إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فَسَادِهِمْ وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ وَسَبَبًا لِفَسَادِ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الْجُنُودِ. وَمَنْ بِبَابِهِ مِنَ الْوُفُودِ. الَّذِينَ إِنْ أَقَرَّهُمْ وَتَأَلَّكَ الْعَادَةَ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذٰلِكَ الْأَرَبِ. لَمْ يَبْرَحْ فِي فَتْقٍ حَادِثٍ وَخِلافٍ حَاضِرٍ لا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينٌ وَلا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا. وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ بِغَيْرِ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ وَاسْتِمْرَارِ الدُّرْبَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ الْمُفْرِطَةِ وَالْمَؤُونَةِ الشَّدِيدَةِ. وَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ اللهُ أَنْ لَا يُقِيلَ عَثْرَتَهُمْ وَلا يَقْبَلَ مَعْذِرَتَهُمْ حَتَّى تَطَأَهُمُ الْجُيُوشُ وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ. وَيَسْتَحِرَّ بِهِمِ الْقَتْلُ وَيُحْدِقَ بِهِمِ الْمَوْتُ. وَيُحِيطَ بِهِمِ الْبَلاءُ وَيُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الذُّلُّ. فَإِنْ فَعَلَ الْمَهْدِيُّ بِهِمْ ذٰلِكَ كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةِ سُوءٍ فِيهِمْ. وَهَزِيمَةً لِكُلِّ عَادَةِ سُوءٍ فِيهِمْ. وَاحْتِمَالُ الْمَهْدِيِّ فِي مَؤُونَةِ غَزْوَتِهِمْ هٰذِهِ تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةً

(قَالَ الْمَهْدِيُّ): قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَاحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ. (فَقَالَ

ٱلعبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ أَمَّا ٱلْمَوَالِي فَأَخَذُوا بِفُرُوعِ ٱلرَّأْيِ وَسلكُوا جَنَبَاتِ ٱلصَّوَابِ وَتَعَدَّوْا أُمُورًا قَصُرَ بِنَظَرِهِمْ عَنْهَا أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ تَجَارِبُهُمْ عَلَيْهَا . (وَأَمَّا ٱلْفَضْلُ) فَأَشَارَ بِٱلْأَمْوَالِ أَنْ لَا تُنْفَقَ . وَٱلْجُنُودِ أَنْ لَا تُفَرَّقَ . وَبِأَنْ لَا يُعْطَى ٱلْقَوْمُ مَا طَلَبُوا وَلَا يُبْذَلُ لَهُمْ مَا سَأَلُوا . وَجَاءَ بِأَمْرٍ بَيْنَ ذٰلِكَ ٱسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِمْ وَٱسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ وَإِنَّمَا يَهِيجُ جَسِيمَاتِ ٱلْأُمُورِ صِغَارُهَا . (أَمَّا عَلِيٌّ) فَأَشَارَ بِٱللِّينِ وَأَفْرَدَ ٱلرِّفْقَ وَإِذَا جَرَّدَ ٱلْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرَهُ وَسَفِهَ حَقَّهُ ٱللِّينَ بَحْتًا وَٱلْخَيْرَ مَحْضًا لَمْ يُخَالِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعْطِفُ ٱلْقُلُوبَ عَلَى لِينِهِ وَلَا بِشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ . فَقَدْ مَلَّكَهُمُ ٱلْخَلْعَ لِعُذْرِهِمْ وَوَسَّعَ لَهُمُ ٱلْفُرْجَةَ لِثَنْيِ أَعْنَاقِهِمْ . فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَقَبِلُوا لِينَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ ٱضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ وَنَزْوَةٍ فِي رُؤُوسِهِمْ يَسْتَدْعُونَ بِهَا ٱلْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا رَأْيَ ٱلْمَهْدِيِّ فِيهِمْ . وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ وَيُسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِٱللِّينِ ٱلْمَحْضِ وَٱلْخَيْرِ ٱلصُّرَاحِ فَذٰلِكَ مَا عَلَيْهِ ٱلظَّنُّ بِهِمْ وَٱلرَّأْيُ فِيهِمْ وَمَا قَدْ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ . لِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ ٱلْجَنَّةَ وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ وَٱلْمُلْكِ ٱلْكَبِيرِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْفِكَرُ وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ثُمَّ دَعَا ٱلنَّاسَ إِلَيْهَا وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا . فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا . (وَأَمَّا مُوسَى) فَأَشَارَ أَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَا لِينَ فِيهَا وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لَا خَيْرَ مَعَهُ . وَإِذَا أَضْمَرَ ٱلْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ

ٱلْخَوف مُفْرَدًا وَٱلشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا لِينٌ يَثْنِيهِمِ ٱشْتَدَّتِ ٱلْأُمُورُ بِهِمْ وَٱنْقَطَعَتِ ٱلْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ ٱلْحَمِيَّةُ مِنَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلْأَنَفَةُ مِنَ ٱلذِّلَّةِ وَٱلِٱمْتِعَاضُ مِنَ ٱلْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ ذٰلِكَ إِلَى ٱلتَّمَادِي فِي ٱلْخِلَافِ وَٱلِٱسْتِبْسَالِ فِي ٱلْقِتَالِ وَٱلِٱسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ. وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِٱلْكُرْهِ وَيُذْعِنُوا بِٱلْقَهْرِ عَلَى بِغْضَةٍ لَازِمَةٍ وَعَدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ تُورِثُ ٱلنِّفَاقَ وَتُعْقِبُ ٱلشِّقَاقَ. فَإِذَا أَمْكَنَتْهُمْ فُرْصَةٌ أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبَ وَأَغْلَظَ وَأَشَدَّ مِمَّا كَانَ. (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي ٱلْفَضْلِ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ أَكْفَى دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ وَأَبْيَنُ خَبَرٍ. بِأَنْ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ وَحَزَمَ نَظَرَهُ عَلَى ٱلْإِرْشَادِ بِبَعْثَةِ ٱلْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوْجِيهِ ٱلْبُعُوثِ نَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ ٱلْعَدْلِ. (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): ذٰلِكَ رَأْيٌ. (قَالَ هَارُونُ): خَلَطْتَ ٱلشِّدَّةَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ بِٱللِّينِ. وَٱنْتَظَمَ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ. فَصَارَتِ ٱلشِّدَّةُ أَمَرَّ فِطَامٍ لِمَا تَكْرَهُ وَعَادَ ٱللِّينُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا تُحِبُّ. وَلٰكِنْ أَرَى غَيْرَ ذٰلِكَ. (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا بَدِيعًا. وَخَالَفْتَ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا. وَٱلْمَرْءُ مُؤْتَمَنٌ بِمَا قَالَ وَظَنِينٌ بِمَا ٱدَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ فَٱخْرُجْ عَمَّا قُلْتَ. (قَالَ هَارُونُ): أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ ٱلْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَٱلْأَعَاجِمُ قَوْمٌ مَكَرَةٌ. وَرُبَّمَا ٱعْتَدَلَتِ ٱلْحَالُ بِهِمْ وَٱتَّفَقَتِ ٱلْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ. فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ. وَرُبَّمَا ٱفْتَرَقَتِ ٱلْحَالَانِ وَخَالَفَ

القلبُ اللسانَ فانطوى القلبُ على محجوبةٍ تُبطن . واستتر بمدخولةٍ لا تُعلَن . والطبيبُ الرفيقُ بطبّه البصيرُ بأمره العالمُ بمقدم يده وموضع ميسمه لا يتعجّلُ بالدواء حتى يقع على معرفة الداء . فالرأيُ للمهديّ وفّقه اللهُ أن يفرّ باطنَ أمرهم فرّ المسنّة . ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ومظاهرة الرسل وموالاة العيون حتى تهتك حُجب عيونهم وتكشف أغطية أمورهم . فإن انفرجت الحالُ وأفضت الأمورُ به إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه وانقاد الرجالُ إليه وامتدت الأعناقُ نحوه بدين يعتقدونه وإثم يستحلونه عصبهم بشدّة لا لين فيها ورماهم بعقوبة لا عفو معها . وإن انفرجت العيونُ واهتصرت الستورُ ورفعت الحجبُ والحالُ فيهم مريعة والأمورُ بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدّعونها وحقوق يسألونها بماتّة سابقتهم ودالّة مناصحتهم فالرأيُ للمهديّ وفّقه اللهُ أن يتّسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عمّا كرهوا ويشعب من أمرهم ما صدعوا ويرتق من فتقهم ما قطعوا . ويولّي عليهم من أحبّوا ويداوي بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم . فإنّما المهديّ وأمّته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي المجرب الذي يحتال لمرابض غنمه وضوالّ رعيّته حتى يبرئ المريضة من داء علّتها . ويردّ الصحيحة إلى أنس جماعتها . ثمّ إنّ خراسان بخاصة الدين لهم

دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَاتَّةٌ مَقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُقُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ ٱلْمَهْدِيِّ ٱلِٱضْطِغَانُ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ وَلَا ٱلتَّوَعُّرُ بِهِمْ وَلَا ٱلْمُكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسْمِ ٱلْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى وَمُحَاوَلَةَ قَطْعِ ٱلْأُصُولِ ضَئِيلَةً قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَحْزَمُ فِي ٱلرَّأْيِ وَأَصَحُّ فِي ٱلتَّدْبِيرِ مِنَ ٱلتَّأْخِيرِ لَهَا وَٱلتَّهَاوُنِ بِهَا . حَتَّى يَلْتَئِمَ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا . (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ) : مَا زَالَ هَارُونُ يَقَعُ وَقْعَ ٱلْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ ٱلْقَدَحِ مِنَ ٱلْمَاءِ . قَالَ وَٱنْسَلَّ ٱنْسِلَالَ ٱلسَّيْفِ فِيمَا ٱدَّعَى فَدَعُوا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ ٱلرَّأْيُ . وَثَنَّى بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مَنْ لِأَعِنَّةِ ٱلْخَيْلِ وَسِيَاسَةِ ٱلْحَرْبِ وَقَادَةِ ٱلنَّاسِ إِنْ أَمْعَنَ بِهِمُ ٱللَّجَاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ ٱلدَّالَّةُ . (قَالَ صَالِحٌ): لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ بِدَوَامِ ٱلْبَحْثِ وَطُولِ ٱلْفِكْرِ أَدْنَى فِرَاسَةِ رَأْيِكَ وَبَعْضَ لَحَظَاتِ نَظَرِكَ . وَلَيْسَ يَنْقُصُ عَنْكَ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ وَرِجَالَاتِ ٱلْعَجَمِ ذُو دِينٍ فَاضِلٍ وَرَأْيٍ كَامِلٍ وَتَدْبِيرٍ قَوِيٍّ . تُقَلِّدُهُ حَرْبَكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدَكَ . مِمَّنْ يَحْتَمِلُ ٱلْأَمَانَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ بِٱلْأَعْبَاءِ ٱلثَّقِيلَةِ . وَأَنْتَ بِحَمْدِ ٱللهِ مَيْمُونُ ٱلنَّقِيبَةِ مُبَارَكُ ٱلْعَزِيمَةِ مَخْبُورُ ٱلتَّجَارِبِ مَحْمُودُ ٱلْعَوَاقِبِ مَعْصُومُ ٱلْعَزْمِ . فَلَيْسَ يَقَعُ ٱخْتِيَارُكَ وَلَا يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ تُوَلِّيهِ أَمْرَكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ ثَغْرَكَ إِلَّا أَرَاكَ ٱللهُ مَا تُحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تُرِيدُ

(قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): إِنِّي لَأَرْجُو ذٰلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ ٱللهِ فِيهِ وَحُسْنِ مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ. وَلٰكِنْ أُحِبُّ ٱلْمُوَافَقَةَ عَلَى ٱلرَّأْيِ وَٱلِاعْتِبَارَ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْمُهِمِّ. (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱللَّيْثِ): أَهْلُ خُرَاسَانَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ قَوْمٌ ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ وَشَيَاطِينُ خَدَعَةٌ. زُرُوعُ ٱلْحَمِيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ. وَمَلَابِسُ ٱلْأَنَفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ. فَٱلرَّوِيَّةُ عَنْهُمْ عَازِبَةٌ وَٱلْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ. تَسْبِقُ سُيُولُهُمْ مَطَرَهُمْ وَسُيُوفُهُمْ عَذْلَهُمْ. لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفِلَةٍ لَا تَعْدُو مَبَالِغَ عُقُولِهِمْ وَمَنْظَرَ عُيُونِهِمْ. (وَبَيْنَ) رُؤَسَاءَ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمُرِّ. وَإِنْ وَلَّى ٱلْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِيعًا لَمْ تَنْقَدْ لَهُ ٱلْعُظَمَاءُ. وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ. وَإِنْ أَخَّرَ ٱلْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمْلَاؤُهُمْ بِلَا أَنَفَةٍ تَلْزَمُهُمْ وَلَا حَمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةٍ تَنْفِرُهُمْ تَنَفَّسَتِ ٱلْأَيَّامُ بِهِمْ وَتَرَاخَتِ ٱلْحَالُ بِأَمْرِهِمْ. فَدَخَلَ بِذٰلِكَ مِنَ ٱلْفَسَادِ ٱلْكَبِيرِ وَٱلضَّيَاعِ ٱلْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَافَاهُ صَاحِبُ هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ وَإِنْ وُجِدَ. وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهِدَ. إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ. وَلَيْسَ ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ ٱللهُ فَاطِمًا عَادَاتِهِمْ. وَلَا قَادِعًا صِفَاتِهِمْ. بِمِثْلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا وَلَا عِدْلَ فِي ذٰلِكَ بِهِمَا. أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مَوْصُولٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِعَيْنِكَ. وَصَخْرَةٌ لَا تُزَعْزَعُ وَبَهِيمَةٌ لَا تُثْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْزِعُهُ صَوْتُ ٱلْجَلْجَلِ. نَقِيُّ ٱلْعِرْضِ نَزِيهُ ٱلنَّفْسِ جَلِيلُ ٱلْخَطَرِ قَدِ ٱتَّضَعَتِ ٱلدُّنْيَا عَنْ

قَدْرِهِ وَسَمَا نَحْوَ ٱلْآخِرَةِ بِهِمَّتِهِ . فَجَعَلَ ٱلْغَرَضَ ٱلْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا وَٱلْغَرَضَ ٱلْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مَوْطِئًا . فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا . وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا . وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ . وَأَنْصَحُ بَنِي أَبِيكَ . رَجُلٌ قَدْ غُذِيَ بِلَطِيفِ كَرَامَتِكَ . وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ . وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ . فَإِنْ قَلَّدْتَهُ أَمْرَهُمْ وَحَمَّلْتَهُ ثِقَلَهُمْ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْهِ ثَغْرَهُمْ كَانَ قُفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ وَبَابًا أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ . فَجَعَلَ ٱلْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَٱلْإِنْصَافَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا . وَإِذَا أَحْكَمَ ٱلْمَنْصَفَةَ وَسَلَكَ ٱلْمَعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ غَرَسَ فِي ٱلَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ لَكَ فِي ٱلسُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةَ ٱلْعُرُوقِ بَاسِقَةَ ٱلْفُرُوعِ مُتَمَاثِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِّهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِّهِمْ . فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا نَفَوْهُ . وَلَا يَلْزَمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا أَدَّوْهُ . وَهٰذَا أَحَدُهُمَا . وَٱلْآخَرُ عُودٌ مِنْ غَيْضَتِكَ وَنَبْعَةٌ مِنْ أَرُومَتِكَ فَتِيُّ ٱلسِّنِّ كَهْلُ ٱلْحِلْمِ رَاجِحُ ٱلْعَقْلِ مَحْمُودُ ٱلصَّرَامَةِ مَأْمُونُ ٱلْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ . وَهُوَ فُلَانٌ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ فَسَلِّطْهُ أَعَزَّكَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَوَجِّهْهُ بِٱلْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ . وَلَا تَمْنَعْكَ ضَرَاعَةُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ ٱلْحِلْمَ وَٱلثِّقَةَ مَعَ ٱلْحَدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلْجَهْلِ مَعَ ٱلْكُهُولَةِ . وَإِنَّمَا أَحْدَاثُكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكُمُ ٱللهُ عَلَيْهِ وَٱخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ ٱلْفِعَالِ وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ وَصَوَابِ ٱلتَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ ٱلْأَنْفُسِ كَفِرَاخِ عِتَاقِ ٱلطَّيْرِ

ٱلْمحكمَةِ لِأَخْذِ ٱلصَّيْدِ بِلَاتَدْرِيبٍ . وَٱلْعَارِفَةِ لِوُجُوهِ ٱلنَّفْعِ بِلَاتَأْدِيبٍ . فَٱلْحِلْمُ وَٱلْعِلْمُ وَٱلْعَزْمُ وَٱلْحَزْمُ وَٱلْجُودُ وَٱلتُّؤَدَةُ وَٱلرِّفْقُ ثَابِتٌ فِي صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَحْكِمٌ لَكُمْ مُتَكَامِلٌ عِنْدَكُمْ بِطَبَائِعَ لَازِمَةٍ وَغَرَائِزَ ثَابِتَةٍ . (قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ) : إِفْتَاءُ أَهْلِ بَيْتِكَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ فِي ٱلْحِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرَ . وَأَهْلُ خُرَاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا وُصِفَ . وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى ٱلْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ ٱلذِّكْرِ فِي ٱلْجُنُودِ وَلَا بِنَبِيهِ ٱلصَّوْتِ فِي ٱلْحُرُوبِ . وَلَا بِطَوِيلِ ٱلتَّجْرِبَةِ لِلْأُمُورِ وَلَا بِمَعْرُوفِ ٱلسِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ وَٱلْهَيْبَةِ فِي ٱلْأَعْدَاءِ . دَخَلَ ذَٰلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ . أَحَدُهُمَا أَنَّ ٱلْأَعْدَاءَ يَغْتَمِزُونَهَا مِنْهُ وَيَحْتَقِرُونَهَا فِيهِ . وَيَجْتَرِئُونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي ٱلنُّهُوضِ بِهِ وَٱلْمُقَارَعَةِ لَهُ وَٱلْخِلَافِ عَلَيْهِ . قَبْلَ مَا حِينِ ٱلِٱخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ وَٱلتَّكَشُّفِ لِحَالِهِ وَٱلْعِلْمِ بِطِبَاعِهِ . وَٱلْأَمْرُ ٱلْآخَرُ أَنَّ ٱلْجُنُودَ ٱلَّتِي يَقُودُ وَٱلْجُنُودَ ٱلَّتِي يَسُوسُ إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ ٱلْبَأْسَ وَٱلنَّجْدَةَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِٱلصَّوْتِ وَٱلْهَيْبَةِ ٱنْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ وَٱسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ إِلَى حِينِ ٱخْتِبَارِهِمْ وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَرُبَّمَا وَقَعَ ٱلْبَوَارُ . قَبْلَ ٱلِٱخْتِبَارِ . وَبِبَابِ ٱلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ ٱللهُ رَجُلٌ مَهِيبٌ نَبِيهٌ حَنِيكٌ صَيِّتٌ . لَهُ نَسَبٌ زَاكٍ وَصَوْتٌ عَالٍ . قَدْ قَادَ ٱلْجُيُوشَ وَسَاسَ ٱلْحُرُوبَ . وَتَأَلَّفَ أَهْلُ خُرَاسَانَ وَٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِٱلْمِقَةِ . وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ ٱلثِّقَةِ . فَلَوْ وَلَّاهُ ٱلْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ لَكَفَاهُ ٱللهُ شَرَّهُمْ (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ) : جَانَبْتَ قَصْدَ ٱلرَّمِيَّةِ وَأَبَيْتَ إِلَّا عَصَبِيَّةً . إِذْ

رَأْيُ ٱلْحَدَثِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا كَرَأْيِ عَشَرَةِ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا • وَلٰكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ ٱلْعَهْدِ • (قَالُوا): لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ • وَمِنَ ٱلدِّينِ وَأَهْلِهِ • بِحَيْثُ يَقْصُرُ ٱلْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ • وَلٰكِنْ وَجَدْنَا ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ وَسَتَرَ مِنْ دُونِ عِبَادِهِ عِلْمَ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ ٱلْأَيَّامُ وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ ٱلْمَقَادِيرُ مِنْ حَوَادِثِ ٱلْأُمُورِ وَرَيْبِ ٱلْمَنُونِ ٱلْمُخْتَرِمَةِ لِخَوَالِي ٱلْقُرُونِ وَمَوَاضِي ٱلْمُلُوكِ • فَكَرِهْنَا شُسُوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ ٱلْمُلْكِ وَدَارِ ٱلسُّلْطَانِ وَمَقَرِّ ٱلْإِمَامَةِ وَٱلْوِلَايَةِ • وَمَوْضِعِ ٱلْمَدَائِنِ وَٱلْخَزَائِنِ وَمُسْتَقَرِّ ٱلْجُنُودِ وَمَعْدِنِ ٱلْجُودِ • وَمَجْمَعِ ٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي جَعَلَهَا ٱللهُ قُطْبًا لِدَارِ ٱلْمُلْكِ وَمَصِيدَةً لِقُلُوبِ ٱلنَّاسِ • وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ ٱلطَّمَعِ وَثُوَّارِ ٱلْفِتَنِ وَدَوَاعِي ٱلْبِدَعِ وَفُرْسَانِ ٱلضَّلَالِ وَأَبْنَاءِ ٱلْمَوْتِ • وَقُلْنَا: إِنْ وَجَّهَ ٱلْمَهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَثَ فِي جُيُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ حَدَثَ بِجُنُودِ ٱلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ ٱلْمَهْدِيُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ • وَهٰذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ إِنْ تَنَفَّسَتِ ٱلْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ • وَٱسْتَدَارَتِ ٱلْحَالُ بِإِمَامِهِ • حَتَّى يَقَعَ عِوَضٌ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ • صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلُّ خَطَرًا لَهُ تَبَعًا وَبِهِ مُتَّصِلًا • (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): ٱلْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ • وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ ٱلْأَمْرَ عَلَيْهِ • نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ ٱلْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ ٱلْأُمُورِ عَلَى سَابِقٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَمَحْتُومٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ • وَقَدْ تَنَاهَى ذٰلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا وَتَكَامَلَ بِحَذَافِيرِهِ عِنْدَنَا • فَبِهِ

نُدَبِّرُ وَعَلَى ٱللهِ نَتوَكَّلُ . إِنَّهُ لَا بُدَّ لِوَلِيِّ عَهْدِي (وَوَلِيُّ عَهْدِي عَقِبِي بَعْدِي) أَنْ يَقُودَ إِلَى خُرَاسَانَ ٱلْبُعُوثَ وَيَتوَجَّهَ نَحْوَهَا بِٱلْجُنُودِ . أَمَّا ٱلْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَيُعْمِلُ فِيهِمْ حِيَلَهُ . ثُمَّ يَخْرُجُ نَشِطًا إِلَيْهِمْ حَنِقًا عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ ٱلْفِتَنِ وَدَوَاعِي ٱلْبِدَعِ وَفُرْسَانِ ٱلضَّلَالِ إِلَّا تَوَطَّأَهُ بِحَرِّ ٱلْقَتْلِ وَأَلْبَسَهُ قِنَاعَ ٱلْقَهْرِ وَقَلَّدَهُ طَوْقَ ٱلذُّلِّ . وَلَا أَحَدًا مِنَ ٱلَّذِينَ عَمِلُوا فِي قَصِّ جَنَاحِ ٱلْفِتْنَةِ وَإِخْمَادِ نَارِ ٱلْبِدْعَةِ وَنُصْرَةِ وُلَاةِ ٱلْحَقِّ إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيَمَ فَضْلِهِ وَجَدَاوِلَ نَصْلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ مُزْمِعًا بِهِ مُجْمِعًا عَلَيْهِ لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمِلَتْ حِيَلُهُ وَكَدَحَتْ كُتُبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَايِدُهُ . فَهَدَأَتْ نَافِرَةُ ٱلْقُلُوبِ وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ ٱلْأَهْوَاءِ وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ ٱلْمُخْتَلِفُونَ بِٱلرِّضَا . فَيَمِيلُ نَظَرًا لَهُمْ وَبِرًّا بِهِمْ وَتَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ إِلَى عَدُوٍّ قَدْ أَخَافَ سَبِيلَهُمْ وَقَطَعَ طَرِيقَهُمْ وَمَنَعَ حُجَّاجَهُمْ بَيْتَ ٱللهِ ٱلْحَرَامِ وَسَلَبَ تُجَّارَهُمْ رِزْقَ ٱللهِ ٱلْحَلَالَ . وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تُعْتَقَدُ لَهُ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ مَا يَطْلُبُونَ وَبَذْلِ مَا يَسْأَلُونَ . فَإِذَا سَمَحَتِ ٱلْفِرَقُ بِقَرَابَاتِهَا لَهُ وَجَنَحَ أَهْلُ ٱلنَّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ فَأَصْغَتْ إِلَيْهِ ٱلْأَفْئِدَةُ وَٱجْتَمَعَتْ لَهُ ٱلْكَلِمَةُ وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ قَصَدَ لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ بَخَعَتْ بِطَاعَتِهَا وَأَلْقَتْ بِأَزِمَّتِهَا فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ حِبَائِهِ . ثُمَّ عَمَّ ٱلْجَمَاعَةَ بِٱلْمَعْدَلَةِ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِٱلرَّحْمَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ دَانِيَةٌ وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ . وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنْفَعَتُهُ .

فأغنى فقيرها. وجبر كسيرها. ورفع وضيعها. وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته وتبطىء عن إجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه. فيصطلي عليها موجدة ويبتغي لها علة. لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع. حتى يخرب البلاد ويوتم الأولاد وناحية لا يبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة. لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا. ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم. ويطلب هرابهم في لجج البحار وقلل الجبال وخمل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى. وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا. وأما موسى ولي عهدي فهذا أوان توجهه إلى خراسان وحلوله بجرجان. وما قضى الله من الشخوص إليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله بإذن الله عاقبة من المقام. بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا. فيتصاغر عظيم فضله ويتذاءب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه. فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس. (قال محمد بن الليث) : أيها المهدي إن ولي عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها.

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جِوَارِهِ لَكَ عَطِلَ الْحَالِ غُفْلَ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْعُذْرِ . فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَدْبِيرِهِ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ . وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بِرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سِيقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ وَعَطْفًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ نَاظِرًا لَهُ فِيمَا يُقَوِّي عُمُدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وِلَايَتِهِ وَيَسْتَجْمِعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزْيَنُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِجَمَالِهِ . وَأَفْضَلُ مَغَبَّةً لِأَمْرِهِ وَأَجَلُّ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ وَلَا أَدْفَعَ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغَ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرْحَمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ . وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلْدَةٍ وَفُقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تُسَهِّلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَفَتْحُ بَابِ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ فُتِحَ لَهُ وَسُهِّلَ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمَهْدِيُّ) : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِسَمْتِ وُجُوهِ الْعَامَّةِ نُصْبًا وَلِمَثْنَى أَعْطَافِ الرَّعِيَّةِ غَايَةً . فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ

ظَاهِرٌ . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ فَٱحْتَمِلْ سُخْطَ ٱلنَّاسِ فِيهِمَا وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا . فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِيثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِيثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمْ أَنَّ لِلهِ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةً مِنْ رُسُلِهِ وَبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يُجَدِّدُ حَبْلَ ٱلْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ وَيُشَيِّدُ أَرْكَانَ ٱلدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ . وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا يَسُدُّونَ ٱلْخَلَلَ وَيُقِيمُونَ ٱلْمَيْلَ وَيَدْفَعُونَ عَنِ ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ . وَإِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِيَ دَوْلَتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ٱلَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ ٱلْمَكَارِهَ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ نُزُولَ ٱلْعَظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ وَنُدَافِعُ رَيْبَ ٱلزَّمَانِ بِعَزَائِمِهِمْ وَنُزَاحِمُ رُكْنَ ٱلدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ . فَهُمْ عِمَادُ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَتْ كَنَفُهَا وَخَوْفُ ٱلْأَعْدَاءِ إِذَا أَبْرَزَتْ صَفْحَتَهَا وَحُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ إِذَا تَضَايَقَتِ ٱلْحَالُ بِهَا . قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٌ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٌ أَخْمَدَتْ نِيرَانَ ٱلْفِتَنِ وَقَصَمَتْ دَوَاعِيَ ٱلْبِدَعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ ٱلْجَبَّارِينَ . وَلَمْ يَنْفَكُّوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَٱعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ٱلَّتِي أَعَزَّ ٱللهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعَتَهُمْ . وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ ٱلذُّلِّ وَقِنَاعِ ٱلْخَوْفِ وَإِطْبَاقِ ٱلْبَلَاءِ وَمُحَالَفَةِ ٱلْأَسَى وَجَهْدِ ٱلْبَأْسِ وَٱلضُّرِّ . فَظَاهِرْ عَلَيْهِمْ لِبَاسَ كَرَامَتِكَ وَأَنْزِلْهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ . ثُمَّ ٱعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ

طَاعَتِهِمْ وَوَسِيلَةَ دَالَّتِهِمْ وَمَاتَّةَ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوْسِعَةِ عَلَيْهِمْ وَالْإِثَابَةِ لِمُحْسِنِهِمْ وَالْإِقَالَةِ لِمُسِيئِهِمْ . أَيْ بُنَيَّ ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةَ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا . وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تُوَلِّيهِ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . فَإِنْ أَحْسَنَ حُمِدْتَ وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرْتَ . وَلَا يَنْفَكَّنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَبِعُرَى حَبْلِكَ مُتَعَلِّقًا رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَائِمِ رِجَالَاتِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامِ بُيُوتَاتِ الشَّرَفِ لَهُ أَدَبٌ فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ . وَالْآخَرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَغْمُورٍ وَمَوْضِعٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ بَصِيرٌ بِتَقْلِيبِ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ وَأَنْحَاءِ الْعَرَبِ وَوَضْعِ الْكُتُبِ عَالِمٌ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ . يَضَعُ آدَابًا نَافِعَةً وَآثَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَاسِنِكَ وَتَحْصِينِ أَمْرِكَ وَتَحْلِيَةِ ذِكْرِكَ . فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ . فَرَجُلٌ أَصَبْتَهُ كَذَلِكَ فَهُوَ يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَرْعَى فِي خُضْرَةِ جِنَانِي . وَلَا تَدَعْ أَنْ تَخْتَارَ لَكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ جِيرَانَكَ وَسُمَّارَكَ وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُورِدُ وَأَصْحَابَ مُنَاظَرَتِكَ فِيمَا تُصْدِرُ . فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ أَصْحَبَكَ اللهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ وَهَادِيًا يَنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ (لابن عبد ربه)

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعُ
فِي ٱلْمَقَامَاتِ

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

٤٦ حَدَّثَ إِنْسَانٌ . مِنْ مَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ . قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ بَيْنَ ٱلْبَرِيَّةِ . ٱلثَّنَاءَ عَلَى نُزَهِ أَنْطَاكِيَّةَ . وَأَنَّهَا قِطَعٌ لِمَنْ لَمْ يَصِلْهَا . وَخُرُوجٌ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا . وَأَفْرَطَ ثَنَائِهِ عَلَيْهَا . تَجَهَّزْتُ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُهَا . وَشَاهَدْتُهَا وَتَأَمَّلْتُهَا . أَكْبَرْتُ دُولَهَا وَطُولَهَا . وَعَجِبْتُ لِحَصَانَتِهَا وَٱلْعَاصِي دَائِرٌ حَوْلَهَا . فَأَنْتَهَيْتُ مِنْ بِدَايَتِهَا . إِلَى دَارِ وِلَايَتِهَا . فَوَجَدْتُ وَالِيَ ٱلْمَدِينَةِ . شَابًّا ذَا سَكِينَةٍ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ . وَأَجْلَسَنِي إِلَيْهِ . أَخَذَ فِي مُؤَانَسَتِي . وَأَظْهَرَ ٱلِابْتِهَاجَ بِمُجَالَسَتِي . فَغَبَطْتُهُ بِحُسْنِ زِينَتِهِ . وَطِيبِ مَدِينَتِهِ . فَتَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ . وَتَرَنَّمَ مُنْشِدًا:

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقِ ٱلْوُدِّ تَحْسَبُهُ ... فِي رَاحَةٍ وَلَدَيْهِ ٱلْهَمُّ وَٱلْكَمَدُ
لَا تَغْبِطَنَّ بَنِي ٱلدُّنْيَا بِنِعْمَتِهِمْ ... فَرَاحَةُ ٱلْقَلْبِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَحَدُ

قُلْتُ: لِلهِ دَرُّ فَصَاحَتِكَ . مَا ٱلسَّبَبُ فِي عَدَمِ رَاحَتِكَ . قَالَ: لَقَدْ جَمَعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ بَيْنَ عَرَبٍ وَرُومٍ . وَأَنَا مَعَهُمْ فِي ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ . لَا أُطِيقُ فِيهِمْ قَرَارًا . لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا . وَمَنْ يُطِيقُ ٱلْجَمْعَ بَيْنَ ٱلضِّدَّيْنِ . أَمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُوَالَاةِ نِدَّيْنِ . وَكَيْفَ يَظْفَرُ سَاكِنُ أَنْطَاكِيَةَ بِنَيْلِ أَرَبٍ . وَقَدْ حُنِيَتْ أَضْلُعُ ٱلْعَجَمِ

عَلَى بُغْضِ ٱلْعَرَبِ . كَمْ أَجِدُ وَيَلْعَبُونَ.وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ :

مِنْ كُلِّ فَظٍّ أَعْجَمِيٍّ   غَثِّ ٱلْكَلَامِ مُذَمَّمِ
إِنْ نَبَّهَتْهُ مُرُوءَةٌ   فَتَقُولُ عُجْمَتُهُ نَمِ

قُلْتُ : قَصِّرْ عَنْ خَطَاكَ خُطَاكَ . وَٱشْكُرْ مَنْ أَنْطَاكَ أَنْطَاكَ . فَسُورُهَا مَنِيعٌ . وَعَاصِيهَا مُطِيعٌ . وَأَطْيَارُهَا تَحِنُّ إِلَى نَغَمَاتِهَا ٱلْجَوَارِحُ . وَأَنْهَارُهَا مُطَّرِدَةٌ وَعُيُونُهَا سَوَارِحُ . وَنَسِيمُهَا يُبْطِلُ رَائِحَةَ ٱلْمِسْكِ ٱلسَّحِيقِ . وَسَاكِنُهَا يَزْهَى عَلَى ٱلْغُصْنِ ٱلْوَرِيقِ . يَصْدَأُ بِهَوَائِهَا ٱلسِّلَاحُ . وَتُجْلَى بِهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَرْوَاحُ . بَرِّيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ . سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ :

مُتَكَامِلٌ فِيهَا ٱلسُّرُورُ لِمَنْ بِهَا   يَوْمًا أَقَامَ كَمَا تَكَامَلَ سُورُهَا
وَخَلَتْ قُلُوبُ قُصُورِهَا فَٱسْتَضْحَكَتْ   إِذْ عَاشَ شَاكِرُهَا وَمَاتَ كَفُورُهَا
مَنْ حَلَّ فِيهَا نَالَ وَصْلَ حَبِيبِهَا   وَشَفَى كَلِيمَ ٱلرُّوحِ مِنْهُ طُورُهَا
مَا تِلْكَ إِلَّا جَنَّةُ ٱلدُّنْيَا وَهَا   وِلْدَانُهَا جُلِيَتْ عَلَيْكَ وَحُورُهَا
فُضِّيَّةٌ وَسَنِيَّةٌ وَنَدِيَّةٌ   أَرْجَاؤُهَا وَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا
لَمَّا بَكَى فَقْدَ ٱلْهُمُومِ سَحَابُهَا   ضَحِكَتْ وَقَدْ عَاشَ ٱلسُّرُورُ زُهُورُهَا
فَٱلْأَرْضُ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَخِلَالَهُ   سُلَّتْ سُيُوفٌ وَٱلسُّيُوفُ نُهُورُهَا
هِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ ٱلرِّضَا فَلِأَجْلِ ذَا   قَدْ أُسْبِلَتْ دُونَ ٱلْهُمُومِ سُتُورُهَا
جَمَعَتْ فُنُونَ ٱلطِّيبِ فِي أَفْنَانِهَا   وَعَلَا عَلَى ٱلْمِسْكِ ٱلذَّكِيِّ عَبِيرُهَا
تَصْفِيقُ عَاصِيهَا ٱلْمُطِيعِ مُرَقِّصٌ   أَغْصَانَهَا لَمَّا شَدَتْهُ طُيُورُهَا
فَرُبُوعُهَا مَحْرُوسَةٌ وَسُنُوحُهَا   مَأْنُوسَةٌ لَا يَنْطَوِي مَنْشُورُهَا

فَاعْجَبْ لِأَرْضٍ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ   أَضْحَتْ تُضِيءُ شُمُوسُهَا وَبُدُورُهَا
فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَاؤُهَا   أَرَجاً فَمَا الْغُصْنُ النَّضِيرُ نَظِيرُهَا

فَلَمَّا أَتَمَّتْ جَلَاءَ هٰذِهِ الْعَرُوسِ. وَرَقَمَهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ الطُّرُوسِ. قَالَ الْوَالِي: لَقَدْ زِدتَّ وَصْفَهَا. وَشَمَخْتَ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفَهَا. وَمَا أَنْطَاكِيَةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ. إِلَّا طَرَفٌ سَكَنَتْهُ الْأَطْرَافُ. فَلَوْ أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ. وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَقْصِ الْبَيْعَتَيْنِ. وَأَغْلَقْتَ بَابَ الْبَحْرِ. وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجِسْرِ. وَسَوَّدْتَ الْبَيْضَاءَ. وَأَيْبَسْتَ الْخَضْرَاءَ. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا النَّظْمِ الْأَنِيقِ. فِي اسْتِرْقَاقِ هٰذَا الْبَلَدِ الْعَتِيقِ. وَمَاذَا تَرَكْتَ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمِنَّةِ وَالصِّفَةِ. وَقِيلَ إِنَّهَا فِي الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَّفْتَ النَّكِرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ خَجِلًا. وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا:

مَدَحْتَ أَنْطَاكِيَةً   حَتَّى تَوَارَى عَقْلُهَا
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا   ذَكَرْتَهُ مَحَلُّهَا
لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ   عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
فَكَيْفَ لَا أُبْغِضُهَا   وَكَيْفَ لَا أَمَلُّهَا
وَعُجْمُهَا أَكْثَرُهَا   وَعُرْبُهَا أَقَلُّهَا
لَوْلَا حَبِيبٌ سَاكِنٌ   فِيهَا وَلَوْلَا ظِلُّهَا
لَقُلْتُ مِنْ مُدْنِ لَظًى   لٰكِنَّنِي أُجِلُّهَا
لٰكِنْ أَقُولُ قَوْلَةً   لَيْسَ يُرَدُّ عَدْلُهَا

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ مَا فَارَقَتْهَا أَهْلُهَا

فَلَمَّا تَمَّمَ ٱلْوَالِي نِظَامَهُ. ٱبْتَدَرْتُ مَلامَهُ. وَقُلْتُ: إِذَا رَغِبْتَ عَنْ أَنْطَاكِيَةَ وَأَهْلِيهَا. فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا. فَقَالَ: أَلْزَمَنِي أَنْ أُقِيمَ. مَرْسُومُ كَرِيمٍ. مِمَّنْ غَمَرَنِي بِٱلْعَطَا. وَإِذَا خُولِفَ سَطَا. فَكَيْفَ ٱلْخَلَاصُ. وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. مِنْ مَدِينَةٍ بَيْتُ ٱلْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ. وَلِعَظْمِ ٱلسَّمَكَةِ فِيهَا قَدْرٌ كَبِيرٌ:

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ وَغِرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا
أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسِرَّةُ مُلْكِهَا مُكَلَّلَةً بِٱلدُّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا
وَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا ٱلْبُنُودُ وَكَمْ حَوَتْ مُلُوكًا تَرَى ٱلْجَوْزَاءَ تَحْتَ نِعَالِهَا
مُعَظَّمَةٌ فِي ٱلْمِلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا مُكَرَّمَةٌ فِي ٱلدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا
أَلَمْ تَحْتَرِمْ فِيهَا حَبِيبًا نَزِيلَهَا وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا
وَسَافَرْتُ مِنْهَا ذَلِكَ ٱلْوَقْتَ مُنْشِدًا وَعَيْنَايَ كُلٌّ أَسْعَدَتْ بِسِجَالِهَا
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجي

من مقامتي الغربة والمغربية

٤٧ حَدَّثَ ٱلرَّبِيعُ بْنُ رَيَّانَ. عَنْ شَقِيقِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ. قَالَ: لَمَّا هَزَّتْنِي أَرْيَحِيَّةُ ٱلشَّبَابِ. إِلَى ٱقْتِعَادِ سَنَامِ ٱلْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ ٱلِٱغْتِرَابِ. وَقَدْ أَجْدَبَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَاجِدٍ. يَجْتَنِي جَنَى ٱلْمَجْدِ وَتُجْنَى لَهُ ثِمَارُ ٱلْمَحَامِدِ. وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ تَلْتَفُّ عَلَيْهِ ٱلْمَحَافِلُ. وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

أَعْلَامِهِ ٱلْجَحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأُنْسِهَا وَحْشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَائِعٍ يَتَجَشَّا . أَقْسَمْتُ بِبَيْتٍ سَالَتْ بِبَطْحَائِهِ أَعْنَاقُ ٱلْمَطَايَا . وَثَمِلَ رُكْبَانُهُ بِكَأْسِ ٱلسُّرَى فِي ٱلْغَدَايَا وَٱلْعَشَايَا . لَأَغْتَرِبَنَّ غُرْبَةً قَارِظِيَّةً يَخْفُقُ مِنْهَا قَلْبُ ٱلْخَافِقَيْنِ . وَتَدْبُغُ أَدِيمَ ٱلْجَسَدِ عَلَى مَمَرِّ ٱلْجَدِيدَيْنِ . وَتُنْسِي صَخْرَةَ ٱلسُّؤَالَ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُنْسِي غَطَفَانَ . غُرْبَةَ سِنَانٍ . فَقَالَ لِي خَبِيرُ ٱلْأَيَّامِ : ٱلْهِجْرَةُ مِنْ سُنَنِ ٱلْكِرَامِ . كَمَا فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ ٱلْقِبْطُ . وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ ٱللهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ حَبَّبَ لَهُ ٱلْأَسْفَارَ . فَزَجَرْتُ ٱلسَّانِحَ وَٱلْبَارِحَ . وَٱلطَّائِرَ ٱلْغَادِيَ وَٱلرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ ٱلصُّبْحَ أَبْلَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلْبَلَجِ . فَتَمَسَّكْتُ بِذَيْلِ ٱلْحَزْمِ . وَصَمَّمْتُ عَلَى ٱلْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

بِقَوْلِكَ طٰهَ سَافِرُوا تَغْنَمُوا لَقَدْ ... بَدَا لِيَ فَأْلٌ فِي ٱلْمَطَالِبِ رَابِحُ
فَمَا خَطَّ فِي رَمْلٍ وَلَا طَرَقَ ٱلْحَصَى ... كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي ٱلسَّرَابِ سَوَابِحُ

وَجَنَبْتُ ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْمَهَارِيِّ . وَلَبِسْتُ حُلَّةَ دُجًى مُزَرَّرَةً بِٱلدَّرَارِي . مَعَ صُقُورٍ عَلَى مُتُونِ أَعْوَجِيَّاتٍ وَرِكَابٍ . بِإِقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرِفُّ بَيْنَ غَرْزٍ وَرِكَابٍ . عَلَى سُفُنِ ذَوْدٍ وَزَوَارِقَ . وَسُرُوجٍ سَوَابِحَ فِي بِحَارِ ٱلسَّرَابِ غَوَارِقَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا ٱلْآلُ . بَيْنَ رِفَاقِ صَحْبٍ وَآلٍ . عَلَى عِيسٍ مَا لَهَا غَيْرَ ٱلنَّصَبِ عِقَالٌ . وَظُهُورِ سَوَابِحَ مَا لَهَا غَيْرَ ٱلْكَلَالِ شِكَالٌ . حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ وَٱلسَّدِيرِ . وَأَنَخْنَا مَطَايَا ٱلْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ ٱلْبَلَدِ . وَطَوْدِهَا ٱلَّذِي لَهُ بِسَفْحِهَا أَرْفَعُ سَنَدٍ .

فَقَالُوا : هُوَ ٱلنَّضرُ بْنُ كِنَانَةَ . ٱلْقِرْطِسُ سِهَامَ آرَائِهِ مِنْ أَعَزِّ كِنَانَةٍ . شَيْخٌ لَبِسَ عَمَائِمَ دَهْرِهِ ٱلثَّلَاثَ . فَهِيَ عَلَى هَامَةِ هِمَّتِهِ ثَلَاثٌ . مِنْ شَجَرَةٍ مُورِقَةِ ٱلنَّسَبِ . مُثْمِرَةٍ بِيَانِعِ ثِمَارِ ٱلْحَسَبِ . جَاهُهُ عَرِيضٌ طَوِيلٌ . فَائِضٌ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلْخَلِيلِ . وَطِيبُ شَمَائِلِهِ فِي كُلِّ نَادٍ ٱنْتَشَرَ . فَعَمَّةُ رَوْضَاتٍ تَزْدَرِي ٱلزَّهَرَ . هَيَّجَهَا نَضْحٌ مِنْ نَفْحِ ٱلسَّحَرِ . فَقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ ٱلْجَاهُ زَكَاةُ ٱلشَّرَفِ . وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَقَدِ ٱنْتَصَفَ . وَمَنْ تَرَدَّى بِسَاطِعِ ٱلْأَنْوَارِ . وَٱحْتَبَى بِحِبَاءِ ٱلْوَقَارِ . وَلَمْ يَبْقَ لَهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ . فَٱلسَّعَادَةُ لَهُ شِعَارٌ وَدِثَارٌ . فَقُلْتُ : سَأُفِيضُ لَهُ وَعَلَيَّ أَجْمَلُ رِدًا . وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي رُفْقَتِي غَدًا . فَلَمَّا عَطَسَ ٱلصَّبَاحُ . وَشَمَّتَتْهُ كُلُّ ذَاتِ جَنَاحٍ . وَرَفَعَتْ ذُكَاءُ رَأْسَهَا مِنْ مَشْرِقِ ٱلْأَنْوَارِ . فَأَشْرَقَتْ عَلَى عَالَمِ ٱلْكَوْنِ وَٱلْفَسَادِ لِتُشَاهِدَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ . أَتَيْتُ دَارَهُ . فَرَأَيْتُ بُدُورًا لَهَا ٱلْمَنَازِلُ دَارَةٌ . دَارٌ يُسَافِرُ بِهَا ٱلنَّظَرُ . وَيَتَسَابَقُ فِي مَحَاسِنِهَا ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ . دَاخِلُهَا بَهْوٌ وَقُصُورٌ . وَسُرَادِقٌ لَا يَعْرِفُ كَمَالَهُ ٱلْقُصُورَ . فِي صَدْرِهَا هُمَامٌ خَلْفَهُ وِسَادَةٌ . أَحْدَقَ بِهِ وُجُوهُ أَعْيَانٍ وَسِيَادَةٍ . يَتَنَفَّسُونَ بِأَنْفَاسِ ٱلنُّعَامَى . بَيْنَ أَوْرَاقِ رَيْحَانٍ وَخُزَامَى :

لَوْ أَنْصَفُوهُ لَقَامُوا فِي مَجَالِسِهِ   عَلَى ٱلرُّؤُوسِ قِيَامَ ٱلظِّلِّ فِي ٱلْمَاءِ

فَقُلْتُ لَهُ : حَيَّاكَ ٱللهُ وَبَيَّاكَ . وَلَا زَالَتْ مِشْكَاةُ أُنْسِكَ مُشْرِقَةً بِمُحَيَّاكَ . فَرَدَّ ٱلتَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَمَا رَدَّهَا . وَأَمَدَّهَا بِطَلَاقَةِ بِشْرٍ

كَانَتْ سُلَّمًا لِكَرَامَةٍ أَعَدَّهَا . وَحَوْلَهُ مِنْ خَوَاشِيهِ فِئَامٌ . وَأَغْصَانُ غِلْمَانٍ بِنَادِيهِ قِيَامٌ . كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ الطَّيْرَ . يَتَهَلَّلُ بِشْرُهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ وَمَيْرٍ . فِي رَوْضٍ نَادٍ مُثْمِرٍ مُورِقٍ . عَلَيْهِ مَخَايِلُ جُودٍ مُغْدِقٍ . فَتَجَاذَبْنَا أَهْدَابَ الْحَدِيثِ . وَأَتَى بِنَوَادِرَ حَارَّةٍ مِنْ كُلِّ تَلِيدٍ وَحَدِيثٍ . فَلَمَّا خُضْنَا لُجَّةَ الْكَلَامِ وَوَقَفَتِ الْأَقْلَامُ عَلَى سَاحِلِ التَّمَامِ . قَالَ لِي : هَاتِ مِنْ هَنَاتِكَ . وَأَنْشِدْنِي مَا قُلْتَهُ مِنْ أَبْيَاتِكَ . فَأَنْشَدْتُهُ مِنْهَا :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَهْ ... لِيَرُوعَنِي وَأَحَدَّ غَرْبَهْ — حده
وَأَسَالَ مِنْ جَفْنِي كَرَا ... هُ مُرَاغِمًا وَأَسَالَ غَرْبَهْ — مجرى الدمع
وَأَجَالَنِي فِي الْأُفْقِ أَطْـ ... ـوِي شَرْقَهُ وَأَجُوبُ غَرْبَهْ — مغربه
فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهْ — غروب
وَكَذَا الْمُغَرَّبُ شَخْصُهُ ... مُتَغَرِّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَهْ — بعيده

فَلَمَّا ارْتَوَى الْحَدِيثُ مِنْ أَعْذَبِ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ . وَرَجَعَ الْحِوَارُ حَارَّ النَّوَادِرِ . بَارِدَ الْبَوَادِرِ . قَالَ : لَا فَضَّ اللهُ فَاكَ . وَلَا أَقَضَّ فِي مَهْدِ الْهَنَا مَثْوَاكَ . فَقَدْ تَرَكْتَ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ . وَجَلَوْتَ خَرَائِدَ فِكْرِكَ فِي مَعْرِضٍ أَنِيقٍ . وَلَمْ تَنْثُرْ دُرَرَ الْمَدَامِعِ . إِلَّا مِنْ دُرٍّ مُودَعٍ فِي صَدَفِ الْمَسَامِعِ . وَمَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ . وَأَهْوَنَ السَّقَمَ عَلَى الْعَائِدِ . وَقَدْ أَصَبْتَ دَارَ الْمُقَامَةِ . فَأَنْتَ جَارُ أَبِي دُؤَادَ بِدَارِ الْكَرَامَةِ . فَالْزَمْهُ لُزُومَ الطَّوْقِ جِيدَ الْحَمَامَةِ . فَمَا لَكَ لَا تَظْمَأُ بِهَذَا الْمَقَامِ . وَكَيْفَ يَظْمَأُ مَنْ كَانَ جَارَ الْغَمَامِ :

مَا بَيْنَ عَصْرٍ سَابِقٍ مُتَلَفِّتٍ شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَاحِقٍ يَتَطَلَّعُ .

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة الاهوازية

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرِقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلِ . لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرَدُ بِكْرُ الْآمَالِ . أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الْإِقْبَالِ . مَرْجُوُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ . فَأَفَضْنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا . وَالْأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا . وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ . وَالْأُنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ . وَفَائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلَافَاهُ . وَالشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحَصِّلُهُ . وَالْمَجْلِسِ كَيْفَ نُرَتِّبُهُ . فَقَالَ : أَحَدُنَا عَلَيَّ الْبَيْتُ وَالنُّزُلُ . وَقَالَ آخَرُ : عَلَيَّ الشَّرَابُ وَالنُّقْلُ . وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طِمْرَيْنِ فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ . وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَازَةٌ . فَتَطَيَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا . وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا . فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ . وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ . وَقَالَ : لَتَرَنَّهَا صُغْرًا . وَلَتَرْكَبُنَّهَا كُرْهًا وَقَسْرًا . مَا لَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرْكَبُهَا أَخْلَافُكُمْ . وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيرًا وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ . وَسَيَطَؤُهُ أَبْنَاؤُكُمْ . أَمَا وَاللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هٰذِهِ الْعِيدَانِ . إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ . وَلَتُنْقَلُنَّ بِهٰذِهِ الْجِيَادِ . إِلَى تِلْكُمُ الْوِهَادِ . وَقَدْ حَانَ حِينُهُ وَيْحَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ . كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ . وَتَتَكَرَّهُونَ . كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ . هَلْ تَنْفَعُ هٰذِهِ الطِّيَرَةُ . يَا فَجَرَةُ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلَقَدْ نَغَّصَ

بِمَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ . وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ . فِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَحْوَجَنَا إِلَى وَعْظِكَ . وَأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ . وَلَوْ شِئْتَ لَزِدتَّ قَالَ : إِنَّ وَرَاءَكُمْ مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً :

وَإِنَّ أْمْرَءًا قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ

وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ . يُعَامِلُكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا بِحِلْمٍ وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ بِعِلْمٍ . فَلْيَكُنِ ٱلْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ . لِئَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ . فَإِنَّكُمْ إِذَا ٱسْتَشْعَرْتُمُوهُ . لَمْ تَجْمَحُوا . وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ . لَمْ تَمْرَحُوا . وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ . فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ . وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ . فَهُوَ زَائِرُكُمْ . قُلْنَا : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : أَطْوَلُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ . وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ . قُلْنَا : فَسَانِحُ ٱلْوَقْتِ . قَالَ : رَدُّ فَائِتِ ٱلْعُمْرِ . وَدَفْعُ نَازِلِ ٱلْأَمْرِ . قُلْنَا : لَيْسَ ذَٰلِكَ إِلَيْنَا وَلَٰكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا

المقامة القزوينية

٤٩ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : غَزَوْتُ ٱلثَّغْرَ بِقَزْوِينَ . سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ . فِيمَنْ غَزَاهُ . فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا . إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا . حَتَّى وَقَفَ ٱلْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا . فَمَالَتِ ٱلْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ . فِي حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كَلِسَانِ ٱلشَّمْعَةِ . أَصْفَى مِنَ ٱلدَّمْعَةِ . تَسِيحُ فِي ٱلرَّضْرَاضِ . مَسِيحَ ٱلنَّضْنَاضِ . فَنِلْنَا مِنَ ٱلطَّعَامِ مَا نِلْنَا . ثُمَّ مِلْنَا إِلَى ٱلظِّلِّ فَقِلْنَا . فَمَا مَلَكَنَا ٱلنَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ فَذَادَ عَنِ ٱلْقَوْمِ .

رَائِدَ ٱلنَّوْمِ ۔ وَفَتَحْتُ ٱلتَّوْأَمَتَيْنِ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتِ ٱلْأَشْجَارُ دُونَهُ ۔ وَأَصْغَيْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ ۔ عَلَى إِيقَاعِ ٱلطُّبُولِ:

أَدْعُو إِلَى ٱللهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبْ   إِلَى ذُرًى رَحْبٍ وَمَرْعًى خَصِيبْ
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي   قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبْ
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ   مِنْ بَلَدِ ٱلْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبْ
إِنْ أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لَيْلَةٍ   جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ ٱلْمُرِيبْ
يَا رُبَّ خِنْزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ   وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ ٱلنَّصِيبْ
ثُمَّ هَدَانِي ٱللهُ وَٱنْتَاشَنِي   مِنْ ذِلَّةِ ٱلْكُفْرِ ٱجْتِهَادُ ٱلْمُصِيبْ
فَظَلْتُ أُخْفِي ٱلدِّينَ فِي أُسْرَتِي   وَأَعْبُدُ ٱللهَ بِقَلْبٍ مُنِيبْ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ ٱلْعِدَى   وَلَا أَرَى ٱلْكَعْبَةَ خَوْفَ ٱلرَّقِيبْ
وَأَسْأَلُ ٱللهَ إِذَا جَنَّنِي   لَيْلٌ وَأَضْنَانِي يَوْمٌ عَصِيبْ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي   فَنَجِّنِي إِنِّي فِيهِمْ غَرِيبْ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُ ٱللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا   وَمَا سِوَى ٱلْعَزْمِ أَمَامِي جَنِيبْ
وَتَدْكَ مِنْ سَيْرِيَ فِي لَيْلَةٍ   يَكَادُ رَأْسُ ٱلطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبْ
حَتَّى إِذَا جُزْتُ بِلَادَ ٱلْعِدَى   إِلَى حِمَى ٱلدِّينِ نَفَضْتُ ٱلْوَجِيبْ
فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ ٱلْهُدَى   نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ

فَلَمَّا بَلَغَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ قَالَ: يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعَزْمٍ لَا ٱلْعِشْقُ شَاقَهُ ۔ وَلَا ٱلْفَقْرُ سَاقَهُ ۔ وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۔ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۔ وَخَيْلًا مُسَوَّمَةً ۔ وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً ۔ وَعُدَّةً وَعَدِيدًا ۔

وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا • وَخَرَجْتُ خُرُوجَ ٱلْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ • وَبَرَزْتُ بُرُوزَ ٱلطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ • مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ • جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ • وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ • فَلَوْ دَفَعْتُمُ ٱلنَّارَ بِشَرَارِهَا • وَرَمَيْتُمُ ٱلرُّومَ بِجِمَارِهَا • وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا • وَمُرَافَدَةً وَإِرْفَادًا • وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ • وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ • وَلَا أَسْتَكْثِرُ ٱلْبَدْرَةَ • وَأَقِلُّ ٱلذَّرَّةَ • وَلَا أَرُدُّ ٱلتَّمْرَةَ • وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ • وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِٱلدُّعَاءِ • وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ • عَنْ قَوْسِ ٱلظَّلْمَاءِ • قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَٱسْتَفَزَّنِي رَائِعُ أَلْفَاظِهِ وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ ٱلنَّوْمِ • وَعَدَوْتُ إِلَى ٱلْقَوْمِ • فَإِذَا وَٱللهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ • وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ • فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَ عَلَيَّ بِعَيْنِهِ وَقَالَ: رَحِمَ ٱللهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ • وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ • ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ ٱلنَّبِيطِ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ ٱلزَّمَا نِ كَحَالِي مَعَ ٱلنَّسَبْ
نَسَبِي فِي يَدِ ٱلزَّمَا نِ إِذَا سَامَهُ ٱنْقَلَبْ
أَنَا أُمْسِي مِنَ ٱلنَّبِيـ طِ وَأُضْحِي مِنَ ٱلْعَرَبْ

المقامة الناجمية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِنْ رُفْقَاتِي فَتَذَاكَرْنَا ٱلْفَصَاحَةَ • وَمَا وَدَعْنَا ٱلْحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا ٱلْبَابُ • فَقُلْتُ: مَنِ ٱلْمُنْتَابُ • فَقَالَ : وَفْدُ ٱللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ • وَفَلُّ ٱلْجُوعِ

وَطَرِيدُهُ . وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ . وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ . فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ ٱلْبَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتَهُ . وَجَمَعْنَا رَحْلَتَهُ . وَقُلْنَا : دَارَكَ أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ . وَهَلُمَّ ٱلْبَيْتَ . وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنِسَ . وَقُلْنَا : مَنِ ٱلطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ . ٱلْقَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ . فَقَالَ : لَا يَعْرِفُ ٱلْعُودَ كَالْعَاجِمِ . وَأَنَا ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلنَّاجِمِ . عَاشَرْتُ ٱلدَّهْرَ لِأَخْبُرَهُ . فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ . وَحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ . وَجَرَّبْتُ ٱلنَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ . وَٱلْغُرْبَةَ لِأَذُوقَهَا فَمَا لَحَتْنِي أَرْضٌ إِلَّا فَقَأْتُ عَيْنَهَا . وَلَا ٱنْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا . فَأَنَا فِي ٱلشَّرْقِ أُذْكَرُ . وَفِي ٱلْغَرْبِ لَا أُنْكَرُ . فَمَا مَلِكٌ إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطَهُ . وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَقْتُ سِمَاطَهُ . وَمَا سَكَنَتْ حَرْبٌ إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا . قَدْ جَرَّبَنِي ٱلدَّهْرُ فِي زَمَنَيْ رِضَائِهِ وَبُوسِهِ . وَلَقِيَنِي بِوَجْهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ . فَمَا بَحَثْتُ لُبُوسَهُ إِلَّا بِلَبُوسِهِ :

وَإِنْ كَانَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ قِدْمًا أَضَرَّ بِي ... وَحَمَّلَنِي مِنْ رَيْبِهِ مَا يُحَمَّلُ
فَقَدْ جَاءَ بِٱلْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي ... مَحَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْهَا مُحَوَّلُ

قُلْنَا : لَا فُضَّ فُوكَ . وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ . مَا يَحْرُمُ ٱلسُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ ٱلنُّطْقُ إِلَّا لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَغَرَّبْتَ . وَمَا ٱلَّذِي يَحْدُو أَمَلَكَ أَمَامَكَ . وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ . قَالَ : أَمَّا ٱلْوَطَنُ . فَٱلْيَمَنُ . وَأَمَّا ٱلْوَطَرُ . فَٱلْمَطَرُ . وَأَمَّا ٱلسَّائِقُ فَٱلضُّرُّ . وَٱلْعَيْشُ

ٱلْمُرُّ . قُلْنَا : فَلَوْ أَقَمْتَ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ ٱلْعُمْرَ فَمَا دُونَهُ وَلَصَادَفْتَ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ مَا يُزْرِعُ . وَمِنَ ٱلْأَنْوَاءِ مَا يُكْرِعُ . قَالَ : مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا . وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُمْ رَحْبًا . وَلٰكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَٱلْمَاءُ لَا يُرْوِي ٱلْعِطَاشَ . قُلْنَا : فَأَيُّ ٱلْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ . قَالَ : مَطَرٌ خَفِيٌّ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سِجِسْتَانَ أَيَّتُهَا ٱلرَّاحِلَهْ   وَبَحْرًا يَؤُمُّ ٱلْمُنَى سَاحِلَهْ
سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا   بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ
وَفَضْلُ ٱلْأَمِيرِ عَلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ   كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ . وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ . وَيُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمْطِ ٱلثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ ٱلْمَرَاكِبُ تُسَاقُ وَٱلْجَنَائِبُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا : مَنِ ٱلْهَاجِمُ . فَإِذَا شَيْخُنَا ٱلنَّاجِمُ . يَرْفُلُ فِي نَيْلِ ٱلْمُنَى . وَذَيْلِ ٱلْغِنَى . فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا : مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ . فَقَالَ : جِمَالٌ مُوقَرَةٌ وَبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ . وَحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا   خَلَفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا
مَا يُسْمِعُ ٱلْعَافِينَ إِلَّا هَاكَهَا   لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ   بِيضٍ وَكَانَ ٱلْخَالُ فِي وَجَنَاتِهَا
بِأَبِي شَمَائِلُهُ ٱلَّتِي تَجْلُو ٱلْعُلَا   وَيَدًا تَرَى ٱلْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا
مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي   مِمَّنْ يَعُدُّ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَسَأَلْنَا ٱللّٰهَ بَقَاءَهُ . وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ .

وَأَقَامَ ٱلنَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ . وَٱلتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعيديّة

٥١ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : أَزْمَعْتُ ٱلشُّخُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدَ . وَقَدْ شِمْتُ بَرْقَ عِيدٍ . فَكَرِهْتُ ٱلرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدَ بِهَا يَوْمَ ٱلزِّينَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ . وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . ٱتَّبَعْتُ ٱلسُّنَّةَ فِي لُبْسِ ٱلْجَدِيدِ . وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ ٱلْتَأَمَ جَمْعُ ٱلْمُصَلَّى وَٱنْتَظَمَ . وَأَخَذَ ٱلزِّحَامُ بِٱلْكَظَمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ . مَحْجُوبُ ٱلْمُقْلَتَيْنِ . وَقَدِ ٱعْتَضَدَ شِبْهَ ٱلْمِخْلَاةِ . وَٱسْتَقَادَ لِعَجُوزٍ كَٱلسِّعْلَاةِ . فَوَقَفَ وِقْفَةَ مُتَهَافِتٍ . وَحَيَّا تَحِيَّةَ خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ خَمْسَهُ فِي وِعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبْنَ بِأَلْوَانِ ٱلْأَصْبَاغِ . فِي أَوَانِ ٱلْفَرَاغِ . فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزَهُ ٱلْحَيْزَبُونَ . وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ ٱلزَّبُونَ . فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى يَدَيْهِ . أَلْقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَاحَ لِي ٱلْقَدَرُ ٱلْمَعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُوذًا ... بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالِ
وَمَمْنُوًّا بِمُخْتَالٍ ... وَمُحْتَالٍ وَمُغْتَالِ
وَخَوَّانٍ مِنَ ٱلْإِخْوَا ... نِ قَالٍ لِي لِإِقْلَالِي
وَإِعْمَالٍ مِنَ ٱلْعُمَّا ... لِ فِي تَضْلِيعِ أَعْمَالِي

فَكَمْ أُصْلَى بِأَذْحَالٍ وَإِمْحَالٍ وَتَرْحَالِ
وَكَمْ أَخْطُرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطُرُ فِي بَالِ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَارَ أَطْفَا لِيَ أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِيَ أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِ
وَلَا جَرَّرْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبِ إِذْلَالِي
فَمِحْرَابِيَ أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِيَ أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخْفِيفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالِ
وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالِ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَبْيَاتِ تُقْتُ إِلَى مَعْرِفَةِ مُلْحِمِهَا . وَرَاقِمِ عَلَمِهَا . فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوُصْلَةَ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ . وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ الْمُعَرِّفِ يَجُوزُ . فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِي الصُّفُوفَ ، صَفًّا صَفًّا . وَتَسْتَوْكِفُ الْأَكُفَّ كَفًّا كَفًّا . وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءٌ . وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدِهَا إِنَاءٌ . فَلَمَّا أَكْدَى اسْتِعْطَافُهَا . وَكَدَّهَا مَطَافُهَا . عَاذَتْ بِالِاسْتِرْجَاعِ . وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ الرِّقَاعِ . وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي . فَلَمْ تَعُجْ إِلَى بُقْعَتِي . وَآبَتْ إِلَى الشَّيْخِ بَاكِيَةً لِلْحِرْمَانِ . شَاكِيَةً تَحَامُلَ الزَّمَانِ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ . وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينُ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينُ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِّي ٱلنَّفْسَ وَعِدِيهَا. وَٱجْمَعِي ٱلرِّقَاعَ وَعُدِّيهَا. فَقَالَتْ: لَقَدْ عَدَدْتُهَا. لَمَّا ٱسْتَعَدْتُهَا. فَوَجَدْتُ يَدَ ٱلضَّيَاعِ. قَدْ غَالَتْ إِحْدَى ٱلرِّقَاعِ. فَقَالَ: تَعْسًا لَكِ يَا لَكَاعِ. أَنُحْرَمُ وَيْحَكِ ٱلْقَنْصَ وَٱلْحِبَالَةَ. وَٱلْقَبَسَ وَٱلذُّبَالَةَ. إِنَّهَا لَضِغْثٌ عَلَى إِبَّالَةٍ. فَٱنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا. وَتَنْشُدُ مُدْرَجَهَا. فَلَمَّا دَانَتْنِي قَرَنْتُ بِٱلرُّقْعَةِ دِرْهَمًا وَقِطْعَةً. وَقُلْتُ لَهَا: إِنْ رَغِبْتِ فِي ٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ. وَأَشَرْتُ إِلَى ٱلدِّرْهَمِ. فَبُوحِي بِٱلسِّرِّ ٱلْمُبْهَمِ. وَإِنْ أَبَيْتِ أَنْ تَشْرَحِي. فَخُذِي ٱلْقِطْعَةَ وَٱسْرَحِي. فَمَالَتْ إِلَى ٱسْتِخْلَاصِ ٱلْبَدْرِ ٱلتِّمِّ. وَٱلْأَبْلَجِ ٱلْهِمِّ. وَقَالَتْ: دَعْ جِدَالَكَ. وَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. فَٱسْتَطْلَعْتُهَا. طِلْعَ ٱلشَّيْخِ وَبَلْدَتِهِ. وَٱلشِّعْرِ وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ. فَقَالَتْ: إِنَّ ٱلشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ. وَهُوَ ٱلَّذِي وَشَّى ٱلشِّعْرَ ٱلْمَنْسُوجَ. ثُمَّ خَطِفَتِ ٱلدِّرْهَمَ خَطْفَةَ ٱلْبَاشِقِ. وَمَرَقَتْ مُرُوقَ ٱلسَّهْمِ ٱلرَّاشِقِ. فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ. وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِمُصَابِهِ بِنَاظِرَيْهِ. وَآثَرْتُ أَنْ أُفَاجِيَهُ وَأُنَاجِيَهُ. لِأَعْجُمَ عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ. وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقَابِ ٱلْجَمْعِ. ٱلْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي ٱلشَّرْعِ. وَعِفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ. أَوْ يَسْرِيَ إِلَيَّ لَوْمٌ. فَسَدِكْتُ بِمَكَانِي. وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي. إِلَى أَنِ ٱنْقَضَتِ ٱلْخُطْبَةُ. وَحَقَّتِ ٱلْوَثْبَةُ. فَخَفَفْتُ إِلَيْهِ. وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى ٱلْتِحَامِ جَفْنَيْهِ. فَإِذَا أَلْمَعِيَّتِي ٱلْمَعِيَّةُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ. وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَاسٍ. فَعَرَّفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي. وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمُصِي. وَأَهَبْتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي. فَهَشَّ لِمَعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي. وَلَبَّى دَعْوَةَ

رُغْفَانِي . وَٱنْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ . وَظِلِّي إِمَامُهُ . وَٱلْعَجُوزُ ثَالِثَةُ ٱلْأَثَافِي . وَٱلرَّقِيبُ ٱلَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا ٱسْتَخْلَسَ وُكْنَتِي وَأَحْضَرْتُهُ عُجَالَةَ مُكْنَتِي . قَالَ لِي : يَا حَارِثُ أَمَعَنَا ثَالِثٌ . فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا ٱلْعَجُوزُ . قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتَيْهِ . وَرَأْرَأَ بِتَوْأَمَتَيْهِ . فَإِذَا سِرَاجَا وَجْهِهِ يَقِدَانِ . كَأَنَّهُمَا ٱلْفَرْقَدَانِ . فَٱبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ بَصَرِهِ . وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيَرِهِ . وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ . وَلَا طَاوَعَنِي ٱصْطِبَارٌ . حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى ٱلتَّعَامِي . مَعَ سَيْرِكَ فِي ٱلْمَعَامِي . وَجَوْبِكَ ٱلْمَوَامِي . وَإِيغَالِكَ فِي ٱلْمَرَامِي . فَتَظَاهَرَ بِٱللُّكْنَةِ . وَتَشَاغَلَ بِٱللُّهْنَةِ . حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ . أَثَارَ إِلَيَّ نَظَرَهُ . وَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا تَعَامَى ٱلدَّهْرُ وَهْوَ أَبُو ٱلْوَرَى   عَنِ ٱلرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهْ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمًى   وَلَا غَرْوَ أَنْ يَحْذُو ٱلْفَتَى حَذْوَ وَالِدِهْ

ثُمَّ قَالَ لِي : ٱنْهَضْ إِلَى ٱلْمَخْدَعِ فَأْتِنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ ٱلطَّرْفَ . وَيُنَقِّي ٱلْكَفَّ . وَيُنَعِّمُ ٱلْبَشَرَةَ . وَيُعَطِّرُ ٱلنَّكْهَةَ . وَيَشُدُّ ٱللِّثَةَ . وَيُقَوِّي ٱلْمَعِدَةَ . وَلْيَكُنْ نَظِيفَ ٱلظَّرْفِ . أَرِيجَ ٱلْعَرْفِ . فَتِيَّ ٱلدَّقِّ . نَاعِمَ ٱلسَّحْقِ . يَحْسَبُهُ ٱللَّامِسُ ذَرُورًا . وَيَخَالُهُ ٱلنَّاشِقُ كَافُورًا . وَٱقْرِنْ بِهِ خِلَالَةً نَقِيَّةَ ٱلْأَصْلِ . مَحْبُوبَةَ ٱلْوَصْلِ . أَنِيقَةَ ٱلشَّكْلِ . مَدْعَاةً إِلَى ٱلْأَكْلِ . لَهَا نَحَافَةُ ٱلصَّبِّ . وَصِقَالُ ٱلْعَضْبِ . وَآلَةُ ٱلْحَرْبِ . وَلُدُونَةُ ٱلْغُصْنِ ٱلرَّطْبِ . قَالَ : فَنَهَضْتُ فِيمَا أَمَرَ . لِأَدْرَأَ عَنْهُ ٱلْغَمَرَ . وَلَمْ أَهِمْ إِلَى أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ . بِإِدْخَالِي ٱلْمَخْدَعَ . وَلَا تَظَنَّيْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنْ

ٱلرَّسُولِ . فِي ٱسْتِدْعَاءِ ٱلخِلَالَةِ وَٱلْغَسُولِ . فَلَمَّا عُدتُّ بِٱلْمُلْتَمَسِ . فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ ٱلنَّفَسِ . وَجَدتُّ ٱلْجَوَّ قَدْ خَلَا . وَٱلشَّيْخَ وَٱلشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا . فَٱسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا . وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا . فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي ٱلْمَاءِ . أَوْ عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ

المقامة الاسكندريّة

٥٢ قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: طَحَا بِي مَرَحُ ٱلشَّبَابِ . وَهَوَى ٱلِٱكْتِسَابِ . إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةَ . وَغَانَةَ . أَخُوضُ ٱلْغِمَارَ . لِأَجْنِيَ ٱلثِّمَارَ . وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَخْطَارَ . لِكَيْ أُدْرِكَ ٱلْأَوْطَارَ . وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلْعُلَمَاءِ . وَثَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا ٱلْحُكَمَاءِ . أَنَّهُ يَلْزَمُ ٱلْأَدِيبَ ٱلْأَرِيبَ . إِذَا دَخَلَ ٱلْبَلَدَ ٱلْغَرِيبَ . أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ . وَيَسْتَخْلِصَ مَرَاضِيَهُ . لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ ٱلْخِصَامِ . وَيَأْمَنَ فِي ٱلْغُرْبَةِ جَوْرَ ٱلْحُكَّامِ . فَٱتَّخَذْتُ هٰذَا ٱلْأَدَبَ إِمَامًا . وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا . فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً . وَلَا وَلَجْتُ عَرِينَةً . إِلَّا وَٱمْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا ٱمْتِزَاجَ ٱلْمَاءِ بِٱلرَّاحِ . وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ تَقَوِّيَ ٱلْأَجْسَادِ بِٱلْأَرْوَاحِ . فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . فِي عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ ٱلصَّدَقَاتِ . لِيَفُضَّهُ عَلَى ذَوِي ٱلْفَاقَاتِ . إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَةٌ . تَعْتَلُهُ ٱمْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ . فَقَالَتْ: أَيَّدَ ٱللّٰهُ ٱلْقَاضِيَ . وَأَدَامَ بِهِ ٱلتَّرَاضِيَ . إِنِّي ٱمْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرْثُومَةٍ . وَأَطْهَرِ أُرُومَةٍ . وَأَشْرَفِ خُؤُولَةٍ وَعُمُومَةٍ . مِيسَمِي ٱلصَّوْنُ . وَشِيمَتِي ٱلْهَوْنُ . وَخُلُقِي نِعْمَ ٱلْعَوْنُ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بُنَاةُ ٱلْمَجْدِ .

وَأَرْبَابُ ٱلْجَدِّ . سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ . وَعَافَ وُصْلَتَهُمْ وَصِلَتَهُمْ . وَٱحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ ٱللّٰهَ تَعَالَى بِحَلْفَةٍ . أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ . فَقَيَّضَ ٱلْقَدَرُ لِنَصَبِي . وَوَصَبِي . أَنْ حَضَرَ هٰذَا ٱلْخُدَعَةُ نَادِيَ أَبِي . فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ . أَنَّهُ وَفْقُ شَرْطِهِ . وَٱدَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ . فَبَاعَهُمَا بِبَدْرَةٍ . فَٱغْتَرَّ أَبِي بِزَخْرَفَةِ مُحَالِهِ . وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ ٱخْتِبَارِ حَالِهِ . فَلَمَّا ٱسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي . وَرَحَّلَنِي عَنْ أُنَاسِي . وَنَقَلَنِي إِلَى كَسْرِهِ . وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ . وَجَدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَةً . وَأَلْفَيْتُهُ ضُجَعَةً نُوَمَةً . وَكُنْتُ صَحِبْتُهُ بِرِيَاشٍ وَزِيٍّ . وَأَثَاثٍ وَرِيٍّ . فَمَا بَرِحَ يَبِيعُهُ فِي سُوقِ ٱلْهَضْمِ . وَيُتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي ٱلْخَضْمِ وَٱلْقَضْمِ . إِلَى أَنْ مَزَّقَ مَا لِي بِأَسْرِهِ . وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ . فَلَمَّا أَنْسَانِي طَعْمَ ٱلرَّاحَةِ . وَغَادَرَ بَيْتِي أَنْقَى مِنَ ٱلرَّاحَةِ . قُلْتُ لَهُ : يَا هٰذَا إِنَّهُ لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ . وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ . فَٱنْهَضْ لِلِٱكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ . وَأَجْنِنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ . فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِٱلْكَسَادِ . لِمَا ظَهَرَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْفَسَادِ . وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ . كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ . وَكِلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةً . وَلَا تَرْقَأُ لَهُ مِنَ ٱلطَّوَى دَمْعَةٌ . وَقَدْ قُدْتُهُ إِلَيْكَ . وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ . لِتَعْجُمَ عُودَ دَعْوَاهُ . وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ ٱللّٰهُ . فَأَقْبَلَ ٱلْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ . فَبَرْهِنِ ٱلْآنَ عَنْ نَفْسِكَ . وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ . وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ . فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ ٱلْأُفْعُوَانِ . ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ . وَقَالَ :

إِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ   يُضْحِكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَحَبُ

أَنَا ٱمْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ   عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَارِهِ رِيَبُ

سَرُوجُ دَارِي ٱلَّتِي وُلِدْتُ بِهَا   وَٱلْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ

وَشُغْلِيَ ٱلدَّرْسُ وَٱلتَّبَحُّرُ فِي ٱلْ   عِلْمِ طِلَابِي وَحَبَّذَا ٱلطَّلَبُ

وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي   مِنْهُ يُصَاغُ ٱلْقَرِيضُ وَٱلْخُطَبُ

أَغُوصُ فِي لُجَّةِ ٱلْبَيَانِ فَأَخْتَارُ   ٱللَّآلِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ

وَأَجْتَنِي ٱلْيَانِعَ ٱلْجَنِيَّ مِنَ ٱلْ   قَوْلِ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ

وَآخُذُ ٱللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا   مَا صُغْتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ

وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَمْتَرِي نَشَبًا   بِٱلْأَدَبِ ٱلْمُقْتَنَى وَأَحْتَلِبُ

وَيَمْتَطِي أَخْمَصِي لِحُرْمَتِهِ   مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ

وَطَالَمَا زُفَّتِ ٱلصِّلَاتُ إِلَى   رَبْعِي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

فَٱلْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ ٱلرَّجَاءُ بِهِ   أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ ٱلْأَدَبُ

لَا عِرْضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا   يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلٌّ وَلَا نَسَبُ

كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جِيَفٌ   يُبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَبُ

فَحَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ   مِنَ ٱللَّيَالِي وَصَرْفُهَا عَجَبُ

وَضَاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي   وَسَاوَرَتْنِي ٱلْهُمُومُ وَٱلْكُرَبُ

وَقَادَنِي دَهْرِيَ ٱللَّئِيمُ إِلَى   سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ ٱلْحَسَبُ

فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبَدٌ   وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ

وَٱدَّنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَاقَتِي   بِحِمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ ٱلْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ ٱلْحَشَا عَلَى سَغَبٍ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضَّنِي ٱلسَّغَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ
فَجُلْتُ فِيهِ وَٱلنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَٱلْعَيْنُ عَبْرَى وَٱلْقَلْبُ مُكْتَئِبُ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبِثْتُ بِهِ حَدَّ ٱلتَّرَاضِي فَيَحْدُثَ ٱلْغَضَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُّمُهَا أَنَّ بَنَانِي بِٱلنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنَّنِي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ ٱلْأَرَبُ
فَوَٱلَّذِي سَارَتِ ٱلرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا ٱلنُّجُبُ
مَا ٱلْمَكْرُ بِٱلْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي وَلَا شِعَارِي ٱلتَّمْوِيهُ وَٱلْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي ٱلْيَرَاعِ وَٱلْكُتُبُ
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ ٱلْقَلَائِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي ٱلْمَنْظُومُ لَا ٱلسُّخُبُ
فَهٰذِهِ ٱلْحِرْفَةُ ٱلْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وَأَجْتَلِبُ
فَأْذَنْ إِشَرْحِي كَمَا أَذِنْتَ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَٱحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

قَالَ: فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ. وَأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ. عَطَفَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلْفَتَاةِ. بَعْدَ أَنْ شُعِفَ بِٱلْأَبْيَاتِ وَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ ٱلْحُكَّامِ وَوُلَاةِ ٱلْأَحْكَامِ. ٱنْقِرَاضُ جِيلِ ٱلْكِرَامِ. وَمَيْلُ ٱلْأَيَّامِ إِلَى ٱللِّئَامِ. وَإِنِّي لَإِخَالُ بَعْلَكِ صَدُوقًا فِي ٱلْكَلَامِ. بَرِيئًا مِنَ ٱلْمَلَامِ. وَهَا هُوَ قَدِ ٱعْتَرَفَ لَكِ بِٱلْقَرْضِ. وَصَرَّحَ عَنِ ٱلْمَحْضِ. وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ ٱلنَّظْمِ. وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ ٱلْعَظْمِ. وَإِعْنَاتُ ٱلْمُعْذِرِ مَلَامَةٌ. وَحَبْسُ ٱلْمُعْسِرِ مَأْثَمَةٌ. وَكِتْمَانُ ٱلْفَقْرِ زَهَادَةٌ. وَٱنْتِظَارُ ٱلْفَرَجِ بِٱلصَّبْرِ عِبَادَةٌ.

فَأرْجِعِي إِلَى خِدْرِكِ. وَاعْذِرِي أَبَا عُذْرِكِ. وَنَهْنِهِي عَنْ غَرْبِكِ. وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكِ. ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي ٱلصَّدَقَاتِ حِصَّةً . وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً. وَقَالَ لَهُمَا: تَعَلَّلَا بِهٰذِهِ ٱلْعُلَالَةِ. وَتَنَدَّيَا بِهٰذِهِ ٱلْبُلَالَةِ. وَٱصْبِرَا عَلَى كَيْدِ ٱلزَّمَانِ وَكَدِّهِ. فَعَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ. فَنَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرْحَةُ ٱلْمُطْلَقِ مِنَ ٱلْإِسَارِ. وَهِزَّةُ ٱلْمُوسِرِ بَعْدَ ٱلْإِعْسَارِ. قَالَ ٱلرَّاوِي: وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةَ بَزَغَتْ شَمْسُهُ. وَنَزَغَتْ عِرْسُهُ. وَكِدْتُ أُفْصِحُ عَنِ ٱفْتِنَانِهِ. وَأَثْمَارِ أَفْنَانِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ مِنْ عُثُورِ ٱلْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ. وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ. فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ أَنْ يُرَشِّحَهُ لِإِحْسَانِهِ. فَأَحْجَمْتُ عَنِ ٱلْقَوْلِ إِحْجَامَ ٱلْمُرْتَابِ. وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ. إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَمَا فَصَلَ . وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ: لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ. لَأَتَانَا بِفَصِّ خَبَرِهِ. وَبِمَا يُنْشَرُ مِنْ حِبَرِهِ. فَأَتْبَعَهُ ٱلْقَاضِي أَحَدَ أُمَنَائِهِ. وَأَمَرَهُ بِٱلتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَائِهِ. فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهْدِهًا. وَقَهْقَرَ مُقَهْقِهًا. فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي: مَهْيَمْ. يَا أَبَا مَرْيَمَ. فَقَالَ: لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا. وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرَبًا. فَقَالَ لَهُ: مَاذَا رَأَيْتَ. وَمَا ٱلَّذِي وَعَيْتَ. قَالَ: لَمْ يَزَلِ ٱلشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ. وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ. وَيُغَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ: وَيَقُولُ:

كِدْتُ أَصْلَى بِبَلِيَّهْ مِنْ وَقَاحٍ شَمَّرِيَّهْ
وَأَزُورُ ٱلسِّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّهْ

فَضَحِكَ ٱلْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِّيَّتُهُ. وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ. فَلَمَّا فَاءَ

إِلَى ٱلْوَقَارِ . وَعَقَّبَ ٱلِاسْتِغْرَابَ بِٱلِاسْتِغْفَارِ . قَالَ : أَللّٰهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى ٱلْمُتَأَدِّبِينَ . ثُمَّ قَالَ لِذٰلِكَ ٱلْأَمِينِ : عَلَيَّ بِهِ . فَٱنْطَلَقَ مُجِدًّا بِطَلَبِهِ . ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأْيٍ بِهِ . مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ . لَكُفِيَ ٱلْحَذَرَ . ثُمَّ لَأَوْلَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى . وَلَأَرَيْتُهُ أَنَّ ٱلْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْأُولَى . قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَغْوَ ٱلْقَاضِي إِلَيْهِ . وَفَوْتَ ثَمَرَةِ ٱلتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ ٱلْفَرَزْدَقِ حِينَ أَبَانَ ٱلنَّوَارَ . وَٱلْكُسَعِيِّ لَمَّا ٱسْتَبَانَ ٱلنَّهَارَ .

المقامة البغدادية

٥٣ رَوَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : نَدَوْتُ بِضَوَاحِي ٱلزَّوْرَاءِ مَعَ مَشْيَخَةٍ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ . لَا يَعْلَقُ لَهُمْ مُبَارٍ بِغُبَارٍ . وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ فِي مِضْمَارٍ . فَأَفَضْنَا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ ٱلْأَزْهَارَ . إِلَى أَنْ نَصَفْنَا ٱلنَّهَارَ . فَلَمَّا غَاضَ دَرُّ ٱلْأَفْكَارِ . وَصَبَتِ ٱلنُّفُوسُ إِلَى ٱلْأَوْكَارِ . لَمَحْنَا عَجُوزًا تُقْبِلُ مِنَ ٱلْبُعْدِ . وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ ٱلْجُرْدِ . وَقَدِ ٱسْتَتْلَتْ صِبْيَةً أَنْحَفَ مِنَ ٱلْمَغَازِلِ . وَأَضْعَفَ مِنَ ٱلْجَوَازِلِ . فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْنَا . أَنْ عَرَتْنَا . حَتَّى إِذَا مَا حَضَرَتْنَا . قَالَتْ : حَيَّا ٱللّٰهُ ٱلْمَعَارِفَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنَّ مَعَارِفَ . ٱعْلَمُوا يَا مَآلَ ٱلْآمِلِ . وَثِمَالَ ٱلْأَرَامِلِ . أَنِّي مِنْ سَرَوَاتِ ٱلْقَبَائِلِ . وَسَرِيَّاتِ ٱلْعَقَائِلِ . لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يَحُلُّونَ ٱلصَّدْرَ وَيَسِيرُونَ ٱلْقَلْبَ . وَيَمْطُونَ ٱلظَّهْرَ . وَيُولُونَ ٱلْيَدَ . فَلَمَّا أَرْدَى ٱلدَّهْرُ ٱلْأَعْضَادَ . وَفَجَعَ بِٱلْجَوَارِحِ ٱلْأَكْبَادَ . وَٱنْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ . نَبَا ٱلنَّاظِرُ . وَجَفَا ٱلْحَاجِبُ .

وَذَهَبَتِ ٱلْعَيْنُ . وَفُقِدَتِ ٱلرَّاحَةُ . وَصَلَدَ ٱلزَّنْدُ . وَوَهَنَتِ ٱلْيَمِينُ . وَضَاعَ ٱلْيَسَارُ . وَبَانَتِ ٱلْمَرَافِقُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ . فَمُذْ أَغْبَرَّ ٱلْعَيْشُ ٱلْأَخْضَرُ . وَٱزْوَرَّ ٱلْمَحْبُوبُ ٱلْأَصْفَرُ . ٱسْوَدَّ يَوْمِي ٱلْأَبْيَضُ . وَٱبْيَضَّ فَوْدِي ٱلْأَسْوَدُ . حَتَّى رَثَى لِيَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ . فَحَبَّذَا ٱلْمَوْتُ ٱلْأَحْمَرُ . وَتِلْوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنُهُ فِرَارُهُ . وَتَرْجُمَانُهُ ٱصْفِرَارُهُ . قُصْوَى بُغْيَةِ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ . وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةٌ . وَكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا أَبْذُلَ ٱلْحُرَّ إِلَّا لِلْحُرِّ . وَلَوْ أَنِّي مُتُّ مِنَ ٱلضُّرِّ . وَقَدْ نَاجَتْنِي ٱلْقَرُونَةُ . بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمُ ٱلْمَعُونَةُ . وَآذَنَتْنِي فِرَاسَةُ ٱلْحَوْبَاءِ . بِأَنَّكُمْ يَنَابِيعُ ٱلْحِبَاءِ . فَنَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَءًا أَبَرَّ قَسَمِي . وَصَدَّقَ تَوَسُّمِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ يُقْذِيهَا ٱلْجُمُودُ . وَيُقَذِّيهَا ٱلْجُودُ . قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَهِمْنَا لِبَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا . وَمُلَحِ ٱسْتِعَارَتِهَا . وَقُلْنَا لَهَا : قَدْ فَتَنَ كَلَامُكِ . فَكَيْفَ إِلْمَامُكِ . فَقَالَتْ : يُفَجِّرُ ٱلصَّخْرَ . وَلَا فَخْرَ . فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتِنَا مِنْ رُوَاتِكِ . لَمْ نَبْخَلْ بِمُوَاسَاتِكِ . فَقَالَتْ : لَأُرِيَنَّكُمْ أَوَّلًا شِعَارِي . ثُمَّ لَأُرَوِّيَنَّكُمْ أَشْعَارِي . فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ . وَبَرَزَتْ بِرْزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيسٍ . وَأَنْشَدَتْ :

أَشْكُو إِلَى ٱللهِ ٱشْتِكَاءَ ٱلْمَرِيضْ ... رَيْبَ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُتَعَدِّي ٱلْبَغِيضْ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أُنَاسٍ غَنُوا ... دَهْرًا وَجَفْنُ ٱلدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضْ
فَخَارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ... وَصِيتُهُمْ بَيْنَ ٱلْوَرَى مُسْتَفِيضْ
كَانُوا إِذَا مَا نُجْعَةٌ أَعْوَزَتْ ... فِي ٱلسَّنَةِ ٱلشَّهْبَاءِ رَوْضًا أَرِيضْ
تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ ... وَيُطْعِمُونَ ٱلضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضْ

مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِبًا ... وَلَا لِرَوْعٍ قَالَ حَالَ ٱلْجَرِيضْ
فَغَيَّضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ ٱلرَّدَى ... بِحَارَ جُودٍ لَمْ نَخَلْهَا تَغِيضْ
وَأُودِعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ ٱلثَّرَى ... أُسْدَ ٱلتَّحَامِي وَأُسَاةَ ٱلْمَرِيضْ
فَمَحْمِلِي بَعْدَ ٱلْمَطَايَا ٱلْمَطَا ... وَمَوْطِنِي بَعْدَ ٱلْيَفَاعِ ٱلْحَضِيضْ
وَأَفْرُخِي مَا تَأْتَلِي تَشْتَكِي ... بُؤْسًا لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضْ
إِذَا دَعَا ٱلْقَانِتُ فِي لَيْلِهِ ... مَوْلَاهُ نَادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفِيضْ
يَا رَازِقَ ٱلنَّعَّابِ فِي عُشِّهِ ... وَجَابِرَ ٱلْعَظْمِ ٱلْكَسِيرِ ٱلْمَهِيضْ
أَتِحْ لَنَا ٱللَّهُمَّ مَنْ عِرْضُهُ ... مِنْ دَنَسِ ٱلذَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيضْ
يُطْفِئُ نَارَ ٱلْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ ... بِمَذْقَةٍ مِنْ حَازِرٍ أَوْ مَخِيضْ
فَهَلْ فَتًى يَكْشِفُ مَا نَابَهُمْ ... وَيَغْنَمُ ٱلشُّكْرَ ٱلطَّوِيلَ ٱلْعَرِيضْ

قَالَ ٱلرَّاوِي : فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَعَتْ بِأَبْيَاتِهَا أَعْشَارَ ٱلْقُلُوبِ . وَٱسْتَخْرَجَتْ خَبَايَا ٱلْجُيُوبِ . حَتَّى مَاحَهَا مَنْ دِينُهُ ٱلِٱمْتِيَاحُ . وَٱرْتَاحَ لِرِفْدِهَا مَنْ لَمْ نَخَلْهُ يَرْتَاحُ . فَلَمَّا ٱفْعَوْعَمَ جَيْبُهَا تِبْرًا . وَأَوْلَاهَا كُلٌّ مِنَّا بِرًّا . تَوَلَّتْ يَتْلُوهَا ٱلْأَصَاغِرُ . وَفُوهَا بِٱلشُّكْرِ فَاغِرٌ . فَٱشْرَأَبَّتِ ٱلْجَمَاعَةُ بَعْدَ مَمَرِّهَا . إِلَى سَبْرِهَا . لِتَبْلُوَ مَوَاقِعَ بِرِّهَا . فَكَفَلْتُ لَهُمْ بِٱسْتِنْبَاطِ ٱلسِّرِّ ٱلْمَرْمُوزِ . وَنَهَضْتُ أَقْفُو أَثَرَ ٱلْعَجُوزِ . حَتَّى ٱنْتَهَتْ إِلَى سُوقٍ مُغْتَصَّةٍ بِٱلْأَنَامِ . مُخْتَصَّةٍ بِٱلزِّحَامِ . فَٱنْغَمَسَتْ فِي ٱلْغِمَارِ . وَٱمَّاسَتْ مِنَ ٱلصِّبْيَةِ ٱلْأَغْمَارِ . ثُمَّ عَاجَتْ بِخُلُوِّ بَالٍ . إِلَى مَسْجِدٍ خَالٍ . فَأَمَاطَتِ ٱلْجِلْبَابَ . وَنَضَتِ ٱلنِّقَابَ . وَأَنَا أَلْمَحُهَا مِنْ خَصَاصِ ٱلْبَابِ . وَأَرْقُبُ مَا

سَتُبْدِي مِنَ ٱلْعُجَابِ . فَلَمَّا ٱنسَرَتْ أُهْبَةُ ٱلْخَفَرِ . رَأَيْتُ مُحَيَّا أَبِي زَيْدٍ قَدْ سَفَرَ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ . لِأُعَنِّفَهُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ . فَٱسْلَنْقَى ٱسْلِنْقَاءَ ٱلْمُتَمَرِّدِينَ . ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ ٱلْمُغَرِّدِينَ . وَٱنْدَفَعَ يُنْشِدُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَدَهْرِي   أَحَاطَ عِلْماً بِقَدْرِي
وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي   فِي ٱلْخَدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ   بِحِيلَتِي وَبِمَكْرِي
وَكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْفٍ   عَلَيْهِمِ وَبِنُكْرِ
أَصْطَادُ قَوْماً بِوَعْظٍ   وَآخَرِينَ بِشِعْرِ
وَأَسْتَفِزُّ بِخَلٍّ   عَقْلاً وَعَقْلاً بِخَمْرِ
وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ   وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرِ
وَلَوْ سَلَكْتُ سَبِيلاً   مَأْلُوفَةً طُولَ عُمْرِي
لَخَابَ قِدْحِي وَقَدْحِي   وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لَامَ هٰذَا   عُذْرِي فَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ . وَبَدِيعَةِ إِمْرِهِ . وَمَا زَخْرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ . عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ ٱلْمَرِيدَ . لَا يَسْمَعُ ٱلتَّفْنِيدَ . وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . فَثَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي . وَأَبْثَثْتُهُمْ مَا أَثْبَتَهُ عِيَانِي . فَوَجَمُوا لِضَيْعَةِ ٱلْجَوَائِزِ . وَتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ ٱلْعَجَائِزِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : شَتَوْتُ بِٱلْكَرَجِ لِدَيْنٍ أَقْتَضِيهِ .

وَأَرَبٍ أَقْضِيهِ • فَبَلَوْتُ مِنْ شِتَائِهَا ٱلْكَالِحِ • وَصِرِّهَا ٱلنَّافِحِ • مَا عَرَّفَنِي جَهْدَ ٱلْبَلَاءِ • وَعَكَفَ بِي عَلَى ٱلِاصْطِلَاءِ • فَلَمْ أَكُنْ أُزَايِلُ وِجَارِي • وَلَا مُسْتَوْقَدَ نَارِي • إِلَّا لِضَرُورَةٍ أُدْفَعُ إِلَيْهَا • أَوْ إِقَامَةِ جَمَاعَةٍ أُحَافِظُ عَلَيْهَا • فَٱضْطُرِرْتُ فِي يَوْمٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ • وَدَجْنُهُ مُكْفَهِرٌّ • إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ كِنَانِي • لِمُهِمٍّ عَنَانِي • فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي ٱلْجِلْدَةِ • بَادِي ٱلْجُرْدَةِ • وَقَدِ ٱعْتَمَّ بِرُيْطَةٍ • وَٱسْتَثْفَرَ بِفُوَيْطَةٍ • وَحَوَالَيْهِ جَمْعٌ كَثِيفُ ٱلْحَوَاشِي • وَهُوَ يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي :

يَا قَوْمِ لَا يُنْبِئْكُمْ عَنْ فَقْرِي ... أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَانَ ٱلْقُرِّ
فَٱعْتَبِرُوا بِمَا بَدَا مِنْ ضُرِّي ... بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
وَحَاذِرُوا ٱنْقِلَابَ سِلْمِ ٱلدَّهْرِ ... فَإِنَّنِي كُنْتُ نَبِيهَ ٱلْقَدْرِ
آوِي إِلَى وَفْرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي ... تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي
وَتَشْتَكِي كُومِي غَدَاةَ أَقْرِي ... فَجَرَّدَ ٱلدَّهْرُ سُيُوفَ ٱلْغَدْرِ
وَشَنَّ غَارَاتِ ٱلرَّزَايَا ٱلْغُبْرِ ... وَلَمْ يَزَلْ يَسْحَتُنِي وَيَبْرِي
حَتَّى عَفَتْ دَارِي وَغَاضَ دَرِّي ... وَبَارَ سِعْرِي فِي ٱلْوَرَى وَشِعْرِي
وَصِرْتُ نِضْوَ فَاقَةٍ وَعُسْرِ ... عَارِيَ ٱلْمَطَا مُجَرَّدًا مِنْ قِشْرِي
كَأَنَّنِي ٱلْمِغْزَلُ فِي ٱلتَّعَرِّي ... لَا دِفْءَ لِي فِي ٱلصِّنِّ وَٱلصِّنَّبْرِ
غَيْرُ ٱلتَّضَحِّي وَٱصْطِلَاءِ ٱلْجَمْرِ ... فَهَلْ خِضَمٌّ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِ
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طِمْرِ ... طِلَابَ وَجْهِ ٱللهِ لَا لِشُكْرِي

ثُمَّ قَالَ : يَا أَرْبَابَ ٱلثَّرَاءِ • ٱلرَّافِلِينَ فِي ٱلْفِرَاءِ • مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا

فَلْيُنْفِقْ . وَمَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ . فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا غَرُورٌ . وَٱلدَّهْرَ عَثُورٌ . وَٱلْمُكْنَةَ زَوْرَةُ طَيْفٍ . وَٱلْفُرْصَةَ مُزْنَةُ صَيْفٍ . وَإِنِّي وَٱللهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ ٱلشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ . وَأَعْدَدْتُ ٱلْأُهَبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ . وَهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ يَا سَادَتِي . سَاعِدِي وِسَادَتِي . وَجِلْدَتِي . بُرْدَتِي . وَحَفْنَتِي . جَفْنَتِي . فَلْيَعْتَبِرِ ٱلْعَاقِلُ بِحَالِي . وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ ٱللَّيَالِي . فَإِنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنِ ٱتَّعَظَ بِسِوَاهُ . وَٱسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ . فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ . فَأَجْلِ لَنَا نَسَبَكَ . فَقَالَ : تَبًّا لِمُفْتَخِرٍ . بِعَظْمٍ نَخِرٍ . إِنَّمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلتُّقَى . وَٱلْأَدَبِ ٱلْمُنْتَقَى . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا ٱبْنُ يَوْمِهِ ... عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ٱبْنُ أَمْسِهِ
وَمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلْعَظْمِ ٱلرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ ٱلَّذِي يَبْغِي ٱلْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا . وَٱجْرَنْثَمَ مُقَفْقِفًا . وَقَالَ : ٱللَّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ . وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ . أَعِنِّي عَلَى ٱلْبَرْدِ وَأَهْوَالِهِ . وَأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ مِنْ خَصَاصَةٍ . وَيُوَاسِي وَلَوْ بِقُصَاصَةٍ . قَالَ ٱلرَّاوِي : فَلَمَّا جَلَّى عَنِ ٱلنَّفْسِ ٱلْعِصَامِيَّةِ . وَٱلْمُلَحِ ٱلْأَصْمَعِيَّةِ . جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَتَجَسَّمُهُ . وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُمُهُ . حَتَّى ٱسْتَبَنْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ . وَأَنَّ تَعَرِّيَهُ أُحْبُولَةُ صَيْدٍ . وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ . وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتِكَهُ . فَقَالَ : أُقْسِمُ بِٱلسَّمَرِ وَٱلْقَمَرِ . وَٱلزُّهْرِ وَٱلزَّهَرِ . إِنَّهُ لَنْ يَسْتُرَنِي إِلَّا مَنْ طَابَ خِيمُهُ . وَأُشْرِبَ مَاءَ ٱلْمُرُوءَةِ أَدِيمُهُ . فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ . وَإِنْ لَمْ يَدْرِ ٱلْقَوْمُ مَعْنَاهُ . وَسَاءَنِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ ٱلرِّعْدَةِ . وَٱقْشِعْرَارِ ٱلْجِلْدَةِ . فَعَمَدْتُ

لِفَرْوَةٍ هِيَ بِٱلنَّهَارِ رِيَاشِي . وَفِي ٱللَّيْلِ فِرَاشِي . فَنَضَوْتُهَا عَنِّي . وَقُلْتُ لَهُ : ٱقْبَلْهَا مِنِّي . فَمَا كَذَّبَ أَنِ ٱفْتَرَاهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لِلّٰهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرْوَةً ... أَضْحَتْ مِنَ ٱلرِّعْدَةِ لِي جُنَّهْ

أَلْبَسَنِيهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي ... وُقِيَ شَرَّ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنَّهْ

سَيَكْتَسِي ٱلْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي ... غَدٍ سَيُكْسَى سُنْدُسَ ٱلْجَنَّهْ

قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ ٱلْجَمَاعَةِ . بِٱفْتِنَانِهِ فِي ٱلْبَرَاعَةِ . أَتَوْا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْفِرَاءِ ٱلْمُغَشَّاةِ . وَٱلْجِبَابِ ٱلْمُوَشَّاةِ . مَا آدَهُ ثِقَلُهُ . وَلَمْ يَكَدْ يُقِلُّهُ . فَٱنْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِٱلْفَرَجِ . مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ٱرْتَفَعَتِ ٱلتَّقِيَّةُ . وَبَدَتِ ٱلسَّمَاءُ نَقِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ ٱلْبَرْدُ . فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيْكَ لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ . سُرْعَةُ ٱلْعَذْلِ . فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْمٌ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . فَوَٱلَّذِي نَوَّرَ ٱلشَّيْبَةَ . وَطَيَّبَ تُرْبَةَ طَيْبَةَ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لَرُحْتُ بِٱلْخَيْبَةِ . وَصَفَرِ ٱلْعَيْبَةِ . ثُمَّ نَزَعَ إِلَى ٱلْفِرَارِ . وَتَبَرْقَعَ بِٱلِٱكْفِهْرَارِ . وَقَالَ : أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِنَتِي ٱلِٱنْتِقَالُ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَٱلِٱنْعِطَافُ مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عُقْتَنِي وَعَقَقْتَنِي . وَأَفَتَّنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي . فَأَعْفِنِي عَافَاكَ ٱللهُ مِنْ لَغْوِكَ . وَٱسْدُدْ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ . فَجَبَذْتُهُ جَبْذَ ٱلتِّلْعَابَةِ . وَجَمْجَمْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَٱللهِ لَوْ لَمْ أُوَارِكَ . وَأُغَطِّ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتَ إِلَى صِلَةٍ . وَلَا ٱنْقَلَبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَازِنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتْرِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ ٱلْفَرْوَةِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ ٱلشَّتْوَةِ . فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ ٱلْمُتَعَجِّبِ . وَٱزْمَهَرَّ ٱزْمِهْرَارَ ٱلْمُتَغَضِّبِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ ٱلْفَرْوَةِ فَأَبْعَدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ ٱلدَّابِرِ . وَٱلْمَيْتِ ٱلْغَابِرِ . وَأَمَّا كَافَاتُ ٱلشَّتْوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى ذِهْنِكَ . وَأَوْهَى وِعَاءَ خَزْنِكَ . حَتَّى أُنْسِيتَ مَا أَنْشَدْتُكَ بِٱلدَّسْكَرَةِ . لِٱبْنِ سُكَّرَةٍ :

جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ سَبْعٌ إِذَا ٱلْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا
كِنٌّ وَكِيسٌ وَكَانُونٌ وَكَاسُ طِلًا بَعْدَ ٱلْكَبَابِ وَكَفٌّ نَاعِمٌ وَكِسَا

ثُمَّ قَالَ : لَجَوَابٌ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جِلْبَابٍ يُدْفِي . فَٱكْتَفِ بِمَا وَعَيْتَ وَٱنْكَفِ . فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرْوَتِي لِشِقْوَتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى ٱلرِّعْدَةِ طُولَ شَتْوَتِي

المقامة التفليسية

٥٥ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ ٱللّٰهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ . أَنْ لَا أُؤَخِّرَ ٱلصَّلَاةَ مَا ٱسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ ٱلْفَلَوَاتِ . وَلَهْوِ ٱلْخَلَوَاتِ . أُرَاعِي أَوْقَاتَ ٱلصَّلَاةِ . وَأُحَاذِرُ مِنْ مَأْثَمِ ٱلْفَوَاتِ . وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ . مَرْحَبْتُ بِصَوْتِ ٱلدَّاعِي إِلَيْهَا . وَٱقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَٱتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِيسَ . أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زُمْرَةٍ مَفَالِيسَ . فَلَمَّا قَضَيْنَا ٱلصَّلَاةَ . فَأَزْمَعْنَا ٱلِٱنْفِلَاتَ . بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي ٱللَّقْوَةِ . بَالِي ٱلْكُسْوَةِ وَٱلْقُوَّةِ . فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ ٱلْحُرِّيَّةِ . وَتَفَوَّقَ دَرَّ ٱلْعَصَبِيَّةِ . إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً . وَٱسْتَمَعَ

مِنّي نَفْثَةً . ثُمَّ لهُ الخِيارُ مِنْ بعدُ . وبِيَدِهِ البَذْلُ وَالرَّدُّ . فعقدَ لهُ القومُ الحُبى . ورَسَوْا أمثالَ الرُّبى . فلمّا آنسَ حُسْنَ إنصاتِهِمْ . ورزانةَ حَصاتِهِمْ . قالَ : يا أُولي الأبصارِ الرّامقةِ . والبصائرِ الرّائقةِ . أما يُغني عنِ الخَبَرِ العِيانُ . ويُنبِئُ عنِ النّارِ الدُّخانُ . شَيْبٌ لائحٌ . ووَهْنٌ فادحٌ . وداءٌ واضحٌ . والباطنُ ففاضحٌ . ولقدْ كُنْتُ واللهِ مِمَّنْ مَلَكَ ومالَ . ووَلِيَ وآلَ . ورَفَضَ وأنالَ . ووَصَلَ وصالَ . فلمْ تَزَلِ الجوائحُ تَسْحَتُ . والنّوائبُ تَنْحَتُ . حتّى الوَكْرُ قَفْرٌ . والكَفُّ صِفْرٌ . والشِّعارُ ضُرٌّ . والعيشُ مُرٌّ . والصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ مِنَ الطَّوى . ويتمنّونَ مُصاصةَ النَّوى . ولمْ أقُمْ هذا المَقامَ الشّائنَ . وأكْشِفْ لكُمُ الدَّفائنَ . إلّا بعدَ ما شَقيتُ ولَقيتُ . وشِبْتُ مِمّا لَقيتُ . فليتَني لمْ أكُنْ بَقيتُ . ثُمَّ تأوّهَ تأوُّهَ الأسيفِ . وأنشدَ بصوتٍ ضعيفٍ :

أشْكو إلى الرَّحمنِ سُبحانَهُ تَقَلُّبَ الدَّهرِ وعُدْوانَهُ
وحادثاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتي وقَوَّضَتْ مَجْدي وبُنْيانَهُ
واهْتَصَرَتْ عُودي ويا وَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الأحداثُ أغصانَهُ
وأمْحَلَتْ رَبْعي حتّى خَلَتْ مِنْ رَبْعِيَ المُمْحِلِ جِرْذانُهُ
وغادَرَتْني حائرًا بائرًا أُكابِدُ الفَقْرَ وأشْجانَهُ
مِنْ بعدِ ما كُنْتُ أخا ثَرْوَةٍ يَسْحَبُ في النِّعمةِ أرْدانَهُ
يَخْتَبِطُ العافونَ أوْراقَهُ ويَحْمَدُ السّارونَ نيرانَهُ
فأصْبَحَ اليومَ كأنْ لمْ يَكُنْ أعانَهُ الدَّهرُ الّذي عانَهُ

وَٱزْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا ... وَعَافَ عَافِي ٱلْعُرْفِ عِرْفَانَهُ
فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى ... مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيَفْرِجَ ٱلْهَمَّ ٱلَّذِي هَمَّهُ ... وَيُصْلِحَ ٱلشَّانَ ٱلَّذِي شَانَهُ

قَالَ ٱلرَّاوِي : فَصَبَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَثْبِتَهُ . لِتَسْتَنْجِشَ خَبْأَتَهُ . وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَهُ . فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُتْبَتِكَ . وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنَتِكَ . فَعَرِّفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ . وَٱحْسِرِ ٱللِّثَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ . فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِٱلْإِعْنَاتِ . وَجَعَلَ يَلْعَنُ ٱلضَّرُورَاتِ . وَيَتَأَفَّفُ مِنْ تَغَيُّضِ ٱلْمُرُوءَاتِ . ثُمَّ أَنْشَدَ بِلَفْظٍ صَادِعٍ . وَجَرْسٍ خَادِعٍ :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ ... جَنَاهُ ٱللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
فَكُلْ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ ... وَلَا تَسْأَلِ ٱلشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ
وَمَيِّزْ إِذَا مَا ٱعْتَصَرْتَ ٱلْكُرُومَ ... سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ
لِتُغْلِيَ وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ ... وَتَشْرِيَ كُلًّا شِرَى مِثْلِهِ
فَعَارٌ عَلَى ٱلْفَطِنِ ٱللَّوْذَعِيِّ ... دُخُولُ ٱلْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

قَالَ : فَٱزْدَهَى ٱلْقَوْمُ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ . وَٱخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ دَائِهِ . حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا ٱلْخُبَنِ . وَخَفَايَا ٱلثُّبَنِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا هٰذَا إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ . وَتَعَرَّضْتَ لِخَالِيَةٍ خَلِيَّةٍ . فَخُذْ هٰذِهِ ٱلصُّبَابَةَ . وَهَبْهَا لَا خَطَأً وَلَا إِصَابَةَ . فَنَزَّلَ قُلَّهُمْ مَنْزِلَةَ ٱلْكُثْرِ . وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِٱلشُّكْرِ . ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ . وَيَنْهَبُ بِٱلْخَبْطِ طُرْقَهُ . قَالَ ٱلْمُخْبِرُ بِهٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ : فَصُوِّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ . مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ . فَنَهَضْتُ

أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ . وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ . وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا . وَيُوسِعُنِي هُجْرًا . حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ . وَأَمْكَنَ التَّحْقِيقُ . نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ . وَمَاحَضَ بَعْدَ مَا غَشَّ . وَقَالَ : إِنِّي لَإِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ . وَرَائِدَ صُحْبَةٍ . فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيُرْفِقُ . وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ . فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَتَانِي هٰذَا الرَّفِيقُ . لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي : قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطْ . وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ . ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا . وَتَمَثَّلَ لِي بَشَرًا سَوِيًّا . فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا قَلَبَةَ بِجِسْمِهِ . وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ . فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ . وَكَذِبِ لَقْوَتِهِ . وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ . عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ . فَشَحَا فَاهُ . وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرَثٍّ لِكَيْمَا يُقَالَ فَقِيرٌ يُزَجِّي الزَّمَانَ الْمُزَجَّى
وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِجْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
وَلَوْلَا الرَّثَاثَةُ لَمْ يُرْثَ لِي وَلَوْلَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلْجَا

ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهٰذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ . وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ . فَإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ . فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ . فَسِرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدَيْنِ . وَرَافَقْتُهُ عَامَيْنِ أَجْرَدَيْنِ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ . فَأَبَى الدَّهْرُ الْمُشِتُّ

المقامة المروية

٥٦ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : حُبِّبَ إِلَيَّ مُذْ سَعَتْ قَدَمِي . وَنَفَثَ قَلَمِي . أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً . وَالْإِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْعَةً .

فَكُنْتُ أُنَقِّبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخِزَانَةِ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أَلْفَيْتُ مِنْهُمْ بُغْيَةَ الْمُلْتَمِسِ . وَجُذْوَةَ الْمُقْتَبِسِ . شَدَدْتُ يَدِي بِغَرْزِهِ . وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَارَةِ السُّحُبِ . وَوَضْعِ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النُّقْبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسْيَرَ مِنَ الْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقْلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَاسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ . أَرْغَبُ فِي الِاغْتِرَابِ . وَأَسْتَعْذِبُ السَّفَرَ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ . فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرْوَ . وَلَا غَرْوَ . بَشَّرَنِي بِمَلْقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالْفَأْلُ الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْمَحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلَاقِي الْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْيَرًا . حَتَّى غَلَبَ الْيَأْسُ الطَّمَعَ . وَانْزَوَى التَّأْمِيلُ وَانْقَدَعَ . فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ وَالِي مَرْوَ . وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرْوَ . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلَقٍ مِمْلَاقٍ . وَخُلُقٍ مَلَّاقٍ . فَحَيَّا الْوَالِيَ تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ . إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : اعْلَمْ وُقِيتَ الذَّمَّ . وَكُفِيتَ الْهَمَّ . أَنَّ مَنْ عُذِقَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ . أُعْلِقَتْ بِهِ الْآمَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَاتُ . وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ . أَدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ . كَمَا يُؤَدِّي زَكَاةَ النَّعَمِ . وَالْتَزَمَ لِأَهْلِ الْحُرَمِ . مَا يُلْتَزَمُ لِلْأَهْلِ وَالْحَرَمِ . وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُزْجَى الرَّكَائِبُ إِلَى حَرَمِكَ . وَتُرْجَى الرَّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتُنْزَلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ . وَتُسْتَنْزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .

وَإِحسَانُهُ لَدَيكَ عَمِيمًا . ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ ٱلإِتْرَابِ . وَعَدِمَ ٱلأَعْشَابَ حِينَ شَابَ . قَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ نَازِحَةٍ . وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ . آمُلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً . وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً . وَٱلتَّأْمِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ ٱلسَّائِلِ . وَنَائِلِ ٱلنَّائِلِ . فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِيَ عِذَارَكَ . عَمَّنِ ٱزْدَارَكَ . وَأَمَّ دَارَكَ . أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ . عَمَّنِ ٱمْتَاحَكَ . وَٱمْتَارَ سَمَاحَكَ . فَوَٱللهِ مَا مَجَدَ مَنْ جَمَدَ . وَلَا رَشَدَ مَنْ حَشَدَ . بَلِ ٱللَّبِيبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ . وَإِنْ بَدَا بِعَائِدَةٍ عَادَ . وَٱلْكَرِيمُ مَنْ إِذَا ٱسْتُوهِبَ ٱلذَّهَبَ . لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أُكُلَ غَرْسِهِ . وَيَرْصُدُ مَطِيبَةَ نَفْسِهِ . وَأَحَبَّ ٱلْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطْفَتُهُ ثَمَدٌ . أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدَدٌ . فَأَطْرَقَ يُرَوِّي فِي ٱسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ . وَٱسْتِشْفَافِ فِرِنْدِهِ . وَٱلْتَبَسَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرُّ صَمْتَتِهِ . وَإِرْجَاءِ صِلَتِهِ . فَتَوَغَّرَ غَضَبًا . وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا :

لَا تَحْقِرَنَّ أُبَيْتَ ٱللَّعْنَ ذَا أَدَبٍ ... لِأَنْ بَدَا خَلَقَ ٱلسِّرْبَالِ سُبْرُوتَا
وَلَا تُضِعْ لِأَخِي ٱلتَّأْمِيلِ حُرْمَتَهُ ... أَكَانَ ذَا لَسَنٍ أَمْ كَانَ سِكِّيتَا
وَٱنْفَحْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُخْتَبِطًا ... وَٱنْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أُلْفِيتَ مَنْكُوتَا
فَخَيْرُ مَالِ ٱلْفَتَى مَالٌ أَشَادَ لَهُ ... ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ ٱلرُّكْبَانُ أَوْ صِيتَا
وَمَا عَلَى ٱلْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهِبَةٍ ... غَبْنٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتَا
لَوْلَا ٱلْمُرُوءَةُ ضَاقَ ٱلْعُذْرُ عَنْ فَطِنٍ ... إِذَا ٱشْرَأَبَّ إِلَى مَا جَاوَزَ ٱلْقُوتَا
لٰكِنَّهُ لِٱبْتِنَاءِ ٱلْمَجْدِ جَدَّ وَمِنْ ... حُبِّ ٱلسَّمَاحِ ثَنَى نَحْوَ ٱلْعُلَى لِيتَا

وَمَا تَنَشَّقَ نَشْرَ ٱلشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ ... إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ ٱلْمِسْكِ مَفْتُوتَا
وَٱلْحَمْدُ وَٱلْبُخْلُ لَمْ يُقْضَ ٱجْتِمَاعُهُمَا ... حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتَا
وَٱلسَّمْحُ فِي ٱلنَّاسِ مَحْبُوبٌ خَلَائِقُهُ ... وَٱلْجَامِدُ ٱلْكَفِّ مَا يَنْفَكُّ مَمْقُوتَا
وَلِلشَّحِيحِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ ... يُوسِعْنَهُ أَبَدًا ذَمًّا وَتَبْكِيتَا
فَجُدْ بِمَا جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ ... حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَدْوَاكَ مَبْهُوتَا

فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: تَٱللّٰهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ. فَأَيُّ وَلَدِ ٱلرَّجُلِ أَنْتَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ. وَأَنْشَدَ وَهُوَ مُغْضٍ:

لَا تَسْأَلِ ٱلْمَرْءَ مَنْ أَبُوهُ وَرُزْ ... خِلَالَهُ ثُمَّ صِلْهُ أَوْ فَٱصْرِمِ
فَمَا يَشِينُ ٱلسُّلَافَ حِينَ حَلَا ... مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ٱبْنَةَ ٱلْحِصْرِمِ

قَالَ: فَقَرَّبَهُ ٱلْوَالِي لِبَيَانِهِ ٱلْفَاتِنِ. حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ ٱلْخَاتِنِ. ثُمَّ فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ. مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ وَقِصَرِ لَيْلِهِ. فَنَهَضَ عَنْهُ بِرُدْنٍ مَلْآنَ. وَقَلْبٍ جَذْلَانَ. وَتَبِعْتُهُ حَاذِيًا حَذْوَهُ. وَقَافِيًا خَطْوَهُ. حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ. وَفَصَلَ عَنْ غَابِهِ. قُلْتُ لَهُ: هُنِّئْتَ بِمَا أُوتِيتَ. وَمُلِّيتَ بِمَا أُولِيتَ. فَأَسْفَرَ وَجْهُهُ وَتَلَالَا. وَوَالَى شُكْرًا لِلّٰهِ تَعَالَى. ثُمَّ خَطَرَ ٱخْتِيَالًا. وَأَنْشَدَ ٱرْتِجَالًا:

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِٱلْحَمَاقَةِ حَظًّا ... أَوْ سَمَا قَدْرُهُ لِطِيبِ ٱلْأُصُولِ
فَبِفَضْلِي ٱنْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي ... وَبِقَوْلِي ٱرْتَفَعْتُ لَا بِقُيُولِي

ثُمَّ قَالَ: تَعْسًا لِمَنْ جَدَبَ ٱلْأَدَبَ. وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ وَدَأَبَ. ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ. وَأَوْدَعَنِي ٱللَّهَبَ

أَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ
فِي ٱللَّطَائِفِ

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ ٱحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يُطْعِمُ ٱلنَّاسَ. فَدَخَلَ حُجْرَةً فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا هٰذَا لَا تَأْكُلُ. قَالَ: لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي. قَالَ: إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا. قَالَ: لَمْ أَعْلَمْ. فَآكُلُ بِأَمْرِكَ. قَالَ: كُلْ فَأَكَلَ وَعَبْدُ ٱلْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ مِنْ فِعَالِهِ. فَلَمَّا أَكَلَ ٱلنَّاسُ جَلَسَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ خَوَاصُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَرَّقَ ٱلنَّاسُ فَجَاءَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَهُ فِي ٱلْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّنِي ... مِمَّا لَقِيتُ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ مُوجَعُ
مُنِعَ ٱلْقَرَارُ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِبًا ... جَيْشٌ يُجَرُّ وَمِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: وَمَا خَوْفُكَ لَا أُمَّ لَكَ لَوْلَا أَنَّكَ مُرِيبٌ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ:

كُنَّا تَنَحَّلْنَا ٱلْبَصَائِرَ مَرَّةً ... وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ ٱلْبَصَائِرُ نَرْجِعُ
إِنَّ ٱلَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا ... مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... وَأُطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

أُعطِي نَصِيحَتِيَ ٱلْخَلِيفَةَ نَاجِعًا وَخِزَامَةَ ٱلْأَنْفِ ٱلْمَقُودِ فَأَتْبَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : هٰذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبِذَنْبِكَ . فَإِذَا عَرَّفْتَ ٱلْحَوْبَةَ قَبِلْنَا ٱلتَّوْبَةَ . فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ :

وَلَقَدْ وَطِئْتَ بَنِي سَعِيدٍ وَطْأَةً وَٱبْنَ ٱلزُّبَيْرِ فَعَرْشُهُ مُتَضَعْضِعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : لِلّٰهِ ٱلْحَمْدُ وَٱلْمِنَّةُ عَلَى ذٰلِكَ فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْكِبًا عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْفَعُ
وَوَطِئْتَهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يُؤَسُّ وَغَابِرًا يَتَجَعْجَعُ
فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا أَلْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ ٱلْأَنْزَعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ آفِلٌ وَٱلْبَدْرُ مُنْبَلِجًا إِذَا مَا يَطْلُعُ
وُضِعَتْ أُمَيَّةُ وَاسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعْتَ وَسْطَهُمُ فَنِعْمَ ٱلْمَوْضِعُ
بَيْتٌ أَبُو ٱلْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَالِي ٱلْمَشَارِفِ عِزُّهُ مَا يُدْفَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : إِنَّ تَوْرِيَتَكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيبُنِي فَأَيُّ ٱلْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ . فَقَالَ :

حَرِبَتْ أُصَيْبِيَتِي يَدٌ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ
وَأَرَى ٱلَّذِي يَرْجُو تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمُ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ ٱللهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ :

فَٱنْعَشْ أُصَيْبِيَتِي ٱلْأُلَاءِ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ تَدَرَّجُ بِٱلشَّرَبَّةِ جُوَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : لَا أَنْعَشَهُمُ ٱللهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ :

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضَنُّ جَمَعْتَهُ يَوْمَ ٱلْقَلِيبِ فَحِيزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَأَرْصَدتَّ بِهِ لِمُشَاقَّةِ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ وَأَعْدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ. فَنَزَعَهُ مِنْكَ إِذِ ٱسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ ٱللهِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ:

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِي وَتَجْبُرَ فَاقَتِي فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ ٱلْمَدْفَعُ

فَتَبَسَّمَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ: أَمِنْتُ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ. فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: كُنْ مَنْ شِئْتَ إِلَّا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ ٱلْحَجَّاجِ. قَالَ: أَنَا وَٱللهِ هُوَ وَقَدْ وَطِئْتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَنْشَدْتُكَ. فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذٰلِكَ فَأَنْتَ وَمَا تَرَاهُ. وَأَنْتَ بِمَا عَلَيْكَ فِي هٰذَا عَارِفٌ. ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ:

ضَاقَتْ ثِيَابُ ٱلْمُلْبِسِينَ وَفَضْلُهُمْ عَنِّي فَأَلْبِسْنِي فَثَوْبُكَ أَوْسَعُ

فَنَبَذَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ إِلَيْهِ مُطْرَفًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ. ٱلْبَسْهُ لَا لَبِسْتَ. فَٱلْتَحَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: أَوْلَى لَكَ. وَٱللهِ لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَمَعًا فِي أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هٰؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ. فَأَبَى ٱللهُ ذٰلِكَ فَلَا تُجَاوِرْنِي فِي بَلَدٍ. وَٱنْصَرِفْ آمِنًا فَقُمْ حَيْثُ شِئْتَ. ثُمَّ أَمْضَى لَهُ ٱلْأَمَانَ (للاصبهاني)

أجازة عُبيد الابرص وامرئ القيس

٥٨ لَقِيَ عَبِيدُ بْنُ ٱلْأَبْرَصِ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عَبِيدٌ: كَيْفَ مَعْرِفَتُكَ بِٱلْأَوَابِدِ. فَقَالَ: أَلْقِ مَا أَحْبَبْتَ. فَقَالَ عَبِيدٌ

مَا حَبَّةٌ مَيْتَةٌ قَامَتْ بِمَيْتَتِهَا دَرْدَاءُ مَا أَنْبَتَتْ سِنًّا وَأَضْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

تِلْكَ ٱلشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَابِلِهَا ... فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ ٱلْمُكْثِ أَكْدَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلسُّودُ وَٱلْبِيضُ وَٱلْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ ... لَا يَسْتَطِيعُ لَهُنَّ ٱلنَّاسُ تَمْسَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلسَّحَابُ إِذَا ٱلرَّحْمَانُ أَرْسَلَهَا ... رَوَّى بِهَا مِنْ مُحُولِ ٱلْأَرْضِ أَيْبَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا مُرْتَجَاتٌ عَلَى هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا ... يَقْطَعْنَ طُولَ ٱلْمَدَى سَيْرًا وَإِمْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلنُّجُومُ إِذَا حَانَتْ مَطَالِعُهَا ... شَبَّهْتُهَا فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ أَقْبَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا ... تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلرِّيَاحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا ... كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْفَاجِعَاتُ جِهَارًا فِي عَلَانِيَةٍ ... أَشَدَّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْمَنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ ... يَكْفِتْنَ حَمْقَى وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلسَّابِقَاتُ سِرَاعَ ٱلطَّيْرِ فِي مَهَلٍ ... لَا يَشْتَكِينَ وَلَوْ أَلْجَمْتَهَا فَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْجِيَادُ عَلَيْهَا ٱلْقَوْمُ قَدْ سَبَحُوا ... كَانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ أَحْلَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ ٱلْجَوِّ فِي طَلَقٍ ... قَبْلَ ٱلصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِينَ قِرْطَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْأَمَانِي يَتْرُكْنَ ٱلْفَتَى مَلِكًا ... دُونَ ٱلسَّمَاءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ ... وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ

تِلْكَ ٱلْمَوَازِينُ وَٱلرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا ... رَبُّ ٱلْبَرِيَّةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مِقْيَاسَا

٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا نَعُودُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِرْكَةٌ قَدْ رَاقَ مَاؤُهَا. وَصَحَّتْ سَمَاؤُهَا. وَقَدْ رُصَّ تَحْتَ دَسَاتِيرِهَا نَارَنْجٌ فَتَنَ قُلُوبَ ٱلْحُضَّارِ . وَمَلَأَ بِٱلْمَحَاسِنِ عُيُونَ ٱلنُّظَّارِ . فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَالِجُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ ٱلنُّضَارِ. فَأَشَارَ ٱلْحَاضِرُونَ إِلَى وَصْفِهَا فَقُلْتُ بَدِيهًا :

أَبْدَعْتَ يَا ٱبْنَ هِلَالٍ فِي فِسْقِيَّةٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ

عَجَبًا لِأَمْوَاهِ ٱلدَّسَاتِيرِ ٱلَّتِي ... فَاضَتْ عَلَى نَارَنْجِهَا ٱلْمُتَوَقِّدِ

فَكَأَنَّهُنَّ صَوَالِجٌ مِنْ فِضَّةٍ ... رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتِ خَالِصِ عَسْجَدِ

علي بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: وَمِنْ أَعْجَبِ مَا دُهِيتُ بِهِ وَرُمِيتُ إِلَّا أَنَّ ٱللهَ بِقَضَائِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى ٱلظَّفَرَ وَأَعَانَ خَاطِرِي ٱلْكَلِيلَ. حَتَّى مَضَى مَضَاءَ ٱلسَّيْفِ ٱلصَّقِيلِ. أَنِّي كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا ٱلْعَادِلِ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمَائَةٍ مَعَ مَنْ ضَمَّتْهُ حَاشِيَةُ ٱلْعَسْكَرِ ٱلْمَنْصُورِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَدَخَلَتْ سَنَةُ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّمَائَةٍ وَنَحْنُ بِٱلثَّغْرِ مُقِيمُونَ بِٱلْخِدْمَةِ. مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ ٱلنِّعْمَةِ. فَحَضَرْتُ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَنَاءِ. مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ. وَٱلْمَشَايِخِ وَٱلْكُبَرَاءِ. وَجَمَاعَةِ ٱلدِّيوَانِ وَٱلْأُمَرَاءِ. فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْجُلُوسِ لِإِمْضَاءِ ٱلْأَحْكَامِ. وَٱلْعَرْضِ لِطَوَائِفِ ٱلْأَجْنَادِ بِٱلتَّمَامِ. فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ وَلَا مِنَ ٱلْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهَنِّئًا. وَمَثَلَ شَاكِرًا وَدَاعِيًا. فَلَمَّا غَصَّ ٱلْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ. وَشَرِقَ بِجَمْعِ ٱلنَّاسِ وَحَفْلِهِ. وَخَرَجَ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَجْلِسِهِ. وَٱسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ. أَخْرَجَ كِتَابًا نَاوَلَهُ إِلَى ٱلصَّاحِبِ ٱلْأَجَلِّ صَفِيِّ ٱلدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَلِيٍّ وَزِيرِ دَوْلَتِهِ. وَكَبِيرِ جُمْلَتِهِ. وَهُوَ مَفْضُوضُ ٱلْخِتَامِ. مَفْكُوكُ ٱلْفِدَامِ فَفَتَحَهُ فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَتْ مِنَ ٱلْمَوْلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ أَبْقَاهُ ٱللهُ. كَتَبَهَا إِلَيْهِ يَتَشَوَّقُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ لِزِيَارَتِهِ وَيُرَقِّقُهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رِكَابِهِ إِلَى ٱلشَّامِ ٱلْمُثَاغِرَةِ بِهَا وَقَمْعِ عَدُوِّهَا. وَيُعَرِّضُ بِذِكْرِ مِصْرَ وَشِدَّةِ حَرِّهَا وَوَقْدِ جَمْرِهَا. وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِٱلثُّغُورِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا. وَٱلْأَبْيَاتُ:

أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ نُحُورِ عِدَاكَا   وَٱنْهَبْ بِخَيْلِكَ مَنْ أَطَاعَ سِوَاكَا

وَٱرْكَبْ خُيُولًا كَٱلسَّعَالِي شُزَّبَا ... وَٱضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْ يَشُقُّ عَصَاكَا
وَٱجْلُبْ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... يَفْرِي بِعَزْمِكَ كُلَّ مَنْ يَشْنَاكَا
وَٱسْتَرْعِفِ ٱلسُّمْرَ ٱللِّدَانَ وَرَوِّهَا ... وَٱسْقِ ٱلْمَنِيَّةَ سَيْفَكَ ٱلسَّفَّاكَا
وَسِرِ ٱلْغَدَاةَ إِلَى ٱلْعُدَاةِ مُبَادِرًا ... بِٱلضَّرْبِ فِي هَامِ ٱلْعَدُوِّ دِرَاكَا
وَٱقْرِنْ رِمَاحَكَ بِٱلثُّغُورِ فَإِنَّهَا ... مُشْتَاقَةٌ أَنْ تُبْتَنَى بِعُلَاكَا
فَٱلْعِزُّ فِي نَصْبِ ٱلْخِيَامِ عَلَى ٱلْعِدَى ... تُرْدِي ٱلطُّغَاةَ وَتَدْفَعُ ٱلْمُلَّاكَا
وَٱلنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهِمَّتِكَ ٱلَّتِي ... قَدْ أَصْبَحَتْ فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ سِمَاكَا
فَإِذَا عَزَمْتَ وَجَدْتَ مَنْ هُوَ طَائِعٌ ... وَإِذَا نَهَضْتَ وَجَدْتَ مَنْ يَخْشَاكَا
وَٱلنَّصْرُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... أَحْلَى مِنَ ٱلْكَاسِ ٱلَّذِي رَوَّاكَا
وَٱلْعَجْزُ أَنْ تُمْسِي بِمِصْرَ مُخَيِّمًا ... وَتُحِلَّ فِي تِلْكَ ٱلْعِرَاصِ عُرَاكَا
فَأَرِحْ حُشَاشَتَكَ ٱلْكَرِيمَةَ مِنْ لَظَى ... مِصْرٍ لِكَيْ تَحْظَى ٱلْغَدَاةَ بِذَاكَا
فَلَقَدْ غَدَا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ ... شَغَفًا وَلَا حَرُّ ٱلْبِلَادِ هُنَاكَا
وَٱنْهَضْ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا ... فَمُنَايَ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ لِقَاكَا
وَٱبْرِدْ فُؤَادَ ٱلْمُسْتَهَامِ بِنَظْرَةٍ ... وَأَعِدْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْشَ مِنْ رُؤْيَاكَا
وَٱشْفِ ٱلْغَدَاةَ غَلِيلَ صَبٍّ هَائِمٍ ... أَضْحَى مُنَاهُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ مُنَاكَا
فَسَعَادَتِي بِٱلْعَادِلِ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي ... مَلَكَ ٱلْمُلُوكَ وَقَارَنَ ٱلْأَفْلَاكَا
فَبَقِيتَ لِي يَا مَالِكِي فِي غِبْطَةٍ ... وَجُعِلْتُ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ فِدَاكَا

فَلَمَّا تَلَا ٱلصَّاحِبُ عَلَى ٱلْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا . وَجَلَا مِنْهَا ٱلْعَرُوسَ ٱلَّتِي حَازَتْ مِنَ ٱلْمَحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا . أَخَذُوا فِي ٱسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا .

وَتَناسُقِ غَرِيبِ ٱلْتِئَامِهَا . وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْخَاطِرِ ٱلَّذِي نَظَمَ مُحْكَمَ أَبْيَاتِهَا . وَأَطْلَعَ مِنْ مَشْرِقِ فِكْرِهِ آيَاتِهَا . فَقَالَ ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) : نُرِيدُ مَنْ يُجِيبُهُ عَنَّا بِأَبْيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا . فَٱلْتَفَتَ مُسْرِعًا إِلَيَّ وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ وَقَالَ : يَا مَوْلَانَا مَمْلُوكُكَ فُلَانٌ هُوَ فَارِسُ هٰذَا ٱلْمَيْدَانِ . وَٱلْمُعْتَادُ لِلتَّخَلُّصِ فِي مَضَايِقِ هٰذَا ٱلشَّانِ . ثُمَّ قَطَعَ وَصْلًا مِنْ دَرْجٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْقَاهُ إِلَيَّ . وَعَمَدَ إِلَى دَوَاتِهِ فَأَدَارَهَا بَيْنَ يَدَيَّ . فَقَالَ لَهُ ٱلسُّلْطَانُ : أَهٰكَذَا عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . قَالَ : نَعَمْ أَنَا جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُتَّقِدَ ٱلْخَاطِرِ حَاضِرَ ٱلذِّهْنِ سَرِيعَ إِجَابَةِ ٱلْفِكْرِ . فَقَالَ ٱلسُّلْطَانُ : وَعَلَى كُلِّ حَالٍ قُمْ إِلَى هٰهُنَا لِتَنْكَفَّ عَنْكَ أَبْصَارُ ٱلنَّاظِرِينَ . وَتَنْقَطِعَ جَلَبَةُ ٱلْحَاضِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ عَنْ يَمِينِ ٱلْبَيْتِ ٱلْخَشَبِ ٱلَّذِي هُوَ مُنْفَرِدٌ بِهِ فَقُمْتُ وَقَدْ فَقَدَتْ رِجْلَيَّ ٱنْخِزَالًا . وَذِهْنِي ٱخْتِلَالًا . لِهَيْبَةِ ٱلْمَجْلِسِ فِي صَدْرِي وَكَثْرَةِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ ٱلْمُتَرَقِّبِينَ لِي ٱلْمُنْتَظِرِينَ حُلُولَ فَائِرَةِ ٱلشَّمَاتَةِ بِي . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ حَتَّى ثَابَ إِلَيَّ خَاطِرِي . وَٱنْثَالَ ٱلشِّعْرُ عَلَى ضَمَائِرِي . فَكُنْتُ أَرَى فِكْرِي كَالْبَازِي ٱلصَّيُودِ لَا يَرَى كَلِمَةً إِلَّا أَنْشَبَ فِيهَا مِنْسَرَهُ . وَلَا مَعْنًى إِلَّا شَكَّ فِيهِ ظُفْرَهُ . فَقُلْتُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ :

وَصَلَتْ مِنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ تُحْفَةٌ ... مَلَأَتْ بِفَاخِرِ دُرِّهَا ٱلْأَسْلَاكَا
أَبْيَاتُ شِعْرٍ كَٱلنُّجُومِ جَلَالَةً ... فَلِذَا حَكَتْ أَوْرَاقُهَا ٱلْأَفْلَاكَا
عَجَبًا وَقَدْ جَاءَتْ كَمِثْلِ ٱلرَّوْضِ إِذْ ... لَمْ تَذْوِهَا بِٱلْحَرِّ نَارُ ذُكَاكَا

جَلَتِ ٱلْهُمُومَ عَنِ ٱلْفُؤَادِ كَمِثْلِ مَا تَجْلُو بِغُرَّةِ وَجْهِكَ ٱلْأَحْلَاكَا
كَقَمِيصِ يُوسُفَ إِذْ شَفَتْ يَعْقُوبَ رَيَّاهُ شَفَتْنِي مِثْلَهُ رَيَّاكَا
قَدْ أَعْجَزَتْ شُعَرَاءَ أَهْلِ زَمَانِنَا حُسْنًا فَلِمْ لَا تُعْجِزُ ٱلْأَمْلَاكَا
مَا كَانَ هٰذَا ٱلْفَضْلُ يُمْكِنُ مِثْلُهُ أَنْ يَحْتَوِيهِ مِنَ ٱلْأَنَامِ سِوَاكَا
لِمْ لَا أَغِيبُ عَنِ ٱلشَّآمِ وَهَلْ لَهُ مِنْ حَاجَةٍ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَا
أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَٱلْبِلَادُ جَمِيعُهَا مَحْمِيَّةٌ فِي جَاهِ طَعْنِ قَنَاكَا
يَكْفِي ٱلْأَعَادِي حَرُّ بَأْسِكَ فِيهِمِ أَضْعَافَ مَا يَكْفِي ٱلْوَلِيَّ نَدَاكَا
مَا زُرْتُ مِصْرَ لِغَيْرِ ضَبْطِ ثُغُورِهَا فَلِذَا صَبَرْتُ فُدِيتَ عَنْ رُؤْيَاكَا
أُمُّ ٱلْبِلَادِ عَلَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا لَا سِيَّمَا مُذْ شُرِّفَتْ بِخُطَاكَا
طَابَتْ وَحَقَّ لَهَا وَلِمْ لَا وَهْيَ قَدْ حَوَتِ ٱلْمُعَلَّى فِي ٱلْقِدَاحِ أَخَاكَا
أَنَا كَٱلسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَافِيًا حِينًا وَأَمْنَحُ غَيْرَهَا سُقْيَاكَا
مُكْثِي جِهَادٌ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّنِي أَغْزُوهُ بِٱلرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ دِرَاكَا
لَوْلَا ٱلرِّبَاطُ وَفَضْلُهُ لَتَصَدَّتْ بِٱلسَّيْرِ ٱلْحَثِيثِ إِلَيْكَ نَيْلَ رِضَاكَا
وَلَئِنْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلشَّآمِ فَإِنَّمَا يَحْثُثْنِي شَوْقِي إِلَى لُقْيَاكَا
إِنِّي لَأَمْنَحُكَ ٱلْمَحَبَّةَ جَاهِدًا وَهَوَايَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَا
فَٱفْخَرْ فَقَدْ أَضْحَتْ بِي وَبِبَأْسِكَ ٱلْحَامِي وَكُلُّ مُمَلَّكٍ يَخْشَاكَا
لَا زِلْتَ تَقْهَرُ مَنْ يُعَادِي مُلْكَنَا أَبَدًا وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَا
وَأَعِيشُ أَنْظُرُ إِبْنَكَ ٱلْبَاقِي أَبًا وَتَعِيشُ تَخْدُمُ فِي ٱلسُّعُودِ أَبَاكَا

ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي وَقَدْ بَيَّضْتُهَا . وَحَلَّيْتُ بِزَهْرِهَا سَاحَةَ ٱلْقِرْطَاسِ

ٱلْأَبْيَضِ وَرَوْضَتِهَا • فَلَمَّا رَآنِي ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) قَدْ عُدتُ قَالَ : أَعَمِلْتَ شَيْئًا • ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ ٱلْعَمَلَ فِي تِلْكَ ٱلْمُدَّةِ مُتَعَذِّرٌ • وَبُلُوغَ ٱلْغَرَضِ فِيهَا غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ • فَقُلْتُ : نَعَمْ • فَقَالَ : أَنْشِدْنَا فَصَمَتَ ٱلنَّاسُ وَحَدَّقَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَأَصَاخَتِ ٱلْأَسْمَاعُ • وَظَنَّ ٱلنَّاسُ بِي ٱلظُّنُونَ • وَتَرَقَّبُوا مِنِّي مَا يَكُونُ • فَمَا تَوَالَى إِنْشَادِي حَتَّى صَفَّقَتِ ٱلْأَيْدِي إِعْجَابًا • وَتَغَامَزَتِ ٱلْأَعْيُنُ ٱسْتِغْرَابًا • وَحِينَ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ مَوْلَانَا ٱلْكَامِلِ بِأَنَّهُ ٱلْمُعَلَّى إِذَا ضُرِبَتْ قِدَاحُهُمْ • وَسُرِدَتْ أَمْدَاحُهُمْ • ٱغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ دَمْعًا لِذِكْرِهِ • وَأَبَانَ صَمْتُهُ مُخْفِيَ ٱلْمَحَبَّةِ فَأَعْلَنَ بِسِرِّهِ • وَحِينَ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا فَاضَ دَمْعُهُ • وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنْعُهُ • ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ فَرَجِيَّةً مِنْ خَاصِّ مَلَابِسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى كَتِفِي (بدائع البدائه للازدي)

٦١ لبابي يرثي ضرسهُ بعد قلعه

أَيُّ طَوْدٍ مِنَ ٱلرَّوَاسِي ٱلْعِظَامِ ... فَجَعَتْنَا بِهِ يَدُ ٱلْأَيَّامِ
هَدَمَتْهُ نَوَازِلُ ٱلدَّهْرِ وَٱلدَّهْـ ... ـرُ وَلُوعٌ بِهَدْمِ عِزِّ ٱلْكِرَامِ
فَهَوَى شَاطِيًا مِنَ ٱلذِّرْوَةِ ٱلْقَعْـ ... ـسَاءِ قَسْرًا وَأَنْفُهُ فِي ٱلرَّغَامِ
صَاحِبٌ كَانَ لِي وَفِيًّا وَبِي بَـ ... ـرًّا حَفِيًّا يَعُولُنِي بِٱلْتِزَامِ
وَخَلِيلِي فِي كُلِّ مَخْمَصَةٍ كَا ... نَ عَتِيدَ ٱلْإِطْعَامِ وَٱلْإِنْعَامِ
أَبْيَضُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلتِّقَاءِ بَيْنَ ٱلْمُلْـ ... ـسِ صَعْبُ ٱلْمِرَاسِ عِنْدَ ٱلصِّدَامِ
كَاسِرٌ طَاحِنٌ إِذَا ٱصْطَدَمَ ٱلصَّفَّـ ... ـانِ مَاضِي ٱلشَّبَا أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ
ضَعْضَعَتْ رُكْنَهُ ٱلْخُطُوبُ وَثَلَّتْ ... عَرْشَ سُلْطَانِهِ ٱلْمَنِيعِ ٱلسَّامِي

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هَيْهَاتَ أَنِّي أَتَهَنَّا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامِ
يَا رَفِيقِي مُذْ كُنْتُ طِفْلًا إِلَى أَنْ جَلَّلَ ٱلشَّيْبُ مَفْرِقِي بِٱلثَّغَامِ
وَصَدِيقِي ٱلَّذِي تَخَوَّلْتُ مِنْ جَدْ وَاهُ قُوتِي وَقُوَّتِي وَقِوَامِي
مَنْ يَرُوضُ ٱلصِّعَابَ بَعْدَكَ مَنْ لِلْـبَطْشِ مَنْ لِلْقِرَاعِ مَنْ لِلصِّدَامِ
رُبَّ قِشْرٍ مَحَّضْتَهُ عَنْ لُبَابٍ وَلُحُومٍ عَرَقْتَهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بِنْتَ فَٱذْهَبْ مُمَتَّعًا بِسَلَامِ
وَتَأَسَّى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهٰذَا ٱلثَّغْرِ أَرْدَتْهُ غَارَةُ ٱلْأَيَّامِ
أَبْدَلَتْنِي عَنِ ٱلثُّرَيَّا بَنِي نَعْشٍ كُرُورُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْأَعْوَامِ
فَجَعَتْنِي بِكُلِّ أَبْيَضَ طَلَّاعِ ٱلثَّنَايَا مُسْتَأْسِدٍ بَسَّامِ
أَيَّ وِتْرٍ تَبْغِي ٱلنَّوَازِلُ مِنِّي بَعْدَ ضُعْفِ ٱلْقُوَى وَفَتِّ ٱلْعِظَامِ
مَنْ يُرِدْ صُحْبَةَ ٱلزَّمَانِ طَوِيلًا فَلْيُوَطِّنْ نَفْسًا عَلَى ٱلْآلَامِ
كُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ إِنْ أَنْعَمَ ٱللّٰهُ عَلَى عَبْدِهِ بِحُسْنِ ٱلْخِتَامِ

٦٢ حدّث أبو هريرة النحويُّ قال: كان أبو الشبل البرجميُّ قد اشترى كبشاً للاضحى. فجعل يعلفهُ ويُسمّنهُ فأفلت يوماً على قنديلٍ لهُ كان يُسرجهُ بين يديهِ وسراجٍ وقارورةٍ للزيت. فنطحهُ فكسرهُ وانصبَّ الزيت على ثيابهِ وكتبهِ وفراشهِ. فلمَّا عاين ذلك ذبح الكبش قبل الاضحى وقال يرثي سراجهُ:

يَا عَيْنِ إِبْكِي لِفَقْدِ مِسْرَجَةٍ كَانَتْ عَمُودَ ٱلضِّيَاءِ وَٱلنُّورِ
كَانَتْ إِذَا مَا ٱلظَّلَامُ أَلْبَسَنِي مِنْ حِنْدِسِ ٱللَّيْلِ ثَوْبَ دَيْجُورِ
شَقَّتْ بِنِيرَانِهَا غَيَاطِلَهُ شَقًّا رَعَى ٱللَّيْلَ بِٱلدَّيَاجِيرِ
صِينِيَّةُ ٱلصِّينِ حِينَ أَبْدَعَهَا مُصَوِّرُ ٱلْحُسْنِ بِٱلتَّصَاوِيرِ

وَقَبلَ ذَا بِدْعَةٌ أُتِيحَ لَهَا   مِنْ قِبَلِ ٱلدَّهْرِ قَرْنُ يَعْفُورِ
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَبِثَتْ   أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ ٱلْمَكَاسِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ   ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى ٱلْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ يَاسَرَهُ   فَلَمْ يُشَبْ يُسْرُهُ بِتَعْسِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ ٱلزَّمَانُ صَفْوَتَهُ   فَلَمْ يُشَبْ صَفْوُهُ بِتَكْدِيرِ
مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتِ مَا بَخِلَتْ   عَنْكِ يَدُ ٱلْجُودِ بِٱلدَّنَانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكِ مَا نُقَدِّرُهُ   لٰكِنَّمَا ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَقَادِيرِ
مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظُلَمٍ   جَلَّيْتِ ظَلْمَاءَهَا بِتَنْوِيرِ
أَوْحَشَتِ ٱلدَّارُ مِنْ ضِيَائِكِ وَٱلْـ   ـبَيْتُ إِلَى مَطْبَخٍ وَتَنُّورِ
قَلْبِي حَزِينٌ عَلَيْكِ إِذْ سَجَاَتْ   عَلَيْكِ بِٱلدَّمْعِ عَيْنُ تَشْمِيرِ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكِ ٱلزَّمَانُ فَقَدْ   أَبْقَيْتِ مِنْكِ ٱلْحَدِيثَ فِي ٱلدُّورِ
دَعْ ذِكْرَهَا وَٱهْجُ قَرْنَ نَاطِحِهَا   وَٱسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَفْسِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِّي ٱشْتَرَيْتُ فَمَا ٱشْـ   ـتَرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خِنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِٱلنَّوَى أُسَمِّنُهُ   وَٱلتِّبْنِ وَٱلْقَتِّ وَٱلْأَثَاجِيرِ
أُبَرِّدُ ٱلْمَاءَ فِي ٱلْقِلَالِ لَهُ   وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَحْذُورِ
تَخْدُمُهُ طُولَ كُلِّ لَيْلَتِهَا   خِدْمَةَ عَبْدٍ بِٱلذُّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي ٱلسُّرُورَ وَمَا ٱلْـ   ـمَحْزُونُ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ   يَكْفُرُ نُعْمَى تَقْرِيبُ تَغْيِيرِ
فَمَدَّ قَرْنَيْهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ   تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَنَقٍ مُعَوَّدٍ لِانْطِاحِ مَشْهُورِ
وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ صَلْدٌ مِنَ الشُّمَّخِ الْمَذَاكِيرِ
فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ أَرَقُّ مِنْ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ
تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ وَمَا صَحِيحُ الْهَوَى كَمَكْسُورِ
فَأَدْرَكَتْهُ شَعُوبُ فَانْشَعَبَتْ بِالرَّوْعِ وَالشِّلْوُ غَيْرُ مَقْتُورِ
أُدِيلَ مِنْهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ مِنَ الْمَنَايَا بِجَدٍّ مَطْرُورِ
يَلْتَهِبُ الْمَوْتُ فِي ظُبَاهُ كَمَا تَلْتَهِبُ النَّارُ فِي الْمَسَاعِيرِ
وَمَزَّقَتْهُ الْمُدَى فَمَا تَرَكَتْ كَفُّ الْقِرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
وَاغْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدَرٌ صَيَّرَهُ نُهْزَةَ السَّنَانِيرِ
فَمَزَّقَتْ لَحْمَهُ بَرَاثِنُهَا وَبَذَّرَتْهُ أَشَدَّ تَبْذِيرِ
وَاخْتَلَسَتْهُ الْحِدَاءُ خَلْسًا مَعَ الْغِرْبَانِ لَمْ تَزْدَجِرْ لِتَكْبِيرِ
وَصَارَ حَظُّ الْكِلَابِ أَعْظُمَهُ يُهَشِّمُ أَلْحَاءَهَا بِتَكْسِيرِ
كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَفَى الْمَنَاقِيرِ
وَخَامِعٍ نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأَظَافِيرِ
قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرُسًا بِلَا افْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
وَلَا مُغَنٍّ سِوَى هَمَاهِمِهَا إِذَا تَطَّتْ لِوَارِدِ الْعِيرِ
يَا كَبْشُ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمُدْيَةِ الْمَوْتِ كَأْسَ تَنْحِيرِ
بَغَيْتَ ظُلْمًا وَالْبَغْيُ مَصْرَعُ مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْمِيرِ
أُضْحِيَّةٌ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا فِي قِسْمِهِ لَحْمَهَا بِمَأْجُورِ

٦٣ قال ابو العلاء المعري من قصيدةٍ على لسان درعٍ يخاطب سيفًا

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالزِّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابٌ كَالْمُدَامِ بِلَا مِزَاجِ
مَنَعْتُ الشَّيْبَ مِنْ كَتَمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعْهُ مِنْ خَطَرِ الْعَجَاجِ
فَهَلْ حُدِّثْتَ بِالْحِرْبَاءِ يُلْقِي بِرَأْسِ الْعَيْرِ مُوضِحَةَ الشِّجَاجِ
تَصِيحُ ثَعَالِبُ الْمُرَّانِ كَرْبًا صِيَاحَ الطَّيْرِ تَطْرَبُ لِابْتِهَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ نَجِيعُ قِرْنٍ يَجُوبُ النَّقْعَ وَهْوَ إِلَيَّ لَاجِي
يُقَضِّبُ عَنْهُ أَمْرَاسَ الْمَنَايَا لِبَاسٌ مِثْلُ أَغْرَاسِ النِّتَاجِ
تَعَوَّذَ بِي حَلِيفُ التَّاجِ قِدْمًا وَفَارِسُ لَمْ تَهُمَّ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنَيْ بَغِيضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَحْرَاءِ النِّبَاجِ
فَلَا يُطْمِعْكَ فِي الْغَمَرَاتِ وِرْدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمُرِّ الْأُجَاجِ
فَإِنْ تَرْكُدْ بِغِمْدِكَ لَا تَخِفْنِي وَإِنْ تَهْجُمْ عَلَيَّ فَغَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِيَ الزَّوَايَا تَجِدْ قَضَّاءَ مُبْهَمَةِ الرِّتَاجِ
يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رُفَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الزُّجَاجِ
تُنَاجِينِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيْبَ غَيْرِكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُعُوبَهَا مُتَنَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبٍ تُرَضِّخُ لِلنَّوَاجِي
مُمَوَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشًا لِفَرْطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تَضَيَّفَنِي الذَّوَابِلُ مُكْرَهَاتٍ فَتَرْحَلُ مَا أُذِيقَتْ مِنْ لَمَاجِ
إِذَا مَا السَّهْمُ حَاوَلَ فِيَّ نَهْجًا فَإِنِّي عَنْهُ ضَيِّقَةُ الْفِجَاجِ

وَهَلْ تَعْشُو ٱلنِّبَالُ إِلَى ضِيَاءٍ ... ثَنَى ٱلسَّمْرَاءَ مُطْفَأَةَ ٱلسِّرَاجِ
يَهُونُ عَلَيَّ وَٱلْحِدْثَانُ طَاغٍ ... أَتُنْذِرُنِي ٱلْفَوَارِسُ أَمْ تُفَاجِي
فَلَوْ طُعِنَ ٱلْفَتَى بِأَشَدِّ غُصْنٍ ... حَمَاهُ أَشَدُّ حِصْنٍ فِي ٱلْهِيَاجِ
أَخَالَتْنِي ظِمَاءُ ٱلْخَطِّ لُجًّا ... فَأَلْفَتْ رُكْنَ شَابَةَ فِي ٱللُّجَاجِ
وَلَيْسَ لِكَرِّ يَوْمِ ٱلشَّرِّ نَافٍ ... سِوَى كَرٍّ مِنَ ٱلْأَدْرَاعِ سَاجِ

٦٤ وقال ايضًا من قصيدةٍ على لسان رجل يسأل أُمَّهُ عن درع أبيه

مَا فَعَلَتْ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرَتْ ... فِي نَهَرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ
أَمِ ٱسْتُعِيرَتْ مِنَ ٱلْأَرَاقِمِ فَٱزْ ... دَدَتْ عَوَارِيهَا بَنُو ٱلرَّقَمِ
أَمْ بِعْتِهَا تَبْتَغِينَ مَصْلَحَةً ... فِي سَنَةٍ وَٱلسَّمَاءُ لَمْ تَغِمِ
عَابِسَةٌ لَمْ يَجُدْ بِهَا ٱلْأَسَدُ ٱلظَّبْيَةَ إِلَّا ٱلضَّعَائِفَ ٱلرِّهَمِ
أَمْ كُنْتِ صَيَّرْتِهَا لَهُ كَفَنًا ... فَتِلْكَ لَيْسَتْ مِنْ آلَةِ ٱلرَّجَمِ
لَعَلَّهُ أَنْ يَجِيءَ مُدَّرِعًا ... يَوْمَ رُجُوعِ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلرِّمَمِ
أَمْ كُنْتِ أَوْدَعْتِهَا أَخَا ثِقَةٍ ... فَخَانَ وَٱلْخَوْنُ أَقْبَحُ ٱلشِّيَمِ
ضَافِيَةٌ فِي ٱلْمَجَرِّ صَافِيَةٌ ... لَيْسَتْ بِمَطْوِيَّةٍ عَلَى قَتَمِ
كَأَنَّهَا وَٱلنِّصَالُ تَأْخُذُهَا ... أَضَاةُ حَزْنٍ تُحَاذُ بِٱلدِّيَمِ
ضَنَّ بِهَا رَبُّهَا لِضِنَّتِهَا ... بِهِ وَكَمْ ضِنَّةٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ
تَحْسَبُهَا مِنْ رُضَابِ غَادِيَةٍ ... مَجْمُوعَةً أَوْ دُمُوعُهَا ٱلسُّجُمِ
ضَاحِكَةٌ بِٱلسِّهَامِ سَاخِرَةٌ ... بِٱلرُّمْحِ هَزَّاءَةٌ مِنَ ٱلْخُذُمِ
عَادَتْهَا أَرْمُهَا ظُبًا وَقَنًا ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأُخْتِهَا إِرَمِ

تَغُرُّهَا غِرَّةَ ٱلسَّرَابِ نُهًى فِي نَاجِرِيّ ٱلنَّهَارِ مُحْتَدِمِ
أَوْ عَمَلُ ٱلْكُفْرِ مَنْ يَدِينُ بِهِ فِي ٱلْبَعْثِ إِبَّانَ مَجْمَعِ ٱلْأُمَمِ
ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَوْلِدِهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْبُهَا مِنَ ٱلْقِدَمِ
فَمَا عَدَدْنَا بَيَاضَهَا هَرَمًا حِينَ يُعَدُّ ٱلْبَيَاضُ فِي ٱلْهَرَمِ
مَا خَضَبَتْهُ ٱلْمُهَنَّدَاتُ لَهَا وَلَا ٱلْعَوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ
مَلْبَسُ قَيْلٍ مَا خِيطَ مُشْبِهُهُ لِدَارِمٍ قَبْلَنَا وَلَا دَرِمِ
رَآهُ كَهْلَانُ مِنْ مَعَاقِلِهِ فِي ٱلْحَرْبِ دُونَ ٱلْعَبِيدِ وَٱلْحَشَمِ
عَذَّبَهَا ٱلْهَالِكِيُّ صَانِعُهَا فِي جَاحِمٍ مِنْ وُقُودِهِ ضَرِمِ
يَنْفِرُ عَنْهَا ضَبُّ ٱلْعَذَاةِ كَمَا يَهَابُ نَقْعًا مِنْ بَارِدٍ شَبِمِ
يَدُ ٱلْمَنَايَا إِذَا تُصَافِحُهَا أَعْيَ بِهَا مَنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ
مَعَابِلُ ٱلرَّمْيِ عِنْدَهَا عَبَلٌ مُلْقًى وَسُحْمُ ٱلنِّصَالِ كَٱلسَّحَمِ
فَهْيَ فَمُ ٱلْعُودِ بَزْهُنَّ بِهِ وَهُنَّ شَوْكُ ٱلْقَتَادِ وَٱلسَّلَمِ

٦٥ لابي الحفص الفارضي في التغزل بالكمالات الالهية

أَوَمِيضُ بَرْقٍ بِٱلْأُبَيْرِقِ لَاحَا أَمْ فِي رُبَى نَجْدٍ أَرَى مِصْبَاحَا
أَمْ تِلْكَ لَيْلَى ٱلْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ لَيْلًا فَصَيَّرَتِ ٱلْمَسَاءَ صَبَاحَا
يَا رَاكِبَ ٱلْوَجْنَاءِ (٢) وُقِيتَ ٱلرَّدَى إِنْ جُبْتَ حَزْنًا أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحَا
وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ ٱلْأَرَاكِ (٣) فَعُجْ إِلَى وَادٍ (٤) هُنَاكَ عَهِدْتُهُ فَيَّاحَا

(١) قال الشيخ حسن البوريني : أراد بليلى العامريَّة ذات وجود الحقّ والعزّة الالهيَّة
(٢) المراد براكب الوجناء السالك في طريق الخلاص القاهر نفسهُ
(٣) اسم مكان وكنى بهِ عن الدخول في التجليات الالهيّة (٤) أراد بهِ الرياض السماويَّة

فَبِأَيْنِ ٱلعلمَيْنِ (١) مِنْ شَرْقِيِّهِ عَرِّجْ وَأُمَّ أَرِينَهُ ٱلْفَوَّاحَا
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى ثَنِيَّاتِ ٱللِّوَى (٢) فَٱنْشُدْ فُؤَادًا بِٱلْأُبَيْطِحِ طَاحَا
وَٱقْرِ ٱلسَّلَامَ أُهَيْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ غَادَرْتُهُ لِجَنَابِكُمْ مُلْتَاحَا
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ (٤) تَحِيَّةً فِي طَيِّ صَافِيَةِ ٱلرِّيَاحِ رَوَاحَا
يَحْيَا بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ مَزْحًا وَيَعْتَقِدُ ٱلْمِزَاحَ مُزَاحَا
يَا أَهْلَ وِدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ طَمَعٌ فَيَنْعَمَ بَالُهُ ٱسْتِرْوَاحَا
مُذْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي لِيَ أَنَّةٌ مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نُوَاحَا
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ أَمِيلُ كَأَنَّنِي مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ سُقِيتُ ٱلرَّاحَا
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِحَاحَا
سَقْيًا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ (٥) كَانَتْ لَيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَاحَا
حَيْثُ ٱلْحِمَى وَطَنِي وَسُكَّانُ ٱلْغَضَا سَكَنِي وَوِرْدِي ٱلْمَاءَ فِيهِ مُبَاحَا
وَأُهَيْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَخِيلِهِ طَرَبِي وَرَمْلَةُ وَادِيَيْهِ مَرَاحَا
وَاهًا عَلَى ذَاكَ ٱلزَّمَانِ وَطِيبِهِ أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ ٱللُّغُوبِ مُرَاحَا
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَٱلْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى ٱلْـ بَيْتَ ٱلْحَرَامَ مُلَبِّيًا سَيَّاحَا
مَا رَنَّحَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا شِيحَ ٱلرُّبَى إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمُ أَرْوَاحَا

---

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب (٢) كنى بثنيات اللوى عن الصفات الربانية.
(٣) هم الاولياء والطوباويون . وكذلك ساكنو نجد ويريد صونه عن تجلي الحضرة الالهية
(٤) يريد بالمشوق نفسه الهائمة بحبه تعالى (٥) يكني عن زمان زجاه بالبر والصلاح مع الاولياء

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ ٱلْكَرْمُ

(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو الحقّ تعالى . وقد يُراد (بالذكر) الذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله عندهُ من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا شراب المحبة الالهيّة الناشئة من شهود اثار الاسماء الجماليّة لحضرة العليّة . وقولهُ (سكرنا) أي غبنا لذّةً وطربًا بنشأة تلك الخمرة . وقولهُ (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : ألستُ انا ربكم قبل ان يخلق الكرم الى الوجود

لَهَا ٱلْبَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

هذا البيت عجيب في بابهِ فانهُ مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلال و لنجم وكذلك الكاس والادارة والمزج . وقولهُ : لها البدر كاسٌ اي قلب العالم المحقق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهيّة التي تفيض انوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها واشراقها . وقولهُ يديرها اي ينشر اسماء تلك الحضرة الالهية وصفاتها . وقولهُ هلالٌ هو ذاك البدر الا انهُ محتجب

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا ٱهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا ٱلْوَهْمُ

يقول : لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديتُ الى الاسماء الحُسنى والصفات العليا لان عبيرها عطّر الاكوان . وقولهُ : لولا سناها الخ كنى بهِ عن النور الروحاني الذي بضوءِ ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا ٱلدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ ٱلنُّهَى كَتْمُ

يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق . ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشريّة خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي ٱلْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلَا عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمُ

يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصبحون سكارى ويغيبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ ٱلدِّنَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي ٱلْحَقِيقَةِ إِلَّا ٱسْمُ

يقول : انهُ بتقاصر الهمم الروحانيّة على نيل هذه المدامة ولانحراف قلوب البشر اختفت

العلوم الالهيّة شيئاً فشيئاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبقَ منها الّا الاسم

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الْهَمُّ

يقول ان تجلّي العزّة الالهيّة يبدّد كل غمّ ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النَّدْمَانُ خَتْمَ إِنَائِهَا لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتْمُ

يقول ان أثر التجلّي الربّاني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقْعَداً مَشَى وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَى مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيبِهَا وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُّ

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرّاً عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوا تُرْبَ أَرْضِهَا وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

وَفَوْقَ لِوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

تُهَذِّبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى فَيَهْتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لَا لَهُ عَزْمُ

وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفُّهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ

وَلَوْ نَالَ فَدْمُ الْقَوْمِ لَثْمَ فِدَامِهَا لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّثْمُ

اراد الشاعر بهذه الابيات صفة ما تنتجهُ الحضرة الالهيّة في البشر وذوي العاهات من برء اسقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانيّة وان أرادوا نهج المسالك الربّانيّة

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوًا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

قد جمع الشاعر اوصافهُ عزَّ وجلَّ فان هذه الصفات باعتبار تجلّي حقيقتها الغيبيّة عليهِ ظاهرة لهُ باربعة اوصاف الصفاء واللطف والضياء والروح فهي روح مجرد عن كثافات العناصر الاربعة بعيدة عن كل جسم حسّي

تَقَدَّمَ كُلَّ ٱلْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

يُريد ان وجود الله قد سبق وجود الكائنات باجمعها قبلما تُبدع الصُور الحسيَّة في عالم الكون

وَقَامَتْ بِهَا ٱلْأَشْيَاءُ ثَمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا ٱحْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وانما قد خفيَت عن الخطأة والذين لم يُدركوا الالهيَّات

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا ٱتِّحَادًا وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

يقول انهُ لفرط شغفهِ بهذه الحكمة الربَّانيَّة قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا وَقَبْلِيَّةُ ٱلْأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا حَتْمُ

وَقَالُوا شَرِبْتَ ٱلْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ ٱلَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ ٱلْإِثْمُ

ان هذا البيت ردٌّ على من اتهمهُ بشرب الخمرة فيقول ان سكرهُ لا بالخمرة المعتصرة من العنب بل بالعزَّة الالهيَّة التي هام بحبها

هَنِيئًا لِأَهْلِ ٱلدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلٰكِنَّهُمْ هَمُّوا

يقول انهُ يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة الجمال الالهي

وَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ ٱلْعَظْمُ

يقول ان قلبهُ تشرَّب محبة الله فلا يعدمها وان فاجأتهُ المنيَّة

فَمَا سَكَنَتْ وَٱلْهَمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذٰلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ ٱلنَّغَمِ ٱلْغَمُّ

فَلَا عَيْشَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيًا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ ٱلْحَزْمُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

هذا القول اغراء بشرب هذه المدامة السماويَّة التي اضحت مبدأ كل سرور فانها حيثما حلَّت تضمحلُّ اكدار العالم وخطوب الدهر

ألْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي ٱلْوَصْفِ

وصف المطر والسحابة

٦٧ أَخْبَرَنَا عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ فَقَالَ: ٱسْتَقَلَّ سَدٌّ مَعَ ٱنْتِشَارِ ٱلطَّفَلِ فَشَصَا وَٱحْزَأَلَّ. ثُمَّ ٱكْفَهَرَّتْ أَرْجَاؤُهُ. وَٱحْمَوْمَتْ أَرْحَاؤُهُ. وَٱبْذَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ. وَتَضَاحَكَتْ بَوَارِقُهُ. وَٱسْتَطَارَ وَادِقُهُ. وَٱرْتَتَقَتْ جُوَبُهُ. وَٱرْثَعَنَّ هَيْدَبُهُ. وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ. وَٱسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ. وَٱنْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ. فَٱلرَّعْدُ مُرْتَجِسٌ. وَٱلْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ. وَٱلْمَاءُ مُنْبَجِسٌ. فَأَتْرَعَ ٱلْغُدُرَ. وَأَنْبَثَ ٱلْوُجُرَ. وَخَاطَ ٱلْأَوْعَالَ بِٱلْآجَالِ. وَقَرَنَ ٱلصِّيرَانَ بِٱلرِّئَالِ. فَلِلْأَوْدِيَةِ هَدِيرٌ. وَلِلشِّرَاجِ خَرِيرٌ. وَلِلتِّلَاعِ زَفِيرٌ. وَحَطَّ ٱلنَّبْعَ وَٱلْعُتْمَ مِنَ ٱلْقُلَلِ ٱلشُّمِّ. إِلَى ٱلْقِيعَانِ ٱلصُّحْمِ. فَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِمٌ. أَوْ دَاحِضٌ مُجْرَجِمٌ. وَذٰلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ ٱلْمُذْنِبِينَ

٦٨ أَخْبَرَ ٱلْأَصْمَعِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنْ مَطَرٍ صَابَ بِلَادَهُمْ فَقَالَ: نَشَأَ عَارِضًا. فَطَلَعَ نَاهِضًا. ثُمَّ ٱبْتَسَمَ وَامِضًا. فَٱعْتَنَّ فِي ٱلْأَقْطَارِ فَأَشْجَاهَا. وَٱمْتَدَّ فِي ٱلْآفَاقِ فَغَطَّاهَا. ثُمَّ ٱرْتَجَزَ فَهَمْهَمَ. ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ. فَأَرَكَّ وَدَثَّ وَبَغَشَ. ثُمَّ قَطْقَطَ فَأَفْرَطَ. ثُمَّ دَيَّمَ فَأَغْمَطَ. ثُمَّ رَكَدَ فَأَثْجَمَ. ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ. وَجَادَ فَأَنْعَمَ. فَقَمَسَ ٱلرُّبَى.

وَأَفْرَطَ ٱلزُّبَى . سَبْعًا تِبَاعًا . مَا يُرِيدُ ٱنْقِشَاعًا . حَتَّى إِذَا ٱرْتَوَتِ ٱلْحُزُونُ .
وَتَضَحْضَحَتِ ٱلْمُتُونُ . سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ

٦٩ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ غَنِيٍّ يَذْكُرُ مَطَرًا أَصَابَهُمْ فِي غِبِّ جَدْبٍ فَقَالَ: تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ وَقَدْ كَلِبَتِ ٱلْأَمْحَالُ . وَتَقَاصَرَتِ ٱلْآمَالُ . وَعَكَفَ ٱلْيَاسُ . وَكُظِمَتِ ٱلْأَنْفَاسُ . وَأَصْبَحَ ٱلْمَاشِي مُصْرِمًا . وَٱلْمُتْرِبُ مُعْدِمًا . وَجُفِيَتِ ٱلْحَلَائِلُ . وَٱمْتُهِنَتِ ٱلْعَقَائِلُ . فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَامًا . كَنَهْوَرًا سَجَّامًا . بُرُوقُهُ مُتَأَلِّقَةٌ وَرُعُودُهُ مُتَقَعْقِعَةٌ . فَسَحَّ سَاجِيًا رَاكِدًا ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوَاقٍ . ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ ٱلشَّمَالَ فَطَحَرَتْ رُكَامَهُ . وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ . فَٱنْقَشَعَ مَحْمُودًا . وَقَدْ أَحْيَا فَأَغْنَى . وَجَادَ فَأَرْوَى . فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا تُكَتُّ نِعَمُهُ . وَلَا تَنْفَدُ قِسَمُهُ . وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ . وَلَا يَنْزُرُ نَائِلُهُ

٧٠ وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ : مَرَرْتُ بِغِلْمَةٍ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِيَ ٱلْغَيْثَ وَأُعْطِيَهُ دِرْهَمًا . فَقَالُوا : كُلُّنَا يَصِفُ (وَهُمْ ثَلَاثَةٌ) . فَقُلْتُ: صِفُوا فَأَيُّكُمْ ٱرْتَضَيْتُ صِفَتَهُ أَعْطَيْتُهُ ٱلدِّرْهَمَ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : عَنَّ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا تَسُوقُهُ ٱلصَّبَا وَتَحْدُوهُ ٱلْجَنُوبُ . يَحْبُو حَبْوَ ٱلْمُعْتَنِكِ حَتَّى إِذَا ٱزْلَأَمَّتْ صُدُورُهُ . وَٱنْثَجَلَتْ خُصُورُهُ . وَرَجَّعَ هَدِيرُهُ . وَأَصْعَقَ زَئِيرُهُ . وَٱسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ . وَتَلَاءَمَ خَصَاصُهُ . وَٱرْتَعَجَ ٱرْتِعَاصُهُ . وَأَوْفَدَتْ سِقَابُهُ . وَٱمْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ . تَدَارَكَ وَدْقُهُ . وَتَأَلَّقَ بَرْقُهُ . وَحَفَزَتْ تَوَالِيهِ . وَٱنْسَفَحَتْ عَزَالِيهِ .

فَغَادَرَ ٱلثَّرَى عَمِدًا. وَٱلْعَزَازَ ثَئِدًا. وَٱلْحُثَّ عَقِدًا. وَٱلضَّحَاضِحَ مُتَوَاصِيَةً. وَٱلشِّعَابَ مُتَدَاعِيَةً. (قَالَ ٱلْآخَرُ): تَرَاءَتِ ٱلْمَخَايِلُ مِنَ ٱلْأَقْطَارِ. تَحِنُّ حَنِينَ ٱلْعِشَارِ. وَتَتَرَامَى بِشُهُبِ ٱلنَّارِ. قَوَاعِدُهَا مُتَلَاحِكَةٌ. وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَنَاذِفَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ. فَوَصَلَتِ ٱلْغَرْبَ بِٱلشَّرْقِ. وَٱلْوَبْلَ بِٱلْوَدْقِ. سَحًّا دِرَاكًا. مُتَتَابِعًا لِكَاكًا. فَضَحْضَحَتِ ٱلْجَفَاجِفَ. وَأَنْهَرَتِ ٱلصَّفَاصِفَ. وَحَوَّضَتِ ٱلْأَصَالِفَ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحْسِبَةً مَحْمُودَةَ ٱلْآثَارِ. مَوْقُوفَةَ ٱلْجِبَارِ. (وَقَالَ ٱلثَّالِثُ): وَٱللّٰهِ مَا خِلْتُهُ بَلَغَ خَمْسًا: هَلُمَّ ٱلدِّرْهَمَ أَصِفْ لَكَ. فَقُلْتُ: لَا أَوْ تَقُولَ كَمَا قَالَا. فَقَالَ: وَٱللّٰهِ لَأُبَذَّنَّهُمَا وَصْفًا. وَلَأُفُوقَنَّهُمَا رَصْفًا. قُلْتُ: هَاتِ لِلّٰهِ أَبُوكَ. فَقَالَ: بَيْنَا ٱلْحَاضِرُ بَيْنَ ٱلْيَاسِ. وَٱلْإِبْلَاسِ. قَدْ غَمَرَهُمُ ٱلْإِشْفَاقُ. رَهْبَةَ ٱلْإِمْلَاقِ. قَدْ حَقِبَتِ ٱلْأَنْوَاءُ. وَرَفْرَفَ ٱلْبَلَاءُ. وَٱسْتَوْلَى ٱلْقُنُوطُ عَلَى ٱلْقُلُوبِ. وَكَثُرَ ٱلِٱسْتِغْفَارُ مِنَ ٱلذُّنُوبِ. ٱرْتَاحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ. فَأَنْشَأَ سَحَابًا مُسْبَجِرًّا كَنَهْوَرًا. مُعْنَوْنِكًا مُحْلَوْلِكًا. ثُمَّ ٱسْتَقَلَّ وَٱحْزَأَلَّ. فَصَارَ كَٱلسَّمَاءِ دُونَ ٱلسَّمَاءِ. وَكَٱلْأَرْضِ ٱلْمَدْحُوَّةِ فِي لَوْحِ ٱلْهَوَاءِ. فَأَحْسَبَ ٱلسُّهُولَ. وَأَتْأَقَ ٱلْهُجُولَ. وَأَحْيَا ٱلرَّجَاءَ. وَأَمَاتَ ٱلضَّرَّاءَ. وَذٰلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. (قَالَ): فَمَلَأَ وَٱللّٰهِ ٱلْيَفَعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دِرْهَمًا وَكَتَبْتُ كَلَامَهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَدْهَمَ): وَطَالَمَا ٱمْتَطَيْتُ صَهْوَةَ مُطَهَّمٍ.

نَهْدٍ . فَغَنِيتُ عَنْ نَشْوَةِ ٱلْكُمَيْتِ مِنْ ذَاتِ نَهْدٍ . يُسَابِقُ ٱلرِّيحَ فَيغبرُ فِي وَجْهِهَا دُونَ شَقِّ غُبَارِهِ . وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسْرَى فِي مِضْمَارِهِ . نُسِبَ إِلَى ٱلْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي ٱلْكَرِّ وَٱلْفَرِّ . وَقَدْ حَنِقَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ ٱلشَّمْسِ إِذْ لَا يُمكِنُهَا أَنْ تَرْسُمَ ظِلَّهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِذَا مَرَّ . لِيلِيِّ ٱلْإِهَابِ لَطَمَ جَبِينَهُ ٱلصَّبَاحُ بِبَهَائِهِ . فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاضَ يَقْتَصُّ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . كَمَا قَالَ ٱبْنُ نُبَاتَةَ ٱلسَّعْدِيُّ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ ٱلصَّبَاحُ جَبِينَهُ ... فَٱقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

وَقَدْ أَغْتَدِي عَلَيْهِ وَٱلطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا فَلَا يَفُوتُنِي ٱلْأَجْدَلُ . وَإِذَا أَطْلَقْتُهُ لِصَيْدِ ٱلْوَحْشِ رَأَيْتَنِي عَلَى مُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(وَقُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ هَجِينٍ) : فَرَسٌ لَهُ مِنَ ٱلْعَرَبِيَّةِ حَسَبٌ وَمِنَ ٱلْكُرْدِيَّةِ نَسَبٌ . فَهُوَ مِنْ بَيْنِهِمَا مُسْتَنْتَجٌ . لَا يَنْتَسِبُ إِلَى خُبَيْبٍ وَلَا إِلَى أَعْوَجَ . وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبُ ٱللَّبَانِ . عَرِيضُ ٱلْبِطَانِ . سَلِسُ ٱلْعِنَانِ . يَنْثَنِي عَلَى قَدْرِ ٱلطِّعَانِ . وَعَلَى قَدْرِ ٱلْكُرَةِ وَٱلصَّوْلَجَانِ . قَدِ ٱسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَادِمًا وَمُتَأَخِّرًا . فَإِذَا أَقْبَلَ خِلْتَهُ مُرْتَفِعًا . وَإِذَا أَدْبَرَ خِلْتَهُ مُنْحَدِرًا . كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ دُمْيَةُ مِحْرَابٍ . وَفِي خَلْقِهِ ذُرْوَةُ هِضَابٍ . وَهُوَ فِي سِبَاقِهِ وَلِحَاقِهِ مُخَلَّقٌ بِخُلُقِ ٱلْمِضْمَارِ . وَبِدَمِ ٱلسِّرَابِ وَٱلصِّوَارِ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى ذَوَاتِ ٱلْقَوَادِمِ . وَإِنْ كَانَ مَحْسُوبًا فِي ذَوَاتِ ٱلْقَوَائِمِ . كَأَنَّمَا ثَنَى لِجَامَهُ عَلَى سَالِفَةِ عُقَابٍ . وَشَدَّ حِزَامَهُ عَلَى بَارِقَةِ سَحَابٍ

(الوشي المرقوم لابن الأثير)

سفر البحر

٧٢ لَمَّا رَكِبْنَا ٱلْبَحْرَ. وَحَالُنَا مِنْهُ بَيْنَ ٱلسَّحْرِ وَٱلنَّحْرِ. شَاهَدْنَا مِنْ أَهْوَالِهِ. وَتَنَافِي أَحْوَالِهِ. مَا لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ. وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُ

أَلْبَحْرُ صَعْبُ ٱلْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ مَاءً وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ

فَكَمِ ٱسْتَقْبَلَتْنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهٍ بَوَاسِرَ. وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ عِقْبَانٌ كَوَاسِرُ. قَدْ أَزْعَجَتْهَا أَكُفُّ ٱلرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا. كَمَا نَبَّهَتِ ٱللُّجَجَ مِنْ سُكْرِهَا. فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا. فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا. وَلِلرِّيَاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا. وَتَيَقَّنَّا أَنَّا لَا نَجِدُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا فَضْلَ ٱللهِ مُجِيرًا وَخَفِيرًا. وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ. وَأَيِسْنَا مِنَ ٱلْحَيَاةِ لِصَوْتِ تِلْكَ ٱلْعَوَاصِفِ وَٱلْمِيَاهِ. فَلَا حَيَّا ٱللهُ ذٰلِكَ ٱلْهَوْلَ ٱلْمُزْعِجَ وَلَا بَيَّاهُ. وَٱلْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ ٱلرِّيَاحِ فَيَطْرَبُ بَلْ وَيَضْطَرِبُ. فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ ٱلْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ. فَيَبْتَعِدُ وَيَقْتَرِبُ وَفِرَقُهُ تَلْتَطِمُ وَتَصْطَفِقُ. وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّفِقُ. فَتَخَالُ ٱلْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا. وَتَجْذُبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا. حَتَّى كَادَ سَطْحُ ٱلْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا. وَعَنَانُ ٱلسُّحُبِ يُخْطَفُ فِي ٱسْتِقْلَالِهَا. وَقَدْ أَشْرَفَتِ ٱلنُّفُوسُ عَلَى ٱلتَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَٱعْتِلَالِهَا. وَآذَنَتِ ٱلْأَحْوَالُ بَعْدَ ٱنْتِظَامِهَا بِٱخْتِلَالِهَا. وَسَاءَتِ ٱلظُّنُونُ. وَتَرَاءَتْ فِي صُوَرِهَا ٱلْمَنُونُ. وَٱلشِّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ ٱلْأَمْوَاجِ. ٱلَّتِي أَمَدَّتْ

مِنْهَا ٱلْأَفْوَاجُ بِٱلْأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ قُعُودٌ . كَدُودٍ عَلَى عُودٍ . مَا بَيْنَ فُرَادَى وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنَ ٱلْقَلَقِ أَمْكِنَتُنَا . وَخَرِسَتْ مِنَ ٱلْفَرَقِ أَلْسِنَتُنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْوُجُودِ أَغْوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا ٱلسَّمَاءُ وَٱلْمَاءُ وَذٰلِكَ ٱلسَّفِينُ . وَمَنْ فِي قَبْرٍ جَوْفِهِ دَفِينٌ . مَعَ تَرَقُّبِ هُجُومِ ٱلْعَدُوِّ فِي ٱلرَّوَاحِ وَٱلْغُدُوِّ . فَزَادَنَا ذٰلِكَ ٱلْحَذَرُ ٱلَّذِي لَمْ يُبْقِ وَلَمْ يَذَرْ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ ٱلْبَحْرِ قَلَقًا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مَيْدَانِ ٱلْإِلْقَاءِ بِٱلْيَدِ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ طَلَقًا . وَتَشَتَّتَتْ أَفْكَارُنَا فِرَقًا . وَذُبْنَا أَسًى وَنَدَمًا وَفَرَقًا . إِلَى أَنْ قَضَى ٱللّٰهُ بِٱلنَّجَاةِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ ٱلْكَائِنُ . وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ ٱلْمَائِنُ . فَرَأَيْنَا ٱلْبَرَّ وَكَأَنَّنَا قَبْلُ لَمْ نَرَهُ . وَشُفِيَتْ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنَ ٱلْمَرَهِ . وَحَصَلَ بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ ٱلْفَرَجُ . وَشَمِمْنَا مِنَ ٱلسَّلَامَةِ أَطْيَبَ ٱلْأَرَجِ (نفح الطيب للمقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مُلُوكًا وَأُمَرَاءَ . وَأَوْجُهُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ . وَأَلْسِنَتُهُمْ لِلْفَصَاحَةِ . وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ . وَعُقُولُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ . وَسَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مَشْهُورٌ بِسِيَادَتِهِمْ . وَوَاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ . كَانَ رَضِيَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ . وَجَعَلَ ٱلْجَنَّةَ مَأْوَاهُ . غُرَّةَ ٱلزَّمَانِ . وَعِمَادَ ٱلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ سِدَادُ ٱلثُّغُورِ . وَسَدَادُ ٱلْأُمُورِ . وَكَانَتْ وَقَائِعُهُ فِي عُصَاةِ ٱلْعَرَبِ تَكُفُّ بَأْسَهَا وَتَفُلُّ أَنْيَابَهَا . وَتُذِلُّ صِعَابَهَا . وَتَكْفِي ٱلرَّعِيَّةَ سُوءَ آدَابِهَا . وَغَزَوَاتُهُ تُدْرِكُ مِنْ طَاغِيَةِ ٱلرُّومِ ٱلثَّارَ . وَتَحْسِمُ شَرَّهُمُ ٱلْمُثَارَ . وَتُحْسِنُ فِي ٱلْإِسْلَامِ

ٱلْآثَارِ. وَحَضْرَتُهُ مَقْصِدُ ٱلْوُفُودِ. وَمَطْلِعُ ٱلْجُودِ. وَقِبْلَةُ ٱلْآمَالِ وَمَحَطُّ ٱلرِّحَالِ. وَمَوْسِمُ ٱلْأُدَبَاءِ. وَحَلْبَةُ ٱلشُّعَرَاءِ. وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ بِبَابِ أَحَدٍ مِنَ ٱلْمُلُوكِ بَعْدَ ٱلْخُلَفَاءِ مَا ٱجْتَمَعَ بِبَابِهِ مِنْ شُيُوخِ ٱلشِّعْرِ وَنُجُومِ ٱلدَّهْرِ. وَإِنَّمَا ٱلسُّلْطَانُ سُوقٌ يُجْلَبُ إِلَيْهَا مَا يَنْفُقُ لَدَيْهَا. وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مُحِبًّا لِجَيِّدِ ٱلشِّعْرِ شَدِيدَ ٱلْاهْتِزَازِ لِمَا يُمْدَحُ بِهِ. فَلَوْ أَدْرَكَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ زَمَانَهُ لَمَا ٱحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَقُولَ:

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ تَهُزُّهُمْ مُدَّاحُهُمْ ... هَزَّ ٱلْكُمَاةِ عَوَالِيَ ٱلْمُرَّانِ
كَانُوا إِذَا ٱمْتُدِحُوا رَأَوْا مَا فِيهِمِ ... فَٱلْأَرْيَحِيَّةُ فِيهِمِ بِمَكَانِ

وَكَانَ كُلٌّ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْفَيَّاضِ ٱلْكَاتِبِ وَأَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلسُّمَيْسَاطِيِّ قَدِ ٱخْتَارَ مِنْ مَدَائِحِ ٱلشُّعَرَاءِ لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ عَشَرَةَ آلَافِ بَيْتٍ كَقَوْلِ ٱلْمُتَنَبِّي:

خَلِيلَيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ ... فَلِمْ مِنْهُمُ ٱلدَّعْوَى وَمِنِّي ٱلْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ ٱلسُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ... وَلٰكِنَّ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْيَوْمَ وَاحِدُ
لَهُ مِنْ كَرِيمِ ٱلطَّبْعِ فِي ٱلْحَرْبِ مُنْتَضٍ ... وَمِنْ عَادَةِ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلصَّفْحِ غَامِدُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ ... تَيَقَّنْتُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ
أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رِقَابَهُمُ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدُ
بِذَا قَضَتِ ٱلْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا ... مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَمِنْ شَرَفِ ٱلْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمِ ... عَلَى ٱلْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ ... وَأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

وَكُلٌّ يَرَى طُرُقَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَى ... وَلَكِنَّ طَبْعَ ٱلنَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
نَهَبْتَ مِنَ ٱلْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
فَأَنْتَ حُسَامُ ٱلْمُلْكِ وَٱللهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْتَ لِوَاءُ ٱلدِّينِ وَٱللهُ عَاقِدُ
أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ ٱلزَّمَانِ وَبَدْرَهُ ... وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ ٱلسُّهَى وَٱلْفَرَاقِدُ
وَذَاكَ لِأَنَّ ٱلْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيْسَ لِأَنَّ ٱلْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

وَكَقَوْلِ ٱلسَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ٱلْمَوْصِلِيِّ :

أَغُرَّتُكَ ٱلشِّهَابُ أَمِ ٱلنَّهَارُ ... أَرَاحَتُكَ ٱلسَّحَابُ أَمِ ٱلْبِحَارُ
خُلِقْتَ مَنِيَّةً وَمُنًى فَأَضْحَتْ ... تَمُورُ بِكَ ٱلْبَسِيطَةُ أَوْ تُمَارُ
تُحَلِّي ٱلدِّينَ أَوْ تَحْمِي حِمَاهُ ... فَأَنْتَ عَلَيْهِ سُورٌ أَوْ سِوَارُ
سُيُوفُكَ مِنْ شُكَاةِ ٱلثَّغْرِ بُرْءٌ ... وَلَكِنْ لِلْعِدَى فِيهَا بَوَارُ
وَكَفُّكَ ٱلْغَمَامُ ٱلْجَوْدُ يَسْرِي ... وَفِي أَحْشَائِهِ مَاءٌ وَنَارُ
يَسَارٌ مِنْ سَجِيَّتِهَا ٱلْمَنَايَا ... وَيُمْنَى مِنْ عَطِيَّتِهَا ٱلْيَسَارُ
حَضَرْنَا وَٱلْمُلُوكُ لَهُ قِيَامٌ ... تَغُضُّ نَوَاظِرًا فِيهَا ٱنْكِسَارُ
وَزُرْنَا مِنْهُ لَيْثَ ٱلْغَابِ طَلْقًا ... وَلَمْ نَرَ قَبْلَهُ لَيْثًا يُزَارُ
فَكَانَ لِجَوْهَرِ ٱلْمَجْدِ ٱنْتِظَامٌ ... وَكَانَ لِجَوْهَرِ ٱلْحَمْدِ ٱنْتِشَارُ
فَعِشْتَ مُخَيَّرًا لَكَ فِي ٱلْأَمَانِي ... وَكَانَ عَلَى ٱلْعَدُوِّ لَكَ ٱلْخِيَارُ
فَضَيْفُكَ لِلْحَيَا ٱلْمُنْهَلِّ ضَيْفٌ ... وَجَارُكَ لِلرَّبِيعِ ٱلطَّلْقِ جَارُ

وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ ٱلْحَارِثِ بْنِ سَعِيدٍ ٱلْحَمْدَانِيِّ :

أَشِدَّةٌ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمُ ... تَجُودُ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْأَرْوَاحُ تَصْطَلِمُ

يَا بَاذِلَ ٱلنَّفْسِ وَٱلْأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا أَمَا يَهُولُكَ لَا مَوْتٌ وَلَا عَدَمُ
لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ ٱلْجَحْفَلَيْنِ تَرَى أَنَّ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا تَصِمُ
نَشَدْتُكَ ٱللهَ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسِ عُلًى حَيَاةُ صَاحِبِهَا تَحْيَا بِهَا أُمَمُ
هِيَ ٱلشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ وَكُلُّ فَضْلِكَ لَا قَصْدٌ وَلَا أَمَمُ
إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ ٱلْبِيضِ مُنْفَرِدًا تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ فَلَمْ تُسْتَكْثَرِ ٱلْخَدَمُ
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلْقَى ٱلْقِتَالَ بِهِ وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْبُهَمُ
تَضَنُّ بِٱلطَّعْنِ عَنَّا ضَنَّ ذِي بَخَلٍ وَمِنْكَ فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرَفُ ٱلْكَرَمُ
لَا تَبْخَلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو ٱلْهَيْجَاءِ دُونَهُمُ
أَلْبَسْتَ مَا لَبِسُوا رَكِبْتَ مَا رَكِبُوا عَرَفْتَ مَا عَرَفُوا عَلِمْتَ مَا عَلِمُوا
هُمُ ٱلْفَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمِ أَسَلٌ فَإِنْ رَأَوْكَ فَأُسْدٌ وَٱلْقَنَا أَجَمُ

وَكَقَوْلِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلنَّامِي :

خُلِقْتَ كَمَا أَرَادَتْكَ ٱلْمَعَالِي فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
عَجِيبٌ أَنَّ سَيْفَكَ لَيْسَ يُرْوَى وَسَيْفُكَ فِي ٱلْوَرِيدِ لَهُ وُرُودُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُمْحُكَ حِينَ يُسْقَى فَيَصْحُو وَهْوَ نَشْوَانٌ يَمِيدُ

وَكَقَوْلِ أَبِي نَصْرِ بْنِ نُبَاتَةَ وَهُوَ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدَّعِيكَ ٱلْعُرْبُ وَاحِدَهَا يَا مَنْ تُرَى قَدَمَيْهِ طِينَةُ ٱلْعَرَبِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهٌ مِثْلُ أَوْجُهِهِمْ عِنْدَ ٱلْعِيَانِ فَلَيْسَ ٱلصُّفْرُ كَٱلذَّهَبِ
وَإِنْ يَكُنْ لَكَ نُطْقٌ مِثْلُ نُطْقِهِمُ فَلَيْسَ مِثْلَ كَلَامِ ٱللهِ فِي ٱلْكُتُبِ

وَكَادَتْ غَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ تَفِيضُ . وَمَآثِرُ كَرَمِهِ تَسْتَفِيضُ .

فَتُؤَرِّخُ بِهَا أَيَّامُ ٱلْمَجْدِ وَتُخَلَّدُ فِي صَحَائِفِ حُسْنِ ٱلذِّكْرِ (اليتيمة للثعالبي)

٧٤ قال بشر بن ابي عوانة يصف قتالهُ الاسد وقتلهُ اياهُ

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدتِّ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى ٱلْهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا
إِذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا أَمَّ لَيْثًا هِزَبْرًا أَغْلَبًا لَاقَى هِزَبْرَا
تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ ٱلْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهِرَّا
يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِٱللَّحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي ٱلْحَدِّ أَبْقَى بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ ٱلْمَوْتِ أَثْرَا
نَصَحْتُكَ فَٱلْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرَّا
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْهُ كَفِّي بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ قَتَلْتُ عَمْرَا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ ٱلنُّصْحَ غِشٌّ وَخَالَ مَقَالَتِي زُورًا وَهُجْرَا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا
سَلَلْتُ لَهُ ٱلْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى ٱلظَّلْمَاءِ فَجْرَا
وَأَطْلَقْتُ ٱلْمُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْأَضْلَاعِ عَشْرَا
فَخَرَّ مُضَرَّجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّا
بِضَرْبَةِ فَيْصَلٍ تَرَكَتْهُ شَفْعًا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وِتْرَا
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلَدًا وَقَهْرَا

وَلٰكِنْ رُمْتَ أَمْرًا لَمْ يَرُمْهُ   سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا   يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرَّا

١٥   صفة النفس لابن سيناء الرئيس

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ   وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ   وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ
وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا   كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَوَجُّعِ
أَنِفَتْ وَمَا سَكَنَتْ فَلَمَّا اسْتَأْنَسَتْ   أَلِفَتْ مُجَاوَرَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ
وَأَظُنُّهَا نَسِيَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى   وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَاءِ هُبُوطِهَا   مِنْ مِيمِ مَرْكَزِهَا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
عَلِقَتْ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ   بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخُضَّعِ
تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى   بِمَدَامِعٍ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
وَتَظَلُّ سَاجِعَةً عَلَى الدِّمَنِ الَّتِي   دَرَسَتْ بِتَكْرَارِ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ
إِذْ عَاقَهَا الشَّرَكُ الْكَثِيفُ وَصَدَّهَا   قَفَصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْبُعِ
حَتَّى إِذَا قَرُبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحِمَى   وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخَلَّفٍ   فِيهَا حَلِيفَ التُّرْبِ غَيْرَ مُشَيَّعِ
هَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ فَأَبْصَرَتْ   مَا لَيْسَ يُدْرَكُ بِالْعُيُونِ الْهُجَّعِ
وَبَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ   وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
فَلِأَيِّ شَيْءٍ أُهْبِطَتْ مِنْ شَامِخٍ   سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا الْإِلٰهُ لِحِكْمَةٍ   طُوِيَتْ عَنِ الْفَذِّ اللَّبِيبِ الْأَرْوَعِ

فَهُبُوطُهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةَ لَازِبٍ ... لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ يُسْمَعِ
وَتَكُونَ عَالِمَةً بِكُلِّ حَقِيقَةٍ ... فِي ٱلْعَالَمِينَ وَخَرْقُهَا لَمْ يُرْقَعِ
وَهِيَ ٱلَّتِي قَطَعَ ٱلزَّمَانُ طَرِيقَهَا ... حَتَّى لَقَدْ غَرَبَتْ بِغَيْرِ ٱلْمَطْلَعِ
فَكَأَنَّهَا بَرْقٌ تَأَلَّقَ بِٱلْحِمَى ... ثُمَّ ٱنْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعِ

٧٦ قال عليّ بن محمد الايادي يصف أُسطول القائم فأجاد ما أراد

إِعْجَبْ لِأُسْطُولِ ٱلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ ... وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ ٱلْمُسْتَغْرَبِ
لَبِسَتْ بِهِ ٱلْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ ... يَبْدُو لِعَيْنِ ٱلنَّاظِرِ ٱلْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ ... إِشْرَافَ صَدْرِ ٱلْأَجْدَلِ ٱلْمُتَنَصِّبِ
دَهْمَاءَ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصَنُّعٍ ... تَسْبِي ٱلْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرَهُّبِ
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ فِي ٱلْهَوَاءِ مُنَشَّرٍ ... مِنْهَا وَأَسْحَمَ فِي ٱلْخَلِيجِ مُغَيَّبِ
كَمُرَاءَةٍ فِي ٱلْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرُهَا ... فِي ٱلْبَحْرِ أَنْفَاسَ ٱلرِّيَاحِ ٱلشُّذَّبِ
مَحْفُوفَةٍ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ ... فِي ٱلْجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ
كَقَوَادِمِ ٱلنَّسْرِ ٱلْمُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ ... مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ ٱلْمُتَهَدِّبِ
وَتَحُثُّهَا أَيْدِي ٱلرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ ... بِمُصَعِّدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مُصَوَّبِ
خَرْقَاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا ... فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَاحِ وَمَذْهَبِ
جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا ... يَوْمَ ٱلرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ
وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ بِطَيْرِهَا ... طَوْعَ ٱلرِّيَاحِ وَرَاحَةَ ٱلْمُتَطَرِّبِ
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ ٱلْعُبَابِ مُطَارَةً ... فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ ٱلْقَطَا ... طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ ٱجْتِمَاعَ ٱلرَّبْرَبِ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلِ ٱلْأَهِلَّةِ جُنَّحٍ لَحِقَ ٱلْمُطَالِبِ فَائِتَاتِ ٱلْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً وَيَجِئْنَ فِعْلَ ٱلطَّائِرِ ٱلْمُتَغَلِّبِ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةٍ تَخْتَالُ فِي عُدَدِ ٱلسِّلَاحِ ٱلْمُرْهِبِ
فَكَأَنَّمَا ٱلْبَحْرُ ٱسْتَعَارَ بِزِيِّهِمْ ثَوْبَ ٱلْجَمَالِ مِنَ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمُذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنّسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ سِرْنَا كَمَا هَيَّجْتَ آسَادًا غِضَابَا
أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَى طِعَانًا صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا
دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا
صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا
وَكُنَّا كَٱلسِّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
فَلَمَّا ٱشْتَدَّتِ ٱلْهَيْجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدَّ نَابَا
وَأَمْنَعَ جَانِبًا وَأَعَزَّ جَارًا وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقَلَّ عَابَا
سَقَيْنَا بِٱلرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ بِبَطْنِ ٱلْعَنْتَرِ ٱلسُّمَّ ٱلْمُذَابَا
وَسِرْنَا بِٱلْخُيُولِ إِلَى نُمَيْرٍ تُجَاذِبُنَا أَعِنَّتَهَا جِذَابَا
وَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لَا غِيَاثٌ دَعَوْهُ لِلْمَغُوثَةِ فَٱسْتَجَابَا
وَعَادَ إِلَى ٱلْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى ٱلرِّقَابَا
أَمَرَّ عَلَيْهِمِ خَوْفًا وَأَمْنًا أَذَاقَهُمُ بِهِ أَرْيًا وَصَابَا
أَحَلَّهُمُ ٱلْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ ٱلْعِقَابَا
دِيَارُهُمُ ٱنْتَزَعْنَاهَا ٱقْتِسَارًا وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَاهَا ٱغْتِصَابَا

وَلَوْ رُمْنَا حَمَيْنَاهَا ٱلبَوَادِي ... كَمَا تَحْمِي أُسُودُ ٱلْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَرْسَلَ ٱلْأُمَرَاءُ جَيْشًا ... إِلَى ٱلْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا ٱلْكِتَابَا
أَنَا ٱبْنُ ٱلضَّارِبِينَ ٱلْهَامَ قِدْمًا ... إِذَا كَرِهَ ٱلْمُحَامُونَ ٱلضِّرَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّا ... بِأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَهَا شِهَابَا

٧٨ لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

وَتَنُوفَةٍ مَدَّ ٱلضَّمِيرِ قَطَعْتُهَا ... وَٱللَّيْلُ فَوْقَ إِكَامِهَا يَتَرَبَّعُ
لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ ... آمَالَ ذِي ٱلْحِرْصِ ٱلَّذِي لَا يَقْنَعُ
بَاتَتْ كَوَاكِبُهُ تَحُوطُ بَقَاءَهُ ... فِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْهُ نَجْمٌ يَلْمَعُ
زُهْرٌ يُشِيرُ عَلَى ٱلصَّبَاحِ طَلَائِعًا ... حَوْلَ ٱلسَّمَاءِ فَهُنَّ حَسْرَى ضُلَّعُ
مُتَسَقِّطَاتٌ فِي ٱلْمَسِيرِ كَأَنَّهَا ... بَاتَتْ تُنَاجِي بِٱلَّذِي يُتَوَقَّعُ
وَٱلصُّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهُ غِرَّةً ... مُتَضَائِلٌ مِنْ سُحْقِهِ يَتَطَلَّعُ
مُتَنَفِّسًا فِيهِ جَبَانًا وَاهِنًا ... فِي كُلِّ لَحْظَةِ سَاعَةٍ يَتَشَجَّعُ
حَتَّى ٱنْزَوَى ٱللَّيْلُ ٱلْبَهِيمُ لِضَوْئِهِ ... وَقَدِ ٱسْتَجَابَ ظَلَامُهُ يَتَقَشَّعُ
وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا ... تَدْرِي بِوَشْلِ رِيَالِهَا مَا تَصْنَعُ
مُتَهَادِلَاتِ ٱلنُّورِ فِي آفَاقِهَا ... مُسْتَعْبِرَاتٍ فِي ٱلدُّجَى تَسْتَرْجِعُ
وَكَوَاكِبُ ٱلْجَوْزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَهَا ... لِتُعَانِقَ ٱلظَّلْمَاءَ وَهْيَ تُوَدِّعُ
وَكَأَنَّهَا فِي ٱلْجَوِّ نَعْشُ أَخٍ وَلَا ... يُبْكَى وَيُوقَفُ تَارَةً وَيُشَيَّعُ
وَكَأَنَّمَا ٱلشِّعْرَى ٱلْعَبُورُ وَرَاءَهَا ... ثَكْلَى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يَهْمَعُ
وَبَنَاتُ نَعْشٍ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرًا ... قُدَّامَهَا أَخَوَاتُهُنَّ ٱلْأَرْبَعُ

عَبْرَى هَتَكْنَ قِنَاعَهُنَّ عَلَى ٱلدُّجَى   جَزَعًا وَآلَتْ بَعْدُ لَا تَتَقَنَّعُ
وَكَأَنَّ أُفْقًا مِنْ تَلَأْلُؤِ نَجْمِهِ   عِنْدَ ٱفْتِقَادِ ٱللَّيْلِ عَيْنِي تَدْمَعُ
وَٱلْفَجْرُ فِي صَفْوِ ٱلْهَوَاءِ مُوَرَّدٌ   مِثْلَ ٱلْمُدَامَةِ فِي ٱلزُّجَاجِ تُشَعْشِعُ
يَا لَيْلُ مَالَكَ لَا تُغِيبُ كَوَاكِبًا   زَفَرَاتُهَا وَجْدًا عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
لَوْ أَنَّ لِي بِضِيَاءِ صُبْحِكَ طَاقَةً   يَا لَيْلُ كُنْتُ أَوَدُّهُ لَا أَسْطِعُ
حَذَرًا عَلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي   جَرَّعْتُهُ ٱلْغُصَصَ ٱلَّتِي تَتَجَرَّعُ
يَا صُبْحُ هَاكَ شَبِيبَتِي فَأَفُتْكْ بِهَا   وَدَعِ ٱلدُّجَى بِسَوَادِهِ يَتَمَتَّعُ
أَفْقَدْتَنِي أُنْسِي بِأَنْجُمِهَا ٱلَّتِي   أَصْبَحْتُ مِنْ فَقْدِي لَهَا أَتَوَجَّعُ

٧٩ للربيع بن زياد العبسيّ في وصف حرب

قِيدَتْ لَهُمْ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ كَالِحَةٌ   بِٱلْمَوْتِ تَسْرِي وَبِٱلْأَبْطَالِ تَقْتَسِرُ
صَرِيفُ أَنْيَابِهَا صَوْتُ ٱلْحَدِيدِ إِذَا   فَضَّ ٱلْحَدِيدَ بِهَا أَبْنَاؤُهَا ٱلْوُقُرُ
وَدَرُّهَا ٱلْمَوْتُ يَقْوَى فِي مَخَالِبِهَا   لِلْوَارِدِينَ يُوَافِي وِرْدَهَا ٱلصَّدَرُ
فِي جَوِّهَا ٱلْبِيضُ وَٱلْمَاذِيُّ مُخْتَلِطٌ   وَٱلْجُرْدُ وَٱلْمُرْدُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلسُّمُرُ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهْيَ كَالِحَةٌ   شَوْهَاءُ مِنْهَا حِمَامُ ٱلْمَوْتِ يُنْتَظَرُ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَمِيٍّ مُعْلَمٍ ذَكَرٍ   فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
مُسْتَوْرِدِينَ ٱلْوَغَى لِلْمَوْتِ رَدُّهُمُ   يَوْمَ ٱلْحِفَاظِ عَلَى رُوَّادِهِمْ عَسِرُ
لَهُمْ سَرَابِيلُ مِنْ مَاءِ ٱلْحَدِيدِ وَمِنْ   نَضْحِ ٱلدِّمَاءِ سَرَابِيلٌ لَهُمْ أُخَرُ
مُظَاهَرَاتٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَأْسِهِمِ   لَوْنَانِ جَوْنٌ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حُمُرُ
فِي يَوْمِ حَتْفٍ يَهَالُ ٱلنَّاظِرُونَ لَهُ   مَا إِنْ تَبِينُ لَهُمْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

وَٱلْبِيضُ يَهْتِفْنَ وَٱلْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ   مِمَّا تَرَى وَخُدُودُ ٱلْقَوْمِ تَنْعَفِرُ
تَكْسُوهُمُ مُرْهَفَاتٍ غَيْرَ مُجْدِبَةٍ   يَشْفِي ٱخْتِرَاطُ ظُبَاهَا مَنْ بِهِ صَعَرُ
هِنْدِيَّةٌ كَٱشْتِعَالِ ٱلنَّارِ تَقْصِمُهُمْ   بِهَا مَغَاوِيرُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غُيُرُ

٨٠ لصفيّ الدين الحلي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح ورحيلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاحِلَا   تَطْوِي ٱلْفَلَا وَتَقْطَعُ ٱلْمَرَاحِلَا
تَذَكَّرَتْ آكَامَ دَرْبَنْدَاتِهَا   وَعَافَتِ ٱلْآجَامَ وَٱلسَّوَاحِلَا
أَذْكَرَهَا عَرْفُ ٱلرَّبِيعِ إِلْفَهَا   فَأَقْبَلَتْ لِشَوْقِهَا حَوَامِلَا
تَفْرُقُ فِي ٱلْجَوِّ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ   يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَائِلَا
لَمَّا رَأَتْ حَرَّ ٱلْمَصِيفِ مُقْبِلًا   وَطِيبَ بَرْدِ ٱلْقُرِّ ظِلًّا زَائِلَا
أَهْمَلَتِ ٱلتَّخْبِيطَ فِي مَطَارِهَا   وَعَسْكَرَتْ لِسَيْرِهَا قَوَافِلَا
تَنْهَضُ مِنْ صَرْحِ ٱلْجَلِيلِ تَحْتَهَا   بِأَرْجُلٍ لِبَرْدِهِ قَوَابِلَا
قَدْ أَنِفَتْ أَيَّامُ كَانُونٍ لَهَا   مِنْ أَنْ تَرَى مِنَ ٱلْحُلَى عَوَاطِلَا
فَصَاغَتِ ٱلطَّلَّ لَهَا قَلَائِدًا   وَٱلثَّلْجَ فِي أَرْجُلِهَا خَلَاخِلَا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةٍ   وَنَبَّهَ ٱلزُّمَّيْلَ وَٱلْمَقَاوِلَا
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِهَا   نَبْهَتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلَا
ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْتَفِي آثَارَهُ   وَنَقْصِدُ ٱلْأَمْلَاقَ وَٱلْمَنَاهِلَا
وَٱلصُّبْحُ قَدْ أَعْمَنَا بِنُورِهِ   لَمَّا ٱنْثَنَى جُنْحُ ٱلظَّلَامِ رَاحِلَا
وَقَدْ أَقَمْنَا فِي ٱلْمَقَامَاتِ لَهَا   مَعَالِمًا تَحْسَبُهَا مَجَاهِلَا

نَرْشُقُهَا مِنْ تَحْتِهَا بِبُنْدُقٍ   يَعْرُجُ كَالشُّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلَا
فَمَا رَقِي تَحْتَ ٱلطُّيُورِ صَاعِدٌ   إِلَّا ٱغْتَدَى بِهَا ٱلْبَلَاءُ نَازِلَا
لِلّٰهِ أَيَّامُ بِهَوَدِ بَابِلٍ   أَضْحَى بِهَا ٱلدَّهْرُ عَلَيْنَا بَاخِلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شَمْلًا جَامِعًا   وَكَمْ صَحِبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلَا

٨١ ولصفي الدين الحلي في صفة الشمع

جَلَتِ ٱلظَّلْمَاءَ بِٱللَّهَبِ   إِذْ بَدَتْ فِي ٱللَّيْلِ كَٱلشُّهُبِ
فَٱنْجَلَتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَتْ   ظُلَمَ ٱلْأَحْزَانِ وَٱلْكُرَبِ
سَفَرَتْ كَٱلشَّمْسِ ضَاحِكَةً   مِنْ تَوَارِي ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا   ضَاحِكًا فِي زِيِّ مُنْتَحِبِ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا   وَبِهَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلضَّرَبِ
خِلْتُهَا وَٱللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ   وَنُجُومُ ٱلْأُفْقِ لَمْ تَغِبِ
قُضُبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ   فَوْقَ كُثْبَانٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيتًا مُنَضَّدَةً   بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضُبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي ٱلْعِدَى طَعَنَتْ   فَغَدَتْ مُحْمَرَّةَ ٱلْعَذَبِ
أَوْ سِهَامًا نَصْلُهَا ذَهَبٌ   لِسِوَى ٱلظَّلْمَاءِ لَمْ تُصِبِ
أَوْ أَعَالِي حُمْرِ أَلْوِيَةٍ   نُشِرَتْ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
أَوْ شُوَاظًا لِلْقِرَى رُفِعَتْ   تَتَرَاءَى فِي ذُرَى كُثُبِ
أَوْ لَظَى نَارِ ٱلْحُبَاحِبِ قَدْ   لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبَبِ
أَوْ عُيُونَ ٱلْأُسْدِ مُوصَدَةً   فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ

أَوْ شَقِيقَ ٱلرَّوْضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مَجْدُولٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نَيْلُوفَرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ ٱلْغَرَبِ

٨٢ وصف الفيل لأبي الحسن الجوهري

فِيلٌ كَرَضْوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ ٱلْغَيْمِ بُرْدَا
مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ مُلِئَتْ أَكْنَافُهَا بَرْقًا وَرَعْدَا
رَأْسٌ كَقُلَّةِ شَاهِقٍ كُسِيَتْ مِنَ ٱلْخُيَلَاءِ جِلْدَا
فَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ ٱلدَّلَا لِ مُصَعِّرًا لِلنَّاسِ خَدَّا
يَزْهَى بِخُرْطُومٍ كَمِثْلِ ٱلصَّوْلَجَانِ يَرُدُّ رَدَّا
يَسْطُو بِسَارِيَتَيْ لُجَيْنٍ يَحْطِمَانِ ٱلصَّخْرَ هَدَّا
أُذُنَاهُ مِرْوَحَتَانِ أَسْنَدَتَا إِلَى ٱلْفَوْدَيْنِ عَقْدَا
عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ ضَيِّقَتَا لِجَمْعِ ٱلضَّوْءِ عَمْدَا
فَكٌّ كَفُوَّهَةِ ٱلْخَلِيـ جِ يَلُوكُ طُولَ ٱلدَّهْرِ حِقْدَا
تَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ فَتَحْسَبُهُ غَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتْنًا كَبُنْيَانِ ٱلْخَوَرْ نَقِ مَائِلًا فِي ٱلدَّهْرِ كَدَّا
رِدْفًا كَدَكَّةِ عَنْبَرٍ مُتَمَايِلِ ٱلْأَوْرَاكِ نَهْدَا
ذَنَبًا كَمِثْلِ ٱلسَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَزَنْدَا
يَخْطُو عَلَى أَمْثَالِ أَعْمِدَةِ ٱلْخِبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلَ أَمْيَالٍ نُضِدْ نَ مِنَ ٱلصُّخُورِ ٱلصُّمِّ نَضْدَا
مُتَوَرِّدًا حَوْضَ ٱلْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وِرْدَا

مُتَمَلِّكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُؤَدَّى
مُتَلَفِّعًا بِالْكِبْرِيَا ءِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفَدَّى
أَدْنَى إِلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ يُرَادُ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
أَذْكَى مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ رَأَى خَلَلًا لَسَدَّا

٨٣ وصف الكرمة للطغرائي

وَكَرْمَةٍ أَعْرَاقُهَا فِي الثَّرَى بَعِيدَةِ الْمَنْزَعِ وَالْمَضْرِبِ
كَرِيمَةٍ تَلْتَفُّ أَغْصَانُهَا م الْغَضَّةُ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ
يَمْتَاحُ مِنْ قَعْرِ الثَّرَى رِيَّهَا أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْذَبِ
أَلْقَحَهَا الرِّيحُ وَصَوْبُ الْحَيَا وَالشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
فَأَعْقَبَتْ حَامِلُهَا بَعْدَ مَا عَاشَتْ زَمَانًا وَهْيَ لَمْ تُعْقِبِ
وَوَضَعَتْهَا بِحِمًى يَنْتَمِي إِلَى أَبٍ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ أَبِ
وَأَلْحَفَتْهَا خُضْرَ أَوْرَاقِهَا مَعْذُوبَةً بِالْحَلَبِ الْأَعْذَبِ
وَبَدَّلَتْ خُضْرَ عَنَاقِيدِهَا بِأَدْهَمِ النُّجُومِ وَالْأَشْهَبِ
فَاسْتَسْلَفَتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ مُدَامَةً كَالْقَبَسِ الْمُلْهَبِ
وَلَمْ تَزَلْ بِالرِّفْقِ حَتَّى اكْتَسَى لُجَيْنُهَا مِنْ صُنْعِهَا الْمُذْهَبِ
فَالْأَشْقَرُ الْمَنْسُوجُ مِنْ نَسْلِهَا سَلِيلُ ذَاكَ الْأَشْهَبِ الْمُنْجِبِ
تَرَى الثُّرَيَّا مِنْ عَنَاقِيدِهَا تَلُوحُ فِي أَخْضَرَ كَالْغَيْهَبِ
أَلْوَانُهَا شَتَّى وَأَنْوَاعُهَا مُثَقَّفَاتُ النَّجْرِ وَالْمَنْصِبِ
كَمْ سَبَجٍ فِيهِ وَكَمْ جَزْعَةٍ صَحِيحَةِ التَّدْوِيرِ لَمْ تُثْقَبِ

مِنْ حَالِكِ ٱللَّوْنِ كَجُنْحِ ٱلدُّجَى   وَنَاصِعٍ يَلْمَعُ كَٱلْكَوْكَبِ
أَطْيِبْ بِهَا حِلًّا وَمَحْظُورَةً   فِي كَرْمِهَا وَكَأْسِهَا ٱلْأَطْيَبِ

٨٤ زهرية الفقيه ابي الحسن بن زنباع

أَبْدَتْ لَنَا ٱلْأَيَّامُ زَهْرَةَ طِيبِهَا   وَتَسَرْبَلَتْ بِنَضِيرِهَا وَقَشِيبِهَا
وَٱهْتَزَّ عِطْفُ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا   وَبَدَتْ بِهَا ٱلنَّعْمَاءُ بَعْدَ شُحُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِهَا   مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عِتِيَّ مَشِيبِهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهَا ٱلسُّحْبُ وِقْفَةَ رَاحِمٍ   فَبَكَتْ لَهَا بِعُيُونِهَا وَقُلُوبِهَا
فَعَجِبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكَتْ   بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرَتْ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرْبَلَتْ حُلَلًا تَجُرُّ ذُيُولَهَا   مِنْ لَدْنِهَا فِيهَا وَشَقِّ جُيُوبِهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ ٱلْمُزْنُ فِي إِنْجَادِهَا   وَأَجَادَ حَرُّ ٱلشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا
مَا أَنْصَفَ ٱلْخِيرِيُّ يَمْنَعُ طِيبَهُ   لِحُضُورِهَا وَيُبِيحُهُ لِمَغِيبِهَا
وَهِيَ ٱلَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ بِدَفْنِهَا   وَتَعَاهَدَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيبِهَا
فَكَأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ مُوَقَّتٌ   وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
وَعَلَى سَمَاءِ ٱلْيَاسَمِينِ كَوَاكِبُ   أَبْدَتْ ذُكَاءُ ٱلْعَجْزَ عَنْ تَغْيِيبِهَا
زُهْرٌ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا   وَتَفُوتُ شَأْوَ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
فَتَأَرَّجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهُبُوبِهَا   وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِنُكُوبِهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلٍ   تَتَصَاعَدُ ٱلْأَبْصَارُ فِي تَصْوِيبِهَا
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أُصُولِ ثِمَارِهَا   وَٱلْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوِّهَا وَرُسُوبِهَا
أَوَمَا تَرَى ٱلْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ   إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فِقَارَ قَضِيبِهَا

وَٱلطَّيْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَى أَفْنَانِهَا   تُلْقِي فُنُونَ ٱلشَّدْوِ فِي أُسْلُوبِهَا
تَشْدُو وَتَهْتَزُّ ٱلْغُصُونُ كَأَنَّمَا   حَرَكَاتُهَا رَقْصٌ عَلَى تَطْرِيبِهَا

٨٥ قال ابن حمديس الصقلي يصف دارًا بناها المنصور بن اعلى ببجاية

أَعْمِرْ بِقَصْرِ ٱلْمُلْكِ نَادِيكَ ٱلَّذِي   أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتُهُ مَعْمُورَا
قَصْرٌ لَوَ ٱنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بِنُورِهِ   أَعْمَى لَعَادَ إِلَى ٱلْمَقَامِ بَصِيرَا
وَٱشْتُقَّ مِنْ مَعْنَى ٱلْجِنَانِ نَسِيمُهُ   فَيَكَادُ يُحْدِثُ بِٱلْعِظَامِ نُشُورَا
نُسِيَ ٱلصَّبِيحُ مَعَ ٱلْفَصِيحِ بِذِكْرِهِ   وَسَمَا فَفَاقَ خَوَرْنَقًا وَسَدِيرَا
أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنْظَرٍ   ثُمَّ ٱنْثَنَيْتُ بِنَاظِرِي مَحْسُورَا
فَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ   لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْمُلْكَ فِيهِ كَبِيرَا
لَوْ أَنَّ بِٱلْإِيوَانِ قُوبِلَ حُسْنُهُ   مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكُورَا
أَعْيَتْ مَصَانِعُهُ عَلَى ٱلْفُرْسِ ٱلْأُلَى   رَفَعُوا ٱلْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا ٱلتَّدْبِيرَا
وَمَضَتْ عَلَى ٱلرُّومِ ٱلدُّهُورُ وَمَا بَنَوْا   لِمُلُوكِهِمْ شَبَهًا لَهُ وَنَظِيرَا
أَذْكَرْتَنَا ٱلْفِرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا   غُرَفًا رَفَعْتَ بِنَاءَهَا وَقُصُورَا
وَمُحَصَّبٍ بِٱلدُّرِّ تَحْسَبُ تُرْبَهُ   مِسْكًا تَضَوَّعَ نَشْرُهُ وَعَبِيرَا
تَسْتَخْلِفُ ٱلْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى   صُبْحًا عَلَى غَسَقِ ٱلظَّلَامِ مُنِيرَا

ثمّ ذكر بركةً فيه عليها أشجارٌ من ذهبٍ وفضةٍ ترمي فروعها المياه . ثم تفنّن وذكر أسودًا على حافاتها قاذفةً بالمياه ايضًا فقال :

وَضَرَاغِمٍ سَكَنَتْ عَرِينَ رِئَاسَةٍ   تَرَكَتْ خَرِيرَ ٱلْمَاءِ فِيهِ زَئِيرَا
فَكَأَنَّمَا غَشَّى ٱلنُّضَارُ جُسُومَهَا   وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا ٱلْبِلَّوْرَا

أُسُدٌ كَأَنَّ سُكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ   فِي ٱلنَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُثِيرَا
وَتَذَكَّرَتْ فَتَكَاتِهَا فَكَأَنَّمَا   أَقْعَتْ عَلَى أَدْبَارِهَا لِتَثُورَا
وَتَخَالُهَا وَٱلشَّمْسُ تَجْلُو لَوْنَهَا   نَارًا وَأَلْسُنَهَا ٱللَّوَاحِسَ نُورَا
فَكَأَنَّمَا سَلَّتْ سُيُوفَ جَدَاوِلٍ   ذَابَتْ بِلَا نَارٍ فَعُدْنَ غَدِيرَا
وَكَأَنَّمَا نَسَجَ ٱلنَّسِيمُ لِمَائِهِ   دِرْعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرَا
وَبَدِيعَةِ ٱلثَّمَرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا   عَيْنَايَ بَحْرَ عَجَائِبٍ مَسْجُورَا
شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ نَزَعَتْ إِلَى   سِحْرٍ يُؤَثِّرُ فِي ٱلنُّهَى تَأْثِيرَا
قَدْ صَوَّبَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا   قَبَضَتْ بِهِنَّ مِنَ ٱلْفَضَاءِ طُيُورَا
وَكَأَنَّمَا تَأْبَى لِوَقْعِ طَيْرِهَا   أَنْ تَسْتَقِلَّ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرَا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا   مَاءً كَسَلْسَالِ ٱللُّجَيْنِ نَمِيرَا
خُرْسٌ تُعَدُّ مِنَ ٱلْفِصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ   جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بِٱلْمِيَاهِ صَفِيرَا
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غُصْنٍ فِضَّةٌ   لَانَتْ فَأَرْسَلَ خَيْطُهَا مَجْرُورَا
وَتُرِيكَ فِي ٱلصِّهْرِيجِ مَوْقِعَ قَطْرِهَا   فَوْقَ ٱلزَّبَرْجَدِ لُؤْلُؤًا مَنْثُورَا
ضَحِكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا   جُعِلَتْ لَهَا زُهْرُ ٱلنُّجُومِ ثُغُورَا
وَمُصَفَّحِ ٱلْأَبْوَابِ تِبْرًا نَظَّرُوا   بِٱلنَّقْشِ فَوْقَ شُكُولِهِ تَنْظِيرَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ   أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي ٱلسَّمَاءِ نَضِيرَا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَّاعُهَا أَقْلَامَهَا   فَأَرَتْكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرَا
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لِيقَةٌ   مَشَقُوا بِهَا ٱلتَّزْوِيقَ وَٱلتَّشْجِيرَا
وَكَأَنَّمَا ٱللَّازَوَرْدُ فِيهِ مُخَرَّمٌ   بِٱلْخَطِّ فِي وَرَقِ ٱلسَّمَاءِ سُطُورَا

أَلْبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ

نُخَب من المعلَّقات

٨٦ نخبة من معلقة امرئ القيس بن حُجْر الكندي

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱنْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ
وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يُزِلُّ ٱللِّبْدَ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلْمُتَنَزِّلِ
عَلَى ٱلذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ ٱهْتِزَامَهُ ... إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذَا مَا ٱلسَّابِحَاتُ عَلَى ٱلْوَنَى ... أَثَرْنَ غُبَارًا بِٱلْكَدِيدِ ٱلْمُرَكَّلِ
يُزِلُّ ٱلْغُلَامَ ٱلْخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ ٱلْعَنِيفِ ٱلْمُثَقَّلِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ ٱلْوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ ... عَذَارَى دُوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ
فَأَلْحَقَنَا بِٱلْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ ... جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
فَظَلَّ طُهَاةُ ٱللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ ... صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ
وَرُحْنَا يَكَادُ ٱلطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ... مَتَى مَا تَرَقَّ ٱلْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ ... وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ
أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمْعِ ٱلْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ ... أَمَالَ سَلِيطًا بِٱلذُّبَالِ ٱلْمُفَتَّلِ
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ ... وَبَيْنَ ٱلْعُذَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي
عَلَى قَطَنٍ بِٱلشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ... وَأَيْسَرُهُ عَلَى ٱلسِّتَارِ فَيَذْبُلِ
فَأَضْحَى يَسُحُّ ٱلْمَاءَ فَوْقَ كُتَيْفَةٍ ... يَكُبُّ عَلَى ٱلْأَذْقَانِ دَوْحَ ٱلْكَنَهْبَلِ
وَمَرَّ عَلَى ٱلْقَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ ... فَأَنْزَلَ مِنْهُ ٱلْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ... وَلَا أُطُمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ

٨٧ نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

أَنَا ٱلرَّجُلُ ٱلضَّرْبُ ٱلَّذِي تَعْرِفُونَهُ ... خَشَاشٌ كَرَأْسِ ٱلْحَيَّةِ ٱلْمُتَوَقِّدِ
وَآلَيْتُ لَا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ ٱلشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ ... كَفَى ٱلْعَوْدَ مِنْهُ ٱلْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ
أَخِي ثِقَةٍ لَا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيبَةٍ ... إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي ... مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي ... بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٌ ... عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَٱلْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ

يقول وقد ترّ الوظيف وساقها ... ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد
وقال ألا ماذا ترون بشارب ... شديد علينا بغيه متعمد
فقال ذروه إنما نفعها له ... وإلا تكفّوا قاصي البرك يزدد
فظل الإماء يمتللن حوارها ... وتسعى علينا بالسديف المسرهد
فإن متّ فانعيني بما أنا أهله ... وشقّي عليّ الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كامرئ ليس همه ... كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي
بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا ... ذلول بأجماع الرجال ملهّد
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرّني ... عداوة ذي الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الرجال جراءتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما أمري عليّ بغمة ... نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد
ويوم حبست النفس عند عراكها ... حفاظاً على عوراته والتهدد
على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترك فيه الفرائص ترعد
وأصفر مضبوح نظرت حواره ... على النار واستودعته كف مجمد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

٨٨ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلمى المزني

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ... تبزّل ما بين العشيرة بالدم

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
تُعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ ... يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... وَلَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ
أَلَا أَبْلِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً ... وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ
فَلَا تَكْتُمُنَّ اللّٰهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللّٰهُ يَعْلَمِ
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا ... قُرًى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ
رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا ... غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلَاحِ وَبِالدَّمِ
فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إِلَى كَلَإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ
لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ ... دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ... وَلَا وَهَبٍ مِنْهَا وَلَا ابْنِ الْمُخَزَّمِ

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ   صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ
لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ ٱلنَّاسَ أَمْرُهُمْ   إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى ٱللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
كِرَامٍ فَلَا ذُو ٱلضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ   لَدَيْهِمْ وَلَا ٱلْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
سَئِمْتُ تَكَالِيفَ ٱلْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ   ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ
وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ   وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ   تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَمَنْ لَا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ   يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ   يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ ٱلشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ   عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ   إِلَى مُطْمَئِنِّ ٱلْبِرِّ لَا يَتَجَمْجَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ   وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ   يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ ٱلزِّجَاجِ فَإِنَّهُ   يُطِيعُ ٱلْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ
وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ   يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ ٱلنَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ   وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ ٱلنَّاسَ نَفْسَهُ   وَلَا يُعْفِهَا يَوْمًا مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْدَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى ٱلنَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي ٱلتَّكَلُّمِ
لِسَانُ ٱلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ ٱلشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ ٱلْفَتَى بَعدَ ٱلسَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا وَعُدْتُمُ ... وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلتَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

٨٩ نخبة من معلقة لبيد بن ربيعة العامري

إِقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ... وَلَخَيْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ ... وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هِبَابٌ فِي ٱلزِّمَامِ كَأَنَّهَا ... صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ ٱلْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ ٱلصِّوَارِ قِوَامُهَا
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ ٱلْفَرِيرَ فَلَمْ تَرِمْ ... عُرْضَ ٱلشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا ... إِنَّ ٱلْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ... تُرْوِي ٱلْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَافُ أَصْلًا قَالِصًا مُتَنَبِّذًا ... بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ ٱلنُّجُومَ غَمَامُهَا
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ ٱلظَّلَامِ مُنِيرَةً ... كَجُمَانَةِ ٱلْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا ٱنْحَسَرَ ٱلظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ ... بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ ٱلثَّرَى أَزْلَامُهَا
عَلِهَتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ ... سَبْعًا تُؤَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ ... لَمْ يُبْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا
وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ ٱلْأَنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَٱلْأَنِيسُ سَقَامُهَا

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا ... غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ ... كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ ... أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْحُتُوفِ حِمَامُهَا

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ ... بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكَرِّ سُخَامُهَا

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى ... وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ ... قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي ... فُرُطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ ... حَرِجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ ... جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا

رَفَّعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ ... حَتَّى إِذَا سَخُنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا

قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا ... وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ حِزَامُهَا

تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي ... وِرْدَ الْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ ... تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا ... جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا

أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا ... عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ   بُذِلَتْ لِجِيرَانِ ٱلْجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَٱلضَّيْفُ وَٱلْجَارُ ٱلْجَنِيبُ كَأَنَّمَا   هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا
تَأْوِي إِلَى ٱلْأَطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ   مِثْلِ ٱلْبَلِيَّةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا
وَيُكَلِّلُونَ إِذَا ٱلرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ   خُلُجًا تُمَدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا
إِنَّا إِذَا ٱلْتَقَتِ ٱلْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ   مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا
وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي ٱلْعَشِيرَةَ حَقَّهَا   وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا
فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى ٱلنَّدَى   سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ   وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
إِنْ يَفْزَعُوا تُلْقَ ٱلْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ   وَٱلسِّنُّ تَلْمَعُ كَٱلْكَوَاكِبِ لَامُهَا
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فَعَالُهُمْ   إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ ٱلْهَوَى أَحْلَامُهَا
فَٱقْنَعْ بِمَا قَسَمَ ٱلْمَلِيكُ فَإِنَّمَا   قَسَمَ ٱلْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا
وَإِذَا ٱلْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ   أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا
فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمْكُهُ   فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا
فَهُمُ ٱلسُّعَاةُ إِذَا ٱلْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ   وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا
وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ   وَٱلْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا
وَهُمُ ٱلْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ   أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ ٱلْعَدُوِّ لِئَامُهَا

٩٠ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا   وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ ٱلْيَقِينَا
بِأَنَّا نُورِدُ ٱلرَّايَاتِ بِيضًا   وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ   عَصَيْنَا ٱلْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ   بِتَاجِ ٱلْمُلْكِ يَحْمِي ٱلْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا ٱلْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ   مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا ٱلْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ   إِلَى ٱلشَّامَاتِ تَنْفِي ٱلْمُوعِدِينَا
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ ٱلْحَيِّ مِنَّا   وَشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
مَتَى تُنْقَلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا   يَكُونُوا فِي ٱللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ   وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا   فَعَجَّلْنَا ٱلْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ   قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ   وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى ٱلنَّاسُ عَنَّا   وَنَضْرِبُ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّيِّ لُدْنٍ   ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ ٱلْأَبْطَالِ فِيهَا   وُسُوقٌ بِٱلْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُسَ ٱلْقَوْمِ شَقًّا   وَنَخْتَلِبُ ٱلرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
وَإِنَّ ٱلضِّغْنَ بَعْدَ ٱلضِّغْنِ يَفْشُو   عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا
وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ   نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ ٱلْحَيِّ خَرَّتْ   عَلَى ٱلْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
نَجُذُّ رُؤُسَهُمْ فِي غَيْرِ بِرٍّ   فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا
كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ   مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ ... خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِينَا
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَافِ حَيٌّ ... مِنَ الْهَوْلِ الْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ... مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا
بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا ... وَشِيبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا
حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ ... فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينَا
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ ... فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحُزُونَا
أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا
أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِينَا قَطِينَا
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا
تَهَدَّدْنَا وَتُوعِدْنَا رُوَيْدًا ... مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينَا
فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ ... عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ ... وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا
عَشَوْزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ ... تَشُجُّ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا
فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... بِنَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ ... أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا
وَرِثْتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ ... زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا

وَعَتَّابًا وَكُلْثُومًا جَمِيعًا   بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الْأَكْرَمِينَا
وَذَا الْبُرَةِ الَّذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ   بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي الْمُلْتَجِينَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْبٌ   فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا
مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ   تَجُدَّ الْحَبْلَ أَوْ تَقِصِ الْقَرِينَا
وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا   وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى   رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
وَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذَا الْتَقَيْنَا   وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ   وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا   وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ   أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا
أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ   كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا
عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلَبُ الْيَمَانِي   وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ   تَرَى فَوْقَ النِّطَاقِ لَهَا غُضُونَا
إِذَا وُضِعَتْ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا   رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونَا
كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ   تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَا
وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ   عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذُ وَافْتُلِينَا
وَرَدْنَ دَوَارِعًا وَخَرَجْنَ شُعْثًا   كَأَمْثَالِ الرَّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا
وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ   وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا
عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ   نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونَا

ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا إِذَا لَاقَوْا كَتَائِبَ مُعْلَمِينَا
لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاسًا وَبِيضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا
تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدِ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا
وَإِنَّا الْعَاصِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ وَإِنَّا الْبَاذِلُونَ لِمُجْتَدِينَا
وَإِنَّا الْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا إِذَا مَا الْبِيضُ فَارَقَتِ الْجُفُونَا
كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا
يُدَهْدِهْنَ الرُّؤُسَ كَمَا يُدَهْدِي حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الْكُرِينَا
وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَّا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَأَنَّا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا وَأَنَّا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا
أَلَا أَبْلِغْ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
إِذَا مَا الْمَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الْخَسْفَ فِينَا
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهْرَ الْبَحْرِ نَمْلَأُهُ سَفِينَا
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

إِذَا بَلَغَ ٱلْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ ٱلْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

٩١ نخبة من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكري

وَأَتَانَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلْأَنْبَاءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ
أَنَّ إِخْوَانَنَا ٱلْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلِطُونَ ٱلْبَرِيَّ مِنَّا بِذِي ٱلذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ ٱلْخَلِيَّ ٱلْخَلَاءُ
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ ٱلْعَيْرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَّا ٱلْوَلَاءُ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ
أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ
لَا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا قَبْلَمَا قَدْ وَشَى بِنَا ٱلْأَعْدَاءُ
فَبَقِينَا عَلَى ٱلشَّنَاءَةِ تَنْمِينَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ
قَبْلَ مَا ٱلْيَوْمِ بَيَّضَتْ بِعُيُونِ ٱلنَّاسِ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءُ
فَكَأَنَّ ٱلْمَنُونَ تَرْدِي بِنَا أَرْعَنَ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ ٱلْعَمَاءُ
مُكْفَهِرًّا عَلَى ٱلْحَوَادِثِ لَا تَرْتُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤْيِدٌ صَمَّاءُ
إِرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ ٱلْخَيْلُ وَتَأْبَى لِخَصْمِهَا ٱلْإِجْلَاءُ
مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ ٱلثَّنَاءُ
أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوهَا إِلَيْنَا تَسْعَى بِهَا ٱلْأَمْلَاءُ
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَٱلصَّاقِبِ فِيهَا ٱلْأَمْوَاتُ وَٱلْأَحْيَاءُ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَٱلنَّقْشُ يَجْشَمُهُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ ٱلْإِسْقَامُ وَٱلْإِبْرَاءُ

أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْـ   مَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا ٱلْأَقْذَاءُ

أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ   ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا ٱلْعَلَاءُ

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ ٱلنَّا   سُ غِوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ

إِذْ رَفَعْنَا ٱلْجِمَالَ مِنْ سَعَفِ ٱلْبَحْـ   رَيْنِ سَيْرًا حَتَّى نَهَاهَا ٱلْحِسَاءُ

ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْـ   نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ

لَا يُقِيمُ ٱلْعَزِيزُ بِٱلْبَلَدِ ٱلسَّهْـ   لِ وَلَا يَنْفَعُ ٱلذَّلِيلَ ٱلنَّجَاءُ

لَيْسَ يُنْجِي ٱلَّذِي يُوَائِلُ مِنَّا   رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ

مَلِكٌ أَضْرَعَ ٱلْبَرِيَّةَ لَا يُو   جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ

كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا ٱلْمُنْـ   ذِرُ هَلْ نَحْنُ لِٱبْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُو   لٌ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ ٱلْعَفَاءُ

أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُبَلِّغُ عَنَّا   عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ ٱنْتِهَاءُ

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ آيَا   تٌ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ ٱلْقَضَاءُ

آيَةٌ شَارِقَ ٱلشَّقِيقَةِ إِذْ جَا   ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ

حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ   قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ

وَصَتِيتٍ مِنَ ٱلْعَوَاتِكِ لَا تَنْـ   هَاهُ إِلَّا مُبْيَضَّةٌ رَعْلَاءُ

فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْـ   رُجُ مِنْ خُرْبَةِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمَاءُ

وَحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْمِ ثَهْلَا   نَ شِلَالًا وَدُمِّيَ ٱلْأَنْسَاءُ

وَجَبَهْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ   هَزُ فِي جَمَّةِ ٱلطَّوِيِّ ٱلدِّلَاءُ

وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ ٱللَّـهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ

ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ٱبْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
أَسَدٌ فِي ٱللِّقَاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَّرَتْ غَبْرَاءُ
وَفَكَكْنَا غُلَّ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَمَا طَالَ حَبْسُهُ وَٱلْعَنَاءُ
وَمَعَ ٱلْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي ٱلْأَوْ سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ
مَا جَزِعْنَا تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ إِذْ وَلَّوْا شِلَالًا وَإِذْ تَلَظَّى ٱلصِّلَاءُ
وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِٱلْمُنْ ذِرِ كَرْهًا إِذْ لَا تُكَالُ ٱلدِّمَاءُ
وَأَتَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلَا كٍ كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ
وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ إِيَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا ٱلْحِبَاءُ
مِثْلُهَا تُخْرِجُ ٱلنَّصِيحَةَ لِلْقَوْ مِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ
فَٱتْرُكُوا ٱلطَّيْخَ وَٱلتَّعَدِّي وَإِمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي ٱلتَّعَاشِي ٱلدَّاءُ
وَٱذْكُرُوا حِلْفَ ذِي ٱلْمَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ ٱلْعُهُودُ وَٱلْكُفَلَاءُ
حَذَرَ ٱلْجَوْرِ وَٱلتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْ قُضُ مَا فِي ٱلْمَهَارِقِ ٱلْأَهْوَاءُ
وَٱعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمُ فِي مَا ٱشْتَرَطْنَا يَوْمَ ٱخْتَلَفْنَا سَوَاءُ
عَنَنًا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُعْ تَرُ عَنْ حَجْرَةِ ٱلرَّبِيضِ ٱلظِّبَاءُ
أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْ نَمَ غَازِيهِمُ وَمِنَّا ٱلْجَزَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى إِيَادٍ كَمَا نِيـ طَ بِجَوْزِ ٱلْمُحَمَّلِ ٱلْأَعْبَاءُ
لَيْسَ مِنَّا ٱلْمُضَرَّبُونَ وَلَا قَيْ سٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا ٱلْحَذَّاءُ
أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنَّا مِنْهُمُ إِنْ غَدَرْتُمُ لَبَرَاءُ
وَثَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيـ هِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ ٱلْقَضَاءُ

تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وَآبُوا بِنِهَابٍ يُصِمُّ مِنْهَا الْحُدَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ مَا جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْ سَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ
ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ
لَمْ يُحِلُّوا بَنِي رَزَاحٍ بِبَرْقَا ءِ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْـ ـرِ وَلَا يُبْرِدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلَّا قِ لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ مِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

٩٢ نخبة من معلّقة عنتر بن شدّاد العبسي

هَلَّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمِ
طَوْرًا يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ وَتَارَةً يَأْوِي إِلَى حَصِدِ الْقِسِيِّ عَرَمْرَمِ
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ لَا مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الْكُعُوبِ مُقَوَّمِ
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ
وَمِشَكِّ سَابِغَةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمِ
رَبِذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ

لَمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ   أَبْدَى نَوَاجِذَهُ بِغَيْرِ تَبَسُّمِ

عَهْدِي بِهِ مَدَّ ٱلنَّهَارِ كَأَنَّمَا   خُضِبَ ٱلْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِٱلْعِظْلِمِ

فَطَعَنْتُهُ بِٱلرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ   بِمُهَنَّدٍ صَافِي ٱلْحَدِيدَةِ مِخْذَمِ

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ   يُحْذَى نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتِي   وَٱلْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ ٱلْمُنْعِمِ

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِٱلضُّحَى   إِذْ تَقْلِصُ ٱلشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ ٱلْفَمِ

فِي حَوْمَةِ ٱلْحَرْبِ ٱلَّتِي لَا تَشْتَكِي   غَمَرَاتِهَا ٱلْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ ٱلْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ   عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ   يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَٱلرِّمَاحُ كَأَنَّهَا   أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ   وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِٱلدَّمِ

فَٱزْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا بِلَبَانِهِ   وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا ٱلْمُحَاوَرَةُ ٱشْتَكَى   وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ ٱلْكَلَامَ مُكَلِّمِي

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا   قِيلُ ٱلْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

وَٱلْخَيْلُ تَقْتَحِمُ ٱلْخَبَارَ عَوَابِسًا   مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي   لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ   لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ٱبْنَيْ ضَمْضَمِ

أَلشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا   وَٱلنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمَ ٱلْقَهُمَا دَمِي

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا   جَزَرَ ٱلسِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الْأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ... وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ ... سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ ... لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ ... عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ
وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا ... بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ ... وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا ... رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا ... مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ
وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ ... مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ
وَلَا جُبَّاءٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ ... يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ ... يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ
وَلَا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ ... يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ ... أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ ٱلظَّلَامِ إِذَا ٱنْتَحَتْ ... هُدَى ٱلْهَوْجَلِ ٱلْعِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ
إِذَا ٱلْأَمْعَزُ ٱلصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي ... تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ
أُدِيمُ مِطَالَ ٱلْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ ... وَأَضْرِبُ عَنْهُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ ٱلْأَرْضِ كَيْلَا يُرَى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ ٱلطَّوْلِ ٱمْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
وَلَٰكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي ... عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
وَأَطْوِي عَلَى ٱلْخُمْصِ ٱلْحَوَايَا كَمَا ٱنْطَوَتْ ... خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ
وَأَغْدُو عَلَى ٱلْقُوتِ ٱلزَّهِيدِ كَمَا غَدَا ... أَزَلُّ تَهَادَاهُ ٱلتَّنَائِفُ أَطْحَلُ
غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ ٱلرِّيحَ هَافِيًا ... يَخُوتُ بِأَذْنَابِ ٱلشِّعَابِ وَيَعْسِلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ ٱلْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ ... دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ
مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ ٱلْوُجُوهِ كَأَنَّهَا ... قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ
أَوِ ٱلْخَشْرَمُ ٱلْمَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ ... مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ
مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا ... شُقُوقُ ٱلْعِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ
فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِٱلْبَرَاحِ كَأَنَّهَا ... وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَٱتَّسَى وَٱتَّسَتْ بِهِ ... مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ
شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ٱرْعَوَى بَعْدُ وَٱرْعَوَتْ ... وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ ٱلشَّكْوُ أَجْمَلُ
وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا ... عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ
وَتَشْرَبُ أَسْآرِي ٱلْقَطَا ٱلْكُدْرُ بَعْدَمَا ... سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَٱبْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ ... وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ   يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ   أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ ٱلْقَبَائِلِ نُزَّلُ

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا   كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ ٱلْأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا   مَعَ ٱلصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

وَآلَفُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ عِنْدَ ٱفْتِرَاشِهَا   بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

وَأَعْدِلُ مَنْحُوضاً كَأَنَّ فُصُوصَهُ   كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِٱلشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ   لَمَا ٱغْتَبَطَتْ بِٱلشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ   عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حُمَّ أَوَّلُ

تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُهَا   حِثَاثاً إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ

وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ   عِيَاداً كَحُمَّى ٱلرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا   تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ

فَإِمَّا تَرَيْنِي كَٱبْنَةِ ٱلرَّمْلِ ضَاحِياً   عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَنَعَّلُ

فَإِنِّي لَمَوْلَى ٱلصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزَّهُ   عَلَى مِثْلِ قَلْبِ ٱلسِّمْعِ وَٱلْحَزْمَ أَنْعَلُ

وَأُعْدِمُ أَحْيَاناً وَأَغْنَى وَإِنَّمَا   يَنَالُ ٱلْغِنَى ذُو ٱلْبُعْدَةِ ٱلْمُتَبَذِّلُ

فَلَا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ   وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ ٱلْغِنَى أَتَخَيَّلُ

وَلَا تَزْدَهِي ٱلْأَجْهَالُ حِلْمِي وَلَا أُرَى   سَؤُولاً بِأَعْقَابِ ٱلْأَقَاوِيلِ أُنْمِلُ

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي ٱلْقَوْسَ رَبُّهَا   وَأَقْطُعَهُ ٱللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي   سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

فَأَيَّمْتُ نِسْوَاناً وَأَيْتَمْتُ وِلْدَةً   وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَٱللَّيْلُ أَلْيَلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِٱلْغُمَيْصَاءِ جَالِسًا ‌ ‌ فَرِيقَانِ مَسْؤُلٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا ‌ ‌ فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ ‌ ‌ فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحَ طَارِقًا ‌ ‌ وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا ٱلْإِنْسُ تَفْعَلُ
وَيَوْمٍ مِنَ ٱلشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ ‌ ‌ أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ ‌ ‌ وَلَا سِتْرَ إِلَّا ٱلْأَتْحَمِيُّ ٱلْمُرَعْبَلُ
وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ ٱلرِّيحُ طَيَّرَتْ ‌ ‌ لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ
وَخَرْقٍ كَظَهْرِ ٱلتُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ‌ ‌ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ
وَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا ‌ ‌ عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ
تَرُودُ ٱلْأَرَاوِي ٱلصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا ‌ ‌ عَذَارَى عَلَيْهِنَّ ٱلْمُلَاءُ ٱلْمُذَيَّلُ
وَيَرْكُدْنَ بِٱلْآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي ‌ ‌ مِنَ ٱلْعُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي ٱلْكِيحَ أَعْقَلُ

٩٤ نخبة من لامية العجم للطغرائي (*)

أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ ‌ ‌ وَحِلْيَةُ ٱلْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى ٱلْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ ‌ ‌ وَٱلشَّمْسُ رَأْدَ ٱلضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي ٱلطَّفَلِ
فِيمَ ٱلْإِقَامَةُ بِٱلزَّوْرَاءِ لَا سَكَنِي ‌ ‌ بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ صِفْرُ ٱلْكَفِّ مُنْفَرِدٌ ‌ ‌ كَٱلسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ ٱلْخِلَلِ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي ‌ ‌ وَلَا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
طَالَ ٱغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي ‌ ‌ وَرَحْلُهَا وَقَرَى ٱلْعَسَّالَةِ ٱلذُّبُلِ

(*) انما اثبتناها في باب الشعر القديم وهي ليست منه ايثارا لذكرها مع لامية العرب

ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لِمَا　　يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا　　عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي
وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي　　مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفَلِ
حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ　　عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا　　فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَزِلِ
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى　　رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ
يَرْضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعَيْشِ يَخْفِضُهُ　　وَالْعِزُّ بَيْنَ رَسِيمِ الْأَيْنُقِ الذُّلُلِ
فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ الْبِيدِ حَافِلَةً　　مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللُّجْمِ بِالْجُدُلِ
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ　　فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي النُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى　　لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
أَهَبْتُ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا　　وَالْحَظُّ عَنِّي بِالْجُهَّالِ فِي شُغُلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ　　لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْآمَالِ أَرْقُبُهَا　　مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ
لَمْ أَرْتَضِ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ　　فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
غَالَى بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا　　فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَذَلِ
وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يَزْهُو بِجَوْهَرِهِ　　وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلِ
مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي　　حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ
تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ　　وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَمْشِي عَلَى مَهَلِ
هٰذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا　　مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ … لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ … فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحِيَلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ … فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا … مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
غَاضَ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْغَدْرُ وَانْفَرَجَتْ … مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ … فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمُ … وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمِ … عَلَى الْعُهُودِ فَسَبْقُ السَّيْفِ لِلْعَذَلِ
يَا وَارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ … أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأُوَلِ
فِيمَ اعْتِرَاضُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرْكَبُهُ … وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا … تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا … فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
وَيَا خَبِيرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلِعًا … أَنْصِتْ فَفِي الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ … فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

٩٥ قصيدة النابغة يعتذر بها الى النعمان وكان قد جفاه

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي الْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ … أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا … عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا … وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ … ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ   وَرَفَّعَتْهُ إِلَى ٱلسِّجْفَيْنِ فَٱلنَّضَدِ
أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا   أَخْنَى عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ
فَعَدِّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا ٱرْتِجَاعَ لَهُ   وَٱنْمِ ٱلْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ
مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ ٱلنَّحْضِ بَازِلُهَا   لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ ٱلْقَعْوِ بِٱلْمَسَدِ
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ ٱلنَّهَارُ بِنَا   بِذِي ٱلْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ   طَاوِي ٱلْمَصِيرِ كَسَيْفِ ٱلصَّيْقَلِ ٱلْفَرَدِ
سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ   تُزْجِي ٱلشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ ٱلْبَرَدِ
فَٱرْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ   طَوْعَ ٱلشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ وَٱسْتَمَرَّ بِهِ   صُمْعُ ٱلْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ ٱلْحَرَدِ
فَهَابَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ   طَعْنَ ٱلْمُعَارِكِ عِنْدَ ٱلْمُحْجَرِ ٱلنَّجُدِ
شَكَّ ٱلْفَرِيصَةَ بِٱلْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا   شَكَّ ٱلْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ ٱلْعَضَدِ
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ   سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ
فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى ٱلرَّوْقِ مُنْقَبِضًا   فِي حَالِكِ ٱللَّوْنِ صَدْقٍ غَيْرِ ذِي أَوَدِ
لَمَّا رَأَى وَاشِقٌ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ   وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوَدِ
قَالَتْ لَهُ ٱلنَّفْسُ إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا   وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِ
فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي ٱلنُّعْمَانَ إِنَّ لَهُ   فَضْلًا عَلَى ٱلنَّاسِ فِي ٱلْأَدْنَى وَفِي ٱلْبُعُدِ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي ٱلنَّاسِ يُشْبِهُهُ   وَمَا أُحَاشِي مِنَ ٱلْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ ٱلْإِلٰهُ لَهُ   قُمْ فِي ٱلْبَرِيَّةِ فَٱحْدُدْهَا عَنِ ٱلْفَنَدِ
وَخَيِّسِ ٱلْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ   يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِٱلصُّفَّاحِ وَٱلْعَمَدِ

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعْقِبْهُ بِطَاعَتِهِ ... كَمَا أَطَاعَكَ وَادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلُومَ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ
إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ... سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ
فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجًا ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ ... إِذًا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
إِذًا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً ... قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ
هٰذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ ... طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّى عَلَى كَبِدِي
مَهْلًا فِدَاءٌ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ
لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ... وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفَدِ
فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ... تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ الْعِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُزْبِدٍ لَجِبٍ ... فِيهِ حُطَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ
يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا ... بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجَدِ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ... وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ
أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي ... وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ
هٰذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ ... فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ
هَا إِنَّ تَا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ ... فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

٩٦ نخبة من قصيدة الاعشى ميمون بن قيس بن جندل

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ
أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ فَيُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ
كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ ٱلْوَعِلُ
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا وَٱلْتُمِسَ ٱلنَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تَحْتَمِلُ
تُلْحِمُ أَبْنَاءَ ذِي ٱلْجَدَّيْنِ إِنْ غَضِبُوا أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَزِلُ
لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ
وَٱسْأَلْ قُشَيْرًا وَعَبْدَ ٱللهِ كُلَّهُمُ وَٱسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ
إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهِلُوا
قَدْ كَانَ فِي آلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُ ٱحْتَرَبُوا وَٱلْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ
إِنِّي لَعَمْرُ ٱلَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا تَخْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ ٱلْبَاقِرُ ٱلْغُيُلُ
لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ
وَإِنْ مُنِيتَ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ ٱلْقَوْمِ نَنْتَفِلُ
لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَٱلطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ ٱلزَّيْتُ وَٱلْفُتُلُ
حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ ٱلْقَوْمِ مُرْتَفِقًا يَدْفَعُ بِٱلرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ
أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ ٱلْخَطِّ مُعْتَدِلُ
كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ
نَحْنُ ٱلْفَوَارِسُ يَوْمَ ٱلْحِنْوِ ضَاحِيَةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلُ
قَالُوا ٱلطِّرَادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ
قَدْ نَخْضِبُ ٱلْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا ٱلْبَطَلُ

أَلبَابُ ٱلثَّامِنُ
فِي ٱلْمَرَاثِي

٩٧ رثاء أعرابيةٍ لابنها

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلَهُّبًا وَقَدْ حَرَقَتْ مِنِّي ٱلشُّؤُونَ ٱلْمَدَامِعُ
وَقَدْ أَضْرَمَتْ نَارُ ٱلْمُصِيبَةِ شُعْلَةً وَقَدْ حَمِيَتْ مِنِّي ٱلْحَشَا وَٱلْأَضَالِعُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ ٱلرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونَنِي بِحَالِكَ كَيْمَا تَسْتَكِنَّ ٱلْمَضَاجِعُ
فَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقٌ وَلَا فِيهِمِ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْ غِبْتَ كَدَّرْتَ عِيشَتِي فَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفِكْرِي مَسْقُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبٌ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بَلَاقِعُ

٩٨ لكعب بن سعد الغَنَوِيّ في أخيهِ ابي المغوار

تَتَابَعُ أَحْدَاثٍ تَخَرَّمْنَ إِخْوَتِي فَشَيَّبْنَ رَأْسِي وَٱلْخُطُوبُ تُشِيبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ أَخِي وَٱلْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرَوَّحٌ عَلَيَّ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرِعٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ هَيُوبُ
أَخٌ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي عَلَى ٱلنَّائِبَاتِ ٱلسُّودِ حِينَ تَنُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ ٱلْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى ٱلشَّيْبِ لِلنَّفْسِ ٱللَّجُوجِ غَلُوبُ
هُوَ ٱلْعَسَلُ ٱلْمَاذِيُّ حِلْمًا وَشِيمَةً وَلَيْثٌ إِذَا لَاقَى ٱلْعُدَاةَ قَطُوبُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ ٱلصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يُؤَدِّي ٱللَّيْلُ حِينَ يَؤُوبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ   مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَثِيبُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ   سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ
حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ   جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيبُ
إِذَا قَصَّرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى   تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
جَمُوعُ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ
مُفِيدٌ لِمُلْقَى الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ   لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى   فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً   لَعَلَّ أَبَا الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
يُجِبْكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ   بِأَمْثَالِهِ رَحْبُ الذِّرَاعِ أَرِيبُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى   كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
فَتًى مَا يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ   إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاءَى لِلرِّجَالِ رَأَيْتَهُ   فَلَمْ يَنْطِقُوا اللَّغْوَاءَ وَهْوَ قَرِيبُ
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأَيْتَهُ   وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ   سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُغِيثُهُ   وَمُخْتَبِطٍ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فِنَاؤُهُ   إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ غُيُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ   مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ
غَنِينَا بِخَيْرٍ حِقْبَةً ثُمَّ جُلِّحَتْ   عَلَيْنَا الَّتِي كُلَّ الْأَنَامِ تُصِيبُ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ   لِآخَرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْبَاقِيَ ٱلْحَيَّ مِنْهُمُ ... إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
لَقَدْ أَفْسَدَ ٱلْمَوْتُ ٱلْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى ... عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبُ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ ... عَلَيْهِ وَبَعْضُ ٱلْقَائِلِينَ كَذُوبُ
فَلَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تُبَاعُ ٱشْتَرَيْتُهُ ... بِهَا إِذْ بِهِ كَانَ ٱلنُّفُوسُ تَطِيبُ
فَوَٱللّٰهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا ٱهْتَزَّ بِي فَرْعِ ٱلْأَرَاكِ قَضِيبُ

٩٩ قال دُرَيد بن الصِّمَّة في مقتل أخيه عبد الله

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِسًا ... فَقُلْتُ أَعَبْدَ ٱللّٰهِ ذٰلِكُمُ ٱلرَّدِي
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ ٱللّٰهِ خَلَّى مَكَانَهُ ... فَمَا كَانَ وَقَّافًا وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ
دَعَانِي أَخِي وَٱلْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدِ
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ ... وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِ
فَمَا رِمْتُ حَتَّى خَرَّقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... وَغُودِرْتُ أَكْبُو فِي ٱلْقَنَا ٱلْمُتَقَصِّدِ
قِتَالَ ٱمْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... بَعِيدٌ عَنِ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ ... مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
سَلِيمُ ٱلشَّظَى عَبْلُ ٱلسَّوَابِحِ وَٱلشَّوَى ... طَوِيلُ ٱلْقَنَا نَهْدٌ نَبِيلُ ٱلْمُقَلَّدِ
يَفُوتُ طَوِيلَ ٱلْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ ... مُنِيفٌ كَجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ٱلْمُتَجَرِّدِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ ٱلنَّاسِ وَاحِدٌ ... وَإِنْ يَلْقَ مَثْنَى ٱلْقَوْمِ يَفْرَحْ وَيَزْدَدِ

تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ   عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ
وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ   سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ   فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعُدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ   كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

١٠٠ لما دفن المهلهل اخاهُ كليباً قام على قبرهِ يرثيه

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي ٱلْإِذِّكَارُ   هُدُوًّا فَٱلدُّمُوعُ لَهَا ٱنْحِدَارُ
وَصَارَ ٱللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا   كَأَنَّ ٱللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أُرَاقِبُ ٱلْجَوْزَاءَ حَتَّى   تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا ٱنْحِدَارُ
أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ   تَبَايَنَتِ ٱلْبِلَادُ بِهِمْ فَغَارُوا
وَأَبْكِي وَٱلنُّجُومُ مُطَلَّعَاتٌ   كَأَنْ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي ٱلْبِحَارُ
عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا   لَقَادَ ٱلْخَيْلَ يَحْجُبُهَا ٱلْغُبَارُ
دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي   وَكَيْفَ يُجِيبُنِي ٱلْبَلَدُ ٱلْقِفَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ   ضَنِينَاتُ ٱلنُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ   لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا   وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ ٱلْيَسَارُ
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا   كَأَنَّ قَذَى ٱلْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ   وَتَعْفُو عَنْهُمُ وَلَكَ ٱقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ   مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى ٱلنَّاعِي كُلَيْبًا   تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ ٱلشَّرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ غَشِي بَصَرِي عَلَيْهِ ... كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ
سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ ... فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الْحَيِّ دَارُ
فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا ... وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرٍ ... ثَوَى فِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْفَخَارُ
لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشِنْهُ ... وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفِرَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ
خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي ... بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ الدِّيَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي ... إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ ... فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١ وقال مالك بن الريب التميميّ يرثي نفسهُ ويصف قبرهُ. وكان قد خرج مع سعيد بن عفَّان أخي عُثمان لمَّا ولي خُراسان. فلمَّا كان ببعض الطريق أراد ان يلبس خفهُ فاذا بأفعى فيهِ فلسعتهُ فلمَّا أحسَّ بالموت أنشأ يقول:

دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي ... بِذِي الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفَتُّ وَرَائِيَا
أَجَبْتُ الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ ... تَقَنَّعْتُ مِنْهَا أَنْ أُلَامَ رِدَائِيَا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعًا ... بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً ... يُخَبِّرْنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا
تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا

وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ   إِلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ ٱلْمَوْتُ سَاقِيَا
وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي   وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
أَقُولُ لِأَصْحَابِي ٱرْفَعُونِي فَإِنَّنِي   يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا
فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا ٱلْمَوْتُ فَٱنْزِلَا   بِرَابِيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
أَقِيمَا عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ   وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
وَقُومَا إِذَا مَا ٱسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا   لِيَ ٱلسِّدْرَ وَٱلْأَكْفَانَ ثُمَّ ٱبْكِيَا لِيَا
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا   مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
وَخُطَّا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي   وَرُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا   فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا ٱلْخَيْلُ أَدْبَرَتْ   سَرِيعًا لَدَى ٱلْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى ٱلزَّادِ وَٱلْقِرَى   وَعَنْ شَتْمِ ٱبْنِ ٱلْعَمِّ وَٱلْجَارِ وَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى ٱلْقِرْنِ فِي ٱلْوَغَى   ثَقِيلًا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ضَلَالٍ وَمَجْمَعٍ   وَطَوْرًا تَرَانِي وَٱلْعِتَاقُ رِكَابِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحًى مُسْتَدِيرَةٍ   تُخَرِّقُ أَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
وَقُومَا عَلَى بِئْرِ ٱلشُّبَيْكِ فَأَسْمِعَا   بِهَا ٱلْوَحْشَ وَٱلْبِيضَ ٱلْحِسَانَ ٱلرَّوَانِيَا
بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ   تَهِيلُ عَلَيَّ ٱلرِّيحُ فِيهَا ٱلسَّوَافِيَا
وَلَا تَنْسَيَا عَهْدِي خَلِيلَيَّ بَعْدَمَا   تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا
فَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْوِلْدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي   وَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْمِيرَاثَ مِنِّي مَوَالِيَا
يَقُولُونَ لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي   وَأَيْنَ مَكَانُ ٱلْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخُلِّفْتُ ثَاوِيَا
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لِغَيْرِي وَكَانَ ٱلْمَالُ بِٱلْأَمْسِ مَالِيَا
وَبِٱلرَّمْلِ مِنِّي نِسْوَةٌ لَوْ شَهِدْنَنِي بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ ٱلطَّبِيبَ ٱلْمُدَاوِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَٱبْنَتَاهَا وَخَالَتِي وَبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ ٱلْبَوَاكِيَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ ٱلرَّمْلِ مِنِّي وَأَهْلِهِ ذَمِيمًا وَلَا وَدَّعْتُ بِٱلرَّمْلِ قَالِيَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوْا بِنَعْيِكِ بَاكِيَا
إِذَا مُتُّ فَٱعْتَادِي ٱلْقُبُورَ وَسَلِّمِي عَلَى ٱلرَّيْمِ أُسْقِيتِ ٱلْغَمَامَ ٱلْغَوَادِيَا
تَرَيْ جَدَثًا قَدْ جَرَّتِ ٱلرِّيحُ فَوْقَهُ غُبَارًا كَلَوْنِ ٱلْقَسْطَلَانِيِّ هَابِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي مَالِكٍ وَٱلرَّيْبِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَبَلِّغْ أَخِي عِمْرَانَ بُرْدِي وَمِئْزَرِي وَبَلِّغْ عَجُوزِي ٱلْيَوْمَ أَنْ لَا تَدَانِيَا
وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخَيَّ مِنِّي كِلَيْهِمَا كَثِيرًا وَعَمِّي وَٱبْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
وَعَطِّلْ قَلُوصِي فِي ٱلرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
أُقَلِّبُ طَرْفِي فَوْقَ رَحْلِي فَلَا أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ ٱلْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا

١٠٢ وقال متمم بن نويرة اليربوعيّ يرثي أخاهُ مالكًا

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ مَالِكٍ وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَّنَ ٱلْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ ٱلْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
لَبِيبٌ أَعَانَ ٱللُّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ ٱلْجَدْبِ أَوْضَعَا
أَغَرُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ ٱمْرِئِ ٱلسَّوْءِ مَطْمَعَا
وَمَا كَانَ وَقَّافًا إِذَا ٱلْخَيْلُ أَحْجَمَتْ وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ مَفْزَعَا

وَلَا بِكَهَامٍ نَاكِلٍ عَنْ عَدُوِّهِ ... إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقَنَّعَا
إِذَا ضَرَّسَ ٱلْغَزْوُ ٱلرِّجَالَ وَجَدْتَهُ ... أَخَا ٱلْحَرْبِ صِدْقًا فِي ٱللِّقَاءِ سَمَيْدَعَا
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ ٱلسَّنَا فِي رَبَابِهِ ... بِجَوْنٍ تَسُحُّ ٱلْمَاءَ حَتَّى تَرَيَّعَا
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا ... وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ ٱلْأَرْضُ بَلْقَعَا
فَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا ... لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
وَفَقْدُ بَنِي أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ ... خِلَافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ فَأَخْضَعَا
وَلَكِنَّنِي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقْدِمًا ... إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى ٱلْخُطُوبَ تَضَعْضَعَا
قَعِيدَكِ أَنْ لَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً ... وَلَا تَنْكَئِي جُرْحَ ٱلْفُؤَادِ فَيِيجَعَا
وَحَسْبُكِ أَنِّي قَدْ جَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... بِكَفِّيَ عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا
سَقَى ٱللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ... رِهَامَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُزْجِيَاتِ فَأَمْرَعَا

١٠٣ لشبل بن معبد البجلي يرثي بنيه وكانوا أُصيبوا بالطاعون

أَتَى دُونَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَّهُ ... نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبُ
تَتَابَعْنَ فِي ٱلْأَحْبَابِ حَتَّى أَبَدْنَهُمْ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي ٱلدِّيَارِ غَرِيبُ
بَرَتْنِي صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَمَا تَبْتَرِي دُونَ ٱللِّحَاءِ عَسِيبُ
فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةَ ٱللهِ مُفْرَدًا ... لَدَى ٱلنَّاسِ صَبْرًا وَٱلْفُؤَادُ كَئِيبُ
إِذَا رُدَّ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ عُلِّلْتُ بِٱلْأَسَى ... وَيَأْوِي إِلَيَّ ٱلْحُزْنُ حِينَ يَؤُوبُ
وَنَامَ خَلِيُّ ٱلْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أَنَمْ ... كَمَا لَمْ يَنَمْ نَائِي ٱلْفِنَاءِ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفَتْ بِنَا ... نَوَى غُرْبَةٍ عَمَّنْ نُحِبُّ شَطُوبُ

مَتَى ٱلْعَهْدُ بِٱلْأَهْلِ ٱلَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ   لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِٱلْعِرَاقِ نَصِيبُ
فَمَا تَرَكَ ٱلطَّاعُونُ فِي ذِي قَرَابَةٍ   إِلَيْهِ إِذَا حَانَ ٱلْإِيَابُ نَؤُوبُ
فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارُهُمْ مِنْكَ غُرْبَةٌ   بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ قَرِيبُ
وَكُنْتَ تُرَجِّي أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْهِمِ   فَفَاتَتْهُمُ مِنْ دُونِ ذَاكَ شَعُوبُ
وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدِ مَنْهَلٍ   عَلَى حَوْضِهِ بِٱلْبَاكِيَاتِ نَهِيبُ
إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ   مِيَاهٌ رَوَاءٌ كُلُّهُنَّ شَرُوبُ
فَهَوَّنَ عَنِّي بَعْضَ وَجْدِي أَنَّنِي   رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا تَغْتَدِي وَتَؤُوبُ
وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنَا   إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَنُجِيبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَاقَيْتُ أُسْوَةً   تَكَادُ لَهَا نَفْسُ ٱلْحَزِينِ تَطِيبُ
فَتًى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ   بِهِ ٱلدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهْوَ حَرِيبُ
وَكَيْفَ عَزَاءُ ٱلْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ   وَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلْغَابِرِينَ حَبِيبُ
مَتَى يَذْكُرُوا يَفْرَحْ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ   وَيَنْسَجِمْ دَمْعٌ بَيْنَهُنَّ نَحِيبُ
دُمُوعٌ سَرَاهَا ٱلشَّجْوُ حَتَّى كَأَنَّهَا   جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
إِذَا مَا أَرَدْتُ ٱلصَّبْرَ هَاجَ لِيَ ٱلْبُكَا   فُؤَادٌ إِلَى أَهْلِ ٱلْقُبُورِ طَرُوبُ
فَوَجْدِي بِأَهْلِي وَجْدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ   شَبَابٌ يَزِينُونَ ٱلنَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أَبي ذُؤَيب الهذليّ وهو خويلد بن خالد وكان لهُ اولاد سبعة فماتوا كلهم الّا طفلًا فقال يرثيهم

أَمِنَ ٱلْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ   وَٱلدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ إِمَامَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا   مُنْذُ ٱبْتُذِلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَٱلْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ جُفُونَهَا ... كُحِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عُورٌ تَدْمَعُ
وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنِّي لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ ... نِصْفَ ٱلْمُشَقَّرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ
لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَٱنْتَظِرْ ... أَبِأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى ٱلْمَضْجَعُ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ ٱلْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ ... وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِٱلْبُكَا مَنْ يُفْجَعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةً ... يُبْكَى عَلَيْكَ مُقَنَّعًا لَا تَسْمَعُ
فَلَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ ٱلزَّمَانُ وَرَيْبُهُ ... إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ

وقال في الطفل الذي بقي لهُ

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال الاصمعي : هذا افضل بيتٍ قالتهُ العرب

١٠٥ عينيّة عليّ بن جَبلة في حميد الطوسي

أَلِلدَّهْرِ تَبْكِي أَمْ عَلَى ٱلدَّهْرِ تَجْزَعُ ... وَمَا صَاحِبُ ٱلْأَيَّامِ إِلَّا مُفَجَّعُ
وَلَوْ سَهَّلَتْ عَنْكَ ٱلْأَسَى كَانَ فِي ٱلْأَسَى ... عَزَاءٌ مُعَزٍّ لِلَّبِيبِ وَمُقْنِعُ
تَعَزَّ بِمَا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنَّهَا ... سِهَامُ ٱلْمَنَايَا حَائِمَاتٌ وَوُقَّعُ
أُصِبْنَا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوَ ٱنَّهُ ... أَصَابَ عُرُوشَ ٱلدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعْضَعُ
وَأَدَّبَنَا مَا أَدَّبَ ٱلنَّاسَ قَبْلَنَا ... وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ ... بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ

وَكَيفَ ٱلتقى مثْوًى مِنَ ٱلأَرْضِ ضَيِّقٌ ... عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ تُمْنَعُ
وَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُهُ ٱنْقَضَتِ ٱلعُلَى ... وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ ٱلنَّدَى وَهْوَ أَجْدَعُ
وَرَاحَ عَدُوُّ ٱلدِّينِ جَذْلَانَ يَنْتَحِي ... أَمَانِيَّ كَانَتْ مِنْ حَشَاهُ تُقَطَّعُ
وَكَانَ حُمَيْدٌ مَعْقِلًا رَكَعَتْ بِهِ ... قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى ٱلضَّيْمِ تَرْكَعُ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزِئْتُهَا ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِينَا ٱلمَنَايَا بِثَأْرِهَا ... وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهْيُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
نَعَاءِ حُمَيْدًا لِلسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ ... تُذَادُ بِأَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ وَتُوزَعُ
وَلِلْمُرْهَقِ ٱلمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ ... فَلَمْ يَدْرِ فِي حَوْمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ
وَلِلْبِيضِ خَلَّتْهَا ٱلبُعُولُ وَلَمْ يَدَعْ ... لَهَا غَيْرَهُ دَاعِي ٱلصَّبَاحِ ٱلمُفَزِّعُ
كَأَنَّ حُمَيْدًا لَمْ يَقُدْ جَيْشَ عَسْكَرٍ ... إِلَى عَسْكَرٍ أَشْيَاعُهُ لَا تُرَوَّعُ
وَلَمْ يَبْعَثِ ٱلخَيْلَ ٱلمُغِيرَةَ بِٱلضُّحَى ... مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهْيَ ظُلَّعُ
رَوَاجِعُ يَحْمِلْنَ ٱلنِّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ ... كَتَائِبُهُ إِلَّا عَلَى ٱلنَّهْبِ تَرْجِعُ
هَوَى جَبَلُ ٱلدُّنْيَا ٱلمَنِيعُ وَغَيْثُهَا ٱلْـ ... ـمَرِيعُ وَحَامِيهَا ٱلكَمِيُّ ٱلمُشَيَّعُ
وَسَيْفُ أَمِيرِ ٱلمُؤْمِنِينَ وَرُمْحُهُ ... وَمِفْتَاحُ بَابِ ٱلخَطْبِ وَٱلخَطْبُ أَفْظَعُ
فَأَقْنِعْهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ ... وَنَائِلِهِ قَفْرٌ مِنَ ٱلأَرْضِ بَلْقَعُ
عَلَى أَيِّ شَجْوٍ تَشْتَكِي ٱلنَّفْسُ بَعْدَهُ ... إِلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخَرُ ٱلدَّمْعَ مَدْمَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ حَالَ ضِيَاؤُهَا ... عَلَيْهِ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهْوَ أَسْفَعُ
وَأَوْحَشَتِ ٱلدُّنْيَا وَأَوْدَى بَهَاؤُهَا ... وَأَجْدَبَ مَرْعَاهَا ٱلَّذِي كَانَ يُمْرِعُ
وَقَدْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا بِهِ مُطْمَئِنَّةً ... فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا تَتَقَلَّعُ

بكَى فَقْدَهُ رُوحُ ٱلْحَيَاةِ كَمَا بَكَى   نَدَاهُ ٱلنَّدَى وَٱبْنُ ٱلسَّبِيلِ ٱلْمُدَفَّعُ
وَأَيقَظَ أَجْفَانًا وَكَانَ لَهَا ٱلْكَرَى   وَنَامَتْ عُيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ

٤٠٦ انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

أَحَقٌّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ   فَبَيِّنْ أَيُّهَا ٱلنَّاعِي ٱلْمُشِيدُ
أَحَامِي ٱلْمُلْكِ وَٱلْإِسْلَامِ أَوْدَى   فَمَا لِلْأَرْضِ وَيْحَكَ لَا تَمِيدُ
تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى ٱلْإِسْلَامَ مَالَتْ   دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ ٱلْوَلِيدُ
أَمَا هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ نِزَارٌ   بَلَى وَتَقَوَّضَ ٱلْمَجْدُ ٱلْمَشِيدُ
وَحَلَّ ضَرِيحُهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ   طَرِيفُ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَجْدُ ٱلتَّلِيدُ
فَمَنْ يَحْمِي حِمَى ٱلْإِسْلَامِ أَمْ مَنْ   يَذُبُّ عَنِ ٱلْمَكَارِهِ أَوْ يَذُودُ
وَأَيْنَ يَؤُمُّ مُنْتَجِعٌ وَلَاجٍ   وَأَيْنَ تَحُطُّ أَرْحُلَهَا ٱلْوُفُودُ
فَلَوْ قُبِلَ ٱلْفِدَاءُ فَدَاهُ مِنَّا   بِمُهْجَتِهِ ٱلْمُسَوَّدُ وَٱلْمَسُودُ
أَبَعْدَ يَزِيدَ تَخْتَزِنُ ٱلْبَوَاكِي   دُمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهُ ٱلْخُدُودُ
وَإِنْ تَجْمُدْ دُمُوعُ لَئِيمِ قَوْمٍ   فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذِي حَسَبٍ جُمُودُ
وَإِنْ يَكُ غَالَهُ دَهْرٌ لَمَا قَدْ   يُفَادَى مِنْ مَخَافَتِهِ ٱلْأُسُودُ
فَإِنْ يَكُ عَنْ خُلُودٍ قَدْ دَعَتْهُ   مَآثِرُهُ فَكَانَ لَهَا ٱلْخُلُودُ
فَمَا أَوْدَى ٱمْرُؤٌ أَوْدَى وَأَبْقَى   لِوَارِثِهِ مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ
لِيَبْكِكَ خَامِلٌ نَادَاكَ لَمَّا   تَوَاكَلَهُ ٱلْأَقَارِبُ وَٱلْبَعِيدُ
وَيَبْكِكَ شَاعِرٌ لَمْ يُبْقِ دَهْرٌ   لَهُ نَشَبًا وَقَدْ كَسَدَ ٱلْقَصِيدُ
أُصِيبَ ٱلْمَجْدُ وَٱلْإِسْلَامُ لَمَّا   أَصَابَكَ بِٱلرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ

لَقَدْ عَزَّى رَبِيعَةَ أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَصَدْنَ لَهُ ٱلْمَنَايَا بِأَسْهُمِهَا وَهُنَّ لَهُ جُنُودُ
سَقَى جَدَثًا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ ٱلْوَسْمِيِّ بَسَّامٌ رَعُودُ
لِيَذْهَبْ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ آسَى عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

١٠٧ وقال صفي الدين الحلي يرثي الملك ناصر الدين عمر

بَكَى عَلَيْكَ ٱلْحُسَامُ وَٱلْقَلَمُ وَٱنْفَجَعَ ٱلْعِلْمُ فِيكَ وَٱلْعَلَمُ
وَضَجَّتِ ٱلْأَرْضُ فَٱلْعِبَادُ بِهَا لَاطِمَةٌ وَٱلْبِلَادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جُلُّ مُلُوكِ ٱلْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضِّ ٱلشَّبَابِ مُقْتَبَلِ ٱلْـ ـعُمْرِ وَلٰكِنْ مَجْدُهُ هَرِمُ
مُحَكَّمٍ فِي ٱلْوَرَى وَآمِلُهُ يَحْكُمُ فِي مَالِهِ وَيَحْتَكِمُ
يَجْتَمِعُ ٱلْمَجْدُ وَٱلثَّنَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي ٱلْوُفُودِ يُقْتَسَمُ
قَدْ سَئِمَتْ جُودَهُ ٱلْأَنَامُ وَلَا يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ ٱلنَّدَى سَأَمُ
مَا عُرِفَتْ مِنْهُ لَا وَلَا نَعَمُ بَلْ دُونَهُنَّ ٱلْآلَاءُ وَٱلنِّعَمُ
أَلْوَاهِبُ ٱلْأَلْفَ وَهْوَ مُبْتَسِمٌ وَٱلْقَاتِلُ ٱلْأَلْفَ وَهْوَ مُقْتَحِمُ
مُبْتَسِمٌ وَٱلْكُمَاةُ عَابِسَةٌ وَعَابِسٌ وَٱلسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
يَسْتَصْغِرُ ٱلْعَضْبَ أَنْ يَصُولَ بِهِ إِنْ لَمْ تُجَرَّدْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلْهِمَمُ
وَيَسْتَخِفُّ ٱلْقَنَاةَ يَحْمِلُهَا كَأَنَّهَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمِ ٱلْعَالَمُونَ مَا فَقَدُوا مِنْهُ وَلَا ٱلْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقْدُ فَرْدٍ مِنَ ٱلْأَنَامِ كَمَنْ إِنْ مَاتَ مَاتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَمُ

وَٱلنَّاسُ كَٱلْعَيْنِ إِنْ نَقَدتَّهُمُ ... تَفَاوَتَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ ٱلْقِيَمُ
يَا طَالِبَ ٱلْجُودِ قَدْ قَضَى عُمَرٌ ... فَكُلُّ جُودٍ وُجُودُهُ عَدَمُ
وَيَا مُنَادِي ٱلنَّدَى لِيُدْرِكَهُ ... أَقْصِرْ فَفِي مَسْمَعِ ٱلنَّدَى صَمَمُ
مَضَى ٱلَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبًا ... فَٱلْيَوْمَ كُلُّ ٱلْأَنَامِ قَدْ يَتِمُوا
وَسَارَ فَوْقَ ٱلرِّقَابِ مُطَّرِحًا ... وَحَوْلَهُ ٱلصَّافِنَاتُ تَزْدَحِمُ
مُقَلَّبَاتِ ٱلسُّرُوجِ شَاخِصَةً ... لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ ٱللُّجُمُ
وَحَلَّ دَارًا ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا ... وَدُونَ أَدْنَى دِيَارِهِ إِرَمُ
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَى رُتَبٍ ... تَقْصُرُ مِنْ دُونِ نَيْلِهَا ٱلْهِمَمُ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً ... بِهَا عُيُونُ ٱلْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
وَلَمْ تُقَبِّلْ لَهُ ٱلْمُلُوكُ يَدًا ... تَرْغَبُ فِي سِلْمِهَا فَتَسْتَلِمُ
وَلَمْ يَقُدْ لِلْحُرُوبِ أُسْدَ وَغًى ... تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أُجُمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَدًا ... وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ ... لَا ظَالِمٌ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظُلَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلذِّمَامَ لَنَا ... إِنْ خَفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ ٱلذِّمَمُ
يَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ وَٱبْنَ نَاصِرِهِ ... وَمَنْ بِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ يُعْتَصَمُ
وَصَاحِبَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلَّتِي وَطِئَتْ ... لَهَا عَلَى هَامَةِ ٱلسُّهَى قَدَمُ
يُثْنِي عَلَيْكَ ٱلْوَرَى وَمَا شَهِدُوا ... مِنَ ٱلسَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
يَبْكِيكَ مَأْلُوفُكَ ٱلتُّقَى أَسَفًا ... وَصَاحِبَاكَ ٱلْعَفَافُ وَٱلْكَرَمُ

١٠٨ لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري

رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ ٱلْعِتَابِ   مُرْصَدٌ بِٱلْأَوْجَالِ وَٱلْأَوْصَابِ
جَفَّ دَرُّ ٱلدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْتَالُ   أَرْوَاحَنَا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَيْبَ ٱلزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهْدِي   ٱلرَّزَايَا إِلَى ذَوِي ٱلْأَحْسَابِ
فَلِهٰذَا يَجِفُّ بَعْدَ ٱخْضِرَارٍ   قَبْلَ رَوْضِ ٱلْوِهَادِ رَوْضُ ٱلرَّوَابِي
لَمْ تَدُرْ عَيْنُهُ عَنِ ٱلْخَمْسِ حَتَّى   ضَعْضَعَتْ رُكْنَ حِمْيَرَ ٱلْأَرْبَابِ
بدأَشَتْ مِنْهُمْ بِلُؤْلُؤَةِ ٱلْغَوَّاصِ   حُسْنًا وَدُمْيَةِ ٱلْمِحْرَابِ
بِٱلصَّرِيحِ ٱلصَّرِيحِ وَٱلْأَرْوَعِ ٱلْأَرْ   وَعِ مِنْهُمْ وَبِٱللُّبَابِ ٱللُّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ ٱلْغُرُّ مِنْ   أَيَّامِكَ ٱلْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ ٱللَّحْدُ وَٱلثَّرَى مِنْكَ وَجْهًا   غَيْرَ مَا عَابِسٍ وَلَا قَطَّابِ
أَطْفَأَ ٱللَّحْدُ وَٱلثَّرَى لُبَّكَ ٱلْمُسْ   رَجَ فِي وَقْتِ ظُلْمَةِ ٱلْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلْتَ مَنْزِلًا ظَاهِرَ ٱلْجَدْ   بِ يُسَمَّى مُقَطِّعَ ٱلْأَسْبَابِ
مَنْزِلًا مُوحِشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُو   رًا بِجُلِّ ٱلصَّدِيقِ وَٱلْأَحْبَابِ
يَا شِهَابًا خَبَا لِآلِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ   أَعْزِزْ بِفَقْدِ هٰذَا ٱلشِّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَفَتَّحَ عَنْهَا ٱلْ   مَجْدُ فِي مَنْبِتٍ أَنِيقِ ٱلْجَنَابِ
خُلُقٌ كَٱلْمُدَامِ أَوْ كَرُضَابِ ٱلْمِسْكِ   أَوْ كَٱلْعَبِيرِ أَوْ كَٱلْمَلَابِ
وَحَيَاءٌ ٱهِيكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ   وَصِبًا مُشْرِقٌ بِغَيْرِ تَصَابِي
أَنْزَلَتْهُ ٱلْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ   بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي ٱلرِّكَابِ
حِينَ سَامَى ٱلشَّبَابَ وَٱعْتَدَتِ ٱلدُّنْ   يَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةَ ٱلْأَبْوَابِ

وَحَكَى ٱلصَّارِمَ ٱلْمُحَلَّى سِوَى أَنْ نَ حِلَاهُ جَوَاهِرُ ٱلْآدَابِ
وَهْوَ غَضُّ ٱلْآرَاءِ وَٱلْحَزْمِ خِرْقٌ ثُمَّ غَضُّ ٱلنَّوَالِ غَضُّ ٱلشَّبَابِ
قَصَدَتْ نَحْوَهُ ٱلْمَنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتُّرَابِ

١٠٩ وللحبيب يرثي القاسم بن طوق

جَوًى سَاوَرَ ٱلْأَحْشَاءَ وَٱلْقَلْبَ وَاغِلُهْ ... وَدَمْعٌ يَضِيمُ ٱلْعَيْنَ وَٱلْجَفْنَ هَامِلُهْ
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوٌّ يَخَافُهُ ... فَيَبْقَى وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهْ
وَأَيُّ أَخِي عَزَّاءَ أَوْ جَبْرِيَّةٍ ... يُنَابِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاضِلُهْ
إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ ٱلْمَرْءِ حُكْمُهُ ... وَبُثَّتْ عَلَى طُرْقِ ٱلنُّفُوسِ حَبَائِلُهْ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةً ... شَكِيَّةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهْ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَبِيعَةَ أَنَّهُ ... تَقَشَّعَ طَلُّ ٱلْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهْ
وَأَنَّ ٱلْحِجَى مِنْهَا ٱسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ ... وَأَنَّ ٱلنَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ
مَضَى لِلزِّيَالِ ٱلْقَاسِمُ ٱلْوَاهِبُ ٱللُّهَى ... وَلَوْ لَمْ يُزَايِلْنَا لَكُنَّا نُزَايِلُهْ
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ٱلزَّمَانَ يُرِيدُهُ ... بِفَجْعٍ وَلَوْ أَنَّ ٱلْمَنَايَا تُرَاسِلُهْ
فَتًى سِيطَ حُبُّ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ ... وَخَامَرَهُ حَقُّ ٱلسَّمَاحِ وَبَاطِلُهْ
فَتًى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ ... تَهُبُّ شَمَالًا لِلصَّدِيقِ شَمَائِلُهْ
فَتًى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَٱثْنَتَا ٱلْعُلَى ... يَدَاهُ وَعَشْرُ ٱلْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلُهْ
فَتًى يَنْفَحُ ٱلْأَيَّامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ ... ثَنَاءٌ كَأَنَّ ٱلْعَنْبَرَ ٱلْوَرْدَ شَامِلُهْ
لَقَدْ فُجِعَتْ عَتَّابُهُ وَزُهَيْرُهُ ... وَتَغْلِبُهُ أُخْرَى ٱللَّيَالِي وَوَائِلُهْ
وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا لِمُعْدِمٍ ... فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٍ فَيُسَائِلُهْ

وَمُبْتَدِرَ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُهُ إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ غَوَائِلُهْ
فَتًى لَمْ تَكُنْ تَغْلِي ٱلْحُقُودُ بِصَدْرِهِ وَتَغْلِي لِأَضْيَافِ ٱلشِّتَاءِ مَرَاجِلُهْ
وَكُنَّ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضُيُوفَهُ وَيُرْجَى مُرَجِّيهِ وَيُسْأَلُ سَائِلُهْ
طَوَاهُ ٱلرَّدَى طَيَّ ٱلرِّدَاءِ وَغُيِّبَتْ فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُهْ
طَوَى شِيَمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهْ
فَيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مُزْنُهُ وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهْ
أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلنَّجْمِ ٱلْمُغَيَّبِ آفِلُهْ
وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ طَرِيدَ ٱللَّيَالِي أَخْضَلَتْنِي نَوَافِلُهْ
وَلٰكِنَّنِي أُطْرِي ٱلْحُسَامَ إِذَا مَضَى وَإِنْ كَانَ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ غَيْرِي حَامِلُهْ
وَآسَى عَلَى جَيْحَانَ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ ذَوْدًا غَيْرَ ذَوْدِي نَاهِلُهْ
عَلَيْكَ أَبَا كُلْثُومٍ ٱلصَّبْرَ إِنَّنِي أَرَى ٱلصَّبْرَ أُخْرَاهُ تُقًى وَأَوَائِلُهْ
يُعَادِلُ وَزْنًا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى سِوَى صِحَّةِ ٱلتَّوْحِيدِ شَيْئًا يُعَادِلُهْ
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ وَصِنْوَاكَ مِنْهُ مَنْكِبَاهُ وَكَاهِلُهْ
وَلَيْسَتْ أَثَافِي ٱلْقِدْرِ إِلَّا ثَلَاثُهَا وَلَا ٱلرُّمْحُ إِلَّا لَهْذَمَاهُ وَعَامِلُهْ

١١٠ لابي العلاء المعرّي في جعفر بن المهذب

أَحْسَنُ بِٱلْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ ٱلنَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أَبَى فِي ٱلرُّزْءِ غَيْرَ ٱلْأَسَى كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ
فَلْيَذْرِفِ ٱلْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ
وَٱلشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ

لَيسَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى صَدِّهِ
وَٱلطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غَمْضِهِ وَلَيسَ يَرْتَاحُ إِلَى سُهْدِهِ
كَانَ ٱلْأَسَى فَرْضًا لَوَانَّ ٱلرَّدَى قَالَ لَنَا ٱفْدُوهُ فَلَمْ نَفْدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِلْهُدَى سَارَ مِنَ ٱلتُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَدْنَى مِنْ يَدٍ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ ٱلْكَوْكَبُ فِي بُعْدِهِ
يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيعَادِهِ وَمُخْلِفَ ٱلْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ ٱلْعِقْبَانَ فِي جَوِّهَا وَتُنْزِلُ ٱلْأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِهِ
أَرَى ذَوِي ٱلْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ ٱلْفَتَى نَافِعًا فَغَيُّهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبَةُ ٱلدُّنْيَا وَأَفْعَالِهَا حَثَّتْ أَخَا ٱلزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي بِرَزَايَاهُ لِي صَيَّرَنِي أَمْرَحُ فِي قِدِّهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ ٱلْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى ٱلَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ ٱلَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي ٱلْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شُيِّعَ أَمْ حَمْدِهِ
وَٱلْوَاحِدُ ٱلْمُفْرَدُ فِي حَتْفِهِ كَٱلْحَاشِدِ ٱلْمُكْثِرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ ٱلْبَاكِي لِآبَائِهِ كَحَالَةِ ٱلْبَاكِي عَلَى وُلْدِهِ
مَا رَغْبَةُ ٱلْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى ٱلْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا ٱلَّذِي ... مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ ... لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وُجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ ٱلْوَرَى ... وَإِنَّمَا ٱلشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ ٱلْعُمْرِ أَفْوَاهُنَا ... لِمَنْ تَنَاهَى ٱلْقَلْبُ فِي وُدِّهِ
يُسَرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاءٌ لَهُ ... وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّفْسِ يَغْتَالُهَا ... فَنَسْتَعِيذُ ٱللّٰهَ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ ... سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقْلَ ٱلثَّرَى جِيدُهُ ... وَكَانَ يَشْكُو ٱلضَّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ
وَرُبَّ ظَمْآنَ إِلَى مَوْرِدٍ ... وَٱلْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وِرْدِهِ
وَمُرْسِلِ ٱلْغَارَةِ مَبْثُوثَةً ... مِنْ أَدْهَمِ ٱللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ
يَخُوضُ بَحْرًا نَقْعُهُ مَاؤُهُ ... يَحْمِلُهُ ٱلسَّابِحُ فِي لِبْدِهِ
أَشْجَعُ مَنْ قَلَّبَ خَطِّيَّةً ... عَلَى طَوِيلِ ٱلْبَاعِ مُمْتَدِّهِ
يَرَى وُقُوعَ ٱلزُّرْقِ فِي دِرْعِهِ ... مِثْلَ وُقُوعِ ٱلزَّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ ٱلرُّمْحُ إِلَى طِرْفِهِ ... وَلَا إِلَى ٱلْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ
يُلْقِي عَلَيْهِ ٱلطَّعْنُ إِلْقَاءَكَ ٱلْـ ... حَبَّ عَلَى ٱلْمُسْرِعِ فِي عَقْدِهِ
بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا ... يَرُدُّ غَرْبَ ٱلْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ
أَمْهَلَهُ ٱلدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ ... مُبْيَضُّهُ يُحْدَى بِمُسْوَدِّهِ
فَيَا أَخَا ٱلْمَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ ... كَٱلشُّهْبِ مَا سَلَّاكَ عَنْ فَقْدِهِ
جَاءَكَ هٰذَا ٱلْحُزْنُ مُسْتَجْدِيًا ... أَجْرَكَ فِي ٱلصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ

سَلِّمْ إِلَى ٱللهِ فَكُلُّ ٱلَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ ٱلْأَسْمَرُ فِي غَابِهِ حَتْفاً وَلَا ٱلْأَبْيَضُ فِي غِمْدِهِ
إِنَّ ٱلَّذِي ٱلْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ ٱلرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أُوحِشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابُكَ مِنْ أُسْدِهِ

١١٠ ولابي العلاء المعرّي في فقيهٍ حنفي

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَٱعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ ٱلنَّعِيِّ إِذَا قِيـ سَ بِصَوْتِ ٱلْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ ٱلْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا ٱلْمَيَّادِ
صَاحِ هٰذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ ٱلرُّحْـ ـبَ فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِّفِ ٱلْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـ ـدُ هَوَانُ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ رُوَيْدًا لَا ٱخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ ٱلْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ ٱلْأَزْمَانِ وَٱلْآبَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا ٱلْحَيَاةُ فَمَا أَعْـ ـجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ٱزْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ ٱلْمِيلَادِ
خُلِقَ ٱلنَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
ضَجْعَةُ ٱلْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ ٱلْـ ـجِسْمُ فِيهَا وَٱلْعَيْشُ مِثْلُ ٱلسُّهَادِ

أَبَنَاتِ ٱلْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْعِدْ ... نَ قَلِيلَ ٱلْعَزَاءِ بِٱلْإِسْعَادِ
فَتَسَلَّبْنَ وَٱسْتَعِرْنَ جَمِيعًا ... مِنْ قَمِيصِ ٱلدُّجَى ثِيَابَ حِدَادِ
ثُمَّ غَرِّدْنَ فِي ٱلْمَآتِمِ وَٱنْدُبْـ ... ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ ٱلْغَوَانِي ٱلْخِرَادِ
قَصَدَ ٱلدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ ٱلْأَوَّ م ... ابِ مَوْلَى حِجًى وَخِدْنَ ٱقْتِصَادِ
وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ ... ـمَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ
فَٱلْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ م ... قَلِيلُ ٱلْخِلَافِ سَهْلُ ٱلْقِيَادِ
وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وُحُوشٍ ... عَلَّمَ ٱلضَّارِيَاتِ بِرَّ ٱلنِّقَادِ
رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُحْوِجِ ٱلْمَعْـ ... ـرُوفَ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى ٱلْإِسْنَادِ
أَنْفَقَ ٱلْعُمْرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ ٱلْعِلْـ ... ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَٱنْتِقَادِ
مُسْتَقِي ٱلْكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ ... بِغُرُوبِ ٱلْيَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمُسُ ٱلذَّهَبَ ٱلْأَحْـ ... ـدَرَ زُهْدًا فِي ٱلْعَسْجَدِ ٱلْمُسْتَفَادِ
وَدِّعَا أَيُّهَا ٱلْحَفِيَّانِ ذَاكَ ٱلشْـ ... ـشَخْصَ إِنَّ ٱلْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
وَٱغْسِلَاهُ بِٱلدَّمْعِ إِنْ كَانَ طُهْرًا ... وَٱدْفِنَاهُ بَيْنَ ٱلْحَشَى وَٱلْفُؤَادِ
وَٱحْبُوَاهُ ٱلْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ ٱلْمُصْـ ... ـحَفِ كِبْرًا عَنْ أَنْفَسِ ٱلْأَبْرَادِ
وَٱتْلُوَا ٱلنَّعْشَ بِٱلْقِرَاءَةِ وَٱلتَّسْـ ... ـبِيحِ لَا بِٱلنَّحِيبِ وَٱلتَّعْدَادِ
أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَٱجْتِهَادٌ ... لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءِ ٱجْتِهَادِ
طَالَمَا أَخْرَجَ ٱلْحَزِينَ جَوَى ٱلْحُزْ ... نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِٱلسَّدَادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي ... يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ ٱفْتِقَادِ
قَدْ أَقَرَّ ٱلطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ ... وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ ٱلْعُوَّادِ

وَٱنْتَهَى ٱلْيَأْسُ مِنْكَ وَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَجْـدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى ٱلْمَعَادِ
هَجَدَ ٱلسَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْـرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ ٱلْهُجَّادِ
لَا يُغَيِّرْكُمُ ٱلصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ ٱلسُّيُوفِ فِي ٱلْأَغْمَادِ
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ ٱللَّيَالِي رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ ٱلْهَوَادِي
كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْـبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي ٱلْمُـرَادِ
وَرَأَيْتَ ٱلْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ ٱلْأَوَّ لِ مِنْ شِيمَةِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادِ
وَخَلَعْـتَ ٱلشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْـتَكَ أَبْلَيْتَـهُ مَعَ ٱلْأَنْدَادِ
فَٱذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْـنِ بِسُقْيَـا رَوَائِحٍ وَغَوَادِ
وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ ٱلسُّطُورَ فِي ٱلْإِنْشَادِ
فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسِّنِ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَمْـدُودُ رَغْمًا لِآنُفِ ٱلْحُسَّـادِ
وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا ءِ أَخِيـهِ جَرَائِحِ ٱلْأَكْبَادِ
وَإِذَا ٱلْبَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرْ وَ فَلَا رِيَّ بِٱدِّخَارِ ٱلثِّمَـادِ
كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي ٱلْوَرْ قَاءُ وَٱلسَّيِّدُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعِمَادِ
وَٱللَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

١١٢ قال ابو الطيب المتنبي يرثي ابا شجاع فاتك

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَٱلتَّجَمُّـلُ يَرْدَعُ وَٱلدَّمْعُ بَيْنَهُمَـا عَصِيٌّ طَيِّـعُ
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّـدٍ هٰذَا يَجِيءُ بِهَـا وَهٰـذَا يَرْجِعُ
أَلنَّوْمُ بَعْـدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَٱللَّيْلُ مُعْيٍ وَٱلْكَوَاكِبُ ظُلَّـعُ
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِٱلْحِمَامِ فَأَشْجُـعُ

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ ٱلْأَعَادِي قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ ٱلصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
تَصْفُو ٱلْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي ٱلْحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ ٱلْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
أَيْنَ ٱلَّذِي ٱلْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا ٱلْمَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ ٱلْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا ... حِينًا وَيُدْرِكُهَا ٱلْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ
وَإِذَا ٱلْمَكَارِمُ وَٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا ... وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
أَلْمَجْدُ أَخْسَرُ وَٱلْمَكَارِمُ صَفْقَةً ... مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِهَا ٱلْكَرِيمُ ٱلْأَرْوَعُ
وَٱلنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا ... مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ
بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ ... فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا ... مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... إِلَّا نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا ... فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً ... أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا ... حَتَّى لَبِسْتَ ٱلْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّى أَتَى ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي لَا يُدْفَعُ
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ قُطَّعُ
بِأَبِي ٱلْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ ٱلسِّلَاحِ ٱلْأَدْمُعُ

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ ٱلسِّلَاحِ عَلَى ٱلْبُكَا   فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ
وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا ٱلْـبَازُ ٱلْأُشَيْهِبُ وَٱلْغُرَابُ ٱلْأَبْقَعُ
مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَٱلْجَحَافِلِ وَٱلسُّرَى   فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لَا يَطْلُعُ
وَمَنِ ٱتَّخَذْتَ عَلَى ٱلضُّيُوفِ خَلِيفَةً   ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ
قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ   وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ لُؤْمٍ بُرْقُعُ
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٍ   وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ ٱلْخَصِيُّ ٱلْأَوْكَعُ
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ   وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ   وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ   وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ
فَٱلْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ   دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ ٱلسِّيَاطِ وَخَيْلُهُ   وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَٱلْأَذْرُعُ
وَعَفَا ٱلطِّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ   فَوْقَ ٱلْقَنَاةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ
وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ   بَعْدَ ٱللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ   وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا   كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ ٱلرِّقَابُ وَتَخْضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ   أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ
قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ   فَرَسًا وَلٰكِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ
لَا قَلَّبَتْ أَيْدِي ٱلْفَوَارِسِ بَعْدَهُ   رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ

١١٣ ولهُ ايضاً يرثي والدة سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين وجاءهُ الخبر بموتها الى حلب

نُعِدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ وَٱلْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا ٱلْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ ٱلسَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ ٱللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَدِيمًا وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِٱلرَّزَايَا لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَهٰذَا أَوَّلُ ٱلنَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا ٱلْجَلَالِ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَلَاةُ ٱللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمُكَفَّنِ بِٱلْجَمَالِ
عَلَى ٱلْمَدْفُونِ قَبْلَ ٱلتُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ ٱللَّحْدِ فِي كَرَمِ ٱلْخِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ ٱلْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِي
وَمَا أَحَدٌ يُخَلَّدُ فِي ٱلْبَرَايَا بَلِ ٱلدُّنْيَا تَؤُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ ٱلنَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا تَمَنَّتْهُ ٱلْبَوَاقِي وَٱلْخَوَالِي
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوْمًا كَرِيهًا يُسَرُّ ٱلرُّوحُ فِيهِ بِٱلزَّوَالِ
رِوَاقُ ٱلْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ٱبْنِكِ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي ٱلْغَوَادِي نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِي ٱلنَّوَالِ

أُسائِلُ عَنكِ بَعدَكِ كُلَّ مَجدٍ ... وَما عَهدي بِمَجدٍ عَنكِ خالي
يَمُرُّ بِقَبرِكِ العافي فَيَبكي ... وَيَشغَلُهُ البُكاءُ عَنِ السُؤالِ
وَما أَهداكِ لِلجَدوى عَلَيهِ ... لَوَ اَنَّكِ تَقدِرينَ عَلى فَعالِ
بِعَيشِكِ هَل سَلَوتِ فَإِنَّ قَلبي ... وَإِن جانَبتُ أَرضَكِ غَيرُ سال
نَزَلتِ عَلى الكَراهَةِ في مَكانٍ ... بَعُدتِ عَنِ النُعامى وَالشَمالِ
تُحَجَّبُ عَنكِ رائِحَةُ الخُزامى ... وَتُمنَعُ مِنكِ أَنداءُ الطِلالِ
بِدارٍ كُلُّ ساكِنِها غَريبٌ ... طَويلُ الهَجرِ مُنبَتُّ الحِبالِ
حَصانٌ مِثلُ ماءِ المُزنِ فيهِ ... كَتومُ السِرِّ صادِقَةُ المَقالِ
يُعَلِّلُها نِطاسِيُّ الشَكايا ... وَواحِدُها نِطاسِيُّ المَعالي
إِذا وَصَفوا لَهُ داءً بِثَغرٍ ... سَقاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِوالِ
وَلَيسَت كَالإِناثِ وَلا اللَواتي ... تُعَدُّ لَها القُبورُ مِنَ الحِجالِ
وَلا مَن في جِنازَتِها تِجارٌ ... يَكونُ وَداعُها نَفضَ النِعالِ
مَشى الأُمَراءُ حَولَيها حُفاةً ... كَأَنَّ المَروَ مِن زِفِّ الرِئالِ
وَأَبرَزَتِ الخُدورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعنَ النِقسَ أَمكِنَةَ الغَوالي
أَتَتهُنَّ المُصيبَةُ غافِلاتٍ ... فَدَمعُ الحُزنِ في دَمعِ الدَلالِ
وَلَو كانَ النِساءُ كَمَن فَقَدنا ... لَفُضِّلَتِ النِساءُ عَلى الرِجالِ
وَما التَأنيثُ لِاسمِ الشَمسِ عَيبٌ ... وَلا التَذكيرُ فَخرٌ لِلهِلالِ
وَأَفجَعُ مَن فَقَدنا مَن وَجَدنا ... قُبَيلَ الفَقدِ مَفقودَ المِثالِ
يُدَفِّنُ بَعضُنا بَعضاً وَتَمشي ... أَواخِرُنا عَلى هامِ الأَوالي

أَسَيفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ وَكَيفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلجِبَالِ
فَأَنْتَ تُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلتَّعَزِّي وَخوضَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلسِّجَالِ

١١٤ وقال يرثي جدّتهُ وكانت يئست منهُ لطول غيبتهِ فكتب اليها كتابًا فلما وصلها قبلتهُ وحمَّت من وقتها لما غلب عليها من السرور فماتت

أَلَا لَا أُرِي ٱلْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمَّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ ٱلْفَتَى مَرْجِعُ ٱلْفَتَى يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى
لَكِ ٱللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا
أَحِنُّ إِلَى ٱلْكَاسِ ٱلَّتِي شَرِبَتْ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا ٱلتُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا
وَلَوْ قَتَلَ ٱلْهَجْرُ ٱلْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا
عَرَفْتُ ٱللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا هَمَّا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي ٱلسُّرُورُ فَإِنَّنِي أَعُدُّ ٱلَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ ٱلسَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا
وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا
رَقَا دَمْعُهَا ٱلْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا ٱلْمَنَايَا وَإِنَّمَا أَشَدُّ مِنَ ٱلسُّقْمِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ ٱلسُّقْمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ لَهَا قِسْمَا
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْغَمَامَ لِقَبْرِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْوَغَى وَٱلْقَنَا ٱلصُّمَّا

وَكُنْتُ قُبَيْلَ ٱلْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ ٱلنَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ ٱلصُّغْرَى ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلْعُظْمَى
هَبِينِي أَخَذْتُ ٱلثَّأْرَ فِيكِ مِنَ ٱلْعِدَى ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ ٱلثَّأْرِ فِيكِ مِنَ ٱلْحُمَّى
وَمَا ٱنْسَدَّتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلٰكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى
فَوَا أَسَفَا أَنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا ... لِرَأْسِكِ وَٱلصَّدْرِ ٱللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا
وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ ٱلطَّيِّبَ ٱلَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ ٱلْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ ٱلضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا
لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ ٱلشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمُ رَغْمَا
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ ٱلْيُتْمَا
وَمَا ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ فِي يَدِي ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ ٱلْجَدَّ وَٱلْفَهْمَا
وَلٰكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ ٱلْغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإِلَّا فَلَسْتُ ٱلسَّيِّدَ ٱلْبَطَلَ ٱلْقَرْمَا
إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفَ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ ٱللَّحْمَ وَٱلْعَظْمَا
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَٱذْهَبِي ... وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي ... وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ ٱلظُّلْمَا

أَلْبَابُ ٱلتَّاسِعُ
فِي ٱلْفَخْرِ

١١٥ قال طرفة يفتخر في قومه

سَائِلُوا عَنَّا ٱلَّذِي يَعْرِفُنَا   بِقُوَانَا يَوْمَ تَحْلَاقِ ٱللِّمَمْ
يَوْمَ تُبْدِي ٱلْبِيضُ عَنْ أَسْوُقِهَا   وَتَلُفُّ ٱلْخَيْلُ أَعْرَاجَ ٱلنَّعَمْ
أَجْدَرُ ٱلنَّاسِ بِرَأْسٍ صِلْدِمٍ   حَازِمِ ٱلْأَمْرِ شُجَاعٍ فِي ٱلْوَغَمْ
كَامِلٍ يَحْمِلُ آلَاءَ ٱلْفَتَى   نَبِهٍ سَيِّدِ سَادَاتٍ خِضَمْ
خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عُلِمُوا   لِكَفِيٍّ وَلِجَارٍ وَٱبْنِ عَمْ
يَجْبُرُ ٱلْمَحْرُوبَ فِينَا مَالُهُ   بِبِنَاءٍ وَسَوَامٍ وَخَدَمْ
نُقُلٌ لِلشَّحْمِ فِي مَشْتَاتِنَا   نُحُرٌ لِلنِّيبِ طُرَّادُ ٱلْقَرَمْ
نَزَعُ ٱلْجَاهِلَ فِي مَجْلِسِنَا   فَتَرَى ٱلْمَجْلِسَ فِينَا كَٱلْحَرَمْ
وَتَفَرَّعْنَا مِنِ ٱبْنَيْ وَائِلٍ   هَامَةَ ٱلْمَجْدِ وَخُرْطُومَ ٱلْكَرَمْ
مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا نُسِبُوا   وَبَنِي تَغْلِبَ ضَرَّابِي ٱلْبُهَمْ
حِينَ يَحْمِي ٱلنَّاسَ نَحْمِي سِرْبَنَا   وَاضِحِي ٱلْأَوْجُهِ مَعْرُوفِي ٱلْكَرَمْ
بِحُسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَّبًا   فِي ٱلضَّرِيبَاتِ مُتَرَّاتِ ٱلْعُصُمْ
وَفُحُولٍ هَيْكَلَاتٍ وُقُحٍ   أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى ٱلشَّأْوِ أُزُمْ
وَقَنًا جُرْدٍ وَخَيْلٍ ضُمَّرٍ   شُزَّبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ ٱللُّجُمْ
وَشَبَابٍ وَكُهُولٍ نُهَّدٍ   كَلُيُوثٍ بَيْنَ عِرِّيسِ ٱلْأَجَمْ

تُمْسِكُ ٱلْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا ... حِينَ لَا يُمْسِكُ إِلَّا ذُو كَرَمْ
نَذَرُ ٱلْأَبْطَالَ صَرْعَى بَيْنَهَا ... تَعْكُفُ ٱلْعِقْبَانُ فِيهَا وَٱلرَّخَمْ

١١٦ لعبيد بن الابرص الاسدي

وَلَا أَبْتَغِي وِدَّ ٱمْرِءٍ قَلَّ خَيْرُهُ ... وَمَا أَنَا عَنْ وَصْلِ ٱلصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ
وَإِنِّي لَأُطْفِي ٱلْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا ... وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلْغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ ... وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ ٱلْأُمُورِ بِمُبْتَدِي
إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ ٱلْخَؤُونَ أَمَانَةً ... فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ
وَجَدتُّ خَؤُونَ ٱلْقَوْمِ كَٱلْعُرِّ يُتَّقَى ... وَمَا خِلْتُ غَمَّ ٱلْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدِ
وَلَا تُظْهِرَنْ وِدَّ ٱمْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلَاءِ ٱلْمَرْءِ فَٱذْمُمْ أَوِ ٱحْمَدِ
وَلَا تَتْبَعَنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْهُ تَقُصُّهُ ... وَلَكِنْ بِرَأْيِ ٱلْمَرْءِ ذِي ٱللُّبِّ فَٱقْتَدِ
وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... لِذُخْرٍ وَفِي وَصْلِ ٱلْأَبَاعِدِ فَٱزْهَدِ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ... فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَٱزْدَدِ
تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ زَادِ ٱلْمُزَوَّدِ
تَمَنَّى مُرَيْءُ ٱلْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
لَعَلَّ ٱلَّذِي يَرْجُو رَدَايَ وَمِيتَتِي ... سَفَاهًا وَجُبْنًا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلرَّدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَائِرِي ... وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِمُخْلِدِي
وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تُعَدُّ وَقَدْ دَعَتْ ... حِبَالُ ٱلْمَنَايَا لِلْفَتَى كُلَّ مَرْصَدِ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي ٱلْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ ... سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ ٱلَّذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

فَإِنَّا وَمَنْ قَدْ بَادَ مِنَّا لَكَالَّذِي ... يَرُوحُ وَكَالْقَاضِي ٱلْبَتَاتَ لِيَغْتَدِي

١١٧ وقال عروة بن الورد العبسي الملقَّب بعروة الصعاليك

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ ... جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ
لَحَى ٱللّٰهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مَضَى فِي ٱلْمُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ
يَعُدُّ ٱلْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيًا ... يَحُتُّ ٱلْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ ٱلْمُتَعَفِّرِ
قَلِيلُ ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَالِ إِلَّا لِنَفْسِهِ ... إِذَا هُوَ أَضْحَى كَٱلْعَرِيشِ ٱلْمُجَوَّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ ٱلْحَيِّ لَا يَسْتَعِنَّهُ ... فَيُمْسِي طَلِيحًا كَٱلْبَعِيرِ ٱلْمُحَسَّرِ
وَلٰكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ ٱلْقَابِسِ ٱلْمُتَنَوِّرِ
مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ ٱلْمَنِيحِ ٱلْمُشَهَّرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ ٱقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّقَ أَهْلِ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُتَنَظَّرِ
فَذٰلِكَ إِنْ يَلْقَ ٱلْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ
أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌّ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقُمْ ... عَلَى نَدَبٍ يَوْمًا وَلِي نَفْسُ مُخْطِرِ
سَتُفْزِعُ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا ... كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى ٱلسَّوَامِ ٱلْمُنَفَّرِ
يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلَ ٱلْخَيْلِ بِٱلْقَنَا ... وَبِيضٍ خِفَافٍ ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَّرِ
فَيَوْمًا عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا ... وَيَوْمٌ بِأَرْضٍ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرْعَرِ
يُنَاقِلْنَ بِٱلشُّمْطِ ٱلْكِرَامِ إِلَى ٱلنُّهَى ... نِقَابَ ٱلْحِجَازِ فِي ٱلسَّرِيحِ ٱلْمُسَيَّرِ
يُرِيحُ عَلَيَّ ٱللَّيْلُ أَضْيَافَ مَاجِدٍ ... كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتِرِ
سَلِي ٱلسَّاغِبَ ٱلْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... إِذَا مَا ٱعْتَرَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزِرِي

أَأَبْسُطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ ٱلْقِرَى   وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

١١٨ قال حسان بن ثابت الانصاري

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا شَعْثُ مَا نَبَا   عَلَيَّ لِسَانِي فِي ٱلْخُطُوبِ وَلَا يَدِي
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا   وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ ٱلسَّيْفُ مِذْوَدِي
وَإِنْ أَكُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجُدْ بِهِ   وَإِنْ يُهْتَصَرْ عُودِي عَلَى ٱلْجَهْدِ يُحْمَدِ
فَلَا ٱلْمَالُ يُنْسِينِي حَيَائِي وَعِفَّتِي   وَلَا وَاقِعَاتُ ٱلدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِبْرَدِي
وَأُكْثِرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمُ   وَأَطْوِي عَلَى ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ ٱلْمُبَرَّدِ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائِلٌ   لِمُوقِدِ نَارِي لَيْلَةَ ٱلرِّيحِ أَوْقِدِ
وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لَدَى ٱلْبَثِّ مَرْحَبًا   وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدِ
وَإِنِّي لَيَدْعُونِي ٱلنَّدَى فَأُجِيبُهُ   وَأَضْرِبُ بَيْضَ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَوَقِّدِ
وَإِنِّي لَحُلْوٌ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ   وَإِنِّي لَتَرَّاكٌ لِمَا لَمْ أُعَوَّدِ
وَإِنِّي لَمُزْجٍ لِلْمَطِيِّ عَلَى ٱلْوَجَى   وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلْفِرَاشِ ٱلْمُمَهَّدِ
فَلَا تَعْجَلَنْ يَا قَيْسُ وَارْبَعْ فَإِنَّمَا   قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدِ
حُسَامٌ وَأَرْمَاحٌ بِأَيْدِي أَعِزَّةٍ   مَتَى تَرَهُمْ يَا ٱبْنَ ٱلْخَطِيمِ تَبَلَّدِ
لُيُوثٌ لَهَا ٱلْأَشْبَالُ تَحْمِي عَرِينَهَا   مَدَاعِيسُ بِٱلْخَطِّيِّ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَقَدْ لَاقَتِ ٱلْأَوْسُ ٱلْقِتَالَ وَأُطْرِدَتْ   وَأَنْتَ لَدَى ٱلْكُبَّاتِ فِي كُلِّ مَطْرَدِ
نَفَتْكُمْ عَنِ ٱلْعَلْيَاءِ أُمٌّ لَئِيمَةٌ   وَزَنْدٌ مَتَى تُقْدَحْ بِهِ ٱلنَّارُ يَصْلَدِ

١١٩ وقال بشر بن ابي حازم الاسدي

سَائِلْ تَمِيمًا فِي ٱلْحُرُوبِ وَعَامِرًا   وَهَلِ ٱلْمُجَرِّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً   نَشْفِي صُدَاعَهُمُ بِأَسْمَرَ صِلْدِمِ
نَعْلُو الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ وَنَعْتَزِي   وَالْخَيْلُ مُشْعَلَةُ النُّحُورِ مِنَ الدَّمِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا   خَبَبَ السِّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ
مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ مُنَازِلٍ   يَسْمُو إِلَى الْأَقْرَانِ غَيْرَ مُقَلَّمِ
فَفَضَضْنَ جَمْعَهُمُ وَأَدْبَرَ حَاجِبٌ   تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَعَلَى عِتَابِهِمُ الْمَذَلَّةُ أَصْبَحَتْ   نُبِذَتْ بِأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمِ
أَقْصَدْنَ حُجْرًا قَبْلَ ذٰلِكَ وَالْقَنَا   شُرُعٌ إِلَيْهِ وَقَدْ أُكِبَّ عَلَى الْفَمِ
يَنْوِي مُحَاوَلَةَ الْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ   فِيهِ مَخَارِصُ كُلِّ لَدْنٍ لَهْذَمِ
وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلَابٍ خَبْطَةً   أَلْحَقْنَهُمْ بِدَعَائِمِ الْمُتَخَيِّمِ
وَسَلَقْنَ كَعْبًا قَبْلَ ذٰلِكَ سَلْقَةً   بِقَنًا تَعَاوَرُهُ الْأَكُفُّ مُقَوَّمِ
حَتَّى سَقَيْنَا النَّاسَ كَأْسًا مُرَّةً   مَكْرُوهَةً حَسَوَاتُهَا كَالْعَلْقَمِ
قُلْ لِلْمُثَلَّمِ وَابْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ   إِنْ كُنْتَ رَائِمَ عِزِّنَا فَاسْتَقْدِمِ
تَلْقَ الَّذِي لَاقَى الْعَدُوُّ وَتَصْطَبِحْ   كَأْسًا صُبَابَتُهَا كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ
نَحْبُو الْكَتِيبَةَ حِينَ نَفْتَرِشُ الْقَنَا   طَعْنًا كَأَلْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ
وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ   يَوْمَ النِّسَارِ بِطَعْنَةٍ لَمْ تُكْلَمِ

١٢٠ قال الفرزدق واسمهُ همام بن غالب التميمي

لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي   عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ
لَنَا حَيْثُ آفَاقُ الْبَرِيَّةِ تَلْتَقِي   عَدِيدُ الْحَصَى وَالْقَسْوَرُ الْمُتَخَنْدِفُ
وَمِنَّا الَّذِي لَا تَنْطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ   وَلٰكِنْ هُوَ الْمُسْتَأْذَنُ الْمُتَعَرِّفُ

تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ وَعُيُونُهُمْ　　مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطَرَّفُ
وَبُنْيَانُ بَيْتِ ٱللهِ نَحْنُ وُلَاتُهُ　　وَبَيْتٌ بِأَعْلَى ٱلرَّامَتَيْنِ مُشَرَّفُ
تَرَى ٱلنَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا　　وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ　　وَيَسْأَلُنَا ٱلنَّصْفَ ٱلذَّلِيلُ فَنُنْصِفُ
وَإِنْ فَتَنُوا يَوْمًا ضَرَبْنَا رُؤُوسَهُمْ　　عَلَى ٱلدِّينِ حَتَّى يُقْتَلَ ٱلْمُتَأَلِّفُ
فَإِنَّكَ إِنْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا　　لَأَنْتَ ٱلْمُعَنَّى يَا جَرِيرُ ٱلْمُكَلَّفُ
أَتَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ ٱلنُّجُومِ مَكَانَةً　　بِرِيقٍ وَعَيْرٍ ظَهْرُهُ يَتَقَرَّفُ
وَشَيْخَيْنِ قَدْ عَاشَا ثَمَانِينَ حِجَّةً　　ذَلِيلَيْنِ ذَا هِمٌّ وَذَلِكَ أَعْجَفُ
عَطَفْتُ عَلَيْكَ ٱلْحَرْبَ إِنِّي إِذَا وَنَى　　أَخُو ٱلْحَرْبِ كَرَّارٌ عَلَى ٱلْقِرْنِ مِعْطَفُ
أَتَى لِجَرِيرٍ رَهْطُ سُوءٍ أَذِلَّةٌ　　وَعِرْضٌ لَئِيمٌ لِلْمَخَازِي مُوَقَّفُ
وَجَدْتُ ٱلثَّرَى فِينَا إِذَا وُجِدَ ٱلثَّرَى　　وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ ٱلْمُتَضَيِّفُ
وَنَمْنَعُ مَوْلَانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا　　بِنَا دَارُهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَإِنْ جَنَى　　وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطِفُ ٱلْجَارَ يُنْطَفُ
وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كِلَابٌ عَنِ ٱلْقِرَى　　إِلَى ٱلضَّيْفِ نَمْشِي مُسْرِعِينَ وَنَخْلُفُ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا　　جَوَامِعُ لِلْأَرْزَاقِ وَٱلرِّيحُ زَفْزَفُ
تَرَى حَوْلَهُنَّ ٱلْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ　　عَلَى صَنَمٍ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيِّنَا　　فَيَنْطِقَ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يُتَّقَى ٱلرَّدَى　　وَرَأْبُ ٱلثَّأْيِ وَٱلْجَانِبُ ٱلْمُتَخَوَّفُ
وَأَضْيَافِ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قِرَاهُمُ　　إِلَيْنَا فَأَتْلَفْنَا ٱلْمَنَايَا وَأَتْلَفُوا

وَكُنَّا إِذَا مَا ٱسْتَكْرَهَ ٱلضَّيْفُ بِٱلْقِرَى أَتَتْهُ ٱلْعَوَالِي وَهْيَ بِٱلسَّمِّ رُعَّفُ
وَكُلَّ قِرَى ٱلْأَضْيَافِ نَقْرِي مِنَ ٱلْقَنَا وَمُعْتَبِطًا مِنْهُ ٱلسَّنَامُ ٱلْمُسَدَّفُ
وَجَدْنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصًى وَأَكْرَمُهُمْ مَنْ بِٱلْمَكَارِمِ يُعْرَفُ
وَكِلْتَاهُمَا فِينَا لَنَا حِينَ نَلْتَقِي عَصَائِبَ لَاقَى بَيْنَهُنَّ ٱلْمُعَرَّفُ
مَنَازِيلُ عَنْ ظَهْرِ ٱلْقَلِيلِ كَثِيرُنَا إِذَا مَا دَعَا ذُو ٱلثَّوْرَةِ ٱلْمُتَرَدِّفُ
فَلَاقَيْنَا ٱلْحَصَى عَنْهُ ٱلَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ بِأَحْلَامِ جُهَّالٍ إِذَا مَا تَغَطَّفُوا
وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ وَمَا كَادَ لَوْلَا عِزُّنَا يَتَزَحْلَفُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى ٱسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ ٱلْقَنَا يَتَقَصَّفُ

١٢١ قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

بِأَيِّ حُسَامٍ أَمْ بِأَيِّ سِنَانِ أُنَازِلُ ذَاكَ ٱلْقِرْنَ حِينَ دَعَانِي
لَئِنْ عُرِّيَ ٱلْيَوْمَ ٱلْجَوَادُ لِعِلَّةٍ فَبِٱلْأَمْسِ شَدُّوا سَرْجَهُ لِطِعَانِ
وَإِنْ عُطِّلَ ٱلسَّهْمُ ٱلَّذِي كُنْتُ رَائِشًا فَفِيهِ دَمُ ٱلْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانِ
أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تُبَّعِيَّةٌ وَسَيْفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
وَمَا قَصَبَاتُ ٱلسَّبْقِ إِلَّا لِأَدْهَمِي إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ فِي مَجَالِ رِهَانِ
تَمَنَّى لِقَائِي مَنْ حَلَّتْ وِثَاقَهُ وَأَعْطَى غَدَاةَ ٱلْمَنِّ ذِلَّةَ عَانِ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْأَقْوَامُ مَنْ صَحَّ وُدُّهُ وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ ٱلشَّنَآنِ
وَمَا يَزْدَهِينِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّهٍ وَلَيْسَ لَهُ بِٱلْمُعْضِلَاتِ يَدَانِ
وَيَزْعُمُ أَنِّي فِي ٱلْبَيَانِ مُقَصِّرٌ وَيَأْبَى بَنَانِي وَٱقْتِدَارُ لِسَانِي
وَإِنِّي لَنَهَّاضٌ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانِ

نَهَضْتُ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدَّعٍ ... يُشَارِكُ أَهْلَ ٱلْقَوْلِ شِرْكَ عِنَانِ
أَيَنْسَى مَقَامِي إِذْ أُكَافِحُ دُونَهُ ... وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلذُّعْرِ بِٱلْخَفَقَانِ
وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُمْتُ فِيهِ بِخُطْبَةٍ ... كَآثَارِ عِدِّ ٱلْمَاءِ بِٱلسَّيَلَانِ
وَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْمَرْءُ يُقْطَعُ رَأْسُهُ ... وَإِنْ دَهَنُوهُ حِيلَةً بِدِهَانِ
تَهَاوَنَ بِٱلْإِنْصَافِ حَتَّى أَحَلَّهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ بِدَارِ هَوَانِ
وَلَوْ كَانَ يُعْطِي ٱلزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ ... لَمَا تَرَكُوهُ فِي يَدِ ٱلْحَدَثَانِ

١٢٢ قال الطغرائي يفتخر

أَبَى ٱللّٰهُ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فَضَائِلِي ... إِذَا مَا سَمَا بِٱلْمَالِ كُلُّ مُسَوَّدِ
وَإِنْ كَرُمَتْ قَبْلِي أَوَائِلُ أُسْرَتِي ... فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللّٰهِ مَبْدَأُ سُؤْدُدِي
يُذَمُّ لِأَجْلِي ٱلْمُهْرُ إِنْ يَكْبُ مَرَّةً ... بِجَدِّي وَإِنْ يَنْهَضْ بِجَدِّي يُحْمَدِ
وَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَقَدْرِي فَوْقَهُ ... وَلَوْ حُطَّ رَحْلِي بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ
إِذَا شَرُفَتْ نَفْسُ ٱلْفَتَى زَادَ قَدْرُهُ ... عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَأَمْجَدِ
كَذَاكَ حَدِيدُ ٱلسَّيْفِ إِنْ يَصْفُ جَوْهَرًا ... فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزْنَ عَسْجَدِ
تَكَادُ تَرَى مَنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ ... بِشِسْعِي إِذَا مَا ضَمَّنَا صَدْرُ مَشْهَدِ
وَمَا ٱلْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ ... فَهَلَّا بِفَضْلِي كَاثَرُونِي وَمَحْتِدِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ٱلْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ ... يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أُجِيزُهُ ... فَأُرْغِمَ أَعْدَائِي وَأَكْبِتَ حُسَّدِي
فَأُعْذَرُ إِنْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدٍ ... وَآمَنُ أَنْ يَعْتَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدِ
أَأُكْفَى وَلَا أَكْفِي وَتِلْكَ غَضَاضَةٌ ... أَرَى دُونَهَا وَقْعَ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

وَلَوْلَا تَكَالِيفُ ٱلْعُلَى وَمَغَارِمٌ ثِقَالٌ وَأَعْقَابُ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
لَأَعْطَيْتُ نَفْسِي فِي ٱلتَّخَلِّي مُرَادَهَا فَذَاكَ مُرَادِي مُذْ نَشَأْتُ وَمَقْصِدِي
مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ لَا يَضْجَرَ ٱلْمَرْءُ بِٱلَّذِي يُعَانِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَأَنْ قَدِ
إِذَا جَلَدِي فِي ٱلْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يُعِنْ مَرِيرَةَ عَزْمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلُّدِي
وَمَنْ يَسْتَعِنْ بِٱلصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعَدِ

١٢٣ قال ابو تمام يفتخر بقومه

أَنَا ٱبْنُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَرْضَعَ ٱلْجُودُ فِيهِمِ وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهْوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
نُجُومٌ طَوَالِعٌ جِبَالٌ فَوَارِعٌ غُيُوثٌ هَوَامِعٌ سُيُولٌ دَوَافِعُ
مَضَوْا وَكَأَنَّ ٱلْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمِ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي ٱلْمَحْلِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمُ ٱسْتَوْدَعُوا ٱلْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا ٱلْوَدَائِعُ
بَهَالِيلُ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكُفِّهِمْ لَأَيْقَنْتَ أَنَّ ٱلرِّزْقَ فِي ٱلْأَرْضِ وَاسِعُ
إِذَا خَفَقَتْ بِٱلْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ حَدَاهَا ٱلنَّدَى وَٱسْتَنْشَقَتْهَا ٱلْمَطَامِعُ
رِيَاحٌ كَرِيحِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْغَضِّ فِي ٱلنَّدَى وَلَٰكِنَّهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ زَعَازِعُ
هِيَ ٱلسُّمُّ مَا تَنْفَكُّ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهْوَ نَاقِعُ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضَ ٱلْعَدُوِّ قَطَائِعًا نُفُوسٌ لِحَدِّ ٱلْمُرْهَفَاتِ قَطَائِعُ
بِكُلِّ فَتًى مَا شَابَ مِنْ رَوْعِ وَقْعَةٍ وَلَٰكِنَّهُ قَدْ شِبْنَ مِنْهُ ٱلْوَقَائِعُ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَٱحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَٱحْتَوَتْهُ ٱلصَّنَائِعُ
فَتُعْطِي ٱلَّذِي تُعْطِيهِمُ ٱلْخَيْلُ وَٱلْقَنَا أَكُفٌّ لِإِرْثِ ٱلْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

هُمُ قَوَّمُوا دَرْءَ ٱلشَّآمِ وَأَيْقَظُوا ... بِنَجْدٍ عُيُونَ ٱلْحَرْبِ وَهْيَ هَوَاجِعُ
يَمُدُّونَ بِٱلْبِيضِ ٱلْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا ... وَهُنَّ سَوَاءٌ وَٱلسُّيُوفُ ٱلْقَوَاطِعُ
إِذَا أَسَرُوا لَمْ يَأْسِرِ ٱلْبَغْيُ عَفْوَهُمْ ... وَلَمْ يُمْسِ عَانٍ فِيهِمِ وَهْوَ كَانِعُ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ ... تَيَقَّنَ أَنَّ ٱلْمَنَّ أَيْضًا جَوَامِعُ
وَإِنْ صَارَعُوا عَنْ مَفْخَرٍ قَامَ دُونَهُمْ ... وَخَلْفَهُمْ بِٱلْجَدِّ جَدٌّ مُصَارِعُ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ ... بِشِعْرِي وَهْوَ ٱلْيَوْمَ خَزْيَانُ ضَارِعُ
كَشَفْتُ قِنَاعَ ٱلشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ ... فَطَيَّرْتُهُ عَنْ فِكْرِهِ وَهْوَ وَاقِعُ
بِغُرٍّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ ... وَيَدْنُو إِلَيْهَا ذُو ٱلْحِجَى وَهْوَ شَاسِعُ
يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ ... إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا ٱلْمَسَامِعُ

١٢٤ قال ابو فراس الحمدانيّ يفتخر

وَوَٱللّٰهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... وَلَكِنْ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ عَنِّي غَافِلُ
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا ٱنْتَجَعْتُهَا ... حَلَبْتُ بَكِيَّاتٍ وَهُنَّ حَوَافِلُ
تُدَافِعُنِي ٱلْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ ... كَمَا دَفَعَ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ ٱلْمُمَاطِلُ
فَمِثْلِي مَنْ نَالَ ٱلْأَعَادِي بِسَيْفِهِ ... وَيَا رُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا ٱلْغَوَائِلُ
وَمَا لِيَ لَا تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي يَدِي ... كَرَائِمُ أَمْوَالِ ٱلرِّجَالِ ٱلْعَقَائِلُ
أُحَكِّمُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا ... أُحَكِّمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
وَمَا زَالَ مَحْمِيُّ ٱلْحَمَائِلِ عَنْوَةً ... سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي ٱلْجُفُونِ ٱلْحَمَائِلُ
يَنَالُ ٱخْتِيَارَ ٱلصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ ٱلْوَسَائِلُ
لَنَا عَقِبُ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي فِي صُدُورِهِ ... تَطَاوَلُ أَعْنَاقُ ٱلْعِدَى وَٱلْكَوَاهِلُ

أَصَاغِرُنَا فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ أَكَابِرٌ وَآخِرُنَا فِي ٱلْمَأْثُرَاتِ أَوَائِلُ
إِذَا صُلْتُ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُ

١٢٥ وعُرِضت على سيف الدولة خيولهُ وبنو أخيهِ حضورٌ فكلٌّ اختار منها وطاب حاجتهُ من دون ابي فراس فعتب عليهِ سيف الدولة فانشدهُ :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْوَافِي
لَا أَرْتَضِي وِدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ ٱلْوَفَاءِ وَقِلَّةِ ٱلْإِنْصَافِ
تَعِسَ ٱلْحَرِيصُ وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ ٱلْإِلْحَاحِ وَٱلْإِلْحَافِ
إِنَّ ٱلْغَنِيَّ هُوَ ٱلْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي ٱلْمَنَاكِبِ حَافِ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ ٱلْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا ٱقْتَنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِ
وَيَعَافُ لِي طَبْعَ ٱلْحَرِيصِ أُبُوَّتِي وَمُرُوَّتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي
مَا كَثْرَةُ ٱلْخَيْلِ ٱلْجِيَادِ بِزَائِدٍ شَرَفًا وَلَا عَدَدُ ٱلسَّوَامِ ٱلصَّافِي
وَمَكَارِمِي عَدَدُ ٱلنُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ ٱلْكِرَامِ وَمَنْزِلُ ٱلْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلَافِي
خَيْلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا ٱلرَّعَافِ
شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

١٢٦ لابي العلاء المعرّي في الفخر

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ
أَعِنْدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدَّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيَّبُ سَائِلُ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا ٱلْعُلَى وَٱلْفَضَائِلُ

كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ ٱلزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ... رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي ٱلْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ ... بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَكَامِلُ
يُهِمُّ ٱللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ ... وَيَثْقُلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ ... لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ
وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ ٱلصَّبَاحَ صَوَارِمٌ ... وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ ٱلظَّلَامَ جَحَافِلُ
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلَّ لِجَامُهُ ... وَنَصْلٌ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ ٱلصَّيَاقِلُ
فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ ٱلْفَتَى شَرَفٌ لَهُ ... فَمَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَٱلْحَمَائِلُ
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي ... عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ نَازِلُ
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ ... وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ٱلْمُتَنَاوِلُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْجَهْلَ فِي ٱلنَّاسِ فَاشِيًا ... تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّي جَاهِلُ
فَوَاعَجَبَا كَمْ يَدَّعِي ٱلْفَضْلَ نَاقِصٌ ... وَوَا أَسَفَا كَمْ يُظْهِرُ ٱلنَّقْصَ فَاضِلُ
وَكَيْفَ تَنَامُ ٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ ٱلْحَبَائِلُ
يُنَافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفًا ... وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ ٱلْأَصَائِلُ
وَطَالَ ٱعْتِرَافِي بِٱلزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ تَغُولُ ٱلْغَوَائِلُ
فَلَوْ بَانَ عُنْقِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي ... وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ ٱلْأَنَامِلُ
إِذَا وَصَفَ ٱلطَّائِيَّ بِٱلْبُخْلِ مَادِرٌ ... وَعَيَّرَ قُسًّا بِٱلْفَهَاهَةِ بَاقِلُ
وَقَالَ ٱلسُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ ضَئِيلَةٌ ... وَقَالَ ٱلدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ سَفَاهَةً ... وَفَاخَرَتِ ٱلشُّهْبَ ٱلْحَصَى وَٱلْجَنَادِلُ
فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ... وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلْمَدِيحِ

١٢٧ زهير في مديح هرم بن سنان من قصيدة

إِلَى هَرِمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ ٱللِّوَى ... فَنِعْمَ مَسِيرُ ٱلْوَاثِقِ ٱلْمُتَعَمِّدِ
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ ... أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعُدِ
أَلَيْسَ بِضَرَّابِ ٱلْكُمَاةِ بِسَيْفِهِ ... وَفَكَّاكِ أَغْلَالِ ٱلْأَسِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ
كَلَيْثٍ أَبِي شِبْلَيْنِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... إِذَا هُوَ لَاقَى نَجْدَةً لَمْ يُعَرِّدِ
وَمِدْرَهُ حَرْبٍ حَمْيُهَا يُتَّقَى بِهِ ... شَدِيدُ ٱلرِّجَامِ بِٱللِّسَانِ وَبِٱلْيَدِ
وَثِقْلٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ لَا يَضْعُونَهُ ... وَحَمَّالُ أَثْقَالٍ وَمَأْوَى ٱلْمُطَرَّدِ
أَلَيْسَ بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ... ثِمَالِ ٱلْيَتَامَى فِي ٱلسِّنِينَ مُحَمَّدِ
إِذَا ٱبْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً ... مِنَ ٱلْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا يُسَوَّدِ
سَبَقْتَ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ ... سَبُوقٍ إِلَى ٱلْغَايَاتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
كَفَضْلِ جَوَادِ ٱلْخَيْلِ يَسْبِقُ عَفْوُهُ م ٱلسِّرَاعَ وَإِنْ يَجْهَدْنَ يَجْهَدْ وَيَبْعُدِ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً ... بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقَلَّدِ
سِوَى رُبَعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَانَةً ... وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِذٍ مُتَهَوِّدِ
يَطِيبُ لَهُ أَوْ ٱفْتِرَاصٍ بِسَيْفِهِ ... عَلَى دَهَشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ ٱلنَّاسَ لَمْ تَمُتْ ... وَلَكِنَّ حَمْدَ ٱلنَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ
وَلَكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وِرَاثَةً ... فَأَوْرِثْ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوَّدِ

تَزَوَّدْ إِلَى يَوْمِ ٱلْمَمَاتِ فَإِنَّهُ وَلَوْ كَرِهَتْهُ ٱلنَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدِ

١٢٨ للنابغة الذبياني في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني من قصيدة

وَثِقْتُ لَهُ بِٱلنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أُولٰئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مُغَارَهُمْ مِنَ ٱلضَّارِيَاتِ بِٱلدِّمَاءِ ٱلدَّوَارِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَضَ ٱلْخَطِّيُّ فَوْقَ ٱلْكَوَاثِبِ
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ بِهِنَّ كُلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
إِذَا ٱسْتُنْزِلُوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إِلَى ٱلْمَوْتِ إِرْقَالَ ٱلْجِمَالِ ٱلْمَصَاعِبِ
فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ ٱلْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بِأَيْدِيهِمِ بِيضٌ رِقَاقُ ٱلْمَضَارِبِ
يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ ٱلْحَوَاجِبِ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ
بِضَرْبٍ يُزِيلُ ٱلْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ ٱلْمَخَاضِ ٱلضَّوَارِبِ
لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا ٱللهُ غَيْرَهُمْ مِنَ ٱلْجُودِ وَٱلْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ ٱلْإِلٰهِ وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ ٱلْعَوَاقِبِ
رِقَاقُ ٱلنِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بِٱلرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَاسِبِ
تُحَيِّيهِمِ بِيضُ ٱلْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةُ ٱلْإِضْرِيجِ فَوْقَ ٱلْمَشَاجِبِ
يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ ٱلْأَرْدَانِ خُضْرِ ٱلْمَنَاكِبِ

وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ
حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا ... بِقَوْمِي وَإِذْ أَعْيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

١٢٩ لعلقمة الفحل في مدح الحارث الوهّاب سيّد بني غسّان وملك الشام

إِلَى ٱلْحَارِثِ ٱلْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا وَٱلْقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ
لِتُبْلِغَنِي دَارَ ٱمْرِئٍ كَانَ نَائِيًا ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ
وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَبِيبَهَا ... وَغُودِرَ فِي بَعْضِ ٱلْجُنُودِ رَبِيبُ
فَوَٱللّٰهِ لَوْلَا فَارِسُ ٱلْجَوْنِ مِنْهُمُ ... لَآبُوا خَزَايَا وَٱلْإِيَابُ حَبِيبُ
تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ ... وَأَنْتَ لِبَيْضِ ٱلدَّارِعِينَ ضَرُوبُ
مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا ... عَقِيلَا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ
فَجَالَدْتَهُمْ حَتَّى ٱتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ ٱلنَّهَارِ غُرُوبُ
وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلُ حِفَاظِهَا ... وَهِنْبٌ وَقَاسٌ جَالَدَتْ وَشَبِيبُ
تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ ٱلْحَدِيدِ عَلَيْهِمِ ... كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسَ ٱلْحَصَادِ جَنُوبُ
تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ تَطِيبُ
كَأَنَّ رِجَالَ ٱلْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَمَا جَمَعَتْ جَلٌّ مَعًا وَعَتِيبُ
رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ ٱلسَّمَاءِ فَدَاحِصٌ ... بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ
كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةٌ بِلِجَامِهَا ... وَإِلَّا طِمِرٌّ كَٱلْقَنَاةِ نَجِيبُ
وَإِلَّا كَمِيٌّ ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ ... بِمَا ٱبْتَلَّ مِنْ حَدِّ ٱلظُّبَاتِ خَضِيبُ

وَأَنتَ ٱلَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ مِنَ ٱلْبُوسِ وَٱلنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبُ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقٌّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ
وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ مُسَاوٍ وَلَا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ
فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ وَسْطَ ٱلْقِبَابِ غَرِيبُ

١٣٠ للفرزدق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

إِلَيْكَ سَمَتْ يَا ٱبْنَ ٱلْوَلِيدِ رِكَابُنَا وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
إِلَى عُمَرٍ أَقْبَلْنَ مُعْتَمِدَاتِهِ سِرَاعًا وَنِعْمَ ٱلرَّكْبُ وَٱلْمُتَعَمَّدُ
وَلَمْ تَجْرِ إِلَّا جِئْتَ لِلْخَيْلِ سَابِقًا وَلَا عُدْتَ إِلَّا أَنْتَ فِي ٱلْعَوْدِ أَحْمَدُ
إِلَى ٱبْنِ ٱلْإِمَامَيْنِ ٱللَّذَيْنِ أَبُوهُمَا إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا ٱلنُّبُوَّةُ يُسْجَدُ
إِذَا هُوَ أَعْطَى ٱلْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ ٱلْغَدُ
بِحَقِّ ٱمْرِئٍ بَيْنَ ٱلْوَلِيدِ قَنَاتُهُ وَكِنْدَةَ فَوْقَ ٱلْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ
أَقُولُ لِحَرْفٍ لَمْ يَدَعْ رَحْلُهَا لَهَا سَنَامًا وَتَثْوِيرُ ٱلْقَطَا وَهْيَ هُجَّدُ
عَلَيْكِ فَتَى ٱلنَّاسِ ٱلَّذِي إِنْ بَلَغْتِهِ فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدَّدُ
وَإِنَّ لَهُ نَارَيْنِ كِلْتَاهُمَا لَهَا قِرًى دَائِمٌ قُدَّامَ بَيْتَيْهِ تُوقَدُ
فَهٰذِي لِعَبْطِ ٱلْمُشْبِعَاتِ إِذَا شَتَا وَهٰذِي يَدٌ فِيهَا ٱلْحُسَامُ ٱلْمُهَنَّدُ
وَلَوْ خَلَّدَ ٱلْفَخْرُ ٱمْرَأً فِي حَيَاتِهِ خَلَدْتَ وَمَا بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ مُخَلَّدُ
وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عُوِّدْتَ لِلْمَجْدِ عَادَةً وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ
تُسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِيًا أَهَمًّا جَفَا أَمْ جَفْنُ عَيْنِكَ أَرْمَدُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ عِيَالٌ أَرَاهُمُ وَمَا لَهُمُ مَا فِيهِ لِلْغَيْثِ مَقْعَدُ

فَقَالَتْ أَلَيسَ ابْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي لَهُ ... يَمِينٌ بِهَا الْإِمْحَالُ وَالْفَقْرُ يُطْرَدُ
يَجُودُ وَإِنْ لَمْ تَرْتَحِلْ يَا ابْنَ غَالِبٍ ... إِلَيْهِ وَإِنْ لَاقَيْتَهُ فَهُوَ أَجْوَدُ
مِنَ النِّيلِ إِذْ عَمَّ الْمَنَارَ غُثَاؤُهُ ... وَمَنْ يَأْتِهِ مِنْ رَاغِبٍ فَهُوَ أَسْعَدُ
فَإِنَّ ارْتِدَادَ الْهَمِّ عَجْزٌ عَلَى الْفَتَى ... عَلَيْهِ كَمَا رُدَّ الْبَعِيرُ الْمُتَيَّدُ
وَلَا نُجْحَ فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... زَمَاعٌ وَحَبْلٌ لِلصَّرِيمَةِ مُحْصَدُ
جَرَى ابْنُ أَبِي الْعَاصِي فَأَحْرَزَ غَايَةً ... إِذَا أَحْرَزَتْ مَنْ نَالَهَا فَهُوَ أَمْجَدُ
وَكَانَ إِذَا احْمَرَّ الشِّتَاءُ جِفَانُهُ ... جِفَانٌ إِلَيْهَا بَادِئُونَ وَعُوَّدُ
لَهُمْ طُرُقٌ أَفْوَاهُهُمْ قَدْ عَرَفْنَهَا ... إِلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الشَّحْمِ جُمَّدُ
وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٍ ... وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا عَلَيْهِ لَكُمْ يَدُ
إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مَجْدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ ... فَضَلْتُمْ إِذَا مَا أَكْرَمُ النَّاسِ عُدِّدُوا

١٣١ وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

هٰذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هٰذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمِ ... هٰذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ ... عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْشَقُّ نُورُ الْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ ... كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ كِرَامِ الْقَوْمِ نَبْعَتُهُ   طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيمُ وَالشِّيَمُ

هٰذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ   بِجَدِّهِ أَوْلِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

أَللهُ شَرَّفَهُ قَدْرًا وَعَظَّمَهُ   جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هٰذَا بِضَائِرِهِ   أَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا   يُسْتَوْكَفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ   يَزِينُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشِّيَمُ

حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَضُوا   حُلْوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ   لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ   عَنْهَا الْغَيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ   كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعْتَصَمُ

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ   أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمُ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ   وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

هُمُ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ   وَالْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ

لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكُفِّهِمُ   سِيَّانِ ذٰلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ   فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ   خُلْقٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضُمُ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمِ   لِأَوَّلِيَّةِ هٰذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ

مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا   فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هٰذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

١٣٢ لابن خفاجة الاندلسي في مدح الامير ابي يحيى بن ابراهيم

ضافي رداء المجد طمّاح العلى ... طامي عباب الجود رحب الدار
جرّار أذيال المعالي والقنا ... حامي الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكلّ قيد طريدة ... زجل الجناح مورّد الأظفار
ملتفّة أعطافه بحبيرة ... مكحولة أجفانه بنضار
خدم القضاء مراده فكأنّما ... ملكت يداه أعنّة الأقدار
وعنى الزمان لأمره فكأنّما ... أصغى الزمان به إلى أمّار
وجلا الإمارة في رقيق نضارة ... جلت الدجى في حلّة الأنوار
في حيث وشّح لبّة بقلادة ... منها وحلّى معصما بسوار
جذلان يملأ منحة وبشاشة ... أيدي العفاة وأعين الزوّار
أرج النديّ بذكره فكأنّه ... متنفّس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه ... واستلّ صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله ... ما شاء من نار ومن إعصار
والخيل تعثر في شباشك القنا ... قصدا وتسبح في الدم الموّار
والبيض تحنى في الطلى فكأنّما ... لويت عرى منها على أزرار
والنقع يكسر من سنا شمس الضحى ... فكأنّه صدأ على دينار
صحب الحسام النصر صحبة غبطة ... في كفّ صوّال به سوّار
لو أنّه أوحى إليه بنظرة ... يوما لثار ولم ينم عن ثار
وقضى وقد ملكته هزّة عزّة ... تحت العجاج وضحكة استبشار

١٣٣ لابن الازرق الاندلسي في مدح الرئيس ابي يحيي بن عاصم وتهنئته بعيد

يَا مُطْلِعَ ٱلْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى ... وَمُشَعْشِعَ ٱلصَّهْبَاءِ نَارًا تُلْمَسُ
بِكَ مَجْلِسُ ٱلْأُنْسِ ٱطْمَأَنَّ وَبِٱبْنِ عَا ... صِمٍ ٱطْمَأَنَّ مِنَ ٱلرِّئَاسَةِ مَجْلِسُ
بَدْرٌ بِأَنْوَارِ ٱلْهُدَى مُتَطَلِّعٌ ... غَيْثٌ بِأَشْتَاتِ ٱلنَّدَى مُتَبَجِّسُ
حَامَى فَلَمْ نَرْتَعْ لِخَطْبٍ يَعْتَرِي ... وَوَفَى فَلَمْ تَحْفِلْ بِدَهْرٍ يَبْخَسُ
شِيَمٌ مُهَذَّبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ ... وَمَكَارِمٌ هُتُنٌ وَمَجْدٌ أَقْعَسُ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذِكْرُهُ لَبَدَا عَلَى ... أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تَحْمَى ٱلْعُلَى ... وَبِهِ خِلَالُ ٱلْفَخْرِ طُرًّا تُحْرَسُ
بَيْتٌ عَلَى عَمَدِ ٱلْفَخَارِ مُطَنَّبٌ ... مَجْدٌ عَلَى مَتْنِ ٱلسِّمَاكِ مُؤَسَّسُ
إِنَّا لَنَغْدُو هُيَّمًا فَيُنِيلُنَا ... رِيًّا وَيُوحِشُنَا ٱلنَّوَى فَيُؤَنِّسُ
حَتَّى أَقَمْنَا وَٱلْأَمَانِي مُنْهِضَا ... تٌ وَٱبْتَسَمْنَا وَٱلزَّمَانُ مُعَبِّسُ
لَمْ نَدْرِ قَبْلَ يَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ ... أَنَّ ٱلذَّوَابِلَ بِٱلْغَمَامِ تَبَجَّسُ
هُنَّ ٱلْيَرَاعُ بِهَا يُؤَمَّنُ خَائِفٌ ... وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيُغْنَى مُفْلِسُ
مَهْمَا أُنْبِرَتْ فَهِيَ ٱلسِّهَامُ يُرَى لَهَا ... وَقْعٌ لِأَغْرَاضِ ٱلْبَيَانِ مُقَرْطِسُ
يَشْفَى بِمَأْمَلِهِ ٱلشَّكِيُّ ٱلْمُعْتَرِي ... يَحْيَا بِمَأْمَنِهِ ٱلْحِمَامُ ٱلْمُؤْيِسُ
قَدْ جَمَّعَ ٱلْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ ... فَلِذَا ٱطِّرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعْكَسُ
عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ يَبِيسٌ مُثْمِرٌ ... غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحٌ أَخْرَسُ
لِلّٰهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْيَرَاعِ جَوَاذِبٌ ... لِلسِّحْرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا ٱلْمَغْنِيطِسُ
رُضْنَا شِمَاسَ ٱلْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا ... فَهِيَ ٱلَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ

وَإِلَيْكَهَا حُلَلًا تَشَابَهَ نَسْجُهَا مِثْلِي يُفَصِّلُهَا وَمِثْلُكَ يَلْبَسُ
وَاهْنَأْ بِعِيدٍ بَاسِمٍ مُتَهَلِّلٍ وَافَاكَ يَجْهَرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ
وَاحْبِسْ لِوَاءَ الْفَخْرِ مَوْقُوفًا فَإِنَّ الْحَمْدَ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ مُحَبَّسُ

١٣٤ لابي تمام في هارون الواثق بالله من قصيدةٍ

سِيرُوا بَنِي الْحَاجَاتِ يُنْجِحْ سَعْيَكُمْ غَيْثٌ سَحَابُ الْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ
فَالْحَادِثَاتُ بِوَبْلِهِ مَصْفُودَةٌ وَالْمَحْلُ فِي شُؤْبُوبِهِ مَسْجُونُ
حَمَلُوا ثَقِيلَ الْهَمِّ وَاسْتَنَّأَى بِهِمْ سَفَرٌ يَهُدُّ الْمَتْنَ وَهْوَ مَتِينُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْهُ عَنْ أَكْتَافِهِمْ بِالْعَزْمِ وَهْوَ عَلَى النَّجَاحِ ضَمِينُ
وَجَدُوا جَنَابَ الْمُلْكِ أَخْضَرَ فَاجْتَلَوْا هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
أَلْفَوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدُّهُ خَضِلُ الْغَمَامِ وَظِلُّهُ مَسْكُونُ
فَغَدَوْا وَقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَاثِقٍ بِاللّٰهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ
مَلَكُوا خِطَامَ الْعَيْشِ بِالْمَلِكِ الَّذِي أَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ حُصُونُ
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ خَفَّ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهْوَ رَكِينُ
لَيْثٌ إِذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ يَعْلُو قَرَا الْهَيْجَاءِ وَهْيَ زَبُونُ
لِحِيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِخَطْبِهَا مُتَعَمِّدٌ وَبِنَدْبِهَا مَلْبُونُ
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبٌّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعْرَعَ أَنَّهُ لِأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ ... كَرَمٌ يَذُوبُ ٱلْمُزْنُ مِنْهُ وَلِينُ
يَسْمُو بِكَ ٱلسَّفَّاحُ وَٱلْمَنْصُورُ وَٱلْـ ... ـمَهْدِيُّ وَٱلْمَعْصُومُ وَٱلْمَأْمُونُ
مَنْ يَعْشُ ضَوْءَ ٱلْآلِ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ ... مَلَأٌ لَدَى مَلَإِ ٱلسَّمَاءِ مَكِينُ
فُرْسَانُ مَمْلَكَةٍ أُسُودُ خِلَافَةٍ ... ظِلُّ ٱلْهُدَى غَابٌ لَهُمْ وَعَرِينُ
فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ ... مُتَكَنِّفَاهَا ٱلنَّصْرُ وَٱلتَّمْكِينُ
قَدْ أَصْبَحَ ٱلْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا ... وَٱلْهِنْدُ بَعْضُ ثُغُورِهَا وَٱلصِّينُ
يَفْدِي أَمِينَ ٱللهِ كُلُّ مُنَافِقٍ ... شَنْآنُهُ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ كَمِينُ
مِمَّنْ يَدَاهُ يُسْرَيَانِ وَلَمْ تَزَلْ ... فِينَا وَكِلْتَا رَاحَتَيْكَ يَمِينُ
تُدْعَى بِطَاعَتِكَ ٱلْوُحُوشُ فَتَرْعَوِي ... وَٱلْأُسْدُ فِي عِرِّيسِهَا فَتَدِينُ
مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدٍ أَلَا ... كُلُّ ٱفْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

١٣٥ ولهُ في المعتصم بالله عند فتح عموريّة عاصية الروم

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ
وَٱلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلْأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لَا فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ
أَيْنَ ٱلرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ ٱلنُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ
عَجَائِبًا زَعَمُوا ٱلْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ ٱلْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ
فَتْحُ ٱلْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ ٱلْخُطَبِ

فتح تفتح أبواب السماء له　　وتبرز الأرض في أثوابها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت　　عنك المنى حفلا معسولة الحلب

أبقيت جد بني الإسلام في صعد　　والمشركين ودار الشرك في صبب

أم لهم لو رجوا أن تفتدى جعلوا　　فداءها كل أم برة وأب

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها　　كسرى وصدت صدودا عن أبي كرب

من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد　　شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

بكر فما افترعتها كف حادثة　　ولا ترقت إليها همة النوب

حتى إذا مخض الله السنين لها　　مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

أتتهم الكربة السوداء سادرة　　منها وكان اسمها فراجة الكرب

جرى لها الفأل نحسا يوم أنقرة　　إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

لما رأت أختها بالأمس قد خربت　　كان الخراب لها أعدى من الجرب

كم بين حيطانها من فارس بطل　　قاني الذوائب من آني دم سرب

بسنة السيف والخطي من دمه　　لا سنة الدين والإسلام مختضب

لقد تركت أمير المؤمنين بها　　للنار يوما ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى　　يقله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت　　عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة　　وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت　　والشمس واجبة من ذا ولم تجب

تصرح الدهر تصريح الغمام لها　　عن يوم هيجاء منها طاهر جنب

لَمْ تَطْلُعِ ٱلشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى ... بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ

مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ ... غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا ٱلْخَرِبِ

لَمْ يَعْلَمِ ٱلْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ ... لَهُ ٱلْمَنِيَّةُ بَيْنَ ٱلسُّمْرِ وَٱلْقُضُبِ

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِٱللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلهِ مُرْتَغِبٍ فِي ٱللهِ مُرْتَهِبِ

وَمُطْعَمُ ٱلنَّصْلِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ ٱلرُّعُبِ

لَوْلَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ ٱلْوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَى بِكَ ٱللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ ٱللهِ لَمْ يُصِبِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَٱللهُ مِفْتَاحُ بَابِ ٱلْمَعْقِلِ ٱلْأَشِبِ

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَرٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ ٱلْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى ٱلسُّيُوفِ وَأَطْرَافُ ٱلْقَنَا ٱلسُّلُبِ

إِنَّ ٱلْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا ٱلْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ ٱلْكَرَى وَرُضَابَ ٱلْخُرَّدِ ٱلْعُرُبِ

عَدَاكَ حَرُّ ٱلثُّغُورِ ٱلْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ ٱلثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا ٱلْحَصِبِ

أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِٱلسَّيْفِ مُنْصَلِتًا ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ ٱلسَّيْفِ لَمْ تُجِبِ

حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ ٱلشِّرْكِ مُنْقَعِرًا ... وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى ٱلْأَوْتَادِ وَٱلطُّنُبِ

لَمَّا رَأَى ٱلْحَرْبَ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ تُوفِلِسٌ ... وَٱلْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ ٱلْمَعْنَى مِنَ ٱلْحَرَبِ

غَدَا يُصَرِّفُ بِٱلْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا ... فَعَزَّهُ ٱلْبَحْرُ ذُو ٱلتَّيَّارِ وَٱلْعَبَبِ

هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلْوَقُورُ بِهِ ... عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ

لَمْ يُنْفِقِ ٱلذَّهَبَ ٱلْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ   عَلَى ٱلْحَصَى وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى ٱلذَّهَبِ
إِنَّ ٱلْأُسُودَ أُسُودَ ٱلْغَابِ هِمَّتُهَا   يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ فِي ٱلْمَسْلُوبِ لَا ٱلسَّلَبِ
وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ   بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا ٱلْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ
أَحْسَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ ٱلرَّدَى وَمَضَى   يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ ٱلْهَرَبِ
مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ ٱلْأَرْضِ يُشْرِفُهُ   مِنْ خِفَّةِ ٱلْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ ٱلطَّرَبِ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ ٱلظَّلِيمِ فَقَدْ   أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ٱلْحَطَبِ
تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ ٱلشَّرَى نَضِجَتْ   جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا ٱجْتُثَّ دَابِرُهُمْ   طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِٱلْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ ٱلسُّيُوفِ بِهِ   حَيَّ ٱلرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ ٱلْغَضَبِ
وَٱلْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِبٍ   تَجْثُو ٱلرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى ٱلرُّكَبِ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ   وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ ٱلرِّقَابِ بِهَا   إِلَى ٱلْمُخَدَّرَةِ ٱلْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ ٱلْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً   تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ
بِيضٌ إِذَا ٱنْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ   أَحَقَّ بِٱلْبِيضِ أَبْدَانًا مِنَ ٱلْحُجُبِ
خَلِيفَةَ ٱللهِ جَازَى ٱللهُ سَعْيَكَ عَنْ   جُرْثُومَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ وَٱلْحَسَبِ
بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا   تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ   مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُقْتَضَبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا   وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱلْمُصْفَرِّ كَٱسْمِهِمِ   صُفْرَ ٱلْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ ٱلْعَرَبِ

أَأَخَافُ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ أَمْ حِدْثَانَهُ   وَٱلدَّهْرُ لِلْمَنْصُورِ بَعْضُ عَبِيدِهِ
مَلِكٌ نَدَاهُ فَكَّنِي وَٱنْتَاشَنِي   مِنْ مِخْلَبَيْهِ وَمِنْ إِسَارِ قُيُودِهِ
مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتَ عَنْ إِحْسَانِهِ   حَدَّثْتَ عَنْ مُبْدِي ٱلنَّدَى وَمُعِيدِهِ
سَادَ ٱلْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ   وَٱلْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
وَإِذَا تَرَنَّمَتِ ٱلرُّوَاةُ بِمَدْحِهِ   وَثَنَائِهِ ٱهْتَزَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
لِأَبِي ٱلْمَعَالِي رَاحَةٌ وَكَّافَةٌ   كَٱلْغَيْثِ يَوْمَ بُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ
صَبٌّ بِتَحْصِيلِ ٱلثَّنَاءِ وَجَمْعِهِ   كَلِفٌ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِهِ
مَا زَالَ يَشْمَلُ حَاسِدِيهِ نَوَالُهُ   حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
سَلْ عَفْوَهُ وَحُسَامُهُ فِي غِمْدِهِ   وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَغْشَى ٱلْوَرَى مُتَلَفِّعًا بِرِدَائِهِ   وَيَخُوضُهَا مُتَسَرْبِلًا بِحَدِيدِهِ
فَتَرَى ٱلشُّجَاعَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً   وَٱلْمَوْتُ بَيْنَ لَهَاتِهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَقَهْقَرُ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهَامُ مَخَافَةً   مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُخْفِقَةَ ٱلرَّجَاءِ عُدَاتُهُ   وَقُلُوبُهَا خَفَّاقَةٌ كَبُنُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كُسِّرَتْ فِيهِ ٱلْقَنَا   وَصَلَ ٱلْحُسَامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
جَارَى ٱلْغَمَامَ فَفَاتَهُ بِنَوَالِهِ   كَرَمًا وَفَاقَ كَبِيرَهُ بِزَهِيدِهِ
وَٱلدِّينُ أَصَّلَهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ   حِينَ ٱعْتَنَى بِحُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَٱلْمُلْكُ لَمْ يَنْفَكَّ يُعْمِلُ عَزْمَهُ   فِي نَصْرِ ظَاهِرِهِ وَنُصْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ ٱلْمَنَايَا وَٱلْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ   طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

وَأَرَى الْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ　　وَأَرَى الْوُجُودَ مُشَرَّفًا بِوُجُودِهِ
فَلَوَ انَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى　　لَاخْتَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
يَا آلَ أَيُّوبٍ جُزِيتُمْ صَالِحًا　　عَنْ مُحْسِنٍ مَدْحَ الْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
وَنَعِمْتُمْ مَا افْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ الضُّحَى　　صُبْحٌ وَمَا فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَى　　فَثَنَى عِنَانَ الْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
أَمَّا الزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عِقْدِهِ　　وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
وَالشِّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَهْتَزُّ عِنْـ　　ـدَ سَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ نَشِيدِهِ
فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ بَلْ لِمَجْدٍ أَنْتَ فِي　　تَأْسِيسِهِ وَاللهُ فِي تَأْيِيدِهِ

١٣٧ لابي الطيب المتنبي في الحسين بن اسحاق التنوخي

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ　　وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنَا　　فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكَا　　وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ
عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ　　وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا　　وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا　　مُحَيَّاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ
فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جِنْحُهُ　　وَلَا جَابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَانِقُ
وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي　　مِنَ السُّكْرِ فِي الْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ
شَدَوْا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ　　ذَفَارِيَهَا كِيرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الْأَرْضُ خَوْفًا إِذَا مَشَى　　عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ

فَتًى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى ‌ ‌ يُرَجَّى الْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ
وَلَكِنَّهَا تَمْضِي وَهٰذَا مُخَيِّمٌ ‌ ‌ وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ
تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ ‌ ‌ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ
غَذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى ‌ ‌ فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ
تُشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا ‌ ‌ وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالْمَفَارِقُ
يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ ‌ ‌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ
يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ ‌ ‌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي ‌ ‌ وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللهُ خَالِقُ
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ ‌ ‌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ
أَلَا قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا ‌ ‌ وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ
سَيُحْيِي بِكَ السُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ ‌ ‌ وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ ‌ ‌ وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ
وَلَا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ ‌ ‌ وَلَا تَرْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ
لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى ‌ ‌ وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ
هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى ‌ ‌ وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكاً وكان يُلقَّب بالمجنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ ‌ ‌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ ‌ ‌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
فَرُبَّمَا جَزَتِ الْإِحْسَانَ مُولِيَهُ ‌ ‌ خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ ٱلشَّكْلِ تَمْنَعُنِي ... ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ
وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ ٱلْمَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ
لٰكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا ... وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ ٱلْحَقِّ بُخَّالُ
فَكُنْتُ مُنْبِتَ رَوْضِ ٱلْحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ ٱلْأَرْضِ هَطَّالُ
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ ... أَنَّ ٱلْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ
لَا يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى ٱلسَّادَاتِ فَعَّالُ
لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ... وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ ٱلسَّيْفِ سَأَّالُ
قَالَ ٱلزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ ... أَنَّ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ عَذَّالُ
تَدْرِي ٱلْقَنَاةُ إِذَا ٱهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ ٱلشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ
كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ ٱلْكَافِ مَنْقَصَةٌ ... كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ
أَلْقَائِدُ ٱلْأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ
أَلْقَاتِلُ ٱلسَّيْفَ فِي جِسْمِ ٱلْقَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى ٱلْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ ... وَمَالُهُ بِأَقَاصِي ٱلْبَرِّ أَهْمَالُ
لَهُ مِنَ ٱلْوَحْشِ مَا ٱخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ ... عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ
تُمْسِي ٱلضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ ... كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي ٱلطِّيبِ آصَالُ
لَوِ ٱشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا ... خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي ٱلشِّيزَى وَأَوْصَالُ
لَا يَعْرِفُ ٱلرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ... إِلَّا إِذَا ٱحْتَفَزَ ٱلضِّيفَانَ تَرْحَالُ
يُرْوِي صَدَى ٱلْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتِ مَا شَرِبُوا ... مَحْضُ ٱللِّقَاحِ وَصَافِي ٱللَّوْنِ سَلْسَالُ
تَقْرِي صَوَارِمُهُ ٱلسَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ ... كَأَنَّمَا ٱلسَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ

تَجْرِي ٱلنُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً   مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ
لَا يَحْرِمُ ٱلْبُعْدُ أَهْلَ ٱلْبُعْدِ نَائِلَهُ   وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ ٱلْأُطَيْفَالُ
أَمْضَى ٱلْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً   وَٱلْبِيضُ هَادِيَةٌ وَٱلسُّمْرُ ضُلَّالُ
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ   بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَفِيهَا ٱلْمَاءُ وَٱلْآلُ
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ ٱلْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ   إِذَا ٱخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ ٱلْعَقْلِ عُقَّالُ
يَرْمِي بِهَا ٱلْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ وَلَهَا   مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ ٱلْجَيْشَ أَجْبَالُ
إِذَا ٱلْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ   لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِيبَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا   مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَغْتَالُ
أَنَالَهُ ٱلشَّرَفَ ٱلْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ   فَمَا ٱلَّذِي بِتَوَقِّي مَا أَتَى نَالُوا
إِذَا ٱلْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ   مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ ٱلْكَعْبِ عَسَّالُ
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو ٱلشُّجْعَانِ قَاطِبَةً   هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ ٱلْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ
تَمَلَّكَ ٱلْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ   فِي ٱلْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ   وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ ٱلْمَاذِيِّ سِرْبَالُ
وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ   وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالًا أَيُّهَا ٱلنَّالُ
لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي بِرِّي وَتَكْرِمَتِي   إِنَّ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱلْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ   وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفَّيْكَ آمَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ   إِنَّ ٱلثَّنَاءَ عَلَى ٱلتِّنْبَالِ تِنْبَالُ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ   فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي ٱلْأَقْدَارِ يَخْتَالُ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا   إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

وَلا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا ... إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي ٱلرَّوْعِ بَذَّالُ
لَوْلا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ ... أَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ ٱلْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِٱلرَّحْلِ شِمْلَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذِكْرُ ٱلْفَتَى عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ

١٣٩ وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحدَث

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ ٱلصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْعَظَائِمُ
يُكَلِّفُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ ٱلْجُيُوشُ ٱلْخَضَارِمُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وَذٰلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ ٱلضَّرَاغِمُ
يُفَدِّي أَتَمُّ ٱلطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ ٱلْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَٱلْقَشَاعِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَٱلْقَوَائِمُ
هَلِ ٱلْحَدَثُ ٱلْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ ٱلسَّاقِيَيْنِ ٱلْغَمَائِمُ
سَقَتْهَا ٱلْغَمَامُ ٱلْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا ٱلْجَمَاجِمُ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَٱلْقَنَا تَقْرَعُ ٱلْقَنَا ... وَمَوْجُ ٱلْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ ٱلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ ٱلْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى ٱلدِّينِ بِٱلْخَطِّيِّ وَٱلدَّهْرُ رَاغِمُ
تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَكَيْفَ تُرَجِّي ٱلرُّومُ وَٱلرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا ٱلطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَٱلْمَنَايَا حَوَاكِمٌ … فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ ٱلْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ … سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ ٱلْبِيضُ مِنْهُمُ … ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَٱلْعَمَائِمُ

خَمِيسٌ بِشَرْقِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْغَرْبِ زَحْفُهُ … وَفِي أُذُنِ ٱلْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ … فَمَا تُفْهِمُ ٱلْحُدَّاثَ إِلَّا ٱلتَّرَاجِمُ

فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ ٱلْغِشَّ نَارُهُ … فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ

تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ ٱلدِّرْعَ وَٱلْقَنَا … وَفَرَّ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ

وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ … كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ ٱلرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ ٱلْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً … وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنُّهَى … إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِٱلْغَيْبِ عَالِمُ

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى ٱلْقَلْبِ ضَمَّةً … تَمُوتُ ٱلْخَوَافِي تَحْتَهَا وَٱلْقَوَادِمُ

بِضَرْبٍ أَتَى ٱلْهَامَاتِ وَٱلنَّصْرُ غَائِبٌ … وَصَارَ إِلَى ٱللَّبَّاتِ وَٱلنَّصْرُ قَادِمُ

حَقَرْتَ ٱلرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا … وَحَتَّى كَأَنَّ ٱلسَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْفَتْحَ ٱلْجَلِيلَ فَإِنَّمَا … مَفَاتِيحُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ ٱلصَّوَارِمُ

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ ٱلْأُحَيْدِبِ نَثْرَةً … كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ ٱلْعَرُوسِ ٱلدَّرَاهِمُ

تَدُوسُ بِكَ ٱلْخَيْلُ ٱلْوُكُورَ عَلَى ٱلذُّرَى … وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ ٱلْوُكُورِ ٱلْمَطَاعِمُ

تَظُنُّ فِرَاخُ ٱلْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا … بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ ٱلْعِتَاقُ ٱلصَّلَادِمُ

إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا … كَمَا تَتَمَشَّى فِي ٱلصَّعِيدِ ٱلْأَرَاقِمُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا ٱلدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ … قَفَاهُ عَلَى ٱلْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ

أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِٱبْنِهِ وَٱبْنِ صِهْرِهِ ... وَبِٱلصِّهْرِ حَمْلَاتُ ٱلْأَمِيرِ ٱلْغَوَاشِمُ

مَضَى يَشْكُرُ ٱلْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ ٱلظُّبَا ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَٱلْمَعَاصِمُ

وَيَفْهَمُ صَوْتَ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلسُّيُوفِ أَعَاجِمُ

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلٰكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ

لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلدُّرِّ ٱلَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي ٱلْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ ٱلْغَمَاغِمُ

أَلَا أَيُّهَا ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي لَسْتَ مُغْمَدًا ... وَلَا فِيكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ

هَنِيئًا لِضَرْبِ ٱلْهَامِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَٱلْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ

وَلِمْ لَا يَقِي ٱلرَّحْمَانُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ ٱلْعِدَى بِكَ دَائِمُ



أَلْبَابُ ٱلْحَادِي عَشَرَ
فِي ٱلْمُرَاسَلَاتِ

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب ابي القاسم بن الجدّ عن امير المسلمين الى اهل سَبْتة

١٤٠ كتابنا ابقاكم الله واكرمكم بتقواهُ . ويسّركم لما يرضاهُ . واسبغ عليكم نعماهُ . وقد رأينا والله بفضلهِ يقرن جميع آرائنا بالتسديد . ولا يخلينا في كافة انحائنا من النظر الحميد . ان نولّي ابا زكرياء يحيى بن أبي بكر محل ابننا . الناشيء في حجرنا . اعزَّهُ الله وسدَّدهُ فيما قلّدناهُ اياهُ من مدينتي فاس وسبتة وجميع اعمالها حرسهما الله على الرسم الذي تولّاهُ غيرهُ قبلهُ . فانفذنا ذلك لهُ . لما توسَّمناهُ من مخايل النجابة قِبَلهُ . ووصيناهُ بما نرجوان يحتذيهُ ويمتثلهُ . ويجري قولهُ وعملهُ . ونحن من وراء اختبارهِ . والفحص عن أخبارهِ . لانني بحول الله في امتحانهِ وتجريبهِ . والعناية بتخريجهِ وتدريبهِ . والله عزَّ وجلَّ يحقق مخيلتنا فيهِ . ويوفّقهُ من سداد القول والعمل الى ما يرضيهِ . فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا لهُ السمع والطاعة . والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة . وعظّموا بحسب مكانهِ منا قدرهُ . وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيهُ وامرهُ . والله تعالى يمدُّهُ بتوفيقهِ وهدايتهِ ويعرّفكم يُمن ولايتهِ بعزّتهِ (لابن خاقان)

كتاب خالد الى ابي بكر يخبرهُ بفتح اجنادين

١٤١ بسم الله الرحمان الرحيم اني احمد اليك الله الذي لا اله الّا هو . ثم أزيدهُ حمدًا وشكرًا على سلامة المسلمين ودمار الاعداء واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم . وانَّا لقينا جموعهم بأجنادَين مع وَرْدان صاحب حمص وقد نشروا كتبهم ورفعوا اعلامهم وتقاسموا بدينهم ان لا يفرّون ولا ينهزمون . فخرجنا اليهم واثقين بالله متوكلين على الله فعلم ربنا ما اضمرناهُ في افئدتنا وسرائرنا فرزقنا الصبر وأيّدنا بالنصر . وكبت اعداء الله فقتلنا منهم في كل فجّ وشِعْب ووادٍ . وجملة من احصينا من الروم ممَّن قتل خمسون الفًا وقتل من المسلمين في أوّل يوم وثانيهِ اربع مائة وخمسة وسبعون رجلًا ختم الله لهم بالشهادة . ونحن راجعون الى دمشق فادعُ الله لنا بالنصر . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاتهُ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب الحريري الى المسترشد بالله لما ولي الخلافة بعد المستظهر

١٤٢ للدهر اعزَّ الله أنصار الديوان العزيز وادام لهُ مساعفة الأقدار . ومضاعفة الاقتدار . وايلاء صنائع المبارّ . والاستيلاء على جوامع المسارّ . خطوب متفاضلة القِيَم . كتفاضل ما تنشيهِ

من الغُمَم . وضروب متفاوتة الدَرَج . بحسب ما تفنيهِ من المُهَج . فاعظمها ايلاماً للقلوب . واضراماً للكروب . واستجلاباً للواعج الغموم . وايجاباً للوزم الحزن على العموم . رزءٌ تساهم فيهِ الانام . واظلمت ليومهِ الأيام . وكان في معاهد الخلافة ناجماً . وعلى سدَّة الامامة المقدَّسة هاجماً . كالفجيعة بطود الدين الشامخ . ودوحة المجد الباذخ . وبحر الكرم الزاخر . وقبلة المآثر والمفاخر . واهاً هو خطب كاد يشيب منهُ الاطفال . وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال . غير ان الله جلَّت اسماؤهُ . وتعاظم علاؤهُ . نظر لأصناف عبيدهِ . ومنَّ على أهل توحيدهِ . باستخلاف المسترشد بالله . ولولا هذه المنحة التي انتاشت الدين . وجبرت مصاب المسلمين . لفسدت الأرض . ولكن الله ذو الفضل على العالمين . نشر الله في الخافقَين اعلام دولتهِ . وحلّى تواريخ السيَر بمناقب سيرتهِ . وحقّق آمال المستشفعين والمستضعفين في اسعافهِ ونصرتهِ . قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين المقدورين . والمقامين المشهورين . ما يلتزمهُ المباهي باخلاص الطاعة . المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن صُمادِح الى المعتمد يغريهِ بقتل ابن زيدون وزير ابيهِ

يا أيها الملك العليُّ الأعظمُ	إقطع وريدَيْ كلّ باغٍ ينئمُ
واحسِم بسيفك داءَ كلّ منافقٍ	يُبدي الجميل وضدَّ ذلك يكتمُ
لا تحقِرنَّ من الكلام قليلهُ	إنَّ الكلام لهُ سيوفٌ تكلمُ
فاحسِم دواعي كلّ شرّ دونهُ	فالداءُ يسري إن غدا لا يُحسمُ
كم سِقْط زَندٍ قد نما حتى غدا	بُركانَ نارٍ كلَّ شيءٍ يَحطمُ
وكذلك السيلُ الجُحاف فانّما	أُولاهُ طَلٌّ ثمَّ وبلٌ يسجمُ
واذكر صنيع أبيك أوّل مرّةٍ	في كلّ متّهمٍ فانك تعلَمُ
لم يبقِ منهم من توقّع شرّهُ	فصفت لهُ الدنيا ولذَّ المطعمُ
فعلى مَ تنكل عن صنيعٍ مثلهِ	ولأَنت أَمضى في الخُطوب وأشهمُ
وجَنانك الثَبت الذي لا ينثني	وحسامك العَضب الذي لا يكهمُ
والحال أوسع والعوالي جمّةٌ	والجِد أَشمخُ والصريمة ضَيغَمُ
لا تتركنْ للناس موضع تهمةٍ	واحزِمْ فمثلك في العظائم يحزمُ
قد قال شاعر كِندةٍ فيما مضى	بيتًا على مرّ الليالي يُعلمُ
لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذى	حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ
فاجعلْ قدوتك التي تعتادها	في كلّ ما يبقي ورأيك أَحكَمُ
واسلم على الأيام انك زَينها	وجمالها والدهر دونك مأتمُ
لا زلتَ بالنصر العزيز مهنَّأً	والدين عن محمود سعيك يبسمُ
ووُقيتَ مكروهَ الحوادث واغتدت	طير السعود بايكم تترنَّمُ

كتاب أَلفُنْس بن سانشِس الى المعتمد

(لمَّا ملك اذفنش ابن شانجه اعمال طُلَيطِلَة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امرهُ لكون طُليطلة نقطة دائرتها وخاطب المعتمدُ على الله ابا القسم بن عبَّاد يطلب منهُ تسليم اعماله الى رسلهِ وعمَّالهِ وتشطط عليهِ في الطلب . واظهر لهُ السرور بالغَلَب . فما خاطبهُ بهِ)

١٤٤ من الأَنبيطور ذي المِلَّتَين الملك المفضل اذفنش بن شانجه الى المعتمد بالله سدَّد الله آراءَهُ وبصَّرهُ مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد مُلكٍ شرَّفتهُ القنا . ونبتت في ربعهِ المنى . باغترار الرمح بعاملهِ . والسيف بساعد حاملهِ . وقد ابصرتم بطليطلة نزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمتم اخوانكم . وعطلتم بالدعة زمانكم . والحذرُ من ايقظ بالهُ . قبل الوقوع في الحبالة. ولولا عهدٌ سلفَ بيننا نحفظ زمامهُ . ونسعى بنور الوفاء امامهُ. لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائدهُ . ووصل رسول الغزو ووارده . لكن الأَقدار . تُقطَع بالاعذار . ولا يعجل الا من خاف الفوت فيما يرومهُ . او خشيَ الغلبة على ما يسومهُ . وقد حمَّلنا الرسالة اليك القُمَّس البرهانس وعندهُ من التسديد الذي تلقى بهِ امثالك . والعقل الذي تدبّر بهِ بلادك ورجالك . ما اوجب استنابتهُ فيما يدقّ ويجلّ . فيما يصلح لا فيما يخلّ وانت عندما تأتيهِ من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسعى بيمينك وبين يديك (تاريخ العباديين)

جواب المعتمد بالله الى الملك أَلفنس بن سانشِس

١٤٥ من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عبَّاد الى اذفنش بن شانجه الذي لقَّب نفسهُ بملك الملوك وسماها بذي الملّتين قطعَ الله بدعواهُ . سلام على من اتَّبع الهدى . أَما بعد فانهُ اوَّل ما يبدأ بهِ من دعواهُ انهُ ذو الملتين والمسلمون احق بهذا الاسم لان الذي تملكوهُ من امصار البلاد . وعظيم الاستعداد . ومجبى المملكة لا تبلغهُ قدرتكم . ولا تعرفهُ ملتكم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن النظر السديد جميل مباديك . فركبنا مركب عجزٍ نسخهُ الكيس . وطاطينا لك كؤُوس دهاقات في اثنائها لبس . ولم تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك . وانَّا لنعجب من استعجالك . براي لم تحكم انحاؤُهُ . ولا حسُن انتحاؤُهُ . واعجابك بصنع وافقتك فيهِ الاقدار . واغتررت بنفسك اسوأ الاغترار . وتعلم انَّا في العدد والعديد . والنظر السديد . ولدينا من كماة الفرسان . وحيل الانسان . وحماة الشجعان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدرَّعوا الصبر . وكرهوا القبر . تسيل نفوسهم على حدّ الشفار . وينعاهم المنام في القفار . يُديرون رحى المنون بحركات العزائم . ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم . وقد اعدّوا لك ولقومك جلادًا رتَّبهُ الاتفاق . وشِفارًا حِدادًا شحذها الاصفاق . وقد يأتي المحبوب من المكروه . والندم من عجلة الشروه . نبهت من غفلة طال زمانها . وايقظت من نومة تجدد ايمانها . ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يدٌ صاعدة . او وَقْفَة

متساعدة . الّا ذلٌّ تعلم مقدارهُ . وتتحقّق مثارهُ . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونهُ . وبالله نستعين ولا نستبطئ في مسيرنا اليك والله ينصر دينهُ . والسلام على من علم الحق فاتّبعهُ . واجتنب الباطل وخُدعهُ

مكتوب المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يستنجدهُ على الاذفنش

١٤٦ (من اشبيلية في غرّة جمادَى الاولى سنة ٣٧٩) . ايَّد الله امير المؤمنين ونصرهُ ونصر بهِ الدين فانّا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرّق جمعنا . وتغيَّرت انسابنا . بقطع المادة من حَنيفيَّتنا . فصرنا فيها شعوبًا لا قبائل واشتاتًا لا قرابة ولا عشائر . فقلَّ ناصرنا وكثر شامتنا . وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش . واناخ علينا بكلكلهِ ووطئ بقدمهِ وأسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحدٍ منا طاقة على نصرة جارهِ ولا اخيهِ ولو شاءوا لفعلوا . الّا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك وقد ساءت الأحوال . وانقطعت الآمال . وانتم ايّد الله سلطانكم سيد حِميَر . ومليكها الاكبر . واميرها وزعيمها نزعتُ بهمتي اليكم . واستصرخت بالله وبكم . واستغثت بحرمكم . لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر وتُحيوا شريعة الاسلام . وتذبّوا عن دين محمد . ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم . والاجر الجسيم . ولا حول ولا قوَّة الّا بالله العلي العظيم . والسلام الكريم . على حضرتكم السامية ورحمة الله وبركاتهُ (تاريخ غرناطة لابن الخطيب)

في الطلب والاشواق

١٤٧ لما استأسر الروم ضِرَار كتب الى اختهِ والى معشر الاسلام

أَلا ايها الشخصان بالله بلّغا … سلامي الى اطلال مكّة والحِجْرِ
فلاقيتما ما عشتما الف نعمة … بعزّ واقبال يدوم مع الدهرِ
ولا ضاع عند الله ما تصنعانهِ … فقد خفَّ عني ما وجدت من الضرِّ
بصنعكما بي انّ خيرًا وراحةً … كذلك فعل الخير بين الورى يجري
ومالي وبيت الله موتي وانما … تركت عجوزًا في المهامهِ والقفرِ
ضعيفة حيل ليس فيها جلادةٌ … على نائبات الحادثات التي تجري
وكنت لها ركنًا بُمِيدَ رجالها … وأكرمها جهدي وان مسَّني فقري
واطعمها من صيد كفي ارانبًا … مع الذيب والوحش المقيمة في البرِّ
واحمي حماها أن تُضامَ فلم ازل … لها ناصرًا في موقف الشرّ والضرِّ
واني اردت الله لا شيء غيرهُ … وجاهدت في جيش الملاعين بالسمرِ
كذلك اختي جاهدت كل كافرٍ … وما برحت بالطعن في الكرِّ والفرِّ
تقول وقد جار الفراق ببَيْنهِ … الا يا أخي ما لي على البين من صبرِ

الا يا اخي هذا الفراق فمن لنا بخير رجوعٍ قادمٍ منك بالبشرِ
ألا بلّغاها عن اخيها تحيّةً وقولا غريبٌ ماتَ في قبضة القهرِ
جريحٌ طريحٌ بالسيوف مبضّعٌ على نُصرة الاسلام والطاهر الطهرِ
حمائمَ نجد بلّغي قول شائقٍ الى عسكر الاسلام والسادة الغرِّ
وقولي ضرارٌ في القيود مكبّلٌ بعيدٌ عن الأوطان في بلدٍ وَعْرِ
حمائمَ نجد اسمعي قول مفردٍ غريبٍ كئيبٍ وهو في ذلّة الاسرِ
وان سألوا عنّي الأحبّةَ خبّري بان دموعي كالسحاب وكالقطرِ
حمائمَ نجد ان اتيتِ خيامنا فقولي كذاك الدهرُ عسرٌ على يسرِ
وقولي لهم ان الأسير بحرقةٍ لهُ علّةٌ بين الجوانح والصدرِ
لهُ من عداد العمر عَشرٌ وسبعةٌ وواحدة عند الحساب بلا نكرِ
وفي خدّه خالٌ محتهُ مدامعٌ على فقد اوطانٍ وكسرٌ بلا جبرِ
مضى سائرًا يبغي الجهادَ تبرعًا فوافاهُ اولاد اللئام على غدرِ
ألا فادفناني بارك الله فيكما ألا واكتُبا هذا الغريبُ على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزمٍ ألا أخبري أُمي ودلي على قبري
عسى تسمح الايام منها بزورةٍ لقبر غريبٍ لا يزار من النكرِ

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكانس يستدعي سراج الدين الاسكندريّ ويداعبهُ

يا ذا الذي فكرهُ مثل اسمهِ يقِدُ فِندتَّ عنا وما من شأنك الفَنَدُ
بِمَ اعتذارك عن هذا الصدود لنا هذا وقد ضمّنا بالجيرة البلدُ
عافاك ربُّك من داء القطيعة بل شفاك من داء أمرٍ كلهُ نَكَدُ
فيمَ التوانيَ والخلّان قد حفلت على المودّة لا حِقدٌ ولا حسدُ
ان ذاع وصفك في تأديبهم طربوا أو جالَ ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرّف بناديهم لنا شرفوا أو لم تنفّق لهم آدابهم كسدوا
اذا هجرتَ بني الآداب فابدِ لنا بِمَ اعتذارك لا أهلٌ ولا ولدُ
قد صرتَ توحشهم بُعدًا وان قربوا وكنتَ تُؤنسهم قربًا وان بعدوا
ما هكذا تفعل الدنيا بصاحبها فالناس بالناس والإخوان تنتقدُ
وبعدُ فاحضرْ وذنب البعد مغتفرٌ وان تطاول من هجرانك الأمدُ
بادر لنا فبنو الآداب كلهمُ تجمعوا من فجاج الأرض واحتشدوا
وأوعدوك فان لم تأتِ نحوهمُ وكلهم منجزٌ في الحال ما يعدُ
وأنت أدرى بقومٍ ان بلوا ساقوا بألسنٍ ما لقتلى حربها قَوَدُ

لا زالتَ ترقى على زُهر النجوم عُلًا ما هبّتِ الريحُ اقواماً وما رصدوا

في العتاب واللوم

كتاب ابي بكر بن القصيرة عن امير المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعدية

١٤٩ اماًّ بعد يا أُمّة لا تعقل رشدها . ولا تجري الى ما تقتضيهِ نِعَم الله عندها . ولا تقلع عن اذى تفشيهِ قربًا وبعدًا جهدها . فانكم لا ترعون لجارٍ ولا لغيرهِ حرمةً . ولا تراقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمَّةً . قد اعماكم عن مصالحكم الأَشَرُ . واضلّكم ضلالًا بعيدًا البَطر . ونبذتم المعروف وراء ظهوركم وانتم ما ينكر مقتديًا في ذلك صغيركم بكبيركم . وخاملكم بمشهوركم . ليس فيكم زاجرٌ . ولا منكم الّا غويّ فاجرٌ . وما نرى الّا ان الله عزّ وجلّ قد شاءَ مسخكم . وأراد نسخكم وفسخكم . فسلّط عليكم الشيطان يغرّكم ويُغريكم . ويزيّن لكم قبائح معاصيكم . وكانكم بهِ قد نكص على عقبيهِ عنكم . وقال : اني بريءٌ منكم . وترككم في صفقة خاسرة . لا تستقيلونها ان لم تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اعذارًا لكم . وانذارًا قبلكم . فتوبوا . وأَنيبوا . واقلعوا . وانزعوا . واقتصُّوا من انفسكم كل من وترتموهُ . وأَنصِفوا جميع مَن ظلمتموهُ وغشمتموهُ . ولا تستطيلوا على احد بعدُ . ولا يكن الى اذاهُ صدورٌ ولا وردٌ . والّا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلًا سائرًا . وحديثًا غابرًا . فاتقوا الله في انفسكم واهليكم . واياكم والاغترار فانهُ يورطكم فيما يُرديكم . ويسوقكم الى ما يُشمت بكم اعاديكم . وكفى بهذا تبصرةً وتذكرةً . ليست لكم بعدها حجّة ولا معذرة . ولا توفيق الّا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه ابي القاسم ابن الجدّ عن امير المسلمين وناصر الدين الى اهل أَشبيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواهُ . ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاهُ . وجنبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يسخطهُ وينهاهُ . من حاضرة مرّاكش حرسها الله لستّ بقينَ من جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وقد بلغنا ما تأكّد بين اعيانكم من اسباب التباعد والتباين . ودواعي التحاسد والتضاغن . واتّصال التباغض والتدابر . وتمادي التقاطع والتهاجر . وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعَن بيّن . ومغمز لا يرضاهُ مؤمن ديّن . فهلا سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدّوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفّق للصواب . ان نعذر اليكم بهذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئ عليكم . فاقمعوا الانفس الامّارة بالسوء . وارغبوا في السكون والهدوّ . ونكّبوا عن طريق البغي الذميم المشنوّ . واحذروا دواعي الفتن . وعواقب الإحَن . وما يجرُّ داء الضمائر . وفساد السرائر . وعمى البصائر . ووخيم المصاير . واشفقوا على

اديانكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم واخلصوا السمع والطاعة لوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسة جمهوركم . اخينا الكريم علينا ابي اسحاق ابرهيم ابقاهُ الله. وادام عزَّهُ بتقواهُ . واعلموا ان يدهُ فيكم كيدنا. ومشهدهُ كمشهدنا . فقِفُوا عندما يحضّكم عليهِ . ويدعوكم اليهِ . ولا تختلفوا في امرٍ من الامور لديهِ . وانقادوا اسلس انقياد لحكمهِ وعزمهِ . ولا تقيموا على شيءٍ عناد بين حدّهِ ورسمهِ . والله تعالى يفيء بكم الى الحسنى . وييسركم الى ما فيهِ صلاح الدين والدنيا . بقدرتهِ (قلائد العقيان لابن خاقان)

في المديح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البسطامي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تسرّ بهِ الخواطر . واحيا بهِ بلدة العلوم احياء الروض بالسحب المواطر . واعاد شمسها المنيرة الى افقها . واحلّها بالمطالع الذي هو من حقها . فعاد الى وظيفتها عود الحليّ الى العاطل . واظهرها بهِ ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمسهُ ظاهرة في يومهِ بحسن ما عودها في امسهِ . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع وبلها . وحنوَّهُ على اهلها حنوّ المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأمن بها سارية . وسحاب اليُمن من فوقها جارية والارزاق تنهلُّ من اقلامهِ كما ينهلُّ المطر من مُزنهِ . وانواع الخيرات تُجنى من كرمهِ كما جُني الثمر من غصنهِ . لا زالت اقلامهُ محكمةً في اراضي العلماء . نافذاً امرها في اقاليم الفضلاء

١٥٢ كتب ذو الوزارتين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف اخيهِ يهنيه بمولود من قصيدةٍ

ورد الكتابُ بهِ فرحتُ كانني ... نشوانُ راحٍ في ثياب تبختُرِ
لما فضضتُ ختامهُ فتبلَّجت ... بيضُ الاماني في سواد الاسطرِ
قبّلتُ من فرحٍ بهِ خدّ الثرى ... شكرًا ولا حظٌّ لمن لم يشكرِ
يا موردَ الخبر الشهي وحاديَ ال ... أمل القصيّ وهادي النباء السري
زدني من الخبر الذي اوردتهُ ... يا برد ذاك على فؤاد المخبرِ
صفحًا وعفوًا للزمان فانهُ ... ضحكت اسرّة وجههِ المتنمّرِ
طلع البشيرُ بنجم سعدٍ لاح من ... أُفق العُلى وبشبل ليثٍ مخدرِ
لله درُّك ايُّ فرع سيادةٍ ... اعطيتهُ وقضيب دوحة مفخرِ
طابت أُرومتُهُ واينع فرعهُ ... والفرعُ يُعرَف فيهِ طيبُ العنصرِ
انت الجدير بكل فضلٍ نلتهُ ... وحويتهُ وبكل مكرمةٍ حري
فهنا رحيماً انها قد انجبت ... برحيمٍ المحمودِ اسنى مذخرِ
نامت عيونُ الدهر عن جَنَباتهِ ... وحمت مناهلهُ متونُ الضُمَّرِ

وصفا لهُ ولاخوةٍ يتلونهُ ماء الحياة لديك غير مكدَّر
فلأنت بدر السعد وهو هلالهُ ولانت سيف المجد وهو السَمْهري
لا زلت تبقى الحامد جامعاً مع احمدٍ في ظلِّ عيشٍ اخضرِ
والسعد ينشر فوق راسك رايةً تبقى مع العليا بقاء الادهرِ

١٥٣ قال صفي الدين الحلّي يشكر انعام السلطان الملك المؤيَّد عماد الدين اسماعيل وقد حمل اليهِ تحفًا وكسوات البيت وآلاتهِ ومهماتهِ جميعها

جزاكَ الله من حُسناك خيرًا وكان لك المهيمنُ خيرَ راعِ
فقد قصَّرتَ بالاحسان لفظي كما طوَّلتَ بالإنعام باعي
فأخرني الحياءُ وليس يدري جميع الناس ما سببُ امتناعي
فأشكرُ حسن صنعك في اتّصالٍ وخطوي نحو ربعك في انقطاعِ
وقافيةٌ شبيه الشمس حسناً تُردَّد بين كفي واليراعِ
لها فضلٌ على غُرَر القوافي كما فضلَ البقاع على البقاعِ
غدت تثني على علياك لمَّا ضمنت لربها نجح المساعي
فدمتَ ولا برحتَ مدى الليالي سعيدَ الجدّ ذا امرٍ مُطاعِ

١٥٤ كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرَّفت قرب الدار مِمَّن أُحبهُ فكنت اجدّ السير لولا ضرورهْ
لاتلوَ من آيِ المحامد سورةً وأُبصر من شخص المحاسن صورهْ

كنت ابقاك الله تعالى لاغتباطي بولائك . وسروري بلقائك . اودُّ أن اطوي اليك هذه المرحلة . واجدّد العهد بلقياك المؤمّلة . فمنع مانع . وما ندري في الآتي ما الله صانع . وعلى كل حال فشأني قد وضح منهُ سبيلٌ مسلوك . وعلمهُ مالكٌ ومملوك . واعتقادي اكثر مما تسعهُ العبارة . والالفاظ المستعارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة . المتَّصفة بالعفاف والطهارة . والسلام (نفح الطيب للمقري)

في التعزية

كتاب ابي اسحاق الصابي الى محمَّد بن العبَّاس يعزيهِ عن طفلٍ

١٥٥ الدنيا اطال الله بقاء الرئيس أقدارٌ تَردُ في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا يُردّ منها شيء عن مداهُ . ولا يصدّ عن مطلبهِ ومنحاهُ . فهي كالسهام التي تثبت في الأغراض . ولا ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم عند يأشَرْ الزيادة ولم يقنط عند المصيبة . ولم يجزع عند النقيصة . وأمِن أن يستخفَّ احد الطرفين حكمتهُ . ويستنزل احد

الأمرين حزمَهُ. ولم يَدَعْ ان يوطّن نفسهُ على النازلة قبل نزولها. ويأخذ الاهبة للحالة قبل حلولها. وان يجاور الخير بالشكر. ويساور المحنة بالصبر. فيتخيّر فائدة الأولى عاجلاً. ويستمريَ عائدة الاخرى آجلاً. وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدراً. الحديث سناً ما أرمض وامَضَّ. وأقلق وأمضّ. ومسَّني من التألّم لهُ ما يحقّ على مثلي ممّن توالت ايدي الرئيس اليهِ. ووجبت مشاركتهُ في الملمّ عليهِ. فانّا لله وانّا اليهِ راجعون. وعند الله نحتسبهُ غصناً ذوى. وشهاباً خبا. وفرعًا دلّ على اصلهِ. وخلَّياً انبتهُ وشيجهُ. وإيَّاهُ اسأل ان يجعلهُ للرئيس فرَطاً صالحاً وذُخرًا عتيدًا. وان ينفعهُ يوم الدين حيث لا ينفع الَّا مثله بين البنين بجودهِ ومجده. ولئن كان المصاب بهِ عظيماً. والحادث فيهِ جسيماً. لقد احسن الله اليهِ. والى الرئيس فيهِ. أمّا اليهِ. فان الله نزّههُ باحترامٍ. عن اقتراف الآثام. وصانهُ بالاختصار. عن ملابسة الاوزار. فورد دنياهُ رشيدًا. وصدر عنها سعيدًا. نقيَّ الصحيفة من سواد الذنوب. بريءَ الساحة من دَرَن العيوب. لم تدنّسهُ الجرائر. ولم تعلق بهِ الصغائر والكبائر. قد رفع الله عنهُ دقيق الحساب. واسهم لهُ الثواب مع أهل الصواب. وألحقهُ بالصدّيقين الفاضلين في المعاد. وبوَّأهُ حيث فضَّلهم من غير سعي واجتهاد. وأمّا الرئيس فان الله لمّا اختار ذلك قبضهُ قبل رؤيتهِ وقبل معانيهِ على الحالة التي يكون معها لرقّة. التي تتضاعف عندها الحرقة. وحماهُ من فتنة المرافقة. ليرفعهُ عن جزع المفارقة. وكان هو المبقَى في دنياهُ. والواجب الماضي الذخيرة لأخراهُ. وقد قيل ان تسلم الجلة فالسخل هدرٌ. وعزيزٌ عليَّ ان اقول المهوّن للامر من بعدهِ ولا أُوفي التوجع عليهِ. واجبُ فقدهُ فهو لهُ سلالةٌ ومنهُ بضعةٌ. ولكن ذلك طريق التسلية. وسبيل التعزية. والمنهج المسلوك في مخاطبة مثلهِ ممّن يقبل منفعة الذِكرى وان اغناهُ الاستبصار. ولا يأبي ورود الموعظة وان كفاهُ الاعتبار. والله تعالى يقي الرئيس المصائب. ويعيذهُ من النوائب. ويرعاهُ بعينهِ التي لا تنام. ويجعلهُ في حماهُ الذي لا يُرام. ويُبقيهِ موفورًا غير منتقص. يقدمنا الى السوء امامهُ. والى المحذور قدّامهُ. ويبدأُ بي من بينهم في هذه الدعوة. اذ كنت اراها من أسعد احوالي. وأُعدّها من أبلغ امانيَّ وآمالي (للقيرواني)

لابي فضل الميكالي تعزية الى أبي عمرو البحتري في أخٍ

١٥٦ لقد عاش اخوك نبيهَ الذكر. جليل القدر. عبق الثناء والنشر. يتجمّل بهِ أهل بلدهِ. ويتباهى بمكانهِ ذوو مودّتهِ. ويفتخر الأثر وحاملوهُ بتراخي بقائهِ ومدّتهِ. حتّى اذا تسنّم ذروة الفضائل والمناقب. وظهرت محاسنهُ كالنجوم الثواقب. اختطفتهُ يد المقدار. ومحت أثرهُ بين الآثار. فالفضل خاشع الطرف لفقدهِ. والكرم خالي الربع من بعدهِ. والحديث يندب حافظهُ ودارسهُ. وحسن العهد يبكي كافلهُ وحارسهُ

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللويثيّ رسالة كتب بها الى امير المسلمين يعزيهِ في الامير مزدلي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدلهُ . السابغ فضلهُ . العظيم سلطانهُ . العليّ مكانهُ . السنيّ قدرهُ وشانهُ . في سعد تطرف عنهُ اعين النوائب . وجدّ تصرف دونهُ أوجه المصائب . كل رُزء ادام الله تأييدهُ وان عظم وجلّ . حتى استولى على النفوس منهُ الوجل . اذا عدا بابهُ . وتخطّى جنابهُ . فقد اخطأ بحمد الله المقتل . وصدّ عن سواء الغرض وعدل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالبةً لا تُصاوَل . واحكامهُ نافذة لا تُزاوَل . فالصبر لواقعها اولى . وكتبتُهُ ادام الله تأييدهُ والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بماء عبرتها شرقة مغرورقة . لمَّا نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤُهُ المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزدلي قدَّس الله روحهُ . وسقى ضريحهُ . فياله من رُزء قصم الظهر . ووسم النجوم الزُهر . واذكى الاحزان . وابكى الاجفان . واقصى المهاد بمكانتهِ من الدولة المنيفة . ومنزلتهِ من الامرة الرفيعة الشريفة . وعند الله نحتسبهُ ذخيرة عظمى . ونسألهُ المغفرة لهُ والرحمى . فانهُ كان نوَّر الله وجههُ متوفر الهمة على الجهاد . من أهل الجد في ذلك والاجتهاد . وحسبهُ انهُ لم يقضِ نحبهُ الَّا وهو متجهّز في عساكرهِ فادركهُ الموت مهاجرًا . ومع الله تاجرًا . وارجو ان يكون تعالى قد قرن لهُ فاتحة السعادة . بخاتمة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زندًا من ان تضعضعهُ الخطوب وان اهمَّت . وتوجعهُ الحوادث اذا ادلهمَّت . والله يحسن عزاءهُ على فجعهِ . ولا يدني حادثًا بعدهُ من ربعهِ . بمنهِ عزَّ وجلَّ

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزيًا القاضي ابا الحسن بن زنباع في قريب مات لهُ

يشاطرك الصبابةَ والسهادا ويمحضك المحبةَ والوَدادا
صديقٌ لو كشفتَ الغيبَ عنهُ وجدتَ هواك قد ملأَ الفؤادا
يعزّ عليهِ رُزْءٌ بتَّ عنهُ شقيق النفس تلهمها سدادا
أنشفق للعباد ونحن منهم من الرب الذي خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواءٍ ولا بدٌّ لنا ممَّا ارادا
لئن قدَّمت عِلقًا مستفادًا لقد اكرمت حظًّا مستفادا
ومثلك لا يضعضعهُ مصابٌ ولا يعطي لنائبةٍ قيادا
وما زلتَ الرشيد نُهًى وحاشى لمثلك أن نعلمهُ الرشادا

كتب بديع الزمان الهمذاني الى أبي عامر عدنان الضبّي يعزيهِ ببعض اقاربهِ

اذا ما الدهرُ جرَّ على اناس حوادثهُ اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

١٥٩ احسنُ ما في الدهر عمومهُ بالنوائب . وخصوصهُ بالرغائب . فهو يدعو الجفلى اذا ساءَ . ويختصُّ بالنعمة اذا شاءَ . فلينظر الشامت فان كان أفلت . فلهُ ان يشمت . ولينظر الانسان في الدهر وصروفهِ . والموت وصنوفهِ . من فاتحة امرهِ . الى خاتمة عمرهِ . هل يجد اثرًا في نفسهِ ام لتدبيره . عونًا على تصويره . ام لعملهِ . تقديمًا لأملهِ . ام لحيلهِ . تأخيرًا لأجلهِ . كلَّا بل هو العبد لم يكن شيئًا مذكورًا . خُلق مقهورًا . ورُزق مقدورًا . فهو يحيا جبرًا . ويهلك صبرًا . وليتأمّل المرء كيف كان قبلاً . فان كان العدم اصلًا . والوجود فضلًا . فليعلم الموت عدلًا . والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضرَّ بما نفع . وان احب ان لا يحزن فلينظر يمنةً . هل يرى الّا محنةً . ثم ليعطف يسرةً . هل يرى الّا حسرةً . ومثل الشيخ الرئيس من تفطّن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعدَّ لنعمتها صدرًا لا يملؤهُ فرحًا . ولبؤسها قلبًا لا يطيرهُ جزعًا . وصحب الدهر برأي من يعلم ان للمتعة حدًّا . وللعارية ردًّا . ولقد نُعيَ اليَّ ابو قبيصة قدّس الله روحهُ . وبرّد ضريحهُ . فعرضت عليَّ آمالي قعودًا . وأمانيَّ سودًا . وبكيت والسخي بما يملك . وضحكت وشرّ الشدائد ما يضحك . وعضضت الاصبع حتى افنيتهُ . وذممت الموت حتى تمنّيتهُ . والموت خطبٌ قد عظُم حتى هان . وأمرٌ قد خشُن حتى لان . ونكرٌ قد عمَّ حتى عاد عُرفًا . والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت اخفَّ خطوبها . وجنت حتى صار اصغر ذنوبها . واضمرت حتى صار ايسر غيوبها . واجمت حتى صار اظهر عيوبها . ولعلّ هذا السهم آخر ما في كنانتها . وازكى ما في خزانتها . ونحن معاشرَ التبع نتعلّم الأدب من اخلاقهِ . والجميل من افعالهِ . فلا نحثّهُ على الجميل وهو الصبر . ولا نرغّبهُ في الجزيل وهو الاجر . فليرَ فيهِ رأيهُ . ان شاءَ الله تعالى (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى رئيس طوس يعزيهِ عن شقيقٍ لهُ

١٦٠ كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركنًا مهدودًا . ولحدًا ملحودًا . واخًا مفقودًا . وحوضًا من المنيّة موردًا . ويعلم ان ايامهُ مكتوبةٌ . وأنفاسهُ محسوبةٌ . وان شِباك المنايا لهُ منصوبةٌ . أُفٍّ لهذه الدنيا ما اكدر صافيها . وأخيب راجيها . وأغدر ايامها ولياليها . وانغص لذّاتها وملاهيها . تفرّق بين الاحبّاء والاحباب بالفوات . وبين الاحياء والاموات بالرفات . ورد عليَّ خبر وفاة فلان . فدارت بي الارض حيرةً . واظلمت في عيني الدنيا حسرةً . وملأ الوَلهُ والوَهل قلبي وساوس وفكرةً . وتذكّرت ما كان يجمعني وإيّاهُ من سكري الشباب والشراب . فعلمت انهُ شرب بكاسٍ انا شارب من شرابها . ورُمي بسهمٍ سوف أُرمى بها . فبكيت

عليهِ بكاءً لي نصفهُ . وحزنت عليهِ حزنًا لنفسي شطرهُ . وسألت الله تعالى فانهُ اكرم مسئول . واعظم مأمول . أن يفيض عليهِ من رحمتهِ . ما يتمم بهِ سهمهُ من نعمتهِ . وأن يتغمد كل زلة ارتكبها برحمتهِ . ويضاعف لهُ كل حسنة اكتسبها بمنّتهِ . وان يذكر لهُ تلك الاخلاق الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده . والغمة من بعده . والتحسر على قربهِ ببعدهِ . فخلص الى قلبي وجع ثانٍ انساني الماضي . وثالث انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجعين . والمصاب اثنين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : انّا لله وانّا اليهِ راجعون اللهمّ لا شكاية لقضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كفران لنعمتك . ولا مناصبة لقدرتك . اللهمّ ارحم الماضي رحمةً تحبّب اليهِ مماته . وابقِ الحي بقاء يهنيهِ حياتهُ . واطبع على قلبهِ حتى لا يطيع داعية الجزع . ولا يضع عنانهُ بيد الهلع . ولا يثلم جانب الاجر والذخر . بالاثم والوزر . ولا يجد عدوّه الشيطان سبيلًا اليهِ . ولا سلطانًا عليهِ . اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار . لا جريًا على مذهبي في الاقتصار والاختصار . ولكني لم اجد من لساني بسطةً . ولا في قريحتي فضلةً . ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصورًا . والبيان مقصورًا . او ان تحدث في العقل خللًا . وفي البيان شللًا . وليعرفني سيدي خير ما هداه الله اليهِ من جميل العزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون سكوني الى ما اعرفهُ من سلوتهِ . اضعاف قلقي كان بما ظننتهُ من حرقتهِ . وان كنت اعلم انهُ لا يخلي ساحة الحلم والعلم . ولا يخلّ بالواجب من التمسك بالحزم . ولا يحلّ عقدة صبرهِ . ولا تتداعى اركان صدرهِ . ولا يعمى الرشدَ في جميع امرهِ . وهذه شريطة الكمال . وسجيّة الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أمّا بعدُ أيد الله القاضي فانهُ لم يحسن الى غيرهِ من اساء الى نفسهِ . ولم ينصر اصدقاءهُ من خذل حوباءهُ . وانما يحب المرء اخاهُ بما فضل عن محبتهِ لروحهِ التي لهُ خيرها . وعليهِ ضيرها . وكانت محنة القاضي محنةً شملت الانام . وخصّت الكرام . ووجب على كل من اشتمّ روائح العقل . وميّز بين النقصان والفضل . ان ينفطر لها ألمًا . وان يبكي عندها دمًا . وخلص اليّ من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفًا طالما رفعتهُ . وقبضت بنانًا طالما بسطتهُ . وحتى عُزّيت كما يعزّى الثكلان . وسُلّيت كما يسلّى اللهفان . وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة . واستقلّ سعي عيني وهي سخينة دمعة . وكان يجب على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصابرهُ نهارًا واساهرهُ ليلًا وتكون المحنة بيني وبينهُ احملها عنهُ ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفي . ويتغابى عن العذر الجلي . ولهُ اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة . وأُخرى يصمّ بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينهُ وبين العفو نسب . ولا لهُ الى التثبت

طريق ولا مذهب . ولو تعرَّضت لسخطـهِ . بعد ما عرفتهُ من شططهِ . لتحمَّلت دونهُ الوِزْر في ظلي . ولكنت مقدّمتهُ الى ذمي . ومن قعد تحت الريبة ركبتهُ . ومن تعرَّض للظِنَّة نالتهُ

ومن دعا الناس الى ذمّهِ رموهُ بالحقّ وبالباطلِ

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثِب هذا الجواد وثبةً يصون القاضي عنها . ويبتذلني لها . فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكرَّرت عليهِ كرَّتين . يرى بولي من اوليائهِ . داء لا يقدر على دوائهِ . ويرى وقودًا لا يصل الى اطفائهِ . ويتبين في حالة متّصلة بحالهِ ثلمة لا يمكن سدُّها . ومحنة لا يستوي لها ردُّها . فلمّا مثلت بين تخلُّفي آمنًا . وحضوري خائفًا . عدلت بين طرَفي الرؤْية . ووزنت بين مقـداري المحنة . فرأَيت ان اميل مع السلامة . واقنع من العمل بالنيَّة . واغتفر عُهدة التفصيل لصحة الجملـة . فغبت وكلي غير جسمي شاهد . وتميّزت وما انا الّا مشاهد . وبعدت وقلبي سهم واغضيت على عينٍ كانها قذى . وانطويت على صدرٍ كلهُ شجًا . وانصرفت بقلبٍ ساقط راضٍ واغمضت بجفن ضاحك باكٍ وقلت :

فانْ تسجُنوا القسري لا تسجُنوا اسمهُ ولا تسجنوا معروفهُ في القبائلِ

ولقد سجت في ذمّ الظالم حللًا لا يبلّها الماء . ولا يجفّفها الهواء . ولا تغطّي عليهـا الظلماء . والمغبون مَن احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح مَن محنتهُ فانية . ومثوبتهُ باقية . ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم لكان يهنى . جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد . ولا ليومها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر . وخاتمة لقائهِ لريب الدهر . ولا حرمهُ فيما نزل بهِ مثوبة الصابرين . ولا اخلاهُ فيما بعدهُ من الشاكرين . برحمتهِ

١٦٢ قال صفي الدين الحلّي يعزّي الملك الافضل صاحب حماة بوالدهِ الملك المؤيد

خفّض همومَك فالحيـاةُ غرورُ ورحى المنون على الأَنام تدورُ
والمرء في دار الفناء مكلَّفُ لا قادر فيها ولا معذورُ
والناس في الدنيا كظلّ زائلٍ كلٌّ الى حكم الفناء يصيرُ
فالنكس والملك المتوّج واحدٌ لا آمرٌ يبقى ولا مأمورُ
عجبًا لمن ترك التذكّر وانثنى في الامن وهو بعيشهِ مغرورُ
في فقدنا الملك المؤيد شاهدٌ أَلّا يدومَ مع الزمان سرورُ
ملكٌ تيمّنت الملوك برأيهِ فكأَنهُ لصلاحهم إكسيرُ
ما آل ايوب الذين سماحهم بحرٌ بامواج الندى مسجورُ
اضحت مدائحهُ الحسان مراثيًا للناس منها رنّة وزفيرُ
وبكت لهُ اهل الثغور وطالما ضحكت لدست الملك منهُ ثغورُ

أمسى عمادُ الدين بعد علومهِ ولطبّه عمّاً عراهُ قصورُ
واذا القضاء جرى بأمرٍ نافذٍ غلطَ الطبيب واخطأ التدبيرُ
ان لمتُ صرف الدهر فيه اجابني أبت النهى ان يُعتب المقدورُ
او قلت اين ترى المؤيد قال لي اين المظفّر قبلُ والمنصورُ
ام أين كسرى ازدشيرُ وقيصرٌ والهرمزان وقبلهم سابورُ
اين ابن داودٍ سليمان الذي كانت بجحفله الجبالُ تمورُ
والريح تجري حيث شاء بامرهِ منقادةٌ وبهِ البساط يسيرُ
فتكت بهم ايدي المنون ولم تزل خيل المنونِ على الانام تغيرُ
لو كان يخلد بالفضائل ماجدٌ ما ضمّت الرسل الكرام قبورُ
كلٌّ يصير الى البلى فاجبتهُ اني لأعلم واللبيب خبيرُ

١٦٣ كتب الطغرائي الى معين الملك فضل الله في نكبتهِ

فصبرًا معين الملك ان عنَّ حادثٌ فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسنْ من صنع ربك انهُ ضمين بان الله سوف يديل
فان الليالي اذ يزول نعيمُها تبشّر أن النائباتِ تزول
ألم ترَ ان الليل بعد ظلامهِ عليهِ لإسفار الصباح دليل
ألم ترَ ان الشمس بعد كسوفها لها صفحةٌ تغشى العيون صقيلُ
وان الهلال النضو يقمر بعد ما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
فقد يعطف الدهرُ الابيُّ عنانهُ فيشفى عليل او يبلّ غليلُ
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما تساقط ريشٌ واستطارَ نسيلُ
ويستأنف الغصنُ السليبُ نضاره فيورق ما لم يعتورهُ ذبولُ
وللنجم من بعد الرجوع استقامة وللحظّ من بعد الذهاب قفولُ
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها عليك واحداث الزمان نكولُ
ولا غروَ ان اخنت عليك فانما يصادم بالخطب الجليل جليلُ
واي قناةٍ لم ترنّح كعوبها واي حسامٍ لم تصبهُ فلولُ
اسأتَ الى الايام حتى وترتَها فعندك أضغانٌ لها وتبولُ
وسارمتها فيما ارادت صروفها ولولاك كانت تنتحي وتصولُ
وما انت الّا السيف يسكن غمدهُ ليشقى به يوم النزال قتيلُ
فما لك بالصدّيق يوسف اسوةٌ فتحمل وطء الدهر وهو ثقيلُ
وما غض منك الحبس والذكرُ سائل طليقٌ لهُ في الخافقين زميلُ

فلا تذعنَنْ للخطب آدكَ ثقلهُ فمثلك للأمر العظيم حمولُ
فلا تجزعنْ للكبل مسَّك وقعهُ فانَّ خلاخيل الرجال كبولُ

في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيه بابي نصر

١٦٤ انا في مفاتحة الامير بين ثقةٍ تعد . ويدٍ ترتعد . ولِمَ لا يكون ذلك البحر وان لم أرَهُ. فقد سمعت خبرهُ . ومَن رأى من السيف أثرهُ . فقد رأى اكثرهُ . واذا لم ألقَهُ . فهل أجهل خلقهُ . وما وراء ذلك من تالد اصلٍ ونشبٍ . وطارف فضلٍ وأدبٍ . وبُعد هِمَّةٍ وصيتٍ . فمعلومٌ تشهد بذلك الدفاتر. والخبر المتواتر. وتنطِق بهِ الأشعار. كما تختلف عليهِ الآثار. والعين اقلُّ الحواسّ ادراكًا . والآذان اكثرها استمساكًا . ان شيخنا أبا نصر بن دوسنام سألني طول هذه المدَّة . مكاتبة تلك السدَّة . مستشفعًا بكتابي الى الخُلق العظيم . والعِلق الكريم . والفضل الجسيم . وكل شيء على الميم في باب التفخيم . وبي ان أعرف شغلٌ شاغل . وحتَّى أقبل وأُداخل . دخولًا معلومًا . لا يقتضي لومًا . فلا تظننَّ الَّا الجميل وعرَّفتهُ ان المرء وجودهُ . ثمَّ جودهُ . وشفيعٌ لا يعرَف غريبٌ ولكنهُ من غريب الخبيث . لا من غريب الحديث . فأبى الاان أَفعل وقد فعلتُ على السخط من القَرْط . فان قبلتَ الشفاعة فالجد يأبي الَّاان يعمل عملهُ . وان رُدَّت فايست كلمة السوء مثلهُ . والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخهِ ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعًا

١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محطَّ الآمال وقبلة الوجوه . وبلَّغ سيادتكم ما تؤَملهُ من فضل الله تعالى وترجوه . وكلأ بعين حفظهِ ذاتكم الفاخرة . وجعل عزَّ الدنيا متَّصلًا لكم بعزّ الآخرة . بعد تقبيل يدكم التي يدها لا تزال تُشكَر . وحسنتها عند الله تعالى تُذكَر . أُنهي الى مقامكم ان الشيخ ابا فلان مع كونهِ مستحق التجلَّة . بهجرةٍ الى ابوابكم الكريمة قدمت . ووسائل من اصالة وحشمة كرمت . وفضل ووقار وتنويه للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى الفضل برهْ . وادب شكر الاختيار عليهِ وسرهُ . ولهُ بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعيَّة . وفي الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيَّة . وتوجه الى بابكم والتمسك باسبابكم . والمؤَمل من سيدي سترهُ بجناح رعيهِ في حال الكبرة . ولحظهُ بطرف المبرَّة . اما في استعمال يليق بذوي الاحتشام . او سكون تحت رعي واهتمام . واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام . وهو احق الغرضين بالتزام . واحالة سيدي في حفظهِ رسم مثله . على الله تعالى الذي يجزي المحسنين بفضله . ومنهُ نسأل ان يديم ايام المجلس العليّ محروسًا من النوائب . مبلّغ الآمال والمآرب . والمملوك قد قرَّر شأنهُ في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم . والتحسب في هذه الابواب عليكم . وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع . وبالك الأمر اجمع . والسلام (نفح الطيب للمقري)

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلتَّرَاجِمِ

شعراء الجاهليَّة

أَعْشَى قَيْسٍ (٦٢٩ م)

١٦٦ هو ميمون بن قيس بن جندل ويكنى أَبا بصير وهو احد الاعلام من شعراء الجاهليَّة وفحولهم . وتقدَّم على سائرهم وليس ذلك بمُجمَع عليهِ لا فيهِ ولا في غيرهِ . وكان قوم يقدّمون الأَعشى على سائر الشعراء فيحتجون بكثرة تصرفهِ في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيرهِ . ويقال انهُ أَوَّل من سأل بشعرهِ وانتجع بهِ اقاصي البلاد . وكان يغنّي في شعرهِ فكانت العرب تسمّيهِ صَنَّاجة العرب . ومن اخبارهِ انهُ أَتى الأَسود العنسي وقد امتدحهُ فاستبطأَ جائزتهُ . فقال الأَسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نعطيك عَرَضًا . فاعطاهُ خمسمائة مثقال دهنًا وبخمسمائة حللًا وعنبرًا . فلما مرَّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معهُ فأَتى علقمة بن علاثةَ . فقال لهُ : أَجِرني . فقال : قد اجرتك . قال : من الجنّ والإِنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : لا . فأَتى عامر بن الطفيل . فقال : اجرني . قال : قد اجرتك . قال : من الجنّ والإِنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : نعم . قال : وكيف تُجيرني من الموت . قال : ان متَّ وانت في جواري بعثت الى اهلك الدية . فقال : الان علمت انك قد اجرتني من الموت . فمدح عامرًا وهجا علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد كنت اعطيتهُ اياهُ . ويُخبَر عن الأَعشى انهُ لمَّا ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدةٍ . فبلغ خبرهُ قريشًا فرصدوهُ على طريقهِ وقالوا : هذا صنَّاجة العرب ما مدح احدًا قط الَّا رفع في قدرهِ . فلمَّا ورد عليهم قالوا لهُ : أَين اردتَ يا ابا بصير . قال : اردت صاحبكم هذا الاسلم . قالوا : انهُ ينهاك عن خلال ويحرمها عليك . وكلها بك رفق ولك موافق . قال : وما هنَّ . فقال ابو سفيان بن حرب : القمار . قال : لعلّي ان لقيتهُ أَن أُصيب منهُ عوضًا من القمار . ثم ماذا . قالوا : الربا . قال : ما دنتُ ولا ادَّنتُ . ثم ماذا . قالوا : الخمر . قال : اوّه ارجع الى صُبابة قد بقيت لي في المِهراس فاشربها . فقال لهُ ابو سفيان : هل لك في خيرٍ مما همت بهِ . قال : وما هو . قال : نحن وهو الآن في هُدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليهِ امرنا فان ظهرنا عليهِ كنت قد اخذت خلفًا وان ظهر علينا اتيتهُ . فقال : ما اكره ذلك . فقال ابو سفيان : يا معشر قريش هذا الأَعشى واللهِ لئن اتى محمدًا واتبعهُ ليضرمنَّ عليكم نيران العرب

بشعرهِ . فاجمعوا لهُ مائةً من الابل . ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلدهِ . فلما كان بقاع منفوحة رمى بهِ بعيرهُ فقتلهُ (الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني)

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأَصمعي : هو أَوس بن حَجَر بن مالك شاعر تميم من شعراء الجاهليَّة وفحولها . يجيد في شعرهِ ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان انقطع الى فضالة بن كلدة لمّا جاد عليهِ من النعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليجة . قال فيهِ اوس بن حجر يرثيهِ :

يا عينُ لا بد من سكبٍ وتَهمال ... على فضالة جلّ الرزء والعالي
أَبا دليجةَ من تُوصي بارملةٍ ... ام مَن لأَشعث ذي طِمرَين مِمحالِ
أَبا دليجةَ من يكفي العشيرة اذ ... امسوا من الأَمر في لبسٍ وبلبالِ
لازال مسكٌ وريحانٌ لهُ ارجٌ ... على صداك بصافي اللون سلسالِ

ومن فاضل مراثيهِ اياهُ ونادرها قولهُ :

ايتها النفس أَجملي جزعا ... ان الذي تكرهين قد وقعا
ان الذي جمع السماحة والنـ ... ـجدة والحزم والقوى جُمعا
الْمُخلِفُ المتلِفُ المرزَّأ لم ... يُمتَع بضعفٍ ولم يمت طَبَعا
اودى وهل تنفع الإِشاحةُ من ... شيء لمن قد يحاول النزعا

وعُمّر أَوس بن حجر طويلاً وكانت وفاتهُ في أَوَّل ظهور الاسلام

تَأَبَّطَ شَرًّا (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي احد مناصير العرب ومغاويرهم المعدودين . وقد غلب عليهِ هذا اللقب لما اخبرهُ الأَصمعي قال : سار تأَبط شرًّا في ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد فاخذ عليهِ الطريق اسد وقيل غول فلم يزل يراوغهُ وهو يطلبهُ ويلتمس غرَّةً منهُ فلا يقدر عليهِ حتى ظفر بهِ وقتلهُ . فلما اصبح حملهُ تحت ابطهِ وجاء بهِ الى اصحابهِ فقالوا لهُ : لقد تأَبطتَ شرًّا فقال :

أَلا مَن مبلغٌ فتيان فَهم ... بما لاقيت عند رحى بطانِ
واني قد لقيت الغولَ تهوي ... بسَهبٍ كالصحيفة صحصحانِ
فقلتُ لها كلانا نضو أَينٍ ... اخو سفرٍ فخلّي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فاهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يماني
فأَضربها بلا دَهَشٍ فخرَّت ... صريعاً لليدين وللجرانِ
فقالت عُد فقلت لها رُوَيدًا ... مكانكِ انني ثبت الجنانِ
فلم انفكَّ متكئًا عليها ... لأَنظر مصبحًا ماذا أَتاني

اذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ... كرأس الهِرِّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخدَجٍ وشَواة كابٍ ... وثوبٌ من عباءٍ اوشنانِ

ومن اخبارهِ انهُ كان يشتار عسلاً في غار من بلاد هذيل يأتيهِ كل عام . وان هذيلاً ذكرتهُ فرصدوهُ لإبَّان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابهُ تدلى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم . فانفروهم وسبقوهم ووقفوا على الغار . فحركوا الحبل فاطلع تأبَّط شرًّا راسهُ . فقالوا : اصعد . فقال : لا اراكم . قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلامَ اصعد أَعلى الطلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك . قال : فاراكم قاتلِيَّ وآكلي جنادني . لا والله لا افعل . قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار نقبًا اعدَّهُ للهرب . قال : فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقهُ ثم عمد الى الزقّ فشدَّهُ على صدرهِ ثم لصق بالعسل . فلم يبرح يتزلَّق عليهِ حتى خرج سليماً . وفاتهم موضعهُ الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تأبَّط شرًّا في ذلك :

اقول للحيانٍ وقد صفرت لهم ... وطابي ويومي ضيّقُ الجحر معوِرُ
لكم خصلة امَّا فداءٌ ومنَّةٌ ... واماَّ دماً والقتل بالحرّ اجدرُ
وأُخرى أُصادي النفس عنها وانها ... لموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا ... بهِ جؤجؤٌ صلبٌ ومتنٌ مخصَّرُ
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا ... بهِ كدحة خزيان والموت ينظرُ
فأبتُ الى فهمٍ وما كنت آئباً ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرء لم يحتَلْ وقد جدَّ جدُّهُ ... اضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلًا ... بهِ الامر الاَّ وهو لحزم مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما كان حُوَّلًا ... اذا سُدَّ منهُ منخرٌ جاش منخرُ
فانك لو قايست بالصبّ حيلتي ... بلحيان لم يقصر بي الدهر مقصرُ

وكان تأبط شرًّا اعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين . وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقي على نظرهِ اسمنها . ثم يجري خلفهُ فلا يفوتهُ حتى ياخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ فيشويهِ ثم يأكلهُ . وقيل ان تأبَّط شرًّا لقي ذات يوم رجلًا من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جبانًا اهوج وعليهِ حلّة جيدة . فقال ابو وهب لتأبَّط شرًّا : بمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما أرى دميمٌ ضئيلٌ . قال : باسمي . انما اقول ساعة ما القى الرجل : انا تأبَّط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منهُ ما اردت . فقال لهُ الثقفي : فهل لك ان تبيعني اسمك . قال : نعم . قال : فبمَ تبتاعهُ . قال : بهذه الحلّة وبكنيتي . قال لهُ افعل ففعل . وقال لهُ تأبَّط شرًّا : لك اسمي ولي كنيتك . واخذ حلّتهُ واعطاهُ طمريهِ ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي:

ألا هل اتى الحسناء انَّ حليلها ... تأبَّط شرًّا واكتنيت ابا وهبِ

فهبهُ تسمَّى اسمي وسُمّيتُ باسمهِ فاين لهُ صبري على مُعظَم الخطبِ
واين لهُ بأسٌ كبأسي وسَوْرتي واين لهُ في كلّ فادحة قلبي

وقُتل تأَبط شرًّا في بلاد هُذَيل . ورُمي بهِ في غارٍ يقال لهُ رَخمان (الأغاني)

حارثُ بنُ حِلِّزة (٥٦٠ م)

١٦٩ هو ابن مكروه بن يزيد اليشكري البكري صاحب المعلّقة . وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جبّارًا عظيم الشان والمُلك لمّا جمع بكرًا وتغلب ابني وائل واصلح بينهما اخذ من الحيين رهنًا من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض . فكان اولئك الرهن يكونون معهُ في مسيرهِ ويغزون معهُ . فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التغلبيّين وسلم البكريون . فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروهُ بالقصة . فقال عمرو : ارى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلع أصمّ من بني يشكر . فجاءت بكر بالحارث بن حلّزة وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة : يا أصمّ جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال الحارث : وعلى من اظلّت السماء كلّها يفخرون ثم لا ينكر ذلك . وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدتهُ هذه ارتجالًا . توكأ على قوسهِ وانشدها وانتظم كفهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي : انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح . فقيل لعمرو بن هند ان بهِ وَضحًا . فامر ان يجعل بينهُ وبينهُ ستر . فلما تكلّم اعجب بمنطقهِ فلم يزل عمرو يقول : ادنوهُ ادنوهُ حتى امر بطرح الستر واقعدهُ معهُ قريبًا منهُ لاعجابهِ بهِ . وعُمّر الحارث طويلًا وابنهُ ظالم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهليّة لأبي عبيدة)

دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة (٦٣٠ م)

١٧٠ هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل . وكان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وابعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا . وأيمنهم نقيبة عند العرب يقال انهُ غزا مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . فادرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قومهِ يوم حنين مُظاهرًا للمشركين ولافضل فيهِ للحرب . وانما اخرجوهُ تيمّنًا بهِ وليقتبسوا من ورائهِ . فنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ . وقُتل دُرَيد في ذلك اليوم على شركهِ . ولهُ في اخيهِ عبد الله مراثٍ اجاد فيها ما اراد . واخبر ابو عُبَيدة قال : هجا دُرَيد بن الصمّة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال :

هل بالحوادث والايام من عجبِ ام بابن جدعان عبد الله من كلَبِ

قال : فلقيهُ عبد الله بن جدعان بعكاظ فحيّاهُ وقال لهُ : هل تعرفني يا دُرَيد . قال : لا .

قال : فلِمَ هجوتني . قال : مَن انت . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتُك لانك كنتَ امرءًا كريمًا فاحببتُ ان اضع شعري موضعهُ . فقال لهُ عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ وكساهُ وحملهُ على ناقةٍ برحلها . فقال دُرَيد يمدحهُ :

اليك ابنَ جُدْعانَ أَعملتُها مخفّفـةً للسُّرَى والنَّصَبْ
فلا خفض حتى تلاقي امرءًا جوادَ الرِضا وحليم الغضبْ
وجَلْدًا اذا الحرب مرَّت بهِ يعين عليها بجزلِ الحطبْ
رحلتُ البـلاد فما إن أَرى شبيه ابن جُدعان وسطَ العربْ
سوى ملكٍ شامخٍ مُلكـهُ لهُ البحرُ يجري وعينُ الذهبْ

وكانت وفاتهُ في وقعة حُنَينٍ ادركهُ ربيعة بن رفيع السلمي فاخذ بخِطام جملهِ وهو يظن انهُ امرأة وذلك انهُ كان شعار لهُ فاناخ بهِ . فاذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفهُ الغلام . فقال لهُ دُرَيد : ماذا تريد قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن رفيع السلمي . فانشأَ دُرَيد يقول :

ويحَ ابن أَكمة ماذا يريد من المرعَش الذاهب الأَدردِ
فاقسم لو أَنَّ بي قوَّةً لولَّت فرائصـهُ ترعدِ
ويا لهفَ نفسيَ ان لاتكون معي قوَّة الشامخ الأَمردِ

ثم ضربهُ السلمي بسيفهِ فلم يغنِ شيئًا . فقال لهُ : بئس ما سلّحتك أُمّك . خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعًا (لابي زكريَّا النووي)

زُهَيرُ بنُ أَبي سُلْمَى (٦٣١ م) وابنهُ كَعْبُ بنُ زُهَيرٍ (٦٦٢ م)

١٧١ زُهَيرٌ هو ربيعة بن رياح المُزَني . وكان سيّدًا كثير المال في الجاهليَّة حليمًا معروفًا بالورع . وهو احد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء . وهم امرؤ القيس وزُهير والنابغة الذبياني . وكان ابو بكر يسمّيهِ شاعر الشعراء لانهُ كان لا يعاظل في الكلام . وكان يتجنَّب وحشيّ الشعر ولم يمدح أَحدًا الَّا بما فيهِ ويبعد عن سخف الكلام . ويجمع كثير المعاني في قليل من الأَلفاظ . وكان يطنب في مديح هَرِم بن سِنان المُرّي من آل أَبي حارثة احد غطارفة العرب . ولهُ فيهِ غُرر القصائد . وكان هرم قد آلى ان لا يمدحهُ زُهير إِلَّا اعطاهُ ولا يسألهُ إِلَّا اعطاهُ . ولا يسلّم عليهِ إِلَّا اعطاهُ عبدًا او وليدةً او فرسًا . فاستحيا زُهير مما كان يقبلهُ منهُ . فكان اذا رآهُ في ملإٍ قال : عِمُوا صباحًا غير هرم وخيركم استثنيتُ . حدَّث الجوهري عن عُمَر قال : قال عمر لابن زُهير : ما فعلَت الحُلَل التي كساها هرمٌ اباك . قال : ابلاها الدهر . قال : لكن الحُلَل التي كساها ابوك هرمًا لم يُبلها الدهر

وامَّا ابنهُ كعب فهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء وكان لهُ أَخ اسمهُ بُجَير سمع من محمَّد فأَسلم . فبلغ ذلك كعبًا فقال :

ألا أبلغا عني بُجيرًا رسالةً | على أي شيءٍ ويب غيرك دلّكا
على خُلُقٍ لم تلف أمًّا ولا أبًا | عليهِ ولم تُدرك عليهِ اخًا لكا
سقاك ابو بكرٍ بكاس رويّةٍ | فانهلك المأمون منها وعلّكا

فبلغت ابياتهُ محمدًا فغضب عليهِ واهدر دمهُ . وقال : من لقي منكم كعب بن زُهَير فليقتلهُ . فكتب اليهِ اخوهُ يخبرهُ وقال لهُ : انجُ وما أَراك بمفلت . وكتب اليهِ بعد ذلك يأمرهُ ان يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدتهُ (بانت سعاد) يعتذر فيها الى محمد فأمَّنهُ (الأَغاني)

أَلشَّنْفَرَى (٥١٠ م)

١٧٢ هو ثابت بن أَوس الأَزدي الشاعر من أَهل اليمن . والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الازد من العدَّائين . وكان في العرب من العدَّائين مَن لا يلحقهُ الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمر بن برَّاق وأَسيد بن جابر وتأَبط شرًّا . وكان الشنفرى حلف ليقتلنَّ من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان اذا وجد الرجل منهم يقول لهُ الشنفرى : اطرفك . ثم يرميهِ فيصيب عينهُ . فاحتالوا عليهِ فامسكوهُ وكان الذي أَمسكهُ أَسيد ابن جابر أَحد العدَّائين رصدهُ حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف لهُ فيهِ فأَمسكهُ ليلًا . ثم قتلوهُ فمرَّ رجل منهم بجمجمتهِ فضربها برجلهِ فدخلت شَظِيَّة من الجمجمة فمات منها . فتمَّت القتلى مائة . ولهُ الشعر الحسن في الفخر والحماسة منهُ لاميَّتهُ المعروفة بلاميَّة العرب (للميداني)

عُرْوَةُ بْنُ ٱلْوَرْدِ (٥٩٦ م)

١٧٣ هو ابو نجد عروة بن الورد بن زياد العبسي شاعر من شعراء الجاهليَّة وفارس من فرسانها المقدَّمين الأَجواد . وكان يُلقَّب عروةَ الصعاليك لجمعهِ إيَّاهم وقيامهِ بأَمرهم إذا أَخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش الَّا مغزاهُ وكان يعارض حاتمًا في جودهِ . فكان غضَّ الطرف قليل الفُحش كثير العطاء حاميًا لحقيقتهِ . ومن شعرهِ قولهُ :

إذا المرءُ لم يطلُب معاشًا لنفسهِ | شكا الفقرَ أَو لامَ الصديقَ فأكثرا
وصار على الأَدنَيْن كلًّا وأَوشكت | صِلاتُ ذوي القُربى لهُ أَن تُنكَّرا
وما طالبُ الحاجات من كل وُجهةٍ | من الناس الَّا مَن أَجدَّ وشمَّرا
فسِر في بلاد الله والتمسِ الغنى | تعش ذا يسارٍ أَو تموتَ فتُعذرا

وقُتِل عروة في بعض غاراتهِ . قتلهُ رجل من طُهَيَّة (من ديوانهِ)

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ (٥٧٠ م)

١٧٤ هو ابن مالك بن عِتاب التغلبيّ صاحب المعلّقة المعروفة . ولهُ في شعرهِ غرائب يغوص في بحر الكلام على دُرّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيباً بسوق عُكاظ في مواسم مكّة . وبنو تغلب تُعظّمها جدًّا يَروِيها صغارها وكبارها . ولمّا حَضَرتهُ الوفاة وقد أتت عليهِ خمسون ومائة سنة جمع بنيهِ فقال : يا بَنيَّ قد بلغتُ من العمر ما لم يبلغهُ أحد من آبائي . ولا بدَّ ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت . واني والله ما عيَّرت أحدًا بشيء الَّا عيِّرت بمثلهِ . ان كان حقًّا فحقًّا وان كان باطلاً فباطلاً . فكفّوا عن الشتم فانهُ أسلم لكم . وأحسِنوا جِواركم يُحسِن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب . واذا حُدّثتم فعُوا . واذا حدَّثتم فأوجزوا . فان مع الاكثار تكون الأهذار . وأشجع القوم العطوف بعد الكرّ كما ان اكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رويّة لهُ عند الغضب ولا مَن اذا عوتب لم يعتِب . ومن الناس مَن لا يُرجى خيرهُ ولا يخاف شرّهُ . فبَكْؤهُ خير من درّهِ . وعقوقهُ خير من برّهِ

عَنْتَرَةُ ٱلْعَبْسِيُّ (٦١٥ م)

١٧٥ هو عنترة بن شدَّاد العبسيّ . وكانت أُمهُ أَمةً حبشيَّةً يقال لها زَبيبة . وكان سبب ادّعاء أَبي عنترة اياهُ ان بعض احياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذٍ فيهم فقال لهُ أبوهُ كُرَّ يا عنترة . فقال عنترة : العبد لا يحسن الكرَّ . انما يحسن الحَلبَ والصرَّ . فقال : كُرَّ وأنت حرٌّ فكرَّ . وقاتل يومئذٍ قتالًا حسناً فادعاه ابوهُ بعد ذلك وألحق بهِ نسبهُ

وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنترة وخُفَاف بن نُدْبَة والسُلَيك بن سُلَكَة . قال أَبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زُهَير فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنترة . ولحقهم كَبكَبَة من الخيل فحامى عنترة عن الناس فلم يُصَب مدبرٌ . وكان قيس بن زُهَير سيّدهم فساءهُ ما صنع عنترة يومئذٍ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس الَّا ابن السوداء . وكان قيس اكولًا فبلغ عنترة ما قال . فقال يعرّض بهِ قصيدتهُ التي يقول فيها :

بكَرَت تخوّفني الحُتُوفَ كأنني ... اصبحتُ عن عرض الحتوف بمَعزِلِ
فاجبتها إن المنيَّة منهلٌ ... لا بُدَّ ان أُسقى بكأس المنهلِ
فاقني حياءكِ لا أَبا لكِ واعلمي ... أَني امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتَلِ
إنَّ المنيَّة لو تُمثَّل مُثِّلَت ... مثلي اذا نزلوا بضنكِ المنزلِ
إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصِباً ... شَطري واحمي سائري بالمُنصُلِ

وإذا الكتيبةُ أَحجمَت وتلاحظت ... أُلفيتُ خيرًا من مُعَمٍّ مُخوَلِ
والخيل تعلَم والفوارس أنني ... فرَّقت جمعهم بضربة فَيصلِ
ان يلحقوا أَكرُرْ وان يستلحموا ... اشددْ وان يُلفَوا بضنكٍ أَنزِلِ
ولقد أَبيت على الطوى واظلُّهُ ... حتَّى انال بهِ كريمَ المأكلِ

وقيل لعنترة أَنت أَشجع العرب قال: لا. قال: فبماذا شاع لك هذا في الناس. قال: كنت أُقدم اذا رأيت الإقدام عزمًا . وأُحجم اذا رأيت الاحجام حزمًا . ولا أَدخل موضعًا الَّا أَرى لي منهُ مخرجًا . وكنت اعتمد الضعيف الجبَان فاضربهُ الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فاثني عليهِ فاقتلهُ. وحُدِّث عن عمر بن الخطَّاب انهُ قال للحُطَيئة: كيف كنتم في حربكم. قال: كنَّا أَلف فارسٍ حازم. قال: وكيف يكون ذلك. قال: كان قيس بن زُهير فينا. (وكان حازمًا) فكنَّا لا نعصيهِ. وكان فارسنا عنترة فكنَّا نحمل اذا حمل ونحجم اذا أَحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأيٍ فكنَّا نستشيرهُ ولا نخالفهُ. وكان فينا عروة بن الورد فكنَّا نأتمُّ بشعرهِ فكنَّا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقتَ. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن معدي كرب يقول: ما أُبالي مَن لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حرَّاها وهجيناها يعني بالحرَّين عامر بن الطفيل وعُتَيبَة بن الحارث بن شهاب وبالعبدَين عنترة والسُلَيك بن السُلَكة. وكان عنترة أَحسن العرب شيمةً وأَعلاهم همَّةً وأَعزّهم نفسًا. وكان مع شدَّة بطشهِ حليمًا ليّن العريكة سهل الأَخلاق. وكان شديد النخوة كريمًا مضيافًا لطيف المحاضرة رقيق الشعر. ولهُ فيهِ لطائف كثيرة يعرض فيهِ عن تنافر الأَلفاظ وخشونة المعاني. وعُمّر عنترة تسعين سنةً

أَلنَّابِغَةُ ٱلذُّبيَانِيُّ (٦٠٤ م) وَٱلنَّابِغَةُ ٱلْجَعدِيُّ (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن مُعاوية ويكنى أَبا أُمامة. وهو أَحد الأَشراف الذين غضَّ الشعر منهم. وهو من الطبقة الاولى المقدَّمين على سائر الشعراء. وانما لُقّب نابغةً لطول باعهِ في الشعر. وكان يُضرَب للنابغة قبَّة من أَدَم بسوق عُكاظ فتأتيهِ الشعراء فتعرِض عليهِ أَشعارها. وكان النابغة كبيرًا عند النعمان خاصًّا بهِ. وكان من ندمائهِ وأَهل أُنسهِ. ثم تغيَّر عليهِ وأَوعدهُ وتهدَّده. فهرب منهُ فأَتى قومهُ ثم شخص الى ملوك غسَّان فامتدحهم. ثم كتب الى النعمان يعتذر اليهِ بقصيدتهِ الميميَّة التي مطلعها (يا دارميَّة). فأمَّنهُ النعمان واستنشدهُ من شعرهِ فأَذن لهُ ان يُنشدهُ قصيدتهُ التي يقول فيها:

حلفتُ فلم أَترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ
لأَنَّك شمسٌ والملوك كواكبُ ... اذا طلَعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ثم أَسنَّ النابغة وكبر وتُوفّي في السنة التي قُتِل فيها النعمان بن المنذر
أَمَّا النابغة الجَعدي فهو أَبو ليلى حسَّان بن قيس وكان أَسنَّ من النابغة الذبياني. وكان

شاعرًا مفلقًا طويل البقاء في الجاهليَّة والاسلام. نادَمَ المنذر ومدحهُ وكان على دين الحنيفيَّة يقرّ بالتوحيد ويصوم ويستغفر ويتوقَّع اشياء لعواقبها ومن قولهِ :

الحمـد لله لا شريك لهُ   من لم يقلها فنفسهُ ظلما
الحافظ الرافع السماء على ال   أَرض ولم يبنِ تحتها دُعُما

وكانت وفاتهُ بأصبهان ولهُ من العمر ما ينيف على المائة (شعراء الجاهليَّة لابي عُبيدة)

الشعراء المخضرَمون

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٦٧٥ م)(٥٤ هـ)

١٧٧ هو أَبو عبد الرحمان حسَّان بن ثابت بن المنذر الأَنصاري من المخضرَمين. عاش ستّين سنة في الجاهليَّة وستين سنة في الاسلام وتوُفّي بالمدينة. وقد أَجمعت العرب على ان حسَّان أَشعر أَهل المَدَر. ولمَّا كان أَهل مكَّة يعيّرون الاسلام ويهجون صاحبهُ أَذن محمَّد لحسَّان أَن يحمي أَعراض المسلمين فقال: اهجُهم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس. ومن قولهِ في الفخر:

نحنُ الملوك فلا حيٌّ يقاربنـا   منَّا الملوك وفينا يُؤخَذ الرُبُعُ
تلكَ المكارم حُزناها مقارعةً   اذا الكرام على أَمثالها اقترعوا
كم قد نشدنا من الأَحياءِ كلّهمِ   عند النهاب وفضلُ العزّ يُتَّبَعُ
ونَنحرُ الكومَ عَبطاً في منازلنـا   للنازلين اذا ما استطعموا شَبِعوا
ونحنُ نُطعِم عند المَحل ما اكلوا   من العَبيط اذا لم يَظهرِ القَزَعُ
وننصر الناسَ تأتينا سَراتُهمُ   من كل أَوبٍ فتمضي ثم نُتَّبَعُ

وقد استُحسَن لهُ قصائد في وقعة بدرٍ يفخر بها. وفي آخر حياتهِ كُفَّ بصرهُ

أَلْحُطَيْئَةُ

١٧٨ أَلحُطَيئة لقبٌ لُقّب بهِ لقصَرهِ واسمهُ أَبو مايكة جَرْوَل بن أَوس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم. متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر. وكان ذا شرّ وسفه ينتمي الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين. وهو مخضرَم أَدرك الجاهليَّة والاسلام. وكان الحُطيئة مطبوعًا على الهجاء دنيء النفس قبيح المنظر رثَّ الهيئة فاسد الدين. وكان بذيًا هجَّاءً. فالتمس ذات يوم إنسانًا يهجوهُ فلم يجدهُ وضاق عليهِ ذلك فانشأ يقول :

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إِلَّا تكلُّمًا   بشرٍّ فما أَدري لِمَن أَنا قائِلُهْ

وجعل يُدَهوِر هذا البيت في أَشداقهِ ولا يَرى انسانًا اذ اطَّلع في ركيّ فرأَى وجههُ فقال :

أَرى لِيَ وجهًا شوَّه الله خَلْقَهُ   فقُبِّح من وجهٍ وقُبّح حامِلُهْ

قال ابن أَبي بكرة لقيتُ الحُطيئة بذات عِرق فقلتُ لهُ : يا أَبا مايكة مَن أَشعر الناس

فاخرج لسانهُ كأنهُ حيَّة ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مرَّ ابن الحمامة بالحُطيئة وهو جالس بفِناء بيتهِ فقال : السلام عليكم . فقال : قلتَ ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بغير زادٍ . فقال : ما ضمنت لأهلك قِراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظلَّ بيتك فاتفيأ بهِ . قال : دونك الجبل يفيء عليك . قال : انا ابن الحمامة . قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت . ومن شعرهِ في المديح :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان انعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جُلّ حادثٍ ... من الدهر ردُّوا فضل أحلامكم ردُّوا

وكان الحُطيئة يهجو الزِبرقان بن بَدْر . فاستعدى عليهِ الزبرقان عُمَر بن الخطَّاب فرفعهُ عمر اليهِ ثم أمر بهِ فجُعِل في بئر فأنشدهُ :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهُم في قعر مظلمةٍ ... فاغفر عليك سلامُ الله يا عُمَرُ
انت الإمام الذي من بعد صاحبهِ ... ألقى اليكَ مقاليدَ النُهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بكَ الأثَرُ
فامنن على صِبْيةٍ بالرمل مسكنهم ... بين الأباطح تغشاهم بها القُرَرُ

فاخرجهُ وقال لهُ : اياك وهجاء الناس فاقام بالبادية الى وفاتهِ في خلافة عمر وكان قد بلغ من العمر نيفًا ومائة سنة (الأغاني للاصبهاني)

أَلْخَنْسَاء (٦٤٦ م) (٢٤ هـ)

١٧٩ هي تُماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سُلَيم من أهل نجد من شواعر العرب . وأجمع علماء الشعر انهُ لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعُكاظ على كرسيّ يُنشدونهُ فيُفضّل مَن يَرى تفضيلهُ . فانشدتهُ في بعض المواسم فأُعجب بشعرها وقال لها : لولا ان هذا الأعمى انشدني قبلكِ (يعني الأعشى) فضَّلتُك على شعراء هذا الموسم . وأكثر شعرها في مراثي اخويها معاوية وصخر . وكان صخر قُتل يوم الكلاب من أيام العرب . فلمَّا مات دُفن في أرض بني سُليم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسيَّة مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أوَّل الليل : يا بَنيَّ انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الَّا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيَّرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها . وجلَّلت نارًا على أوراقها . فتيمَّموا وطيسها . وجالدوا رسيسها . تظفَروا بالغُنم والكرامة . في

دار الخلد والمقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدَّموا واحدًا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصيَّة العجوز لهم حتى قُتِلوا عن آخرهم. فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم . وأَرجو من ربي أَن يجمعني بهم مستقرّ الرحمة . وكان عُمَر بن الخطَّاب يعطيها أَرزاق بنيها الأَربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قُبِض . ومن قولها في أَخيها صخر:

أَلا يا صخر ان ابكيتَ عيني ... فقد أَضحكتني زمنًا طويلا
بكَيتُك في نساءٍ مُعوِلاتٍ ... وكنتُ أَحقَّ من أَبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأَنت حيٌّ ... فمن ذا يدفع الخَطبَ الجليلا
اذا قبح البكاءُ على قتيلٍ ... رأَيت بكاءَك الحسنَ الجميلا

ولها فيهِ: إِذهَبْ فلا يُبعدَنْكَ الله من رجلٍ ... درَّاك ضيمٍ وطلَّابٍ بأَوتارِ
فسوف أَبكيك ما ناحت مطوَّقةٌ ... وما أَضاءَت نجومُ الليلِ للساري

وقالت ايضًا:

وما بلغت كفُّ امرئٍ متناولًا ... من المجد الَّا والذي نلتَ أَطولُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحةً ... وان أَطنبوا الَّا الذي فيك أَفضلُ

وقيل ان الخنساءَ أَدركت الاسلام وأَسلمت (للشريشي)

عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ (٦٤٣ م)(٢١ ﻫ)

١٨٠ هو أَبو ثور بن عبد الله الزَبيديّ الصحابيّ من سادات أَهل اليمن وفصحائهم يقول الشعر الحَسَن . وكان بعيد الغارة وشهد يوم القادسيَّة ولهُ فيها بلاءٌ حسن . وكان هو آخر القوم . وكانت فرسهُ ضعيفة فطلب غيرها . فأُتي بفرس فأخذ بعكوة ذنَبهِ وأَخلد بهِ الى الأَرض فأقعى الفرس فردَّهُ . وأُتي بآخر ففعل بهِ مثل ذلك فتحلحل ولم يقع . فقال: هذا على كل حالٍ أَقوى من تلك . وقال لأَصحابهِ: اني حاملٌ وعابر الجسر فان اسرعتم بمقدار جَزْر الجَزُور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتلُ بهِ تلقاءَ وجهي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت وجرّدت . وان ابطأتم وجدتموني قتيلًا بينهم وقد قُتِلت وجُرِّدت ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زبيد تَدَعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوهُ حيًّا . فحملوا فانتهوا اليهِ وقد صُرِع عن فرسهِ وقد أَخذ برِجْل فرس رَجُل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فما تقدر ان تتحرَّك من يدهِ . فلما غشيناهُ رمى الأَعجميّ بنفسهِ وخلّى فرسهُ فركبهُ عمرو وقال: أَنا أَبو ثور كدتُّم والله تفقدونني . قالوا : أَين فرسك . قال : رُمِي بنشَّابة فشبَّ فصرعني . ثم شدَّ على رُستم وهو الذي كان قدَّمهُ ملك الفرس وكان رُستم على فيلٍ . فجذم عرقوبيهِ فسقط فمات رُستم من ذلك فانهزم الفرس . ولهُ في الحروب أَخبار مأثورة يضرب الأَعداء بسيفهِ الصمصامة . قيل ان عُمَر بن الخطّاب استوهبهُ الصمصامة فوهبهُ عمرو لهُ . فقبلهُ

لعمرو : انهُ غيرهُ فذكر لهُ ذلك فغضب وقال : هاتهِ فضرب عنق بعير ضربةً واحدة فاباها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقيل لهُ : انك شجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقعة اليرموك وكان يستشيرهُ القوَّاد في حروبهم

لَبِيدٌ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامريّ أحد شعراء الجاهليَّة المعدودين فيها والمخضرَمين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المعمّرين . وأدرك لَبيد الاسلام وحسن إسلامهُ ونزل الكوفة أيَّام عُمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمرهُ مائة وخمساً واربعين سنة . وكان لَبيد جواداً من أفصح شعراء العرب واقلّهم لغواً في شعرهِ يقضي منهُ العجَب لجودة اختيارهِ وصحَّة إنشادهِ . وقيل انهُ هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعهِ : أَلحمدُ لله اذ لم يأتني أَجلي حتَّى لبستُ من الإسلام سِرْبالا

ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان عُمَر بن الخطَّاب استنشدهُ أيَّام خلافتهِ من شعرهِ فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فسرَّ عُمَر بجوابهِ وأجزل عليهِ العطاء . ولهُ المعلَّقة المقامة المشهورة (لابي عُبَيدة)

الشعراء المسلمون

إبْنُ خَفَاجَةَ (٤٥٠ـ٥٣٣ هـ) (١٠٦٠ـ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو اسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسيّ الشاعر وُلد بجزيرة شُقْر من أعمال بَلَنْسِيَة من بلاد الاندلس وكان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرَّض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب . ولهُ ديوان شعر احسن فيهِ كل إحسان . وابن خفاجة هذا هو مالك أعنَّة المحاسن وناهج طريقها . العارف بترصيعها وتنميقها . الناظم لعقودها . الراقم لبرودها . المجيد لإرهافها . العالم بجلائها وزفافها . تصرَّف في فنون الإبداع كيف شاء . وابلغ دلوهُ من الاجادة الرشاء . فشعشع القول وروَّقهُ ومدَّ في ميدان الاعجاز طلقهُ . فجاء نظامهُ ارقَّ من النسيم العليل . وآنق من الروض البليل . يكاد يمتزج بالروح . وترتاح لهُ النفس كالغصن المُروَّح . ان وصف فناهيك من غرَض انفرد بمضمارهِ . وتجرَّد بحمى ذمارهِ . وان مدح فلا الأعشى المحلّق . ولا حسَّان لأهل جلّق . وان تصرَّف في فنون الأوصاف . فهو فيها كفارس خصَّاف . وكان في شبيبتهِ مخلوع الرسن . في ميدان مجونهِ . كثير الوسن . بين صفا الانتهاك وجونهِ . لا يُبالي بمن التبَس . ولا اي نار اقتبَس . الَّا انهُ قد نسك نُسك ابن أذينة . وغضَّ عن ارسال نظرهِ في اعقاب الهوى عينَه . وقد اثبت ما يقف عليهِ اللواء . وتُصرَف اليهِ الاهواء (قلائد العقيان لابن خاقان)

إِبْنُ دُرَيْدٍ (٢٢٣ _ ٣٢١ هـ) (٨٣٩ _ ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أَبو بكر محمد بن دُرَيد الأَزديّ ولد بالبصرة ونشأ بعمان . وطلب علم النحو وكان من اكابر علماء العربيَّة مقدَّماً في اللغة وانساب العرب واشعارهم . وكان شاعراً كثير الشعر . فمن ذلك مقصورتهُ المشهورة فكان يقال ان أَبا بكر بن دُرَيد أَعلم الشعراء وأَشعر العلماء . ولهُ في الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أَدب الكتَّاب الى غير ذلك . وذكر انهُ مات هو وأَبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفنا في مقبرة الخيزُران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيد والجبائي . ورثاهُ جحظة فقال :

فُقِدَت بابن دُرَيدٍ كلُّ منفعةٍ ... لمَّا غدا ثالث الاحجار والتربِ
قد كنتَ ابكي لفقد الجود آونة ... فصرت ابكي لفقد الجود والأَدبِ (للانباري)

إِبْنُ ٱلرُّومِيّ (٢٢١ _ ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ _ ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أَبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أَحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيهُ الى آخره ولا يُبقي فيهِ بقيَّةً . ولهُ القصائد المطوَّلة والمقاطيع البديعة . ولهُ في الهجاء والمديح كلّ شيءٍ ظريف . فمن ذلك قولهُ وما سبقهُ أَحد الى هذا المعنى :

آراؤُكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات اذا دَجَوْنَ نُجومُ
منها معالمُ للهدى ومصابحُ ... تجلو الدجى والأُخرياتُ رُجومُ

ومات ابن الرومي ببغداد وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض أَسفاره :

بلدٌ صحبتُ بهِ الشبيبةَ والصبا ... ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
فاذا تمثَّل في الضمير رأَيتُهُ ... وعليهِ أَغصان الشَّبابِ تميدُ

إِبْنُ زَيْدُونَ (٣٥٤ _ ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ _ ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أَبو الوليد أَحمد بن عبد الله بن أَحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ الأَندلسيّ القُرْطبيّ الشاعر المشهور كان غاية منثورٍ ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أَخذ من حرّ الأَيَّام حرًّا . وفاق الأَنام طُرًّا . وصرَّف السلطان نفعاً وضرًّا . ووسَّع البيان نظماً ونثرًا . الى أَدبٍ ليس للبحر تدفُّقهُ . ولا للبدر تأَلُّقهُ . وشعرٍ ليس للسحر بيانهُ . ولا للنجوم اقترانهُ . وحظٍّ من النثر غريب المعاني . شِعريّ الأَلفاظ والمعاني . وكان من ابناء وجوه الفقهاء بقُرطُبة . وبرع ادبهُ وجاد شعرهُ . وعلا شأْنهُ وانطلق لسانهُ . ثم انتقل عن قرطبة الى المعتضِد عبَّاد صاحب إِشبيلية فجعلهُ من خواصّهِ يجالسهُ في خلواتهِ . ويركن الى إِشاراتهِ . وكان معهُ في

صورة وزير ولهُ شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قولهُ :

يا بائعًا حظـهُ مني ولو بُذلت لي الحيـاةُ بحظّي منـهُ لم أبعِ
يكفيك أنّك إن حمّلت قلبيَ ما لا يستطيع قلوبُ النـاس يستطعِ
تهْ أحتملْ واستطِلْ أصبر وعزّ أهُن وولِّ أقبل وقلْ أسمعْ ومرْ أطعِ

ولهُ القصائد الطنّانة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائده قصيدتهُ النونيَّة التي منها :

تكادُ حين تناجيكم ضمائرنا يَقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لبعدكُم أيّامنا فغدت سُودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا
بالأمس كنّا وما يُخشى تفرّقنا واليوم نحنُ وما يُرجى تلاقينا

وهي طويلة وكل أبياتها نُخَب . وكانت وفاتهُ باشبيلية (الذخيرة لابن بسّام)

إبنُ مَطْرُوح (٥٩٢ـ٦٤٩ هـ)(١١٩٧ـ١٢٥٢ م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقَّب جمال الدين من أهل سعيد مصر . ونشأ هناك وأقام بقوص مدّةً وتنقّلت بهِ الاحوال في الخِدَم والولايات . ثم اتّصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقَّب نجم الدين الأيّوبي . وكان اذ ذاك نائبًا عن أبيهِ الملك الكامل بالديار المصرية فرتّبهُ السلطان ناظرًا في الخزانة . ولم يزل يقرب منهُ ويحظى عندهُ الى ان ملك الملك الصالح دمشق . فرتّبهُ بدمشق نائبًا في صورة وزيرٍ لها . فحسنت حالتهُ . وارتفعت منزلتهُ . ثم تغيَّر عليهِ الملك الصالح وتنكَّر لهُ وعزلهُ عن ولايتهِ لأمورٍ نقمها عليهِ . فبقي ابن مطروح مواظبًا على الخدمة مع الاعراض عنهُ الى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وأقام بها في دارهِ الى وفاتهِ . وكانت أدواتهُ جميلةً وخِلالهُ حميدةً . جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضيَّة . ويستجاد لهُ قولهُ في بعض أسفارهِ وقد نزل في طريقهِ بمسجد وهو مريض :

يا ربِّ ان عجزَ الطبيبُ فداوِني بلطيف صُنعِك واشفِني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُسِبتُ وإنَّ من شِيَم الكرام البرَّ بالأضيافِ

وكان بينهُ وبين أدباء عصرهِ مذاكرات أدبيَّة لطيفة ومكاتبات في الغيبة . واجتمع في مصر ببهاء الدين زُهَير الشاعر . ولابن مطروح ديوان شعر يتداولهُ الناس (لابن خلّكان)

إبنُ ٱلنَّبِيهِ (٥٥٩ـ٦١٩ هـ)(١١٦٥ـ١٢٢٣ م)

١٨٧ هو أبو الحسن عليّ الشاعر البارع كمال الدين بن النبيه المصريّ . بدر فصاحتهِ تحلّى بصفة الكمال . وشمس بلاغتهِ لا يعتري سناها زوال . كلامهُ تعشقهُ الطباع . وتلتذُّ بهِ الأسماع . ولهُ شعر اعذب من الماء الزُلال . وأغرب من السحر الحَلال . ونثرٌ ألطف من كاسات الشَمول وأرقّ من نسمات الشَمال . فالنظم والنثر عندهُ جنّتان عن يمين و شمال مدح بني

أيوب واتّصل بالملك الأشرف موسى وكتب لهُ الانشاء . فحبّر حلل البراعة ووشّى . واطرب المسامع وأنشا . ومدحهُ بقصائد نظم بها في جيد الدهر اللآلي . وخلّد ذكرهُ في صحائف الأيام والليالي . ولهُ الديوان المشهور انتخبهُ من نتائج فكره . ونفثات سحره . لانهُ كان ينتقي الدرَّة الفريدة واختها . ويتحرَّى النادرة الشاردة ليثبتها . وسكن ابن النبيه نصيبين الشرق وتوفي بها

أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ (١٩٠ـ٢٢٨هـ) (٨٠٧ـ٨٤٣م)

١٨٨ قال الصولي : كان أبوهُ نصرانياً . وكان واحد عصره في ديباجة لفظه وبضاعة شعره وحسن اسلوبه . ولهُ كتاب الحماسة التي دلّت على غزارة فضله . واتقان معرفته بحسن اختياره . ولهُ مجموع آخر سمّاه (فحول الشعراء) جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهليَّة والمخضرمين والاسلاميين . وكان لهُ من المحفوظات ما لا يلحقهُ فيه غيرهُ . قيل انهُ كان يحفظ أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب البصرة . وقال العلماء : خرج من قبيلة طيّ ثلاثة كل واحد مجيدٌ في بابه حاتم الطائي في جوده . وداود بن نصير الطائي في زهده . وأبو تمّام حبيب بن أوس الطائي في شعره . وأخبارهُ كثيرة ورأيت الناس يطبقون على انهُ مدح الخليفة بقصيدته السينيَّة فلمَّا انتهى فيها الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم أحنفَ في ذكاء إياسِ

قال الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فاطرق ساعة ثم رفع راسهُ وأنشد يقول:

لا تنكروا ضربي لهُ مَن دونهُ مثلاً شرودًا في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الاقلَّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبهُ فاعطه . وذكر الصولي ان أبا تمّام لمَّا مدح محمد بن عبد الملك الزيّات الوزير بقصيدته التي منها قولهُ :

ديمةٌ سمحةُ القياد سكوبُ مستغيث بها الثرى المكروبُ

لو سعَت بقعةٌ لاعظام أُخرى لسعَى نحوها المكانُ الجديبُ

قال لهُ ابن الزيّات : يا أبا تمّام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُذخر لك شيء من جزيل المكافاة الّا ويقصر عن شعرك في الموازاة . ورثاهُ الحسن بن وهب بقوله :

فُجع القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضته حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبل في الأحياء

أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ (١٣٠ـ٢١١هـ) (٧٤٨ـ٨٢٧م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم العَنَزي المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور مولدهُ

بين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار فقيل لهُ الجرَّار . قال أشجع السلمي الشاعر المشهور . اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليهِ . فدخلنا فامرنا بالجلوس فاتّفق ان جلس بجنبي بشّار بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشّار حسّاً فقال لي : مَن هذا . فقلتُ : أبو العتاهية . فقال : أتراهُ ينشد في هذا المحفل . فقلت : احسبهُ سيفعل . قال فامرهُ المهدي فانشد :

أتتهُ الخلافة منقادةً ... اليهِ تجرّر اذيالها

فلم تكُ تصلح الّا لهُ ... ولم يكُ يصلح الّا لها

ولو رامها احد غيرهُ ... لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعهُ بنات القلوب ... لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشّار : انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشهِ . قال أشجع : فوالله ما انصرف احد عند ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية . ولهُ في الزهد أشعار كثيرة وهو من مقدّمي المولدين في طبقات بشّار وأبي نُوَاس وتلك الطائفة . وشعرهُ كثير . وتوفي ببغداد ولمّا حضرتهُ الوفاة قال : اشتهي ان يجيء مخارق المغنّي ويغني عند رأسي . والبيتان لهُ من جملة أبيات

إذا ما انقضت مني من الدهر مُدّتي ... فإنّ عزاء الباكيات قليلُ

سيُعرَض عن ذِكري وتُنسى مودّتي ... ويحدُث بعدي للخليل خليلُ

وأوصى ان يكتب على قبرهِ :

إن عيشاً يكون آخرهُ المو ... تَ لَعيشٌ معجَّلُ التنغيصِ (لابن خلّكان)

أَبو فِرَاسٍ ٱلْحَمْدَانِيُّ (٣٢٠ـ٣٥٧هـ)(٩٣٣ـ٩٦٩م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهرهِ وشمس عصرهِ أدباً . وفضلاً وكرماً ومجداً . وبلاغةً وبراعةً . وفروسيّةً وشجاعةً . وشعرهُ مشهور بين الحسن والجودة . والسهولة والجزالة والعذوبة . والفخامة والحلاوة . ومعهُ رواء الطبع وسمة الظرف وعزّة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبلهُ الّا في شعر عبد الله بن المعتزّ . وأبو فراس يُعدّ أشعر منهُ عند أهل الصنعة ونقدَة الكلام . وكان الصاحب بن عبّاد يقول : بدىء الشعر بملك وخُتم بملك . يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد لهُ بالتقدّم والتبريز ويتحامى جانبهُ . فلا ينبري لمباراتهِ . ولا يجترئ على مجاراتهِ . وانما لم يمدحهُ ومدح من دونهُ من آل حمدان تهيّباً لهُ واجلالاً . لا اغفالاً واضلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جدّاً بمحاسن أبي فراس ويميّزهُ بالاكرام على سائر قومهِ . ويستصحبهُ في غزواتهِ ويستخلفهُ في أعمالهِ . وأُسِر أبو فراس مرّتين فالمرّة الاولى بمغارة الكحل في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وما تعدّوا بهِ خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها . وفيها انهُ ركب فرسهُ وركضهُ برجلهِ فاهوى بهِ من أعلى الحصن

الى الفرات . والمرَّة الثانية أسرهُ الروم على منبج في شوَّال سنة احدى وخمسين وحملوهُ الى قسطنطينيَّة . وأقام في الاسر اربع سنين وله في الاسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانهِ . وكانت مدينة منبج اقطاعاً لهُ ومن شعرهِ :

قد كنتَ عدتيَ التي اسطو بها ... ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بضدِّ ما أمَّلتهُ ... والمرء يشرَق بالزلال الباردِ
فصبرتُ كالولد التقيّ لبرهِ ... أغضى على ألمٍ لضرب الوالدِ

ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينهُ وبين موالي اسرتهُ في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . ورأيت في ديوانهِ انهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنتهُ :

ابنيَّتي لا تجزعي ... كل الأنام الى ذَهابِ
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترِك والحجابِ
قولي اذا كلَّمتني ... فعييت عن ردّ الجوابِ
زين الشباب أبو فرا ... سٍ لم يمتَّع بالشبابِ

هذا يدلّ على انهُ لم يُقتل أو يكون قد جُرح وتأخَّر موتهُ ثم مات من الجراحة (اليتيمة للثعالبي)

أَبُو نُوَاسٍ (١٤٥ــ١٩٨هـ) (٧٦٣ــ٨١٤م)

١٩١ هو أبو عليّ الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلاهُ والبة بن الحباب . ورأى فيهِ مخايل النجابة فصار أبو نواس معهُ . ورُوي ان الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبهِ فقال : أغناني أدبي عن نسبي . فامسك عنهُ . قال اسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط اوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منهُ مع قلّة كتبهِ . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعرهُ عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعرهِ جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانهُ مختلفاً ومع شهرة ديوانهِ لا حاجة الى ذكر شيء منهُ . ورأيتُ في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفتْ الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النُّوَاس :

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفت ... لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

وكان محمد الأمين قد سخط على أبي نُوَاس لقضيَّة جرت لهُ معهُ فتهدَّدهُ بالقتل وحبسهُ . فكتب اليهِ من السجن :

بك أستجيرُ من الرَّدَى ... متعوّذًا من سطو باسِكْ
وحياة رأسك لا اعو ... دُ لمثلها وحياة راسِكْ
مَن ذا يكون أبا نوا ... سك إن قتلت أبا نواسِكْ

ولهُ معهُ وقائع كثيرة . وكانت وفاتهُ ببغداد . وانما قيل لهُ ابو نُواسٍ لذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقيهِ . وصفهُ ابو عبد الله الجمَّاز قال : كان ابو نواس اظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً واكثرهم حياءً . وكان ابيض اللون جميل الوجه مليح النغمة والإشارة . ملتفّ الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم الأنف . حسَن العينين والمضحَك . حلو الصورة لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان جيّد البيان . عذب الالفاظ حلو الشمائل كثير النوادر . وأعلم الناس كيف تكلَّمت العرب . راويةً للاشعار علّامة بالأخبار كأن كلامهُ شعرٌ موزون (لابن خلّكان والقيرواني)

ألأَبيوَرْدِيُّ (٤٩٨ ـ ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ ـ ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفَّر محمد بن أبي العبَّاس الأبيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء المشاهير راويةً نسَّابةً شاعرًا ظريفًا . قسم ديوان شعرهِ الى أقسام منها العراقيّات ومنها النجديَّات وغير ذلك . وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب . نقل عنهُ الحفَّاظ الأثبات الثقات . وكان فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرّفًا في فنون جمَّة من العلوم . عارفًا بتاريخ العرب فصيح الكلام حاذقًا في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهرهِ وحيد عصرهِ . وكان فيهِ تيه وكبر وعزَّة نفس . ومن محاسن شعرهِ قولهُ :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت ... لنا رغبةً أو رهبةً عظماؤُها

فلمَّا انتهت أيامنا علقت بنا ... شدائد أيَّام قليلٍ رخاؤُها

وكان الينا في السرور ابتسامها ... فصار علينا في الهموم بكاؤُها

وصرنا نلاقي النائبات بأوجهٍ ... رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤُها

اذا ما هممنا ان نبوح بما جنَت ... علينا الليالي لم يدَعْنا حياؤُها

ولهُ تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف . وطبقات كل فنّ وما اختلف وائتلف في أنساب العرب . ولهُ في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها . وكان حسن السيرة جميل الأثر لهُ معاملة صحيحة . وكانت وفاتهُ باصبهان مسموماً (لابن خلّكان)

أَلبُحْتُرِيُّ (٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ ـ ٨٩٨ م)

١٩٣ هو ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري شاعر مقدَّمٌ لا يُعدَل بهِ أحد يفضَّل على حبيب . والناس في تفضيلها على اختلاف . وُلِد بمنبج ونشأ وتخرَّج بها . ثمَّ خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أوَّلهم المتوكل وأقام ببغداد دهرًا طويلًا ثم عاد الى الشام . وكان حسن المذهب نقيّ الكلام خُتم بهِ الشعراء المحدثون . ولهُ تصرُّف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعتهُ فيهِ نزرة . وحدَّث البحتري عن نفسهِ قال : وكان أوَّل امري اني دخلت على أبي

سعيد محمد بن يوسف الثغري فانشدتهُ قصيدة أوّلها : (أأفاتي صبٌّ من هوًى فأُفيقا) . فسُرَّ أَبو يوسف بها وقال : أَحسنتَ والله يا فتى واجدتَ . وفي مجلسهِ رجل رفيع نبيل قريب المجلس منهُ فوق كل من حضر . فاقبل عليَّ وقال : أَما تستحي مني . هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتي . فقال لهُ أَبو سعيد : أَحقًا ما تقول . قال : نَعَم . وانما علقهُ مني وسبق بهِ اليك وزاد فيهِ . ثم اندفع فانشد اكثر القصيدة حتَّى تشككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرًا . فقال لي أَبو سعيد : يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا . فجعلت احلف بكل محرجة من الايمان ان الشعر لي ما سمعتهُ منهُ ولا انتحلتهُ فلم ينفع ذلك شيئًا . وأَطرق أَبو سعيد وقطع بي حتى تمنَّيت ان يساخ بي في الارض . فقمت منكسف البال اجرُّ رجلي فما بلغت باب الدار حتَّى ردَّني الغلام . فاقبل عليَّ الرجل وقال : الشعر لك يا بُنيَّ . والله ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ الّا منك . ولكنني كنت ظننت انك تهاونت بموضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي تريد مضاهاتي حتى عرَّفني الامير نسبك . ولوَددتُ ان لاتلد طائيـةٌ الّا مثلك . ودعاني وضمّني اليهِ وعانقني وأَبو سعيد يضحك . فلزمتهُ بعد ذلك واخذت عنهُ واحتذيت فنَّهُ

وعن أَبي الغوث عن ابيهِ البحتري قال: قال لي أَبو تمَّام : بلغني ان بني حميد اعطوك مالًا جليلًا فيم مدحتهم فأَنشدْني شيئًا منهُ . فانشدتهُ فقال لي : كم اعطوك . فقلت : كذا . فقال لي : ظلموك . ما وفوك حقك والله لَبيتٌ منها خير ممَّا اخذت . ثم اطرق قليلًا ثم قال : لعَمري لقد مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت اسواق الأَدب . انت والله يا بُنيَّ امير الشعراء غدًا بعدي . فقمتُ فقبَّلتُ رأسهُ ويديهِ ورجليهِ وقلتُ : والله لهذا القول اسرُّ لي مما وصل اليَّ منهم . قيل البحتري أَ أَيكما أَشعر انت اوأَبو تمَّام قال : جيّدهُ خيرٌ من جيدي ورديئي خير من رديئهِ . وصدق فان أَبا تمَّام لا يتعلّق بهِ احد في جيّدهِ . وربما اختلَّ لفظهُ لا معناهُ . والبحتري لا يختل لفظهُ . وقيل لهُ : قد عثرت باحتذائك ابا تمَّام في شعرك . فقال : أَ يعاب عليَّ ان اتبع أَبا تمَّام ما عملت بيتًا قطُّ حتى أُخطر شعرهُ ببالي . وذكروا معنى تعاورهُ البحتري وأَبو تمَّام فقال المبرّد البحتريّ : انت في هذا أَشعر من أَبي تمَّام . فقال : لا والله ذلك الرئيس الأَستاذ . والله ما اكلت الخبز الّا بهِ . قال المبرّد : شعر البحتري احسن استواءً من شعر ابي تمَّام . لان البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعنِ طاعنٍ . وأَبو تمَّام يقول البيت النادر والبادر . (وهذا المعنى كان اعجب الى الاصمعي) وما أَشبههُ الّا بغائص يخرج الدرَّة ثم قال : لأَبي تمَّام والبحتري من المحاسن ما لو قيس باكثر شعر الأَوائل ما وجدوا فيهِ مثلهُ وذكر المبرّد شعرًا لهُ وقدَّمهُ على نظرائهِ :

واذا ذكرتُ محاسن ابنَي صاعدٍ ... أَدّت اليك مخايلَ ابنَي مخلدِ

كالفرقدين اذا تأَمّل ناظرٌ ... لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدِ

وبعدها : أَغنت يداهُ يدي وشرَّد جُودهُ ... بخلي فافقرني بما أَغناني

ولهُ ايضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الأَسد وقتلهُ :

حملتَ عليهِ السيف لاعطفُك انثنى ... ولا يدُك ارتدَّتْ ولا حدُّهُ نبا
فاحجم لمَّا لم يجِد فيك مطعماً ... وصمَّم لمَّا لم يجِد عنك مهرَبا

ولهُ فيهِ : وما منع الفتح بن خاقان نيلهُ ... ولكنها الايام تعطي وتحرِمُ
سحابٌ خطاني جودُهُ وهو مسبلٌ ... وبحرٌ عداني فيضهُ وهو مفعمُ
أَأَشكو نداهُ بعدان وسع الورى ... ومَن ذا يذمُّ الغيثَ الَّا مذمَّمُ

والبحتري مكثِر جدًّا وديوانِ شعرهِ نُسخ مختلفاً بالزيادة والنقص لأَن شعرهُ لا ينضبط لكثرتهِ . قال البحتري : كنت أَذمّ الشعر في حداثتي وكنت ارجع فيهِ الى الطبع ولم اكن اقف على تسهيل مأخذهِ ووجوه اقتضابهِ حتى قصدتُ أَبا تمَّام وانقطعت فيهِ اليهِ وا تكلت في تعريفهِ عليهِ . فكان أَوَّل ما قال لي : أَبا عبادة تخيَّر الاوقات وانت قليل الهموم صفرٌ من الغموم . ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم . فان اردتَ النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً . واذا اخذت في مدح سيِّد فاشهر مناقبهُ . وأَظهر مناسبهُ . وأَبِن معالمَهُ . وإيَّاك ان تشين شعرك بالأَلفاظ الهجينَة . وكن كأَنك خيَّاط تقطع الثياب على مقادير الأَجسام . واذا عارضك الضجر فأَرح نفسك ولا تعمل شعرًا الَّا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمهِ . فان الشهوة تجمع النفس . وجملة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماءُ فاقصدهُ وما تركوهُ فاجتنبهُ ترشد ان شاء الله تعالى . فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحتري انهُ كان بحلب شخص يقال لهُ طاهر ابن محمد الهاشمي مات ابوهُ وخلَّف لهُ مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوَّار في سبيل الله . فقصدهُ البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل لهُ انهُ قد قعد في بيتهِ لديون ركبتهُ . فاغتمَّ البحتري لذلك غمًّا شديدًا وبعث المدحة اليهِ مع بعض مواليهِ . فلما وصلتهُ ووقف عليها بكى ودعا بغلامٍ لهُ وقال لهُ : بِع داري . فقال لهُ : اتبيع دارك وتبقى على رؤُوس الناس . فقال : لا بُدَّ من بيعها . فباعها بثلاثمائة دينار فاخذ صرَّة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحتري . وكتب اليهِ معها رقعة فيها هذه الأَبيات :

لو يكون الحباءُ حَسْبَ الذي أَنـ ... ـت لدينا بهِ محلٌّ واهلُ
لحثيتُ اللجينَ والدرَّ واليا ... قوت حثوًا وكان ذاك يقلُّ
والأَديب الأَريب يسمح بالعذ ... رِ اذا قصَّر الصديق المقلُّ

فلما وصلت الرقعة الى البحتريّ ردَّ الدنانير وكتب اليهِ :

بأَبي انت والله للبرّ أَهلُ ... والمساعي بعد وسعيك قبلُ
والنوال القليل يكثُر ان شا ... ءَ مرجّيكُ والكثير يقلُّ

غير اني رددت برَّك اذ كا ... ن ربًا منك والربا لا يحلُّ
واذا ما جزيتَ شعرًا بشعرٍ ... قُضِي الحقُّ والدنانير فضلُ

فلما عادت الدنانير اليهِ حلَّ الصرَّة وضم اليها خمسين دينارًا أُخرى وحلف انهُ لا يردّها عليهِ وسيَّرها فلما وصلت البحتري انشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمــةٌ ... ومن يشكر المعروف فالله زائدهْ
لكل زمانٍ واحد يُقتــدَى بهِ ... وهذا زمانٌ انت لاشكَّ واحدُهْ (الأغاني)

أَلْبُسْتِيُّ (٣٣٩ ـ ٤٠٠ هـ) (٩٥١ ـ ١٠١٢ م)

١٩٤ هو ابو الفتح عليّ بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس . البديع التأسيس . وكان في عنفوان امرهِ كاتبًا لبايتوز صاحب بُستَ . فلما افتتحها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتنحّى عن الخدمة فدلّ عليهِ فاستحضرهُ وفوّض اليهِ مهمّات ديوانهِ مع كون بايتوز في قيد الحياة . فأشفق من سعي حسَّادهِ فطلب ان يعتزل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقرَّ الأمر فأجيب الى طلبهِ وأشار عليهِ بناحية الرُّخَّج . فبقي فيها حتى استدعاهُ السلطان المعظّم يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقد كتب لهُ عدّة فتوح . فبقي عندهُ الى ان زحزحهُ القضاء عن خدمتهِ ونبذهُ الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربّهِ . ولهُ نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ (٥٨١ ـ ٦٥٦ هـ) (١١٨٦ ـ ١٢٥٩ م)

١٩٥ أبو الفضل زهَير الملقَّب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصرهِ وأحسنهم نظمًا ونثرًا وخطًا ومن اكبرهم مروءَة . كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بالديار المصريَّة . وتوجَّه في خدمتهِ الى البلاد الشرقيَّة . واقام بها الى ان ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل اليها في خدمتهِ . وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح . وخرجت عنهُ دمشق وخانهُ عسكرهُ وهو على نابلس وتفرَّق عنهُ . وقبض عليهِ ابنُ عمّهِ الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقلهُ بقلعة الكرك . فاقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبهِ ولم يتّصل بغيرهِ . ولم يزل على ذاك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصريَّة . وقدم اليها بهاء الدين سنة سبع وثلاثين وستمائة فاجتمعتُ بهِ ورأيت فوق ما سمعت عنهُ من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا . وكان متمكنًا من صاحبهِ كبير القدر عندهُ لا يطلع على سرّهِ الخفي غيرهُ . ومع هذا كلّهِ فانهُ كان لا يتوسَّط عندهُ الَّا بالخير . ونفع خلقًا كثيرًا بحسن وساطتهِ وجميل سفارتهِ وانشدني كثيرًا من شعرهِ . وديوانهُ كثير الوجود بايدي الناس . ولهُ شعر جيّد . فمن ذلك ما قالهُ وقد غرقت بهِ سفينة فسلم

بنفسهِ منها وذهب ما كان معهُ :

لا تعتب الدهر في خطبٍ رماك بهِ ان استردَّ فقدماً طالما وهبا
حاسب زمانك في حالي تصرفهِ تجدهُ اعطاك اضعاف الذي سلبا
والله قد جعل الأيام دائرة فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا
ورأس مالك وهي الروح قد سلمتْ لا تأسفنَّ لشيءٍ بعدها ذهبا
ما كنتَ أوَّل مفدوح بحادثةٍ كذا مضى الدهر لا بدعًا ولا عجبا
وربَّ مالٍ نما من بعد مرزئةٍ أما ترى الشمع بعد القطف ملتهبا

وكانت وفاتهُ بالقاهرة بالوباء (لابن خلكان)

جَرِيرٌ (٤٢ ـ ١١٠هـ)(٦٦٣ ـ ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطيّة التميمي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام . وكان بينهُ وبين الفرزدق مهاجاةٌ ونقائض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في ايّهم المتقدّم . واحتجَّ من قدَّم جرير بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظًا واقلّهم تكلفًا وكان ديّنًا عفيفًا . وسُئل اعرابي ايُّهم عندكم أشعر الشعراء . قال : بيوت الشعر فخر ومديح وهجاء وفي كلّها غلب جرير . فقال في الفخر :

اذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلّهمُ غضابا

وقال في مديح ابن مروان :

الستم خير مَن ركب المطايا واندى العالمين بطون راحِ

وقال في هجاء الراعي الشاعر :

فغضّ الطرف انك من نميرٍ فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

وذكر الأصمعي قال : كان ينهش جريرًا ثلاثةٌ واربعون شاعرًا فينبذهم وراء ظهرهِ ويرمي بهم واحدًا واحدًا وثبت لهُ الفرزدق والأخطل . وامتدح جريرٌ الخلفاء فمن قولهِ في مدح عُمَر: انَّا لنرجو اذاما الغيث أخلَفنا من الخليفة ما نرجو من المطرِ

نال الخلافة اذ كانت لهُ قدَرًا كما أتى ربَّهُ موسى على قدَرِ
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلتْ ام تكتفي بالذي بُلّغتَ من خبري
ما زلت بعدك في دارٍ تعرّقني قد طال بعدك إصعادي وتحدَري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ولا يجود لنا بادٍ على حضرِ
كم بالمواسم من شَعْثاءَ أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصرِ
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأنَّ بهِ خبْلًا من الجنّ او مسًّا من البشرِ
ممن يعدُّك تكفي فقد والدهِ كالفرخ في العُشّ لم ينهض ولم يطرِ (الأغاني)

صَفِيُّ ٱلدِّينِ ٱلحِلِّيُّ (٦٨٥ ـ ٧٤٠ هـ) (١٢٨٧ ـ ١٣٤٠ م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلّي الملقَّب بصفيّ الدين مناهل ألفاظهِ العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيهِ المفرحة بنشرها الألباب شافية لمن كرع من نحرها الرائق المديد واخبر عن نفسهِ قال : كنت قبل ان اشبَّ عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . بهجًا بالشعر نظماً وحفظاً . متقنا علومهُ معنًى ولفظاً . فاعدهُ من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب ومِحَن اوجبتْ بُعدي عن عريني. وهجر اهلي وقريني. بعد ان تكمل لي من الأشعار. ما سبقني الى الأمصار . فحططت رحالي بفناء ملوك آل أُرتق اصحاب ماردين . فثبَّتوا بالاحسان قَدمي . وصانوا عن بني الزمان وجهي ودمي . فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدا في كل بيت منها وبهِ يُختَم . ووسمتهُ بدرر النحور . في مدائح الملك المنصور. ثم قذف بي خوف بلادي الى الديار المصريَّة . واهلت للمثول في الحضرة الشريفة الملكيَّة الناصريَّة . فشملني من الانعام ما الزمتني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأَيت كفرانها كالعقوق . فجمعت لهُ من جدّ شعرهِ وهزلهِ . ورقيق لفظهِ وجزلهِ . فبوَّبتهُ ابين التبويب . ورتَّبتهُ احسن الترتيب . فوقع عنده بموقع الاستحسان . واكرم مثواي وأجزل عليَّ الاحسان . (اه) ولصفي الدين الحلّي مؤلفات منها كتاب في علم الرمي وكتاب في اغلاط العرب. وكانت وفاتهُ في بغداد (من ديوانهِ)

أَلْخَوَارَزْمِيُّ (٣١٦ ـ ٣٨٣ هـ) (٩٢٩ ـ ٩٩٢ م)

١٩٨ هو ابو بكر محمد بن العبَّاس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال لهُ الطَبَرْخَزّي ايضاً ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدَّة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليهِ في عصرهِ . ويُحكى انهُ قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارَّجان فلما وصل الى بابهِ قال لاحد حجَّابهِ : قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمهُ فقال الصاحب : قل لهُ : قد أَلزمتُ نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الَّا مَن يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليهِ الحاجب واعلمهُ بذلك . فقال لهُ ابو بكر : ارجع اليهِ وقل لهُ : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحاجب فاعاد عليهِ ما قال . فقال الصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن لهُ في الدخول . فدخل عليهِ فعرفهُ وانبسط لهُ . وابو بكر المذكور لهُ ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظمهِ قولهِ :

رأَيتك ان ايسرتَ خيَّمتَ عندنا ... مقيماً وان اعسرتَ زرتَ لِماما
فما انت الّا البدرُ ان قلَّ ضوءُهُ ... اغبَّ وان زاد الضياء اقاما

وكان ابو بكر قليل الوفاء فهجاهُ ابو سعيد احمد بن شهيب الخوارزمي :

ابو بكر لهُ أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاء
مودَّتهُ اذا دامت لخلٍّ فمن وقت الصباح الى المساء

وملحهُ ونوادرهُ كثيرة . ولمَّا رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها (لابن خلّكان)

أَلطُّغرَائيّ (٤٥٥ــ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ــ١١٢٠ م)

١٩٩ هو مؤيَّد الدين الاصبهاني المنشأ المعروف بالطغرائي كان عزيز الفضل لطيف الطبع . فاق أهل عصرهِ بصنعة النظم والنثر . ولهُ ديوان شعر جيّد . ومن محاسن شعرهِ قصيدتهُ المعروفة بلاميَّة العجم . وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حالهُ ويشكو زمانهُ . وكان الطغرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدَّةً وذكر العماد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقيَّة ان الطغرائي المذكور كان يُنعَت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانهُ لمَّا جرى بينهُ وبين اخيهِ السلطان محمود المصاف بالمقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فاوَّل من أُخذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر بهِ وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السميرمي فقال : مَن يكُن ملحدًا يُقتَل . وقد كانوا خافوا منهُ فاعتمدوا قتلهُ بهذه الحجَّة وقُتِل في سوق ببغداد عند المدرسة النظاميَّة . وقيل قتلهُ عبد اسود كان للطغرائي المذكور لانهُ قتل استاذهُ (لابن خلّكان)

أَلفَارِضيّ (٥٧٦ــ٦٣٢ هـ) (١١٨١ــ١٢٣٥م)

٢٠٠ هو عُمَر بن أَبي الحسن الحموي الأَصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف . لهُ ديوان شعر لطيف . واسلوبهُ فيهِ رائق ظريف . ينحو منحى طريقة الفقراء . ولهُ قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم . وما أَلطف قولهُ من جملة قصيدة طويلة :

أَهلًا بما لم أَكن أَهلًا بموقعهِ قول المبشّر بعد اليأس بالفرجِ
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيك من عوجِ

وأَحسن ما قال في صفة الباري قولهُ :

وعلى تفنُّن واصفيهِ بحسنهِ يفنى الزمان وفيهِ ما لم يوصفِ

ولهُ دوبيت مواليًا والغاز . وسمعت انهُ كان رجلًا صالحًا كثير الخير على قدم التجرُّد جاور مكَّة زمانًا وكان حسن الصحبة محمود العشرة . وكانت ولادتهُ بالقاهرة وتوفي بها ودُفِن من الغد بسفح المقطَّم (لابن خلّكان)

أَلْفَرَزْدَقُ (٣٨ ــ ١٢٠ هـ) (٦٥٩ ــ ٧٢٩ م)

٢٠١ اسمهُ همَّام بن غالب بن صعصعة دارميٌّ من أَشراف تميم . والفرزدق لُقّب بهِ لجهومة وجهِهِ وغلظهِ . والفرزدق قطع العجين . وكان الفرزدق رديَّ الطباع قبيح المنظر . سيئ المخبر . قاذفاً للمحصنات خبيث الهجو . وكان مهيباً تخافهُ الشعراء . وقد يحتجُّ البعض في تقديمهِ على انهُ يميل الى جزالة الشعر وفخامتهِ وشدَّة اسرهِ . والفرزدق اكثر الشعراء مقلّداً والمقلّد المغنَّى المشهور الذي يُضرَب بهِ المثل فمن ذلك قولهُ :

وكنَّا اذا الجبَّار صعَّر خدَّهُ ... ضربناهُ حتى تستقيمَ الاخادعُ

وقولهُ : وكنت كذئب السوء لمَّا رأَى دماً ... بصاحبهِ يوماً احالَ على الدمِ

وقولهُ : ترى كل مظلومٍ الينا فرارهُ ... ويهربُ منا جهدهُ كلُّ ظالمِ

وقولهُ : ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا ... وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

ولهُ القصائد الغرَّاء في الرثاء والفخر والهجو والمديح فمن ذلك قصيدتهُ الميميَّة في زين العابدين . وقولهُ في بني المهلَّب :

فلأَمدحنَّ بني المهلَّب مدحةً ... غرّاء قاهرة على الأَشعارِ

مثل النجوم امامها قمراؤُها ... تجلو العمى وتضيء ليل الساري

ورثوا الطعان عن المهلَّب والقرى ... وخلائقاً كتدفُّق الأَنهار

كان المهلَّب للعراق وقايةً ... وحيا الربيع ومعقل الفُرّارِ

واذا الرجال رأَوا يزيد رأَيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأَبصارِ

ومات الفرزدق بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجرير (للشريشي)

أَللَّخْمِيُّ (٥١٩ ــ ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ ــ ١٢٠٠ م)

٢٠٢ هو ابو عليّ عبد الرحيم بن احمد اللخمي العسقلاني المصريّ الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقَّب مجير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وتمكَّن منهُ غاية التمكن . وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدّمين ولهُ فيهِ غرائب مع الاكثار . ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلّدة وهو مجيد في اكثرها . وهو رب القلم والبيان . واللسن واللسان . والقريحة الوقَّادة . والبصيرة النقَّادة . والبديهة المعجزة . والبديعة المطرّزة . والفضل الذي ما سمع في الأَوائل بمن لو عاش في زمانهِ لتعلّق بغبارهِ . او جرى في مضمارهِ . يخترع الأَفكار . ويفترع الأَبكار . ويطلع الأَنوار . ويبدع الأَزهار . وهو ضابط الملك بآرائهِ . رابط السلك بلالائهِ . ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

دوّن لكان لاهل الصناعة . خير بضاعة . ابن قسّ عند فصاحتهِ . وابن قيس في مقام حصافتهِ . ومن حاتمٌ وعمرو في سماحتهِ وحماستهِ . وملحهُ ونوادرهُ كثيرة ولهُ في النظم ايضاً اشياء حسنة منها قولهُ : واذا السعادة لاحظتْكَ عيونُها نَمْ فالمخاوف كلهنّ أمانُ

واصطَدْ بها العنقاء فهي حبائلٌ واقتَدْ بها الجوزاءَ فهي عنانُ

وكانت وفاتهُ بالقاهرة (الخريدة للعماد الاصبهاني)

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرّيّ (٣٦٣ـ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ـ١٠٥٨ م)

٢٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المعرّي التنوخي كان علامة عصرهِ . ولهُ التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة . ولهُ من النظم لزوم ما لا يلزم . ولهُ سقط الزند وهو متن التنوير وكتاب الايك والغصون . وكان متضلعاً من فنون الأدب . وأخذ عنهُ أبو القاسم التنوخي والخطيب أبو زكريا يحيى التبريزي شارح الحماسة وغيرهما ثم عمي بالجُدري . ومن تصانيفهِ كتاب اللامع العزيزي وهو شرح شعر المتنبي ولما قرئ عليهِ الكتاب المذكور أخذ الجماعة في وصفهِ واطرائهِ . فقال أبو العلاء : كأنما نظر المتنبي اليَّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واختصر ديوان أبي تمّام حبيب وشرحهُ وديوان البحتري وديوان المتنبي وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما اخذ عليهم. وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم . والتوجيه للخطا في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرّتين . ولمَّا رجع منها في المرَّة الثانية لزم منزلهُ وشرع في التصنيف . وكان يملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنهُ ناس وسار اليهِ الطلبة من الآفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمّى نفسهُ رهن المحبسين للزومهِ منزلهُ ولذهاب عينيهِ . ومكث خمساً وأربعين سنة لا ياكل اللحم تزهُّدًا . وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة . ولمَّا توفي قرئ على قبرهِ سبعون مرثية منها قول أبي الفتح حصينة المعرّي:

العلم بعد أبي العلاء مضيَّعُ والارض خاليـة الجوانب بلقعُ
أودى وقد ملأ البلاد غرائبًا تسري كما تسري النجوم الطلَّعُ
ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى ان الثرى فيهِ الكواكب تودعُ
جبلٌ ظننت وقد تزعزع ركنهُ ان الجبال الراسيات تزعزعُ
وعجبت ان تسع المعرَّة قبرَهُ ويضيق بطن الارض عنهُ الأوسعُ
لو فاضت المهجات يوم وفاتهِ ما استكثرت فيهِ فكيف الأدمعُ
عينٌ تسهّد للعفاف وللتقى ابدًا وقلبٌ للمهيمن يخشعُ
شيَمٌ تجمّلهُ فهنَّ لمجدهِ تاجٌ ولكن بالثناء يرصَّعُ
جادت ثراك أبا العلاء غمامة كندى يديك ومزنة لا تقلعُ

ما ضيَّع الباكي عليك دموعهُ ان الدموع على سواك تضيعُ
قصدتك طلّاب العلوم ولا أرى للعلم بابًا بعد بابك يقرعُ
مات النهى وتعطَّلت أسبابهُ وقضى التأدُّبُ والمكارم أجمعُ

أَبُو ٱلطِّيبِ ٱلْمُتَنَبِّي (٣٠٣ـ ٣٥٤)(٩١٦ـ ٩٦٦)

٢٠٦ هو ابو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباهُ واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها. وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها. ولا يسأل عن شيء الّا واستشهد فيهِ بكلام العرب من النظم والنثر. واماً شعرهُ فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منهُ لشهرتهِ لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي لهُ بيتين لا يوجدان في ديوانهِ وهما:

أَبعَين مفتقرٍ اليك نظرتني فاهنتَني وقذفتَني من حالقِ
لستَ الملومَ انا الملوم لانني انزلتُ آمالي بغير الخالقِ

ولمَّا كان بمصر مرض وكان لهُ صديق يغشاهُ في علّتهِ فلما أَبل انقطع عنهُ. فكتب اليهِ: وصلتَني وصلك الله معتلاً. وقطعتني مبلاً. فان رأيت ان لا تحبّب العلَّة اليَّ. ولا تكدّر الصحة عليَّ. فعلت ان شاء الله تعالى. والناس في شعرهِ على طبقات. فنهم مَن يرجحهُ على أَبي تمّام ومن بعدهُ ومنهم من يرجح ابا تمّام عليهِ ولهُ التشابيه البديعة كقولهِ:

في جحفلٍ ستر العيون غبارهُ فكأنّما يبصرنَ بالآذانِ

واعتنى العلماء بديوانهِ فشرحوهُ اكثر من اربعين شرحًا ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره. ولا شكَّ انهُ كان رجلاً مسعودًا ورُزق في شعرهِ السعادة التامَّة. وانما قيل لهُ المتنبي لانهُ ادَّعى النبوءة في بادية السماوة وتبعهُ خلق كثير من بني كلب وغيرهم. فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فاسرهُ وتفرَّق اصحابهُ وحبسهُ طويلًا. ثم استتابهُ وأطلقهُ. وقيل غير ذلك وهذا اصحّ. وقيل انهُ قال: انا اوَّل من تنبَّأ بالشعر. ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧. وكان لسيف الدولة مجلس يحضرهُ العلماء كل ليلة فيتكلَّمون بحضرتهِ. فوقع بين المتنبي و(بين) ابن خالويه النحوي كلام. فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجههُ بمفتاح كان معهُ فشجَّهُ وخرج ودمهُ يسيل على ثيابهِ. فغضب وخرج الى مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافورًا ولما لم يرضهِ هجاهُ وفارقهُ سنة ٣٥٠ فوجّه كافور خلفهُ رواحل الى جهاتٍ شتَّى فلم يلحق بهِ. وقصد المتنبي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل جائزتهُ. ولمَّا رجع من عندهِ قاصدًا بغداد ثم الكوفة في شعبان لثمان خلونَ منهُ عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي بعدَّة من اصحابهِ. وكان مع المتنبي ايضًا جماعة من اصحابهِ فقاتلوهم. فقتل المتنبي وابنهُ وغلامهُ مفلح بالقرب من النعمانيَّة (اليتيمة للثعالبي وغير ذلك)

أَلْبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي ٱلتَّارِيخِ (*)

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلّبوا عليهِ وبداية امرهم في ذلك ومصايره

الزحفة الاولى (١٠٩١ — ١٠٩٩ م)

٢٠٥ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستفحل امرهم بعد الروم . وكان مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعمائة (١٠٨٧ م) فتجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون بقدوين والقمص (ريمُوند) وغفريد وبويموند . فجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينيَّة فنعهم ملك الروم (ألكسيس) من العبور عليهِ من الخليج حتى شرط عليهم ان يسلموا لهُ انطاكيَة لكون المسلمين كانوا اخذوها من ممالكهم فقبلوا شرطهُ وسهَّل لهم العبور في خليجهِ . فاجازوا في العُدَد العدَّة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان صاحب قونية فجمع للقائهم فهزموهُ . ثم ساروا الى انطاكية وبها باغيسيان من امراء السلجوقيَّة فاخذوها عَنوةً ووضعوا السيف في المسلمين الذين بها ونهبوا اموالهم . وقُتِل باغيسيان وحمل رأسهُ اليهم وردّوا امر المدينة الى بويموند (١٠٩٩ م) . فلماً سمع كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج ومُلكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام في كثير من الامراء والقوَّاد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتدَّ عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كربوقا . ثمَّ ان كربوقا اساء السيرة فيمن اجتمع معهُ من الملوك والامراء فخبُثت نيَّاتهم عليهِ . وكان مع الفرنج راهبٌ مطاع فيهم فقال لهم : ان زُجَّ الحربة التي طُعن بها المسيح مدفونة بكنيسة القثيان فان وجدتموها فانكم تظفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام . فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع فحفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلماً تكاملوا ولم يبقَ بانطاكية احد منهم ضربوا مصافًا عظيماً فولى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفًا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والأموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوَّتهم . وساروا الى معرَّة النعمان فملكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها وملطية فملكها . ثمَّ دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة فسار الفرنج الى البيت المقدَّس وكان بيت المقدس قد

(*) قد سبق الوعد بان نجعل خاتمة التاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء اخبار الدُّوَل الاسلاميَّة وحروب الصليبيّين واكتفينا بلمعةٍ من تاريخ التتر وسلاطين الدولة العثمانية

ملكهُ السلجوقيَّة . ثم طمع فيهِ أهل مصر فاستولوا عليهِ فصار امر القدس في يد خليفة مصر. فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصدهُ الفرنج وحاصروهُ اربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب الناسَ السيفُ فاحصي القتلى فكانوا سبعين الفاً او يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليهِ الاحصاء وجاءَ الصريخ الى بغداد صحبة القاضي ابي سعيد الهَرَوي فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفَّر الابيوردي :

مزجنا دماءً بالدموع السواجمِ ... فلم يبقَ منّا عُرضةٌ للراجمِ
وشرُّ سلاح المرء دمعٌ يفيضهُ ... اذا الحرب شُبّت نارها بالصوارمِ
وكيف تنام العين ملءَ جفونها ... على هفواتٍ ايقظت كلَّ نائمِ
واخواننا بالشام أَضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي او بطون القشاعمِ
يسومهمُ الرومُ الهوانَ وأنتمُ ... تجرّون ذيل الخفض فعل المسالمِ
أترضى صناديدُ الأعارب بالأذى ... وتُغضي على ذلٍّ كماةُ الاعاجمِ
فليتهمُ إذ لم يذودوا حميَّةً ... عن الدين ضنّوا غيرةً بالمحارمِ

مُلك غدفريد (١٠٩٩ م) وبقدوين الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتمكَّن الفرنج من البلاد وولّوا على بيت المقدس غُفريد من ملوكهم . ولمّا بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوهُ بعسقلان على غير أُهبة فهزموهُ واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونازل الفرنج عسقلان حتّى مانع اهلها الفرنج بعشرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتموا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقلّد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا . وكانت وفاة غفريد سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمر بعدهُ اخوهُ بقدوين صاحب الرُّها . وسار في ملكهِ الفرنج الى سروج وقيسارية فملكوها عَنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالأمان . وفي سنة ٤٩٥ ﻫ سار صنجيل (ريموند) الى طرابلس وشدَّ حصارها واعانهُ اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثمَّ صالحوهُ على مالٍ وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوةً . ثمَّ رحل الى حمص ونازلها وملك أعمالها . ثم استفحل امر الفرنج بالشام ونَدَب بقدوين جمعاً كثيرًا ممن سار الى زيارة القدس للغزو فاغاروا على عكّاً وقيسارية واكتسحوا نواحيها. وفي سنة ٤٩٧ ﻫ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل خلقاً كثيرًا من التجّار والحجّاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها برًّا وبحرًا حتى يئسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سيَّر الأفضل صاحب مصر عسكرًا ضخماً الى قهر الفرنج فملكوا الرملة واستنجدهم صاحب عسقلان وطغركين اتابك صاحب دمشق فقصدهم بقدوين فاقتتلوا وكثرت

بينهم القتلى واستُشهِد صاحب عسقلان وتحاجزوا وعادكلٌّ الى بلدهِ . ثم سار الفرنج الى حصن افامية فحاصروه حتى جهد اهلها الجوع وملكوا البلد والقامة . وقتلوا القاضي المتغلب عليها . وفي سنة ٤٩٩ ه سار صنجيل ثالثةً الى طرابلس وأقام عليها وبنى بالقرب منها حصنًا وبنى تحتهُ رَبَضًا وهو المعروف بحصن صنجيل فسار صاحب طرابلس اليهِ واحرق الرَبَض ووقف صنجيل على بعض سقوفهِ المحرقة فانخسف بهِ فهلك وحُمل الى القدس ودُفِن فيهِ . وفي سنة ٥٠٢ ه سار طغركين اتابك من دمشق الى طبرَية فزحف اليهِ ابن اخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتلهُ طغركين بعد ان فادى نفسهُ بثلاثين الف دينار وخمسمائة اسير فلم يقبل منهُ الَّا الاسلام او القتل . ولمَّا كانت سنة ٥٠٣ ه وصل القمص (ريموند) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصروا طرابلس مع بقدوين ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتدَّ بهم الحصار وعدموا القوت لتأَخُّر الاسطول المصري بالميرة فملكوها عنوةً واتخذوا فيها . ثم استولى الفرنج على بيروت عنوةً واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحج والغزو ونازلوا صيدا برًّا وبحرًا واسطول مصر يعجز عن انجادهم . ثم زحفوا الى صور في ابراج الخشب المصفَّحة فضعفت نفوسهم ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فاستأمنوا فأَمنهم الفرنج وعاد بقدوين الى القدس . ثم دخلت سنة ٥٠٤ ه فقصد بقدوين الديار المصريَّة فانتهى الى الفرما ودخلها وأَحرقها وأَحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعًا الى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصولهِ الى العريش . فرحل اصحابهُ بجثتهِ فدفنوها بكنيسة القيامة (لابي الفداء ولمجير الدين الحنبلي)

ملك بقدوين الثاني (١١١٨ م) زنكي وفتوحاتهُ

٢٠٧ ووصى بقدوين ببلادهِ القمص صاحب الرُّها وهو بقدوين الثاني الذي كان اسرهُ جكرمش وأَطلقهُ جاوَلي وكان حاضرًا في القدس لزيارة الحجّ . فسلّم امر الرها لجوسلين وكان شجاعًا من فحولهم أَغار مرارًا على جموع العرب والتركمان وغنم اموالهم ومواشيهم . وفي عهد بقدوين الثاني سار ابو الغازي صاحب ماردين الى غزو الفرنج واجتمع بطغركين صاحب دمشق فاستولوا على رملة من اعمال دمشق وغيرها من بلاد الفرات فبالغوا في تحصينها واعتزموا على تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقُتِل صاحب انطاكية فاستنجد الفرنج ببقدوين فحشد العساكر وزحف الى مقاتلة المسلمين فناجزهم ابو الغازي وصدق الحملة عليهم فقاتلوهُ اشدَّ القتال وهزموهُ . ثم رجع طغركين الى دمشق وأَبو الغازي الى ماردين فاغتالتهُ بها المنيَّة . ثم قام بعدهُ بَلَك ابن أَخيهِ فعاودوا الحرب ففتك بَلَك في الفرنج فتكةً شنعاء فأَسر جوسلين صاحب الرُّها وحبسهُ في خَرت برت فسار بقدوين اليهِ في جموعهِ فهزمهم بَلَك وأَسر الملِك وجماعة من زعمائهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بَلَك الى حرَّان وملكها ولمَّا غاب من

خرجت برت تحيّل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجنـد . وسار بقدوين الى بلده وملك الاخرون القلعة فعاد بَلَك اليهم وحاصرها وارتجعها من ايديهم ورتّب فيها الحامية . وفي سنة ٥١٨ ﻫ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصارٍ طويـلٍ وكانت للخلفاء العلويين اصحاب مصر . وكان ملكها بالأمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حملهِ من اموالهم . وفي عهد بقدوين ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن أقنقر وكان أوّل امرهِ ان السلطان محمود السلجوقي ولّاهُ على الموصل والجزيرة وديار بكر ثم استقلّ في ملكهِ واستولى على الشام وأورث بنيهِ ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرَّعت منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاق الأمر على أهلها . فلماَّ قرب زنكي من حلب اجفل عنهُ الفرنج ورحلوا عنها فسلّم أهل حلب المدينة والقلعة اليهِ . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ ﻫ وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليهِ . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط طغركين في المُعترَك . فظنَّ اصحابهُ انهُ قُتِل فانهزم طغركين والخيَّالة والفرنج في اتّباعهم وقد اثخنوا في رجّالة التركمان . فلماَّ اتبعوا المنهزمين خالف الرجَّالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتـلوا من وجدوا فيهِ ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم وأثقالهم منهوبة فانهزموا ايضاً . فمات بعد زمان ملكهم بقدوين (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلك (١١٣١ م) بقدوين الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاتهُ

٢٠٨ وصار الأمر الى فُلك من زعمائهم وفي عهدهِ سيَّر زنكي عسكرًا كثيفاً لفتح دمشق فبعث معين الدولة أُنَر صاحبها الى ملك الفرنج ليستنجدهُ على مدافعتهِ على ان يحاصر قاشاش فإذا فتحها اعطاهم إيّاها . فاجابوا الى ذلك حذرًا من استطالة زنكي على دمشق فمحص الله عسكر زنكي فانهزموا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاشاش فملكها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدهم وكانت لزنكي . فاستلحموا بها الحامية واستبدّ بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فُلك لبقدوين الثـالث (١١٤٥) . وفي ايامهِ مات صاحب الرها فسار عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً ونقب سورها ونصبوا عليها السلالِم وتسلّموها وفتحوا البلد عنوةً واثخنوا في القتل والسبي والنهب . ثم نادوا بالأمان فتراجع النصارى الى البلد فاقرُّوهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدَّةً حتى اصلح اسوارها وخنادقها فحسنت عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم تسلّم مدينة سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقيّ الفرات الّا البيرة لامتناعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٤١ ﻫ قتلهُ جماعة من مماليكهِ . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطهُ الشيب وكان قد زاد عمرهُ على ستين سنة . وكان شديد الهيبة على عسكرهِ . وكان لهُ الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق . وكان شجاعاً فاتكاً وكانت الاعداء محيطة

بمملكتهِ من كل جهة وهو ينتصف منها ويستولي على بلادهم . ودُفِن في الرقَّة فولي امر الموصل بعدهُ اخوهُ قطب الدين مَوْدود . وكان اخوهُ الاكبر نور الدين محمود بالشام ولهُ حلب وحماة . فسار الى سَنجار وملكها ولم يحانقهُ اخوهُ قطب الدين ثم اصطلحا وأَعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلّم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام لهُ وديار الجزيرة لاخيهِ . فلمَّا قُتِل الاتابك زنكي طمع جوسلين ان يستردّ الرها وكان مقيماً في ولايتهِ في تل باشر فراسل أَهل الرها وعامَّتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد لهُ فاجابوهُ وأَوعدوهُ ليوم عيَّنوهُ فسار في عسكرهِ وملك البلد . فزحف اليهم نور الدين واقتحم البلد واستباح اهلهُ

زحفة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٢٠٩ ولمَّا استولى المسلمون على الرها أَخذ ظلّ الفرنج بالتقاص في المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانيَّة من الروم والفرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على انطاكية وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس . فتألَّبت امم الفرنج من كل ناحية وسيَّروا مَدَدًا لهم على المسلمين لِمَا يرونهُ من تفرُّد هولاء بالشام بين عدوّهم . فسار في سنة ٥٤٣ ه ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الأَلمان (كونراد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام لا يشكُّون في الغَلَب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عددهم وأَموالهم . فتجمَّعوا بالقسطنطينيَّة وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينيَّة فلمَّا وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين ممتثلين امرهم . فجدُّوا بالمسير الى دمشق فحاصروها فقام معين الدولة أُنر في مدافعتهم المَقام المحمود . ثم قاتلهم الفرنج فنالوا من المسلمين بعد الشدَّة والمصابرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الأَلمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوهُ الى نصرة المسلمين . فجمع عساكرهُ وسار الى الشام واستدعى أَخاهُ نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكّان الشام والواردين مع الأَلمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طُعْمة . فاجتمعوا الى ملك الأَلمان وخوَّفوهُ من صاحب الموصل وفتلوا لهُ في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلادهِ على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ ه جمع نور الدين محمود عسكرهُ وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكرهِ نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقُتِل منهم وأُسِر جمع كثير . وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذهُ جوسلين ومعهُ سلاح نور الدين فسيَّرهُ الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال لهُ : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسيأتيك بعدهُ ما هو اعظم منهُ . فلمَّا علِم نور الدين الحال عظم عليهِ واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثارهُ .

وأحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجوسلين وسموهُ اليهِ . لانهُ علم عجزهُ عنهُ في القتال . فجعل التركمان عليهِ العيون فخرج متصيّدًا فظفر بهِ طائفة منهم وحملوهُ الى نور الدين اسيرًا . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من أعمالهِ . وفي سنة ٥٤٨ ﻫ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العَلويّة خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجِزية . وكان صاحبها مجير الدين أُنَز واهي القوى مُستضعَف القوَّة فخشي نور الدين عليها من الفرنج . فكاتب أهل دمشق واستالهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة . فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان تُوفي واماَّ نور الدين فزحف الى بعلبكّ واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فرحل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كبسهُ الفرنج وهو نازل في البُقَيعة تحت حصن الاكراد فلم يشعر نور الدين وعسكرهُ الَّا وقد اظلّت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسهُ وفي رجلهِ السنجة فنازل انسان كردي فقطعها فنجا نور الدين وقُتِل الكردي فاحسن نور الدين الى مخلّصيهِ ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى بُحَيرة حمص ولحق بهِ المنهزمون فتوافت اليهِ الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصافّ جرى بين الفريقين وانتصر فيهِ نور الدين ودار رحى الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة بانياس لقلَّة حاميتها فحاصرها وضيَّق عليها ففتحها وشحن قلعتها بالمُقاتِلة والسلاح . وفي سنة ٥٤٤ ﻫ (١١٥٩ م) توفي بقدوين صاحب القدس في مدينة انطاكية (لابن الاثير)

ملك أموري (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٢١٠ فقام بعدهُ بالأمر اماريك اخوهُ . وفي سنة ٥٥٦ ﻫ تولَّى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويّين بالديار المصريّة . وكانت دولة العلويّين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استبداد وزرائها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعهُ في الوزارة الى الشام ملتجئًا الى نور الدين ومستجيرًا بهِ . وطلب منهُ ارسال العساكر معهُ الى مصر ليعود الى منصبهِ ويكون لهُ ثُلث دخل البلاد . فتقدَّم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدَّم عليها اسد الدين شيركوه فتجهَّز وساروا جميعًا وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع على شاور وأُعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر بهِ شاور وعاد عمَّا كان وعدهُ نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوتهِ ونصرتهِ فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهرًا يتحصن بهِ . فحصرهُ بها العساكر المصريّة والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منهُ غرضًا . فراسلهُ الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

أُعادهُ نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ ﻫ فأغار اسد الدين عليها ودوَّخ بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيهِ مكانهُ . وفي ولايتهِ مات العاضد ومحا الله دعوة العلويّين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان بها عاملًا لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعهُ فسار اليهِ صلاح الدين . ثم كرَّ راجعًا الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر لهُ بانهُ بلغهُ عن بعض سفلة العلويّين بمصر انهم معتزمون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين عذرهُ في ذلك واعتزم على عزلهِ عن مصر . فاستشار صلاح الدين اباهُ نجم الدين وكان خيّرًا عاقلًا حسن السيرة ذا حزمٍ ورأيٍ فاشار عليهِ بملاطفة نور الدين ومراعاتهِ ففعل واظهر الطاعة . وكان نور الدين يستفحل ملكهُ مع الايَّام فدخل بلاد الفرنج وعبث بها فخافوا عن لقائهِ فاكتسح بلادهم وخرَّب ما مرَّ بهِ من القلاع . ثم شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فاتاهُ أمر الله الذي لا مردَّ لهُ سنة ٥٥٩ ﻫ . وكان نور الدين اسمر طويل القامة ليس لهُ لحية الّا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتَّسع ملكهُ جدًّا وخطب لهُ في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولدهُ سنة ٥١١ ﻫ وطبَّق ذكرهُ الارض بحسن سيرتهِ وعدلهِ . وكان في الزهد والعبادة على قدمٍ عظيمٍ وكان يصلّي كثيرًا من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربّهِ ما احسن المحراب في المحرابِ

وهو الذي حصَّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها لمَّا تهدَّمت بالزلازل . ولمَّا توفّي اجتمع الامراء والمقدَّمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنهُ الملك الصالح اسماعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعهُ الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخُطب لهُ هناك وضرب السكَّة باسمهِ ثم استفحل ملكهُ وعظمت دولة بني أيوب من بعدهِ الى ان انقرضوا . ولمَّا مات نور الدين سار ابن اخيهِ سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزريّة . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتهدَّدوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مالٍ يبعثونهُ اليهم فتقرَّرت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين فنكرهُ واستعظمهُ وكتب الى الصالح يقبح مرتكب أهل دمشق ويعدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ ﻫ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروضتين)

بقدوين الرابع (١١٧٥م) فتوحات صلاح الدين

٢١١ فعقبهُ في الملك ابنهُ بقدوين الرابع وكان مجذومًا . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استفحل وكون ولد نور الدين طفلًا لا ينهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم . فخرج اليهِ أهل الدولة بمقدَّمهم وسلموا اليهِ المدينة فاستخلف عليها اخاهُ سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصرًا لها وبها الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقاتلوا

صلاح الدين وصدُّوهُ عن حلب . وأرسل كمشتكين الى سنان مقدّم الاسماعيليّة اموالاً عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيرهُ . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقاة سيف الدين فصدق عليهِ الحملة . فانهزم سيف الدين وغنم سوادهُ ومخلفهُ واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذٍ الخطبة للملك الصالح وازال اسمهُ عن السكَّة واستبدَّ بالسلطنة . ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيليّة فنهب بلدهم وخرَّبهُ وأحرقهُ . ثم اتمَّ مسيرهُ الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطَّم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعيَّة . ولمّا دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكتسح اعمالها ولم يرَ للفرنج خبراً فانساح في البلاد وانقلب الى الرملة . فما راعهُ الّا الفرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق اصحاب صلاح الدين في السرايا فتمّت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطانَ فمضى منهزماً الى مصر على البريَّة في فلٍّ قليل ولحقهم الجهد والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرَّقون في الاغارات اسرى . فكان وَهناً عظيماً جبرهُ الله بوقعة حطّين (١١٦٩ م) . فطمع الفرنج بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمتهِ فهجموا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانعهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة ولهُ من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح الشباب تامّ القامة ابيض اللون عاقلاً عادلاً عفيفاً من أموال الرعيَّة مع شحٍّ كان فيهِ . ثم توفي بعدهُ الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيهِ . ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرقَّة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منجنيقاً . ثم علِم انَّ حصارها يطول فاقلع عنها واحتلَّ مدينة حلب واقطعها اخاهُ الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق مخنقها فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبى ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانياً الى حصار الموصل فلم ينل منها بغيتهُ واستقرَّ الصلح بينهُ وبين صاحب الموصل بان يسلّم صاحب الموصل الى السلطان شهرزور وأعمالها وان يخطب لهُ ويضرب اسمهُ على الدراهم. فانحرف عن الموصل وأقام بحرَّان مريضاً واشتد بِهِ المرض حتى أيسوا منهُ ثم انهُ عوفي وعاد الى دمشق (لابي الفداء وابن خلدون)

بقدوين الخامس (١١٨٥ م)

٢١٣ وكان بقدوين الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥ م) وأوصى بالمُلك لابن اخيهِ صغيراً فكفلهُ أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير المُلك وكان من أعظم الفرنج

مكرًا وأشدّهم ضررًا وطمع ان تكون كفالتهُ ذريعةً الى الملك . ثم مات الصغير (بقدوين الخامس) فتزوَّجت الملكة ابن عُتم (غي دي لوسينيان) من الفرنج القادمين من المغرب وتوَّجتهُ . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والدواوية والبارونة واشهدتهم خروجها لهُ عن الملك . فأنف أرناط وغضب وجاهر بالشقاق لهم . وراسل صلاح الدين فسار بفرقة من عسكره الى الكرك فحاصرها . وأمر ابنهُ الأفضل بارسال بعث الى عكّا ليكتسحوا نواحيها . فصبحوا صفّورية وبها جمع من الفداويّة والاسبتارية فبرزوا اليهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقُتِل مقدَّمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسهِ ونزل على طبريَّة وحصر مدينتها وفتحها عنوةً بالسيف . وكانت طبريَّة للقومص (أرناط) وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعتهِ . فارسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك يَنهونهُ عن موافقتهِ السلطان ويوبخونهُ فسار معهم واجتمع الفرنج لملتقى السلطان

ذكر وقعة حطّين (١١٨٩م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبريَّة للدفع عنها . فاخبرت الطلائع الاسلاميَّة الامراء بحركة الفرنج فالتقى العسكران على سطح جبل طبريَّة قرب تلّ يقال لهُ تل حِطّين فلمَّا حان القتال خرج القومص محرّضًا الناس يقول لهم : لا قعود بعد اليوم . ولا بدَّ لنا من رقم القوم . واذا أُخذت طبريَّة أُخذت البلاد . وذهبت الطراف والتّلاد . فما يبقى لنا صبرٌ . ولا بعد هذا الكسر جبرٌ . فالمسيح لنا والصليب معنا والمعموديَّة عمدتنا . والنصرانيَّة نصرتنا . ورماحنا . فراحنا . وصحافنا . صفاحنا . وفي لوائنا اللأواء ومع اودّائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاسبتار بتّار تيّار . ولقرن البارونيّ من مقارنتهِ بَوار . وقد عمّ بحرنا الساحل . وشدَّد بابهُ المعاقد والمعاقل . وهذه الارض تسعنا نيّفًا وتسعين سنةً . وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا . ويبذلوا لنا القطائع ويقاطعونا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادنونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي فيئتنا تعويقهم

ثم ماجت خضارمهم . وهاجت ضراغمهم . وطارت قشاعمهم . وثارت غماغمهم . وسدَّت الآفاق غمائمهم . وهم كالجبال السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة وافواجها مزدحمة . وفجاجها محتدمة واعلاجها مصطلمة . وقد جوي الجوّ . وضوي الضوء . ودوى الدوّ . وحوافز الحوافز للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . فرتَّب السلطان في مقابلتهم اطلاءهُ . وقصر على مقاتلتهم آراءهُ . وحجز بينهم وبين الماء . ولليوم قيظ . وللقوم غيظ . فنفر النفير وتصادم العسكران والتحم القتال فايقن القوم بالويل والثبور . وأحسَّت نفوسهم انهم في غد زوّار القبور . كلّما خرجوا جُرحوا . وبرّح بهم مرّ الحرب فما برحوا . وحملوا وهم ظماء . وما لهم سوى ما بايديهم من ماء الفِرِند ماء . فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصمّمت عليهم

قلوب القسيّ القاسية وأصمتهم . واعجزوا وارعجوا . واحرجوا وأخرجوا . وكلّما حملوا رُدّوا وأردوا . وكلّما ساروا وشدّوا أُسِروا فاضطرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . فأووا الى جبل حطّين يعصمهم من طوفان الدمار . فاحاطت بحطّين بوارق البوار . فرشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا . وصاروا للردى درايا . ومن بقي منهم فجرّدوا العزيمة . واحتالوا في الهزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدّم الفداويّة . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوقعة . ثم استحضر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا انتصر لمحمد ثم عرَض عليهِ الاسلام فلم يفعل . ثم سلّ السيف وضربهُ بها . وقتل أسرى الفداويّة والاستباريّة اجمعين ثم استحضر الملك وأمّنهُ وطيّب قلبهُ (الفتح القدسي لعماد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩م)

٢١٤ ولمّا فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكّا فنازلها واعتصم الفرنج الذين بها بالأسوار واشاروا بالاستئمان فأمنهم . ثم ملك قيساريّة وحيفا ويافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم شمَّر عن ساق الجدّ والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزولهُ عليهِ في رجب سنة ٥٨٣ هـ فنزل بالجانب الغربي . وكان مشحونًا بالمقاتلة والخيّالة والرجّالة . ثم انتقل لمصلحةٍ رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليهِ المناجيق وضايقهُ بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ النقب في السور ممّا يلي وادي جهنّم . فلمّا رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد القى في قلوبهم ممّا جرت على ابطالهم ورجالهم في السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علموا انهم الى ما صاروا اليهِ صائرون . وبالسيف الذي قُتِل بهِ إخوانهم مقتولون . واستكانوا واخلدوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا افعل بكم الّا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموهُ سنة ٤٨١ هـ من القتل والسبي. فقال لهُ باليان: ايها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بدَّ منهُ لنقتلنَّ اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغنمون منّا دينارًا ولا درهمًا . ولا تسبون وتأسرون رجلًا أو امرأةً . فاذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى ثم نقتل مَن عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابّة ولا حيوانًا الّا قتلناهُ . ثم خرجنا كلّنا وحينئذٍ لا يُقتَل الرجل منّا حتى يَقتُل أمثالهُ ونموت اعزّاء ونظفر كرماء . فاستشار صلاح الدين اصحابهُ فاجمعوا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يُدرى عاقبة الأمر فيهِ عن اي شيء تنجلي . فاجاب صلاح الدين حينئذٍ الى بذل الأمان للفرنج واستقرّ ان يزنَ الرجل عشرة دنانير يستوي فيهِ الغني والفقير وتزن المرأة خمسة دنانير ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين . فمن أدّى ذلك الى أربعين يومًا فقد نجا والّا صار مملوكًا . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين الف دينارٍ فأُجيب الى ذلك . وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع

والعشرين من رجَب فخلَّف اخاهُ الملك العادل بالقدس يقرّر قواعدها . وتحرَّر عزمه على قصد صور لمحاصرتها فامتنعت عنهُ . فعدل الى فتح قلعة جَبلة ودخل اللاذقيَّة واستولى على قلعة صهيون . ثمَّ سار الى مدينة صور وقد خرج اليها المركيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة . فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كلٌّ جمعٍ لهم وقتٌ معلوم يقاتلون فيهِ بحيث يتَّصل القتال على أهل البلد . على ان الموضع الذي يقاتلون فيهِ قريب المسافة تكفيهِ الجماعة اليسيرة من أهل البلد تحفظهُ . وعليهِ الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها . لان المدينة كالكف في البحر والساعد متَّصل بالبرّ والبحر في جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فلذلك لم يتمكَّن منها صلاح الدين ورحل عنها (لابي الفرج الملطي)

زحفة الفرنج الثالثة الى المشرق (١١٩٠م)

٢١٥ فلمَّا تمَّ الخطب على الفرنج بفتح القدس بعثوا الرهبان والاقسَّة الى بلادهم بخبر بيت المقدس واستنصار النصرانيَّة لها . فقام ملكُ الفرنسيس (فيليب) وملكُ انكلطرَّة (ريكارد) وملك الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد . فسار فيليب وملك الانكطار بحرًا وقصد ملك الألمان قسطنطينيَّة فعجز ملك الروم (ايساكيوس انكلوس) عن منعهِ وكان عاهد صلاح الدين بذلك . فكتب الى السلطان يعلمهُ : من ايساكيوس انكلوس ضابط الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبَّة والمودَّة : قد وصل خط نسبتك الذي نفذت الى ملكي فما اظنّ ان نسبتك تسمع اخبارًا ودّية وانهُ قد سار في بلادي الألمان . ولا غروَ فان الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر اغراضهم . ولو تشتهي ان تسمع الحقّ فانهم قد تأذّوا وتعبوا كثيرًا وقد خسروا كثيرًا من المال والدواب والرجال ومات منهم وقُتلوا . وبالشدَّة قد تخلَّصوا من ايدي اجناد بلادي وقد ضعفوا . وبحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافًا بعد شدَّة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرُّون نسبتك (تمَّ) . ثم عبر ملك الألمان خليج القسطنطينيَّة ومرُّوا بمملكة قلج ارسلان وتبعهم التركمان يخفّون بهم ويتخطّفون منهم وكان الفصل شتاءً فهلك اكثرهم من البرد والجوع . ولمَّا وصلوا الى بلاد طرسوس اقاموا على نهر (السيدنوس) ليعبروهُ فعنَّ للملكهم أن يسبح فيهِ فهلك غرقًا . فملك بعدهُ ابنهُ واتمّوا المسير الى الشام فاتوا طرابلس وقد افناهم الموت ولم يبقَ منهم الَّا ستة آلاف رجل . وهلك ابن ملك الألمان في عكَّا وحزن الفرنج عليهِ حزنًا عظيمًا . ثم وصل ملك الفرنسيس بحرًا . وكان عظيمًا عندهم مقدَّمًا محترمًا من كبار ملوكهم تنقاد اليهِ العساكر باسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع . وقدم في ستّ بَطَس تحملهُ وميرتهُ وما يحتاج اليهِ من الخيل وخواصّ اجنادهِ . ثم وصل بعدهُ الملك الانكطار وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمَّة لهُ وقعات عظيمة ولهُ جسارة على الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنهُ اكثر مالًا منهُ وأشهر في

الحرب والشجاعة . وكان من خبرهِ انهُ وصل الى جزيرة قبرس ولم يرَ ان يتجاوزها الّا وان تكون لهُ وفي حكمهِ . فاستولى عليها ثم زحف الى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحفة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٢١٦ فاتّفق الفرنج جميعاً على الرحيل الى عكّا ومحاصرتها فنزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق . فنزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الأطراف يستنفر الناس . فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونهُ اشهرًا . فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكّا حتى جهد المسلمين بعكّا الحصارُ وضعفت نفوس أهل البلد ووهنوا . فبعثوا الى الفرنج في تسليمها على ان تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي الف دينار ويطلق لهم خمسمائة اسير ويعيد لهم الصليب الصلبوت فاجابوا الى ذلك . فدخل الفرنج عكّا واستراحوا ممّا كانوا فيهِ . ثم تخلَّف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم . فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى . فلمّا رأى صلاح الدين ذلك رحل الى ناحية عسقلان واخربها . ثم همَّ بترميم ما ثُلِم من أسوار القدس وسدَّ فروجهُ وأمر بحفر خندق خارج الفصيل . فنُقِلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبيهِ فيقتدي بهِ العسكر. ثم سار ملك الانكطار في ساقة الفرنج فحملهم وانهزموا الى يافا . فاقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا الى ارسوف فسبقهم المسلمون اليها فحملوا على المسلمين وهزموهم . ثم ساروا الى داروم ثم الى القدس فانتهوا الى بيت قوجة على فرسخين من القدس . فاستعدَّ صلاح الدين للحصار فوفد عليهِ رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم . وكان سبب ذلك ان ملك الانكطار قد طال مغيبهُ عن بلادهِ وطال عليهِ البيكار. فكاتب الملك العادل يسألهُ الدخول على السلطان فاجاب السلطان الى ذلك واتَّفق عليهِ رأي الامراء لِما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات . فتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكطار بل أخذوا يدهُ وعاهدوهُ . واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك . وكانت الهدنة على ان يستقرّ بيد الفرنج يافا وقيساريَة وارسوف وحيفا وعكّا مع اعمالها وان تكون عسقلان خرابًا وأُذن للفرنج في زيارة القدس . وكان يوماً مشهودًا غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمهُ الا الله . وارتحل ملك انكلطرَة في البحر عائدًا الى بلدهِ . وأقام الكند هنري صاحب صور بعد المركيس ملكًا على الفرنج بسواحل الشام وتزوَّج الملكة التي كانت تملكهم قبلهُ . وكرَّ صلاح الدين راجعًا الى دمشق وكانت وفاتهُ فيها سنة ٥٨٩ ﻫ وعمرهُ سبع وخمسون سنة . وكان صلاح الدين حليماً كريمًا حسن الاخلاق متواضعًا صبورًا كثير التغافل عن ذنوب اصحابهِ .

وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدلٍ وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاتهِ لم يُصِب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمهُ الّا الله . فيتمنَّى الناس ان يكونوا فداءَ من يعزّ عليهم . واستقرَّ بعدهُ الملك لابنهِ العزيز عثمان في مصر ولولدهِ الملك الأفضل بدمشق . ولمَّا توفي صلاح الدين وملك اولادهُ بعدهُ جدَّد العزيز الهدنة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوهُ معهُ . وكان أمير بيروت يبعث الثواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفَّهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فامدُّوهم بالعساكر واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا واتتهم النجدة من مصر والجزيرة . فملكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوةً واستباحوها . فجاء الفرنج من عكَّا لصريخ اخوانهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعتزموا ونازلوا تبنين سنة ٥٩٤ هـ فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسهِ واجتمع بعمّهِ على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين . ثم اختاروا لهم ملكًا صاحب قبرس اموري الثاني خليفة غيدو فجاءهم وزوَّجوهُ بملكتهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانعقد بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وسار الفرنج الى بلادهم (لابن شازي)

زحفة الفرنج الخامسة واستيلاؤهم على القسطنطينية (١١٩٨—١٢٠٤م)

٢١٧ كان هولاء الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل. وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينيَّة من الروم . وكيفيَّة الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصهروا الى ملوك الفرنج وتزوَّجوا منهم بنتًا لملك الروم فولدت ابنًا . ثم وثب على الملك اخوهُ فانتزع الملك من يدهِ وحبسهُ . فلحق الولد بملك الفرنج مستصرخًا بهِ فوصل اليهم وقد تجهَّز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيهِ وكان شيخًا أعمى لا يركب ولا يمشي الّا بقائد ومقدّم الفرنسيس ويسمَّى المركيش والثالث يسمَّى كندفلندر وهو أكثرهم عددًا . فجعل الملك ابن أختهِ معهم وأوصاهم بمظاهرتهِ على ملك القسطنطينيَّة ولمَّا وصلوا اليها خرج عمُّ الصبي وقاتلهم . وأضرم شيعة الصبي النار في نواحي البلد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة وادخلوا الفرنج وخرج عمّهُ هاربًا . ونصَّب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اباهُ من السجن واستبدُّوا بالحكم . فعظُم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوهُ واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فاقتحموها وافحشوا في النهب ونجا كثيرٌ من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة ايا صوفيَا فلم تغنِ عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

على أملاك جها وتنازعوا فخرجت القرعة على الكند نلندر فملكها على ان يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقية وفيلادلف ولم تدم لهُ فانها تغلّب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمهُ لشكري . ولم تزل القسطنطينيَّة بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ ﻫ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج

ولمَّا ملك الفرنج القسطنطينيَّة من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وارسوا بعكَّا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين . ثم ساروا في نواحي الاردنّ فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر . وسار فنزل بالطور قريبًا من عكَّا لمدافعتهم وهم قبالتهُ وساروا الى كفركنَّا فاستباحوهُ . ثم تراسلوا في المهادنة على ان ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولمَّا استقرَّت الهدنة اعطى العساكر دستورًا وسار الى مصر وأَقام في دار الوزارة . فقصد الفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين فهزموهُ . وفي سنة ٦٠٣ ﻫ أَكثر الفرنج الغارات بالشام بحدثان ما ملكوا القسطنطينيَّة فعجز المسلمون عن دفاعهم . وأَغار اهل قبرس في البحر على اسطول مصر فظفروا منهُ بعدَّة قطع وأَسروا مَن وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكَّا يحتجُّ عليهِ بالصلح فاعتذر بان أَهل قبرس في طاعة افرنج القسطنطينيَّة وانهُ لا حكم لهُ عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكَّا حتى صالحهُ صاحبها على اطلاق اسرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحفة الفرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦م) الزحفة السابعة (١٢٢٨م)

٢١٨ كان صاحب روميَّة اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الشماليَّة من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعتهِ . فبلغهُ اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهَّز اليهم العساكر فامتثلوا امرهُ من ايالتهِ . وتقدَّم الى ملوك الفرنج ان يسيروا بانفسهم وتوافت الامداد الى عكَّا سنة ٦١٤ ﻫ . فسار الملك العادل من مصر الى نابلس فبرز الفرنج ليصدُّوه وكان في خِفٍّ من العساكر فحام عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا بانياس ورجعوا الى عكَّا وامتلأَت ايديهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو الذي اختطَّهُ الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخربها لئلا يملكها الفرنج وخرب اسوار القدس حذرًا عليهِ منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها . وكان على النيل برج حصين تمرّ منهُ الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر الملح ان تصعد في النيل الى مصر . فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورًا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنهِ الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل . وأَلحَّ الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

أشهر حتى ملكوهُ. فعبروا الى البر المتَّصل بدمياط واشتدَّ في قتالها وهي في قلَّة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتةً . ولمَّا جهدهم الحصار وتعذَّر عليهم القوت استأمنوا الى الفرنج فملكوها سنة ٦١٦ هـ وقاموا في عمارتها وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط . وكان الكامل قد خلف اباهُ السلطان العادل بالملك في مصر وكان العادل قد توفي في سنة ٦١٥ هـ وكان لهُ من العمر خمسٌ وسبعون سنة . وكان العادل حازماً متيقناً غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة آتتهُ السعادة واتَّسع ملكهُ . وفي سنة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظَّم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم . فاحاطوا بهم وضيَّقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بايديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بايدي المسلمين من أسراهم وقرَّر الصلح الدكاد نائب البابا وملك عكاً وملوك فرنجة ومقدَّمو الفداويَّة والاسبتاريَّة . وتسلَّم الكامل دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب وكانت مدَّة مقام الفرنج بها سنة كاملة وأحد عشر شهراً

وفي سنة ٦٢١ هـ قدم امبراطور الألمان الى عكاً مع جموعهِ والامبراطور معناهُ ملك الامراء. وانما اسم الامبراطور المذكور فَرَدَيك (فريديريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محباً للحكمة والمنطق والطب مائلاً الى المسلمين . وكان الملك الكامل قد أرسل اليهِ فخر الدين يستدعيهِ الى قصد الشام بسبب اخيهِ المعظَّم . فوصل الامبراطور وقد مات المعظَّم فنشب بهِ الملك الكامل . ولمَّا وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب. فعمَّر الفرنج سورها واحتلوا فيها ثم ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور . ولمَّا طال الامر ولم يجد الملك الكامل بُدًّا من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليهِ على ان تستمرّ اسوارها خراباً ولا يعمّرها الفرنج . ولا يتعرَّضوا الى قبَّة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين . ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكاً الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليهِ . وتسلَّم الامبراطور القدس ورجع الى عكاً وركب البحر الى بلدهِ . وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة ٦٣٥ هـ. فاستولى على مصر ابنهُ العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عمَّروا قلعتها فحاصرها وفتحها وضرب القلعة وخرَّب برج داود (لابي الفداء)

زحفة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ — ١٢٥٢م)

٢١٩ كان ملك افرنسة (هو لويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمونهُ ريد افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبلهِ ملوكهم . فخرج قاصداً الديار المصريَّة فجمع عساكرهُ فارسها وراجلها وركب البحر باموالٍ جزيلة وأهبة جميلة فاجاز الى

قبرس وشتّى بها . ثم عبر سنة ٦٤٧ ه الى دمياط وبها بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل بها حامية . فلما رأوا ما لا قبل لهم بهِ اجفلوا عنها . فملكها ريّ افرنس بغير تعب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكرهُ نازلة بحمص فكرَّ راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابهُ بالطريق وعك . فامر بصلب الامراء المنهزمين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميراً فاشتدَّ عليهِ فتوفي . وكان ملكهُ في الديار المصريَّة تسع سنين وكان مهيباً عالي الهمة عفيفاً طاهر اللسان والذيل وكان جمع من المماليك الترك ما لم يجمع غيره . وكتم أهل الدولة موتهُ حذرًا من الفرنج وقامت زوجتهُ شجرة الدرّ بالأمر وكانت تركيَّة داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوَّت جاشهم واستحلفتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظَّم توارنشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشرِهَ الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدّم العسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلاً طائلاً لانهم حصلوا مضايق أزقّتها . وكانت العامة يقاتلونهُ بالحجارة والآجرّ والتراب وخيولهم الضخمة لم تتمكَّن من الجولان بين الدروب . ثم عبى ريد افرنس جيوشهُ وسار بهم طالباً ارض مصر فصبر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسمَّى اشمون فتوجَّهوا نحوهم والتقى العسكران واقتتل الفريقان قتالاً شديدًا وانجلت الحروب عن كسرة الفرنج برًّا وبحرًا . فضعفت حالهم لذلك فارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفنيت أزوادهم وانقطع عنهم المَدَد من دمياط فلم يبقَ لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجّهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الّا القليل وقُتِل منهم اكثر من ثلاثين الفاً . واعتقل الملك ريد افرنس ومعهُ جماعة من خواصّهِ واكابرهِ . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظَّم قتلهُ المماليك لشهرين من ملكهِ وقدَّموا عليهم اميرًا منهم يُلقَّب بعز الدين التركماني . ونهضوا الى ريد افرنس وجدَّدوا معهُ اليمين وافتدى منهم بالف الف دينار وتسليم دمياط فاطلقوهُ . فاقلع مع اصحابهِ الى عكَّا سنة ٦٤٨ ه واتمَّ عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لِما حصل للمسلمين عليها من الشدَّة مرَّة بعد أُخرى . ثم استقرّ الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارتهِ مدَّة وعُزِل لخمس سنين من ولايتهِ وانقرض بهِ مُلك بني أيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبدُّوا بالملك . وكان اوَّل ملكهم المعز ايبك التركماني ثم خلفهُ ابنهُ المنصور خلعهُ قطز المعزي فاستبدَّ بالملك وارتجع الشام من التتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ ه . ثم قتل المظفَّر قطز واستقلّ الظاهر بيبرَس البندقداري سنة ٦٥٨ ه ثم جهَّز العساكر وسار الى مقاتلة التتر فاجفلوا وولّوا هاربين . وقصد قيساريَّة وهي للفرنج فاقتحم عليها وفتحها وشنَّ على اعمالها الغارة . وسرَّح عسكرًا الى حيفا وأرسوف وملكهما

عنوةً ثم كرَّ راجعاً الى طرابلس وبها بويموند الفرنجي فلم يدرك منها وطرَهُ . فسار الى صفد وفتحها واستلحم الفرنج الذين بها واثخن في قتلهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة بهِ . ثم خرج الى دمشق واكتسح بسائط عكَّا واحتلَّ مدينة يافا وصيدا وسار الى انطاكية ثانيةً وفتحها على الامان فخرب قلعتها واضرمها نارًا فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٧٠ سنة

زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١٢٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعتزم ريدفرنس لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفةَ المسيح بزعمهم فاوعز الى ملوك النصرانيَّة لمظاهرتهِ . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج لغزو بلاد المسلمين فشاع خبر استعداد النصارى للغزو . وهمَّ المسلمون بترميم الثغور وامر المستنصر بسائر عمالاتهِ بالاستكثار من العدَّة وأَرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار واختزان الأحباب . واوفد السلطان على ملك افرنسيس رسلهُ ومشارطتهُ على ان يكفَّ غربهُ فلم يرضَ وجمع الطاغية حشدهُ وركب اساطيلهُ الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فاجتمعوا بسردانية ونادى السلطان بالنذير بالعدو والاستعداد لهُ والنفير الى اقرب المرافئ وبعث الثواني لاستطلاع الخبر . فتوالت بعد مدَّة الاساطيل بمرسى قرطاجنَّة فنزلوا بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفًا من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين صغار وكبار وكانوا سبعة يعاسيب فيهم الفرنسيس واخوهُ صاحب صقليَّة والعجة زوج الطاغية وتسمَّى الرينة . وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنَّة وكانت ماثلة الجدران فوصلوا ما فصلهُ الخراب من أسوارها بالواح الخشب ونضدوا شرافاتها وأداروا على السور خندقًا بعيد المهوى . وتحصنوا وأقاموا متحرسين بتونس ستة اشهر والمَدَد يأتيهِ في اساطيلهِ من البحر من صقليَّة والعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في ممالكهِ حشدًا فوافتهُ الامداد من كل ناحية من المغرب والاندلس وقبائل العرب فاتصلت الحرب ومات من الفريقين خلقٌ . وفي خلال ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابهُ مرض الوباء ولما توفي اجتمع النصارى على ابنهِ فبايعوهُ . ثم بعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بما لٍ اغرفهُ لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى عدوتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنفر المسلمون من مصر الى حصار طرابلس فنصب عليها المجانيق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفهُ في الملك ابنهُ الأشرف خليل فكان اوَّل اعمالهِ حصار عكَّا متمماً عزم ابيهِ . فتناوشوا القتال مع الفرنج وهدم الخليلَ كثيرًا من ابراجها وشحنها بالمقاتلة واستلحموا من كان فيها واكثروا القتل والسبي في الفرنج واستوعبهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفلوا عنها وتركوها خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

ذكر التتر — فتوحات جنكزخان (١١٦٣ — ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتفق اهل التاريخ انَّ التتر اممٌ لايضمّها إحصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللُبود لشدَّة البرد في بلادهم . واكثر دوابّهم الخيل واقواتهم الأُرز وألبان الخيل ولحومها . وتُعرَف ملوكهم بالخان وهي سِمَتهم الخاصَّة . وكانوا مبدَّدين في دشت قبجان في حدود مُلك الخطَا والصين في سهولٍ واوعارٍ يتهارجون فيها كالحيوانات السائمة لا حاكم يردعهم ولا دين يجمعهم حتى نبغ فيهم هذا الطاغية جنكزخان . وكان ظهورهُ في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذٍ المستولي على قبائل الترك المشارقة أُوتُك خان . وهو المسمَّى الملك يوحنّا من القبيلة التي يقال لها كُرَيت وهي طائفة تدين بالنصرانيَّة . وكان رجلٌ مؤيَّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تموجين مُلازماً لخدمة أُوتُك خان من سنّ الطفوليَّة الى ان بلغ حدَّ الرجوليَّة . وكان ذا بأسٍ في قهر الأعداء فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى أُوتُك خان . ولا زالوا يغتابونهُ عندهُ حتَّى اتَّهمهُ بتغيير النيَّة وهمَّ باعتقالهِ والقبض عليهِ . فاطَّلع تموجين على المكيدة فكرَّ مع خَدَمهِ على أُوتُك خان فقتلهُ وابطالهُ فسُمّي جنكزخان . ثمَّ علا شأنهُ وارسل الرسل الى جميع الترك فمن اطاعهُ وتبعهُ سُعِد ومن خالفهُ خُذِل . فسار اوَّلًا يقصد سلطان الخطَا والصين والتون خان فابادهُ . واستصفى ولايتهُ وبلادهُ (٦٠١ ه)

وكان جنكزخان رجلًا امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيَّد بدين بل يعظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصارى ويُحسن الظنَّ بهم ويكرّمهم و يرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكزخان هو لنفسهِ في الملك قواعد سالك فيها . ولمَّا لم يكن للتتر كتاب ولا خط فأمر عقلاء مملكتهِ واذكياء قبائلهِ ان يضعوا خطًّا وقلماً فوضعوا لهُ قلم المُغُل ورتَّبوا لهُ كتاباً اسمهُ الباسق الكبير . وكان كرسي مملكتهِ قراقروم . وكان سبب مسيرهِ الى ممالك الاسلام انهُ ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلًا بهدايا يسأل الموادعة والإذن للتجَّار من الجانبين في التردُّد في متاجرهم فاستنكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفيةً . ففشا الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واستولى على اترار وبخارى وسمرقند واضرموا في محالّها النار وجعلوا عمّالها وامراءها نكالًا لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسحوا كل ما مرُّوا عليهِ . ففرَّ من وجههِ خوارزمشاه فسرح جنكزخان العساكر في اثرهِ نحوًا من عشرين الفًا فاجفلوهُ الى خراسان والى طبرستان فخاض بحرها ووصل الى بعض الجزائر فطرقهُ المرض بها فمات (تارخ القرماني وابي الفرج الملطي)

٢٢٢ فسار التتر بعد مهلك خوارزم شاه الى خراسان ففتحوا كلات من احصن القلاع الى جانب جيحون واوسعوها نهبًا وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٦٠٧ ه) . ثمَّ ساروا الى مرو وهَراة وهما من امنع البلاد فحاصروهما عشرًا وصدقوا عليها الحملة فملكوهما

واحرقوهما ونهبوا نواحيهما . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد لهُ ابوهُ قبل موتهِ وكان جلال الدين هذا استظهر على التتر وكبسهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرًا عظيمًا لعظمها لانها كرسي الملك وموضع العساكر . فسارت عساكر التتر اليها مع ابنَيهِ جغاطاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنعت . فاستمدُّوا عليها جنكزخان فامدَّهم بالعساكر متلاحقة . فزحفوا اليها وملكوا جانبًا منها وما زالوا يملكونها ناحيةً ناحية الى ان استوعبوها ثم فتحوا السدَّ الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرَّقها . وانقسم اهلها بين السيف والغرَق . ثم جدُّوا في عقِب جلال الدين وهم ينقمون عليهِ فادركوهُ وهو نازل مع عسكرهِ على نهر السند . ولمَّا لم يرَ وسيلةً للخلاص اقتحم النهر بفرسهِ وفرَّ ناجيًا بنفسهِ وتخلَّص من عسكرهِ ثلاثمائة فارس واربعة آلاف رجل وبعض امرائهِ . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى همَذان وقزوين وأَذَربيجان وهم يضعون السيف في من قاومهم ويؤمّنون من سالمهم ويفتحون عنوةً المدن الممتنعة عنهم ويستبيحونها . ثمَّ انضاف الى التتر جموع من التركمان والاكراد وساروا الى الكرج واثخنوا فيهم . وافتتحوا قصبتهم تبريز (لابن خلدون وابن الاثير)

٢٢٣ ثم ساروا الى بيلقان فحاصروها . وبعثوا الى اهل البلد رجلًا من اكابرهم يقرّر معهم في المصانعة والصلح فقتلوهُ . فاقام التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوةً (٦٠٨ هـ) . واستلحموا اهلها وافحشوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلًا ونهبًا وتخريبًا . ثم ساروا الى قاعدة ارَّان وهي كنجة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدرنبر (الدنيبر) وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها امم القفجاق واللان واللكن وطوائف من الترك . فاوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامَّة البسائط . وقاتلهم جموع من القفجاق واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغالبتهم. ثم عادوا الى محاربة قفجاق وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نيطاش المتصل بخليج القسطنطينيَّة فملكوها . وافترق اهلها واعتصم بعضهم بالجبال والغياض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ هـ) الى بلاد الروس المجاورة لقفجاق وهي بلاد فسيحة واهلها يدينون بالنصرانيَّة فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كرُّوا عليهم واكتسحوا بلادهم واثخنوا فيهم قتلًا وسبيًا ونهبًا. ثم قصدوا بلغار وهدموا واحرقوا ونهبوا وارهقوا . وفي سنة (٦١٤ هـ) قفل جنكزخان من الممالك الغربيــة الى منازلهِ القديمة الشرقيَّــة فعرض لهُ مرض في طريقهِ . ولمَّا قوي مرضهُ استدعى اولادهُ جغاطاي واوكطاي وتولي خان واورخان واوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الملك وعيَّن لكل من هولاء مملكةً من الممالك واوصى بالتخت لاوكطاي

ظهور تيمورلنك وفتوحاتهُ (٧٣٦ ــ ٨٠٣ هـ) (١٣٣٦ ــ ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذُكر لتيمور نسب يتَّصل بجنكزخان من جهة النساء . وكان رجلًا ذا قامة شاهقة

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكتاف مستكمل البنية جهير الصوت وبهِ قَزَل . فلماً بلغ اشُدَّهُ جعل يطوف في الصحاري والغابات يتربَّص الفرصة لاستنقاذ بلدهِ فانضمَّ الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر بهِ . ثم حاول على الامير حسين ونقض عهدهُ وانتزع منهُ مدينة بلخ فاخرجها وقتل الحسين شرّ قتلةٍ . ثم عبر جيحون وحاصر السلطان غياث الدين فى هراة وكبس المدينة وفتك بغياث الدين ثم عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان وافناهم من بكرة ابيهم . ثم خرَّب المدينة ولم يبق لها من اثر . وفي سنة (٧٨٨ هـ) زحف الى بلاد فارس وعراق العجم فاستولى عليها . ولمَّا بلغهُ موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الجزيرة واستخلف عليها رجلاً من اصحابهِ . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فخام عن لقاء تيمور وفرَّ ناجياً بنفسهِ . ثم اجمع على فتح الشام فضمَّ اليهِ اطرافهُ لقتال ملكها فَرَج برقوق من الملوك الشراكسة فالتقى بابنهِ عند حلب فهزمهُ ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعلبك على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربتهِ فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة برقوق وقهرهِ فافتتح تيمور دمشق عنوة وقتل وسفك الدماء وعاث فيها واضرم النار في جامعها الأموي . وفي سنة (٧٩٥ هـ) كرَّ بعساكرهِ على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من وُلد هولاكو وتملَّكها بعد ان اوسع اهلها قتلاً ونهباً . ثم صمَّم العزم على الاغارة على ممالك الاتراك فسار الى قراباغ وكان لا يدخل في مسيرهِ قريةً الَّا افسدها ولا ينزل على مدينة الَّا ومحاها وبدَّدها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوهُ الى طاعتهِ فتوجَّه الى ملاقاتهِ واجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة . فاشتعلت الحرب بين الفئتين من الضحى الى العصر حتى ترك السلطان طائفةٌ من عسكرهِ وذهبوا الى تيمور فكان ذلك سبباً لكسرتهِ ووقوعهِ في مخالب تيمور فكبَّلهُ في قفصٍ من حديد فقضى فيهِ نحبهُ . ثم اندرأ تيمور راجعاً الى سمرقند مُظفَّرًا فما فتئَ ان وافتهُ المنون وكشف الله عن العالم كربهُ (٨٠٧ هـ) فملك بعدهُ ابنهُ شاخ رخ ثم انتقل الملك الى اعقابهِ الى ان تلاشى واضمحلَّ (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ ــ ١٣٠٣ هـ (١٢٩٩ ــ ١٨٨٤ م)

٢٢٥ قال القرماني : وهم من اعظم السلاطين ابهةً وجلالةً واشدهم قوةً وآثارًا . واول من ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م) واصلهُ من التراكمة الرحَّالة النزَّالة من طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعًا مقدامًا افتتح بلادًا كثيرة من يد السلجوقيين فاستقلَّ عليها . ثم ولي بعدهُ ابنهُ اورخان (٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) افتتح بَرُوسا وجعلها مقرَّ سلطنتهِ واستولى على كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطي البحر بينها وبين قسطنطينيَّة ستة وثمانون ميلاً . ثم ملك بعدهُ ولدهُ مراد الاول الغازي (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) افتتح أدرنة سنة

(٧٦١ ه) وهو اول من اتخذ المماليك وسمّاهم ينشريّة يعني العسكر الجديد والبسهم اللُبّاد الابيض المثنى . ثم ملك بعدهُ ولدهُ السلطان يلدرم بايزيد خان (٧٩٢ ه ١٣٨٩ م) ولهُ فتوحات كثيرة منها نيقية عاصمة بلاد الكرمان ونُوقات وصامسون . وحاصر الاستانة ولم يفتحها والتزم صاحبها بالخراج . ثم استظهر تيمورلنك على بايزيد كما مرَّ (١٤٠٢ م) . ثم خلفهُ ابنهُ محمّد الاول بعد ان قتل اخوتهُ (٨١٦ ه ١٤١٤ م) وفتك ببلاد القرمان . ثم خلفهُ ابنهُ مراد الثاني (٨٢٤ ه ١٤٢٢ م) الذي غزا بلاد ارنود وفتح مورة وسالونيك وضرب السكَّة باسمهِ وانتصر عليهِ ملك المجر . ثم ولي الامر بعدهُ ابنهُ محمّد الثاني (٨٥٥ ه ١٤٥١ م) وهو الذي فتح القسطنطينيَّة (١٤٥٣ م) وغزا بوسنة وغلبهُ القرال (حنَّا هونياد) في بلاد بلغراد ودفعهُ الاستبارية عن رودس . ثم ملك بعدهُ ابنهُ بايزيد الثاني (٨٨٦ ه ١٤٨١ م) قاتل اخاهُ جمّ وغلبهُ ثم استنزل عن الملك لابنهِ سليم الاول (٩١٨ ه ١٥١٣ م) . ففتح سليم مصر والشام واستولى على بلاد العرب وفارس واباد ملك الجراكسة فيها . ثم خلفهُ ابنهُ سليمان خان (٩٢٦ ه ١٥٢٠ م) استولى على رودس وكوفوس وعراق العجم وردَّهُ النصارى عن فينَّا ومالطة (وكان يحميها لافالت) . ثم ملك بعدهُ سليم الثاني ابنهُ (٩٧٤ ه ١٥٦٧ م) فتح تونس وقبرس واليمن وغلبهُ الفرنج في خليج (ليبنت) . ثم تولى بعدهُ السلطان مراد الثالث (٩٨٢ ه ١٥٧٣ م) قهر الكرج وفتح تفليس . ثم ملك ابنهُ محمد الثالث (١٠٠٣ ه ١٥٩٥ م) غزا المجر وغلبهم . ثم عقبهُ ابنهُ احمد الاول (١٠١٢ ه ١٦٠٣ م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعدهُ السلطان اخوهُ مصطفى الاول وخلعهُ الينشريَّة لثلاثة اشهر من ملكهِ . ثم ملك عثمان الثاني ابن احمد الاول (١٠٢٧ ه ١٦١٨ م) قتلهُ الينشريَّة وارجعوا مصطفى ثانيةً (١٠٣١ ه) . ثم خلفهُ مراد الرابع (١٠٣٢ ه ١٦٢٣ م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعدهُ ابنهُ ابراهيم (١٠٤٩ ه ١٦٤٠ م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٠٥٨ ه ١٦٤٧ م) غلبهُ المجر في سنغودار وكسر عسكرهُ سوبيسكي في فينَّا ثم ملك بعدهُ سليمان خان الثاني (١٠٩٩ ه ١٦٨٨ م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعدهُ احمد الثاني (١١٠٢ ه ١٦٩١ م) انتصر عليهِ اللمان . ثم ملك مصطفى الثاني (١١٠٦ ه ١٦٩٥ م) . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥ ه ١٧٠٤ م) . ثم الغازي محمود الاول (١١٤٢ ه ١٧٣٢ م) . ثم عثمان الثالث (١١٦٨ ه ١٧٥٧ م) . ثم مصطفى الثالث (١١٧١ ه ١٧٦٩ م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧ ه ١٧٧٥ م) . ثم سليم خان الثالث (١٢٠٣ ه ١٧٩٠ م) . ثم مصطفى الرابع (١٢٢٢ ه ١٨١٠ م) . ثم الغازي محمود الثاني (١٢٢٣ ه ١٨١٠ م) . ثم الغازي عبد المجيد خان (١٢٥٥ ه ١٨٤١ م) . ثم عبد العزيز خان ١٢٧٧ ه ١٨٦٣ م) . ثم مراد خان الخامس فخلع (١٢٩٣ ه ١٨٧٦ م) . ثم السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ ه ١٨٧٧ م) فخُلع سنة (١٣٢٧ ه ١٩٠٩ م) وخلفهُ اخوهُ رشاد السلطان الدستوريّ وسمّي محمد الخامس . ايَّدهُ الله بالعزّ والتوفيق

فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب


Bibliotheca Alexandrina
0631926